

نفسير آيَاتِكَ الْمَقْرُبِينَ

الجزء الثالث
من سورة النور إلى سورة الزمر

الشيخ فوزي محمد فوزي

دار الإيمان والحياة



الجزء الثالث

من سورة النور إلى سورة الزمر

الشيخ فوزي محمد فوزي

تُمْ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آيات المقربين - جزء ٣
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبو زيد
الطبعة	٧ ربيع ثاني ١٤٣٩ هـ، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٧ م
كتاب رقم	مائة وخمسة من المطبوع
سلسلة	تفسير القرآن الكريم، الكتاب التاسع
الداخلى	٤٩٦ ص * ٨٠ جم، ١٧ * ٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط * ٣٥٠ جم * ٤ لون، سلوفان مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادى، القاهرة، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠ ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
إيداع محلى	٢٠١٧/٢٨٢٤٥
ترقيم دولى	978-977-90-5191-8



الباركود

طباعة مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على واسع فضله، والشكر لله على جميع آلاءه ونعمه، والصلاة والسلام على سيد أنبياءه ورسله سيدنا محمد وآله وصحبه، وأتباعه ومحبيه والناهجين على نهجه وبعد

لا يستطيع مفسر مهما أوتي من العلم والبيان أن يبين بياناً كافياً شافياً يكتفى به في معاني القرآن لكل زمان ومكان ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للمسلمين في كل زمان ومكان رجال ينتقيهم الله تبارك وتعالى فيبينوا من معاني القرآن ما يحتاج إليه أهل زمانهم وما تتحمله عقولهم ويليق باستعداداتهم، وهذا ما أدى إلى كثرة التفاسير والمفسرون لكتاب الله في كل زمان ومكان .

وفي الحقيقة فإن أي تفسير لمفسر إنما هو في الحقيقة تعبير عن خواطره نحو كتاب الله التي تجول في نفسه إن كان من المفسرين العاديين ، أو تعبير عما يجول في نفوس الحاضرين والسامعين ، والمفسر هنا يكون من العارفين الذين ينفذون قول رب العالمين ﴿عِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣ النساء).

ونرى أن المفسر الحقيقي للقرآن هو الذي يبين مراد الله تبارك وتعالى في آيات القرآن لعباده المخاطبين به في كل زمان ومكان، بل وهناك تفسير إلهامي على قدر كل مسلم يلهمه الله تعالى به أثناء قراءته أو سماعه للقرآن تطبيقاً لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧ القمر).

وتمشياً مع المنهج الموضوعي في تفسير الآيات الخاصة بالمقربين في كتاب الله تعالى فقد انتهينا من الجزأين الأول والثاني وتم طباعتهما ، وهذا بفضل الله تبارك وتعالى الجزء الثالث من سورة النور إلى آخر سورة الزمر، راعينا فيه أن يكون التفسير بلغة سلسة ومبسطة بعيداً عن الآراء المذهبية والتيارات السياسية والحزبية والتوغل في النواحي النحوية والبلاغية لأننا نخطب به جموع المسلمين خاصة وأنه تم إلقاءه على هيئة حلقات عامة في ربوع المساجد

الكتب انزل المطبوع نفسي ايتها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

وهي غاصة بالحضور والسامعين، ورجحنا فيه أكثر الأقوال ملائمة للفكر المتزن والعقل السوي حتى يصير كلام الله تعالى ميسراً تناوله للمسلمين على اختلاف ثقافتهم ودرجاتهم العلمية ومقاماتهم الإيمانية ، فإن كان فيه فضل وبركة فهو من الله تعالى ، وإن لوحظ فيه غير ذلك فعن قصور منا لا عن تقصير لأننا اجتهدنا وسعنا بعد الاستعانة بالله تعالى والاستمداد من رسوله ﷺ في حديثنا.

والله نسأل أن يبلغ القصد والمراد إن وحده ولي ذلك ...
﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٦)

وصلى الله على سيدنا محمد معلم الناس الخير وآله ... وصحبه ... وورثته
أجمعين إلى يوم الدين ...

حدائق المعادى - القاهرة

٢٦ من ربيع الأول ١٤٣٩ هـ

١٥ من ديسمبر ٢٠١٧ م



البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ
تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ
الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ
أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور)

١. أولو الفضل والسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد الذي أنزل علينا القرآن، وجعل لنا فيه تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمةً للمؤمنين، والصلاة والسلام على من جملته الله بأخلاق القرآن؛ سيدنا محمد وآله الذين ساروا على هُده، وأصحابه الذين اقتدوا به ومشوا على هديه نحو الله، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

لو أن المسلمين تنبهوا إلى ما في كتاب الله، وعملوا به ومشوا على هُده، فلن يكون بينهم وبين بعضهم مشاكل ولا خلافات ولا تحزبات ولا محاكم ولا منازعات، لأن القرآن فيه حلٌّ لمن أتبعه في جميع المشكلات.

ومن أين تأتي المشاكل؟

لأننا نضع كتاب الله خلف ظهورنا، ونمشي بهوى أنفسنا، فنختلف، فهذا له هوى، وهذا له ميل، وهذا له محبة لأمر، فلا بد أن يحدث الشقاق ولا يتم الوفاق ويحدث الخلاف، ويزيد ذلك أهل النفاق، نسأل الله ان يُطَهِّرَ المجتمع منهم أجمعين.

والله ﷻ ضرب لنا الأمثال، وذكر القصص عن الأنبياء السابقين، وعن سيد الأولين والآخرين، لكي نعتبر ونتعظ ونأخذ منهم العبرة في حياتنا أجمعين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١١ يوسف).

فالنبي ﷺ - وهو من تعلمون طهراً ونقاءً وصفاءً وكمالاً وجمالاً، لا يشابهه كمالٌ - ولا يدانيه جمال، وفوق ذلك وبعد ذلك على صلةً بمولاه، وينزل عليه الوحي لئيبه بكل أمرٍ يختار فيه أو يحتاجه في هذه الحياة.

لكن المنافقين لا يدركون ذلك، ولا يعلمون ذلك، لأنهم دائماً وأبداً أعداءٌ للمرسلين والنبیین، وأعداء في كل زمان للحكماء والمصلحين، وهي طبيعة المنافقين، ولا يخلو منهم زمانٌ ولا مكان.

فالنبي ﷺ كان دأبه إذا خرج لغزوة أو لسفر يُسهم بين زوجاته، ومن تخرج لها القرعة تسافر معه، وانظر للعدالة النبوية حتى لا يكون في نفس واحدةٍ منهن أن تقول: فضّل الأخرى عني، فكلهن يجتمعن ويعمل لهن القرعة، ومن تخرج عليها القرعة هي التي تسافر مع حضرة رسول الله ﷺ.

لم يصحبهن ﷺ كلهنّ إلا في حجة الوداع، لأن هذه السفرة ليست بغزو ولا جهاد ولكنها حجة الوداع لرسول الله ﷺ.

غزوة بني المصطلق

سافر ﷺ لإحدى الغزوات، واسمها غزوة بني المصطلق، وهي قبيلة عربية كانت قد أعلنت الحرب على الرسول، وأمر بالقرعة بين زوجاته، فجاء السهم على السيدة عائشة، فسافرت معه ﷺ، والنبي ﷺ كان مُنظّم بأمر ربه تنظيمًا دقيقاً في كل شئونه، فليس عنده شيء عشوائي، ولذلك أنا أعجب للأمة الذين اقتدوا بسيد الأمة، وأغلب رجالهم يمشون بالعشوائية!! أين الاقتداء الذي قال لنا فيه الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

كان ﷺ عندما يسافر ينظّم الجيش، ويُنظّم المئونة التي يأكلون منها، ويُنظّم السلاح، ويُنظّم الخيول في سلاح الفرسان، وفيه سلاح المشاة، الخيول والرماح والخنجر، وفيه سلاح الرماة الذين يرمون بالنبال، وكان هذا سلاح الجيش في هذا الوقت، ويُجهّز كتيبة للإمداد والتموين، فهؤلاء عليهم أن يطبخوا ويجهّزوا الأكل للجيش، ويحضروا المياه للجيش، ومعهم كتيبة للمسعفات، معهم أربطة وأدوات لعلاج الجروح السطحية والغائرة، وهؤلاء ينصبون الخيمة في آخر المعسكر، حتى إذا أُصيب جندي يأخذوه ويحملوه هذه الخيمة للعلاج ... وكان يجعل كتيبة للاستطلاع والاستكشاف تمشي أمام الجيش تنظر من يترصّ هنا، والذي يأتي من هناك، وكتيبة الإمداد والتموين منهم جماعة يسبقون الجيش لينظروا الأماكن التي فيها المياه على الطريق، لأن الجزيرة العربية ليس كلها فيها ماء، ويحدّدوا الأماكن التي سينزل فيها الجيش بحيث تكون فيها مياه، لكي يشرب الجيش ويملاً الأسقية التي معه.

وهناك كتيبة تنتظر إلى أن يتحرّك الجيش حوالي ثلاثة كيلومترات وتبحث في مكان

الكتب: انزل المطبوع نفسنا: ايضاً الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

المعسكر عن أشياء نسيها الجنود فيه وما تركوه فيه ليوصلوه لأصحاب رسول الله، كل هذا تنظيم دقيق من رسول الله ﷺ لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل، من علمه؟ الله ﷻ:

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء).

وأثناء رجوعهم من الغزوة عسكر الجيش في الليل لكي يستأنفوا المسير في النهار، وأنتم تعلمون أن الصحراء ليس فيها دورات للمياه، فمن كان يريد قضاء حاجته يقضيها في الصحراء، ونساء أهل المدينة كنَّ قد عودن أجسامهن أن لا يقضين حاجتهن إلا عند مجيء الليل، ويخرجن معاً جماعات يقضين حاجتهن في الصحراء ويعدن، لخلو البيوت من المراحيض وما شابه ذلك.

وانظر إلى هذا التدريب، هل يوجد من يستطيع أن يؤخر نفسه ليكون الإخراج في وقت محدد؟! جسم الإنسان مهيأ أن يروّضه الإنسان كما يريد بأمر الحميد المجيد عزوجل، كما تريد يمشي الجسم، ولكن اضبط نفسك واضبط جسمك تجده كما تريد.

فالسيدة عائشة خرجت لقضاء حاجتها، وكان معها عُقد عزيز عليها لأنه كان هدية من أمها، هذا العقد انفرط أثناء مشيها، فأخذت تبحث عنه إلى أن أشرق النهار، وفي هذه الفترة كان الجيش قد مشى وهي لا تشعر.

وكان الموكلين بحراستها يضعون على الجمل هودج حتى لا تتركب كما يركب الرجل، فهي تدخل الهودج ثم يرفعوه على الجمل، وكانت خفيفة الوزن غير سميكة، فلما رفعوا الهودج لم يشعروا أنها ليست فيه، فوضعوه ومشوا.

أخذت تبحث عن أحد من القافلة فلم تجد، وفي موضع خيمتها مكان المعسكر جلست واسترجعت كما علمنا الله وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وحضرة النبي علمنا أن نسترجع عند كل مصيبة وليس للموت فقط، حتى قال ﷺ:

{ إِذَا انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِكُمْ فَلْيَسْتَرْجِعْ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَاصِبِ } ٢

ففي أي مصيبة ولو قليلة أصابت الإنسان فعليه أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فجلست وهي مرهقة ومُتعبة فنامت، فجاءت الكتيبة التي تتبّع الجيش وتبحث عن مخلفاته، فوجدوها نائمة، وواحد منهم كان يعرفها، فاسترجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاستيقظت، وكيف يحملونها ولا يوجد هودج؟! فاضطروا أن يأتوا بجمل، ونحّ الجمل، ومشوا بعيداً ووجّهوا ظهورهم لها، حتى ركبت، وقادوا الجمل وذهبوا للجيش في وسط النهار.

سيدنا رسول الله ﷺ كان معه من ضمن المرافقين معه كتيبة من المنافقين، وقائدهم العام اسمه عبد الله بن أبي بن سلول، ومعه عصابة من المنافقين يمشون مع المسلمين ويتظاهرون أنهم معهم، ويدخلون المسجد ويتظاهرون أنهم يصلون، لكنهم مثلما قال الله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة ١٠) قلوبهم غير سليمة، ولذلك جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، والدرك يعني السلم النازل، فالسلم الصاعد نسميه درج، والسلمة النازل نسميها درك، ولذلك فجهم نسميها دركات، والجنة نسميها درجات.

أين هؤلاء المنافقون؟ في آخر دركة من جهنم: ﴿ إِنَّ النَّافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (النساء ١٤٥) لأنهم أشد على المؤمنين من الأعداء الخارين لأنهم يعيشون بينهم.

فعندما رآها عبد الله بن أبي عقد اجتماع لمن حوله وقال لهم: أرايتم زوجة النبي كيف جاءت وتخلفت عن الجيش؟! وبدأوا يشنعون على السيدة عائشة رضي الله عنها ويتهمونها - حاشا لله ﷻ - بأنها فعلت الفاحشة.

سيدنا رسول الله ﷺ كان حكيماً لا يستطيع أن يُبرئها مع أنه يعرف طهارتها ومتأكد من ذلك، لأنهم سيقولون أنه يجامل زوجته، فانتظر حتى تأتي البراءة من الله ﷻ.

هذه القصة ذكرها لنا الله في سورة (النور) ..

وسيدنا عمر رضي الله عنه كان يُرسل رسائل إلى ولاته في البلدان المختلفة كالبصرة والكوفة ومصر بأن علّموا نساءكم سورة النور وسورة الأحزاب لأن فيهما آداب النساء، فالسورتين

فيهما الآداب التي ينبغي أن يعلمها نساء المؤمنين، فتُشرح لهنَّ ويعلمونها جيداً، وأنت مسئول عن نساءك في هذا الأمر، إن كانت زوجتك أو أمك أو بناتك:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }^٣

لماذا سُميت سورة النور؟ لأنها أنارت لنا الطريق، ووضحت لنا المفاهيم التي ينبغي أن يعرفها كل مؤمن، وتعلمها كل مؤمنة، ليكون مجتمعنا المجتمع السليم القويم الذي يقول فيه النبي الكريم:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى }^٤

فجاءنا الله بهذه الآيات ليعلمنا الأدب في مثل هذه المواقف، لأن هذه المواقف ستكرر في المجتمع، والمجتمع لا يخلو من المنافقين في أي زمان أو مكان.

أدب المؤمن عند سماع الشائعات

وأول شيء نتعلمه هو: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾

لا يصح لنا أن نتكلم في هذا الأمر، نعمل كالصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري الذي جلس مع زوجته وقال لها: ما رأيك فيم يُشاع ويُنشر عن السيدة عائشة؟ قالت له: يا أبا أيوب هل ترضى ذلك لي؟ قال: لا، قالت: فكيف يرضونه لزوجة رسول الله ﷺ؟!.

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا هُبْتُنْ ﴾

عَظِيمٌ ﴿ لا يصح لنا أننا نخوض في هذا الكلام بأي عرض من أعراض المؤمنين، لأن الكلام في هذا الشأن في حكم الدين جريمة شنعاء اسمها قذف المحصنات الغافلات، وقذف المحصنات عقوبته أن يُجلد القاذف ثمانين جلدة، ويُفصح ببلده، ولا تُقبل شهادته، لماذا؟ لأنه كيف يقذف مؤمنة وليس عنده دليل ولا برهان أكيد على ذلك؟! وهذا عقابه في الدنيا، أما في الآخرة فقال فيه ﷺ:

٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٤ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ

{ إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لِيَهْدِمَ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ }

قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة من الصالحات والطيبات والنوافل والقربات، لكن المؤمن يُسلم لسانه من هذا الأمر بالكلية، ولو انتشر هذا الخلق الطيب في المجتمع، سنكون كلنا مجتمعاً نورانياً إلهياً ربانياً كمجتمع محمد رسول الله والذين معه.

عقوبة إشاعة الفاحشة

وزاد الله ﷻ في التحذير في الآيات التي معنا وشدّده فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ العادة أن الذي يؤاخذ هو الإنسان الذي فعل الجريمة، لكن هنا ذكر الله أن هذه الجريمة يؤاخذ عليها ثلاث أصناف، الصنف الأول الذي عمل، والصنف الثاني الذي حضر ولم ينكر عليه ولم يمنعه، والصنف الثالث الذي لم يفعل شيئاً ولكنه أحب هذا الأمر، ويتميّ أن هذا الأمر ينتشر ويشيع بين المؤمنين.

فهو لم يعمل ولم يشع ولم يحضر ولكنه لما سمع الخبر فرح أن فلانة هذه قيل فيها كذا، أو فلان هذا قيل فيه كذا، جائز يُعبر ويقول: يستحق أو يقول: كذا، وجائز لا يقول، ولكن كونه أحب في نفسه أن ينتشر هذا الخبر فقد دخل شريكاً مع هؤلاء كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يجب فقط بداخله أن هذا الأمر ينتشر، وأن هذه السيرة تشيع، كونه يجب هذا الأمر فقد أصبح شريكاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ والفاحشة يعني الجرم الفظيع كالزنا، وعمل قوم لوط، وأي جريمة من الجرائم الكبرى والتي نسميها الكبائر، يريد أن يشيع هذا الموضوع وينتشر.

هؤلاء القوم ما لهم؟ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ العذاب الأليم - كما قلت - في الدنيا الجلد ثمانين جلدة، ولذلك بعد أن نزلت براءة السيدة عائشة سيدنا رسول الله جمع هؤلاء القوم كلهم، وأمر بإقامة الحد عليهم، وجلدهم كل واحد منهم ثمانين جلدة،

ليكونوا عبرة لغيرهم.

وتسقط شهادتهم، فلا تُقبل لهم شهادة عند القاضي في أي قضية، هذا غير استهزاء المؤمنين والسخرية منهم، وهذه وحدها ليست هينة، فكون المؤمنون يسخروا منهم ويستهزئوا بهم ويهونوا من شأنهم فهي عقوبة من عقوبات الدنيا.

أما في الآخرة فإن الله ﷻ توعدّهم بالعذاب الأليم كما ذكرت الآية، والعذاب الأليم في الآخرة على قدر جرمهم وعلى قدر ارتكابهم لإثمهم، يكون قدر العذاب الذي يحكم به عليهم الله ﷻ في جهنّم، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة أجمعين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لماذا جرت هذه الحادثة؟ الله يعلم السر فيها، لأن الله جعل نبيه قدوةً لنا، وجعل زوجاته قدوةً لزوجاتنا، فإذا حدث هذا الأمر ظلماً لأحد من المؤمنين، فيكون له تسليّة فيما حدث لسيد الأولين والآخرين، يقول: هل أنا أفضل من رسول الله؟! فقد حدث مع رسول الله، ومع زوجته الطاهرة النقية بنت أبي بكر الصديق ﷺ، فله هنا تسليّة في هذا الأمر.

ويكون للمؤمنين كلهم تعليم في عدم إثارة هذه العُفُونات، وعدم نشر هذه الذنوب والآثام، وإنما مجتمع المؤمنين لا ينشرون إلا الخير الذي يحبه رب العالمين ﷻ.

رَأْفَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لولا فضل الله ورحمة الله تداركت المسلمين في وقت هذه المحنة، وفي هذا الامتحان، لكان ربما بعضهم قد سوّلت له نفسه أن تخوض، ما الذي منعه؟ فضل الله ورحمة الله، وليست شطارة ولا مهارة، ولكنها عناية من الله، والله كما وصف نفسه فهو رءوفٌ بالمؤمنين ورحيمٌ بالمتقين، في كل وقت وحين لا تتخلى رعايته عنهم طرفة عين ولا أقل.

والله يا إخواني لو تخلّت عنا عناية الله طرفة عين ما استطعنا عمل عمل نافع قليلاً أو كثيراً لله، لأن الأمور كلها بمعونة الله، وبتوفيق الله جل في علاه، فلا قوة لنا على طاعته إلا بفضلِهِ ومعونته، ولا بُد لنا عن معصيته إلا بحفظه وصيانيته، ولو تخلّى عنا نفساً فمن الذي

يستطيع أن يحفظ نفسه من المعاصي؟! ومن الذي يستطيع أن يحفظ نفسه من الفتن؟!
فالحفيظ ﷻ هو الذي يتولى لنا ذلك، وهو الذي يُعيننا على ذلك، نسأل الله ﷻ أن يُديم
علينا عنايته بنا على الدوام حتى نخرج من الدنيا إلى حضرته بسلام.

النهي عن طريق الشيطان

ثم حذر الله ﷻ المؤمنين في كل زمان ومكان ونحن منهم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وما خطوات الشيطان؟ فهل الشيطان له طريق يمشي فيه
خطوات؟ نعم، فما طريق الشيطان؟ الإفساد بين الناس، وتزيين المعاصي للمؤمنين، وتسويل
الشهوات للمتقين، وإخراجهم من الأخلاق العلية التي يُحبها رب العالمين، فهذا طريق
الشيطان وخطواته.

يعلم أن الله يُحب العبد الحليم فيستغفر الإنسان دائماً ويجعله غضوباً لكي لا ينال مقام
الحليم، ويعلم أن الله ﷻ يُحب العبد الكريم فيجعله دائماً حريص وشحيح حتى لا ينال محبة
الله ﷻ لأن الله كريمٌ يحب كل كريم، ويعلم أن الله يُحب التآني والأناة في كل أمر، فيجعل
الإنسان متسرع وعجول ... فهذه خطوات الشيطان.

فكل الأخلاق الكريمة التي يحبها الرحمن يحاول الشيطان أن يجعل الإنسان يأتي بضدها
حتى لا ينال رضا الله، ولا ينال متابعة حبيب الله ومصطفاه، ولذلك نبهنا الله من خطوات
الشيطان.

ومن يمشي وراءه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
الله ﷻ يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر، والشيطان
يأمر بالفحشاء والمنكر لنعرف أن هذا طريق شيطان.

فكل أمر تُحبه النفس يميل إليه الطبع ويخالف ما أمر به الرحمن نعرف أنه من الشيطان
ومعه النفس، لأنهما الاثنين متعاونين على إسقاط الإنسان من رضا الرحمن ﷻ.

فينتبه الإنسان من الخواطر التي تأتي على باله، والكلمات التي تُهيج داخله نحو أي
أمر من الأمور، ويزنّها كلها بما في كتاب الله، وما ورد عن رسول الله ﷺ.

الكلب انزل المطبوع نفسي ايتها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

ومع ذلك لا يقدر أحد منا أن يُنجي نفسه إلا إذا استمدَّ العون من الله، واستمطر الفضل من حضرة الله، فليحذر أي واحد منا أن يظن أنه يقدر بنفسه أن يغلب الشيطان وحده، النبي علّمنا أن نقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) يعني يا رب امنع عني الشيطان الرجيم.

ولذلك أحد الصالحين ذهب إليه أحد مريديه فقال له:

كيف أتغلب على الشيطان؟ قال له: أضرب لك مثلاً: لو أنك تسير عند بيت، وخرج عليك كلبٌ كبير يريد أن يأكلك، وأنت لا تقدر أن تمنعه عن نفسك، فماذا تفعل؟ قال: أناادي على صاحب الكلب ليمنعه عني، فقال له: هو نفس الأمر، نادى على الله واطلب من الله أن يمنعه من الشيطان لكن أنت وحدك لو بعدت عنه من هذه الناحية، سيأتيك من الناحية الأخرى، فحيله لا تُعد ولا تُحَد، ولا يوجد أحدٌ يقدر أن يخرج من هذه الحيل إلا بفضل الله وبمعونة الله ﷻ.

تزكية الله للمؤمنين

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾:

وزكا يعني تطهر، فلا أحدٌ منا يستطيع أن يتطهر إلا بنظرات الله، وبمعونة الله، وبتوفيق الله، لكن الإنسان وحده ماذا يعمل مع مكر الشيطان والنفس والدنيا والأهواء والشهوات المزيّنة حولنا في كل الجهات؟! نحن نحتاج: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ (١٧٨ الحج) فنعتصم بالله على الدوام.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

ويزكي يعني يطهر ما يريد تطهيره.

عندما نزلت براءة السيدة عائشة عرّفنا الله ﷻ مكانتها، ومكانة حضرة النبي عند الله ﷻ، لأن سيدنا يوسف أرسل الله له شاهداً من أهلها ليُبرّره، فعندما تزينت له وأخرجت الخدم، غلّقت الأبواب وقالت له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ (٢٣ يوسف) أو (هَيْتَ لك) يعني هيا تعالى على حسب القراءات، فقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ (٢٣ يوسف) وأخذ يجري منها، فشَدَّت قميصه من

الكنز المصبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

الخلف، وإذ بزوجها يطرق الباب فرأى الأمر، فعكست هي الحكاية على الفور، وقالت: انظر ماذا يريد أن يفعل بي؟! فأرسل الله إليه طفلاً صغيراً رضيعاً من أهلها، وكان موجوداً في نفس المكان، كانت أمه قد نسيته، فأنطقه الرحمن ﷻ وقال: لو كان القميص قد من الأمام فهي صادقة، يعني كانت تدافع عن نفسها، وإذا كان القميص قد من الخلف فهو الذي كان يجري منها، فهذا الشاهد أرسله الله له ليشهد ببراءته.

وسيدنا موسى اتهمه بنو إسرائيل بأنه كبير الخصيتين، ولذلك لا يخلع ملابسه أبداً، فذات يوم نزل يستحم في النبل، وكان يوم سوق، والسوق بجوار البحر، ووضع ملابسه قبل أن ينزل على صخرة، وبعد أن استحم وخرج ليلبس ملابسه، فإذا بالصخرة تجري وعليها ملابسه، فجري وراءها، ومرت في وسط السوق، حتى مرت بالسوق كله، وأخذ يضرب الصخرة بالعصا ويقول لها: ثوبي حجر، ثوبي حجر، فلم تجبه، وظل يجري حتى رآه كل أهل السوق، حتى يكون: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (١٦٩ الأحزاب) لكي يُبرأه الله بهذا الحجر.

والسيدة مريم كانت لها خلوتها في بيت المقدس، وكان من يكفلها زوج خالتها سيدنا زكريا، وكانت غرفتها عالية لا يستطيع أحد صعودها إلا بسلم، وكان معه مفتاح الحجرة، فيضع السلم ويفتح وينظر ليطمئن عليها، ويرجع مرة ثانية ينزل ويرفع السلم من مكانه مرة أخرى ويضعه في مخزن ويغلق عليه.

من الذي يستطيع الذهاب إليها؟ لا أحد، إلى أن ذهب إليها أمين الوحي جبريل ليُبشّرها بالمولود، فخافت منه، فقال لها: لا تخافي، ونفخ في كمها فحدث الحمل، وحدث أن اكتملت أيام الحمل في لحظات، فلم تمكث تسعة أشهر كعادة النساء، لأنه لو كان الحمل تسعة أشهر لانكشف الأمر وحدثت فضيحة، لكنها كانت لحظات حوالي تسع ساعات تقريباً، يعني الشهر في ساعة واحدة فقط.

فاحتارت ماذا تفعل؟ فنزلت ومشت خارج البلد وهي خائفة، وذهبت تحت جذع نخلة، وجاءها الألم وولدت بأمر الله ﷻ، فمن أين تأكل؟ أنبت الله في شجرة النخل الرطب وقال لها: ﴿وَهَرَي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًا﴾ (مريم) هل تستطيع

الوالدة حديثاً أن تهز جزع النخلة؟! لا، لكن لنعلمنا الله أن الإنسان لا بد أن يأخذ بالأسباب، فلا يطلب في نفسه أن كل شيء يأتيه بدون أسباب، هذا سبب بسيط، لكن لا بد من السبب لكي تأتي الأرزاق من عند الرزاق ﷻ.

فأخذته ومشت، فخرج عليها القوم وهم اليهود، وأنتم تعلمون اليهود، وتعرفون ألسنتهم الحداد، فقالوا لها: ماذا فعلت؟! ومن أين أتاك هذا الطفل؟! وابن من؟! فماذا تفعل؟! لم ترد لكن: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ (٢٩ مريم) فأنطقه الله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (٢٩ مريم) وهل كان قد أخذ الكتاب وقتها؟! وهل كان قد أخذ النبوة وقتها؟! لا، لكن لينبئ عن مستقبله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٢٩ مريم) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٢٩ مريم) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (٢٩ مريم) فكانت هذه هي براءة السيدة مريم.

سيدنا يوسف برأه الله بشاهد، وسيدنا موسى برأه الله بحجر، والسيدة مريم برأها الله بنطق ابنها، لكن السيدة عائشة برأها الله بكلام ربها ﷻ، أرايتم المنزلة؟! من الذي يحصل هذه المنزلة، تبرأت بكلام الله الذي يتلى إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ولذلك سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يقول: (كل ذنب له توبة، إلا الخوض في أم المؤمنين عائشة فليس له توبة).

لأن الله برأها فكيف تخوض فيها؟! أريد أن أقول هنا أن القوم الذين يدعون أنهم مسلمين ويخوضون في السيدة عائشة، فهؤلاء في الحقيقة غير مسلمين.

متى يكونوا مسلمين؟ عندما يتركون الخوض في السيدة عائشة، والخوض في سيدنا أبي بكر، والخوض في سيدنا عمر، وهؤلاء الذين ينتسبون إلى الشيعة، وهم لا شيعة ولا شيء لأن سيدنا علي حاربهم، وحرّق جماعة منهم بالنار.

ما الذنب الكبير الذي وقعوا فيه؟ أن الله قد برأ السيدة عائشة وهم يخوضون فيها، هل هذا يليق بمسلم؟! لا، ولذلك عندما يقولون: نريد أن نتقارب معكم، فالشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر بارك الله فيه قال لهم: نريد شيئاً واحداً فقط وهو أن توقفوا الخوض في

السيدة عائشة، وسبَّ أبي بكر وعمر والصحابة، وبعد ذلك نتفاهم.

لكنكم تخالفون صحيح كلام الله، وتخوضون في السيدة عائشة، وتسبُّوا سيدنا أبو بكر، وتسبوا سيدنا عمر، وتسبوا سيدنا أبو هريرة، وكثير من أصحاب رسول الله، فهل هذا الكلام يصح؟!.

إذا كان الله ﷻ برأها فلا يجوز لأي إنسانٍ بعد ذلك أن يقع في عرضها، أو يتحدث بسوءٍ في شأنها، فماذا بعد كلام الله؟! كيف لأحد أن يخوض في عرضها أو يتحدث في شأنها بعد أن قال الله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ (النور: ٢٦).

ولهذا فينبغي على أي مسلم مهما كان شأنه، ومهما كان علمه أن يلتزم الأدب مع الله، ويُقرر ما قرره الله في شأن أبي بكر وعمر وعائشة وغيرهم من صحابة رسول الله الأجلاء رضى الله عنهم أجمعين ...

عناية الله بالصديقين

ثم بين الله عنايته بالصديقين والمقربين، وتربيته ﷻ لهم، وكذا تربية رسول الله ﷺ لصحابته الكرام، ولنعرف أن باب القرب من الله وسبب رفع الدرجات عند الله، ليست العبادات ولا الأذكار ولا الجهادات التي يجاهد فيها كثيرٌ من الناس في هذا الزمان، فالباب الأعظم للرفي عند الله هو الجهاد في التخلق بأخلاق سيدنا رسول الله، والجهاد في التخلق بكتاب الله، والجهاد في التخلق بأخلاق الله جل في علاه:

ليس الرقي إلى الغيا بأعمالي	ولا جهادٍ به تقوى وأحوالي
خلقٌ عظيم وإيقانٌ ومعرفة	بالله ذي الفضل والإحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت	وفي خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه	سعادة أبداً بغير زوال

الأخلاق هي أسرار العلى والمعالي، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه تعهده الرسول ﷺ بتربيته ليبلغ مقام الصديقية العظمى، فكان دائماً يُشرف عليه ويربيه، ثم انتقل من مقام تربية

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

الحبيب إلى تربية القريب الحبيب ﷺ، ليزيد من مقام الكمال والقرب من الواحد المتعال ﷻ، وكان يريبه عليها سيدنا رسول الله، فما الأوراد التي أعطاها له؟ لا شيء

كان جالسا معه ذات يوم ومعههم أصحاب رسول الله وجاء رجل من المنافقين وأخذ يسب في سيدنا أبي بكر أمام سيدنا رسول الله، ولماذا قلنا منافقين؟ لأنه لا يوجد أحد من المؤمنين الصادقين يجرؤ أن يعلو صوته ويتفوه بما لا يليق أمام أمير الأنبياء والمرسلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات) وقال ﷺ:

{ لَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ }٦

لا يصح أن نذهب عند النبي، أو عند وارث لحضرة النبي وبرز الخلاف بيننا، وهذا يكيل لهذا، وذاك يكيل لذاك، فهذا ليس بأدب، لكن لو أردنا محاسبة بعضنا أو معاتبة بعضنا في مكان آخر وليس أمام النبي ولا وارث النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالرجل عندما زاد عن الحد في سب سيدنا أبو بكر، أراد ﷺ أن يدافع عن نفسه وقال بعض كلمات فسيدنا رسول الله قام ومشى، فأسرع خلفه أبو بكر ﷺ وأخذ يقول:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لَأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }٧

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج ٣٨) وكان سيدنا رسول الله ﷺ ذاهب إلى العمرة، وسيدنا أبو بكر قال: يا رسول الله لا تجهز شيئا للسفر، فقد جهزت كل حاجاتك للسفر من طعام وماء وكل ما تطلبه، فجعل حاجته وحاجة رسول الله ﷺ على جمل واحد، وأتى برجل ممن يعمل عنده، وقال له: لا شغل لك إلا هذا الجمل فقط، تسحبه عندما نجلس، وتنيخه وتحرسه إلى أن نصل إلى مكة إن شاء الله، وكان الحارس شاباً فلعب وترك الجمل، فهرب الجمل منه، فغضب أبو بكر - ليس لنفسه - ولكن لرسول الله، وهو الذي

٦ البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ
٧ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ﷺ

الكُفْرُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

وعد رسول الله، فيكون قد غرّر به، لأن الرسول لم يحضر شيئاً واعتمد عليه، فذهب سيدنا أبو بكر لهذا الشاب يريد أن يضربه، وإذ بحضرة النبي قد حضر يحضر ويرشده ألا يلعبه ولا يؤذيه، كما روت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت:

{ مَرَّ النَّبِيُّ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: «لَعَانَيْنِ وَصَدِيقَيْنِ؟ كَلَّا وَرَبِّ الْكُفْبَةِ»، فَعَتَّقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: لَا أَعُودُ. }^٨

لا يسب صديق أبداً، فمن يُرد مقام الصديقة ماذا يفعل؟ كلمة لعن لا تأتي على لسانه مطلقاً، إلا لمن لعنهم الله، فالله لعن اليهود والمشركين والكاذبين: ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفْرِ بَيْنَ﴾ (البقرة) ﴿فَتَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران) هؤلاء لعنهم الله، لكن لا ألعن أي إنسان آخر، وحضرة النبي قال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَدَّتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا }^٩

فالمؤمن لا يستخدم اللعن أبداً، حتى ولو مع البهائم السائمة، كالمواشي أو الجمادات، فقد كان رسول الله ماشياً في غزوة، وكانت السيدة عائشة مع النبي ﷺ:

{ فَلَعَنَتْ بَعِيرًا لَهَا، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَدَّ، وَقَالَ لَا يَصْحَبُنِي شَيْءٌ مَلْعُونٌ }^{١٠}

وهذا الأدب الرباني الذي علّمه رسول الله ﷺ لأصحابه، من يركب الجمل ويلعبه يؤذيه بترك الجمل يمشي في أي جهة حتى لا يلعن المؤمن شيئاً أبداً، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَانِ وَلَا الطَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ }^{١١}

سيدنا أبو بكر ﷺ دخل مجلس سيدنا رسول الله ﷺ، وكان فيه جماعة من الفقراء إلى

٨ رواه البيهقي وغيره عن عائشة ﷺ

٩ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ

١٠ مسند أحمد والطبراني عن عائشة ﷺ

١١ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الله ليس لهم بيوت وغير متزوجين، وليس معهم مال ولا أي شيء، فكانوا يمشون في المسجد، والمسجد لم يكن له سقف، كان جدران وأرض ليس فيها فرش، ولكن فيه تراب، ولما أرادوا فرشاً للمسجد، أمرهم النبي ﷺ أن يذهبوا للعقيق، وهو واد بجوار المدينة . فجمعوا الحصى الصغير وفرشوا به المسجد، وهؤلاء القوم لكي يبيتوا في المسجد اختاروا مكاناً في المسجد ووضعوا عليه عريشة لتحجب عنهم الشمس، وتمنع عنهم المطر، وسموها الصُّفَّة ... والصُّفَّة يعني العريشة التي رُصَّ عليها صفوف من جريد النخل مربوط ببعضه، فيشكل عريشة السقف، وتحتة نخل كأعمدة للسقف.

هؤلاء القوم كان منهم سيدنا بلال، ومنهم سيدنا سلمان الفارسي، ومنهم سيدنا تميم الداري، ومنهم سيدنا صُهَيْب الرومي، فكانوا حوالي تسعين رجلاً، ومؤنثهم على رسول الله، فيطعمهم ويسقيهم، وكل وظيفتهم هي تلقي العلم والقرآن من رسول الله، فيخدموه ويجاهدوا في سبيل الله.

وسبحان الله!! هؤلاء القوم هم الذين حملوا لنا القرآن وسُنَّة رسول الله، لأنهم كانوا متفرغين لهذا الأمر، وغيرهم مشغول، فمنهم من كان في الزراعة، ومنهم من كان في التجارة، لكن هؤلاء ليس لهم عمل سوى هذا الأمر، وسيدنا رسول الله عيَّن لهم رئيساً وهو سيدنا أبو هريرة وجعله عَرِيف أهل الصُّفَّة.

كانوا ذات مرة جالسين، ومَرَّ أَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ ذَاهِباً لِلْمَدِينَةِ لِيَمُدَّ الْهَدَنَةَ الَّتِي بَيْنَ قَرِيشٍ وَحَضْرَةِ النَّبِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ بَعْدَ، فَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سُبُوفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَا أَخَذَهَا، فَقَالَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ هَلْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ حَرَجٌ؟ لَا، لَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ إِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ، وَحَكَى لَهُ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ لَهُ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَانَا أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي { ١٢

ما هذا الأدب النبوي العالي!! هؤلاء القوم المنكسرة قلوبهم هم الذين لهم وزن وقيمة عند الله، فمن يستضعفهم ويستهزئ بهم، يلقي ما لا يستطيع تحمله من مولاه

جلّ في غلّاه، لأنهم فقراء ومساكين.

فلا تخشى الأعيان، ولا تخاف من العظماء، ولكن تخاف من الذين لا ناصر لهم ولا معين لهم إلا الله ﷻ، لأن الله ﷻ يغار عليهم ولا يرضى أن يمسهم أحدٌ بسوء.

صلاة التهجد لسيدنا أبي بكر كم كان عدد ركعاتها؟ لا شيء، كانت صلاة تهجده أن يذهب ليبحث عن رجل مقعد أو امرأة مقعدة وليس لهم عائل يعولهم، ويذهب قبل الفجر حتى لا يره أحد، ويكنس البيت ويرشّه ويأتي لهم بالطعام والماء، وينصرف ولا يعرفه بنفسه.

هذه صلاة القيام في السحر لسيدنا أبي بكر، والذي قال فيه الله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴾ (الليل) هذه الآيات نزلت في سيدنا أبي بكر، والآيات التي في آخر السورة أيضاً: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۖ ﴾ (الليل) أخذ له نصيباً من رسول الله، لأن الله قال لرسول الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۖ ﴾ (الضحى).

سيدنا أبو بكر ؓ كان يتولى أحد أولاد خالته لأنه فقير وقوم له بكل نفقاته وطلباته لوجه الله، ولما وقعت حادثة الإفك وهي التهمة الكاذبة على السيدة عائشة ؓ، كان هذا الرجل من الذين روجوا هذه الشائعة، ومشى في طرقات المدينة يُشنع على السيدة عائشة، فهل هذا جزاء الإحسان؟! الرجل الذي تكفل بك بالكلية وقريبك تُشنع عليه!! فسيدنا أبو بكر عندما وجد منه ذلك قال ﷺ: { وَاللَّهِ لَا أَذْفُقُ عَلَى مَنْطَحٍ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ } ١٣، فعاتب الله ﷻ سيدنا أبو بكر وأنزل: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ۖ ﴾، ويأتل يعني يحلف، فأهل الفضل هم القريبون من الله، وقريبين من رسول الله، وعندهم سعة في المال، وسعة في العطاء، فلا يحلف على أن لا يُعطي.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ ۖ ﴾

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يحلف على الأقارب ولا على المساكين الذين خاضوا في هذه الفتنة، ولا المهاجرين في سبيل الله الذين خاضوا في هذه الفتنة أيضاً.

فماذا يصنعون؟ ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ وانظر إلى هذه الأخلاق الشديدة التي يطالب الله بها كُمل المؤمنين، رجل يتهم قريبه الذي يعطف عليه في عرض ابنته التقية زوجة

الحبيب، والله ينهاه أن يقطع الذي يعطيه له، فأعطاه مرةً ثانية، لماذا؟ لأنه يُعطي لله وليس لأجله، وما كان لله دام واتصل، ما دُمت تعطيه لله فلا تقطعه عنه لأي سبب من أسباب الدنيا ولو كان إيذاء، فاعفُ عنه واصفح عنه.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما نزلت هذه الآية وقرأها سيدنا رسول الله على سيدنا أبي بكر قال: {بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يُجري عليه} ١٤.

فعفا عنه وردَّ له ما كان يعطيه، بل وضاعف النفقة التي كان يعطيها، ولم يقطعها عنه حتى خرج من الحياة الدنيا، لكي ينال رضا الله وإكرام الله ﷻ.

ولذلك لا يجوز للمرء أن يكون من الصالحين إلا إذا تخلَّق بتخلُّق العفو كأمر الأنبياء والمرسلين، وكالصديق الأعظم، وكالصالحين أجمعين، الحبيب قال له الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف) خذ العفو كله معك، وكان ﷺ يعفو على الدوام حتى لأعدائه، فالنبي ﷺ ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي تمراً لأجل معين، يقول هذا الرجل:

{ فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الْأَجَلِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَتَفَرَّ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدٌ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمَخَالِطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلَا مَا أَحَادَرْتُ فَوْتَهُ لَفَضَرْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَثُودَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا كُنَّا أَخْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ

مَا رُعْتَهُ ، قَالَ زَيْدٌ : فَدَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي ، وَزَادَنِي عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ ثَمَرٍ ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتِكَ ، فَقُلْتُ : أَتُعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ : لَا ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ ، قَالَ : الْحَبْرُ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، الْحَبْرُ ، قَالَ : فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتُ ، وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتُ ، فَقُلْتُ : يَا عُمَرُ كُلُّ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَحْتَبِرْهُمَا مِنْهُ : يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا ، فَقَدْ أَحْتَبَرْتُهُمَا ، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ١٥ }

وحياة رسول الله مليئة بهذا العفو النبوي الإلهي الذي خلقه به الله ﷻ ، وهذا العفو الذي علّمه الله بذاته للصديق ... فمن أراد أن يكون مع حضرة النبي ، ومن أراد أن يكون في مقام الصديق ، ويريد أن يكون في مقامات المقربين فدائماً يحرص أن يُخْلِقَ نفسه بخُلُقِ العفو ، وهذه تحتاج إلى جهادٍ شديد ، قال ﷺ :

{ يَصِيحُ صَاحِبُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عِدَّةٌ فَلْيَقُمْ ، أَيْنَ أَهْلُ الْعَفْوِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } ١٦

فهم أول زمرة تدخل الجنة ، فمن أراد أن يكون من : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ١٥ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٦ (الواقعة) فعليه أن يتجمل بخُلُقِ العفو كما وضّح الله ، وبين النبي ﷺ ، ومشى الصديق على آثاره ... نسأل الله ﷻ أن يُجَمِّلَنَا أَجْمَعِينَ بِأَنْ نَعْفُو عَنْ ظُلْمِنَا ، وَأَنْ نَصِلَ مِنْ قَطْعِنَا ، وَأَنْ نُعْطِيَ مِنْ حَرْمِنَا ، وَأَنْ نَكُونَ عَلَى أَخْلَاقِ نَبِينَا ﷺ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

١٥ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

١٦ الثامن من الخلفيات عن أبي الدرداء ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
﴿٢٦﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ
نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي
زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (النور)

٢. الله نور السموات والأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنعم علينا بنوره لنعرف بنوره نورَه ﷻ في الأزل القديم، وجعلنا في الدنيا من أمة نوره الأعظم، وحببته الأكرم؛ سيدنا مُحَمَّد ﷺ، اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ وبارك على سيدنا مُحَمَّد نور الله الدال بالله على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هُده، شفيع المذنبين يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وكل من تبع هديه إلى يوم القرار، واجعلنا من جملتهم ومعهم ومنهم بفضلِكَ يا عزيز يا غفار.

كلام الله كما قال فيه حبيب الله ومصطفاه:

{ وَلَا يَشْنَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثَرَةِ الرَّدِّ ٢ }

يعني كثرة الترداد، فكلما زاد الإنسان في التلاوة أو في السماع، زاد حلاوة في القلب، ونوراً في الفؤاد، وصفاءً ولطفاً في الطباع، فكلام الله يُعَلِّمُ كل من يقرأه أو يسمعه، ويُهَذِّبُهُ ويُؤَدِّبُهُ بما يُحِبُّهُ الله ﷻ ويرضاه.

ولذلك نحتاج جميعاً عند سماع كلام الله، أو عند التلاوة أن نضع أمام أعين قلوبنا قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١٧ القمر) ..

لا بد أن نتدبر حتى لا ندخل في القوم الذين نعى عليهم الله وقال لهم في كتاب الله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤ محمد) .. نسأل الله ﷻ أن نكون أجمعين من أهل التدبر والتمعن والتذكر والتفكر في كلام الله ﷻ.

الآيات التي معنا من سورة النور، والقرآن كله نور، وسميت بسورة النور للآيات التي معنا اليوم، وإنا لن نوفي كلمات الله حق شرحها، لكن سنحاول تلمس بعض معانيها على قدر ما يسمح به الوقت، وعلى قدر ما تتحملة قلوب ومواين الحاضرين.

١ الأقصر - الرزاقات قبلي ٢٤ من جماد الآخر ١٤٣٨ هـ ٢٣/٣/٢٠١٧ م

٢ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ؓ

من خصائص القرآن

فانظر معي للآية الأولى الذي يُخاطَب هو ربُّ العزة ويقول: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَعْدًا مَعِيَ: ﴿ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ فهذه واحدة، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهذه الثانية، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذه الثالثة، وكل واحدة من هؤلاء الثلاث تحتاج إلى كتاب كبير لنُوفِّي فيه بعض معاني كلام العلي الكبير ﷺ.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ ما الآيات المبينات؟ هي الآيات التي نزلت في القرآن الكريم بشأن التشريعات الإلهية في العبادات، وفي الزواج، وفي الطلاق، وفي الموارث، وفي جملتها نسميها (آيات الأحكام) فبالله عليكم آيات الأحكام هذه كم تحتاج لنوفيتها؟! آيات الأحكام أنزلها الله لنعرفها ونعمل بها، فلا بد أن أعرف أحكام شرع الله، لكي أرضي الله بتنفيذ ما أمرني به ﷺ في كتابه، والحبيب ﷺ ذكرنا بموقف عظيم كلنا سنكون فيه يوم الجمع، فلا بد أن يُسأل كل واحد منا أمام أحكم الحاكمين كما قال ﷺ:

{ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ - ومنها - : وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ؟ }^٢

ليس تعلُّم الرياضيات أو الإنجليزي أو الفرنسي وغير ذلك، فهذه حِرَف، ولكن ماذا تعلمت من أحكام دين الله ومن شرع الله الذي أنت مكلف أن تسير على هُده في هذه الحياة؟ فإذا غمض عليك شيء، فإياك أن تفعل شيئاً إلا إذا رجعت إلى شرع الله، وإذا لم أفهم أعمل بقول الله: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل) ولماذا لم يُقَل (فاسألوا أهل العلم)؟ لأنه ربما يكون عالماً ولكنه ليس عاملاً، فيفتي بالرُّخص دون شرط، لكن العالم المشغول بذكر الله ووقته كله وأحواله كلها في ذكر الله فهؤلاء قال فيهم الله: ﴿خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران) لو عُرضت على المرء منهم الدنيا بما فيها ليُجيز فتوى بمخالفة شرعية يأبى ذلك ولا يرضى، لأنه يخاف من الله ﷻ.

فأنا لا أعمل أي عمل إن كان لنفسي، وإن كان لأولادي، وإن كان حتى في

٣ عن أبي بردة رَوَاهُ الترمذِي، التَّزْهِيْب، وَتَمَامُهُ قَالَ ﷺ: { لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْتَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جَسَمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ }.

الخصوصيات التي مع زوجتي، إلا بعد أن أسأل شرع الله، وأتعلم أحكام دين الله ﷻ، وهذا وجه من أوجه هذه الآيات.

وهناك وجه آخر: بعض السادة أهل الصفاء والنقاء قالوا: هذه الآيات هي الأنبياء والمرسلين الذين جعلهم الله آيات وعلامات واضحة تدل الناس على طريق الله، وعلى دين الله ﷻ، والتي قال فيها ﷺ في شأن أصحابه على هذا الأثر:

{ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم }

وعلى سبيل العلم بالشيء فإن الشيعة في إيران يسمون العلماء الكبار (آية الله) وآية الله يعني آية أقامها الله لتنشر دين الله وشرع الله وأحكام الله تبارك وتعالى لخلق الله.

الآيات المبينات هي آيات القرآن التي نزلت لتبين عظمة الله، وتبين قدرة الله، وتبين الآخرة وتبين الدنيا، وتبين أحكام السابقين، وتبين أحكام اللاحقين، ففيها تبيان لكل شيء. الآيات البينات فيها معاني كثيرة، ولكن نكتفي بهذا القدر، حتى لا نطيل.

وماذا غير ذلك في القرآن لنعرفه بعد أن نعرف أحكام شرعنا؟ ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ يجب أن نعرف القصص التي حكاها لنا القرآن عن السابقين، إن كان النبيين، أو الأمم التي كذبت النبيين، وماذا حدث معهم حتى لا نقع في مثل ما وقعوا فيه، فيؤاخذنا الله ﷻ كما أخذهم، وهذا علم آخر أمرنا به الله، وهو أن نقرأ أحسن القصص، وأين أحسن القصص؟ في كتاب الله!، ولكن نلاحظ ونحن نتعلمها أن نبعد عن الروايات الإسرائيلية التي لا تليق بالأنبياء والرسول وهي غير موجودة في القرآن ولا السنة، ونأخذ في اعتبارنا أنه لا يتجاوز تفسيرنا لآيات الله المذكورة عن الأنبياء والمرسلين عصمة الأنبياء.

إياك أن تخوض في نبي من الأنبياء وأنت تُفسّر آية، أو توجهها لمعنى آخر لا يليق بعصمة هذا النبي، فالمبدأ الأول أن الله عصمهم، والذي يعصمه الله يكون منزهاً عن الصغائر كما أنه معصوم من الكبائر، بل لا يخطر بباله قط أي فعل أو قول يُغضب الله أو يخالف رضا الله جل في علاه.

الكتب المنال المطبوع تفسير آيات القرآن الكريم الشرح فوزي محمد فوزي

إذا قيل لك غير ذلك فلا تُصدّق لأن هؤلاء أنبياء، وتولاهم الله بولايته، وأسبغ عليهم نبوته، وجعلهم على الدوام في رعايته، فكانوا دائماً وأبداً معصومين بعصمة الله تبارك وتعالى ... فعندما يقول الله - مثلاً - في سيدنا موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةَ مِثْنَى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩ طه) فهل يصح أن نسمع برواية لا تليق في حق هذا النبي؟! لا، ونأخذ مثلاً واحداً: قيل أن سيدنا موسى كان ألدغ، ولم يكن فصيحاً في النطق، ولذلك قال كما أخبر القرآن: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ (٣٤ القصص) لكن شرط النبي والنبوة الفصاحة، فكيف يكون نبياً ولا يُبين للناس ولا يتكلم مع الناس!!؟.

وهؤلاء يستشهدون برواية مدسوسة، يقولون: عندما أحضرت زوجة فرعون السيدة آسيا موسى وهو طفل صغير، وكان يريد فرعون أن يقتله لأنه أصدر حكماً بقتل كل صبي يولد في بني إسرائيل، فقالت له: وهل هذا الطفل يعرف التمرة من الجمرة؟ فأحضر تمرّة وأحضر جمرة، فأخذ الطفل الجمرة وأمسكها بيده ووضعها على لسانه فأصابته بلدغة في اللسان!!.

نحن نريد أن نحتكم إلى العقل، الصبي الصغير عندما يمسك بالجمر، فماذا يصنع الجمر بيده؟ يلسعه في يده، إذاً هل يُعقل أن يضعه في فمه؟! فالرواية نفسها متناقضة، فلو الجمر لم يؤثر في يده فكيف يؤثر في لسانه؟! فهذا شيء لا يصح أبداً.

فلماذا كان أخوه هارون أفصح منه لساناً؟ لأنه عندما ذهب موسى إلى فرعون عايره فرعون فقال له: ﴿قَالَ أَلَمْ نُزِدْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨ الشعراء) فأخذ يعايره ويقول له: أنا الذي أطعمتك وربيتك وفعلت فيك كذا وكذا، وأنت الآن تريد أن تفعل ذلك بي!! فاستحى موسى لما ذكره فرعون بهذه الأشياء، فطلب من الله أن يُرسل معه أخاه هارون لأنه لم يتربّ في بيت فرعون، وليس له عليه فضل، فيكون أفصح منه في إبلاغ الرسالة لفرعون.

فهذا مثال واحد سقناه لنزّه أنبياء الله ورسله عن هذه الروايات المكذوبة كالتّي أشرنا إليها، وهي موجودة في الكتب المنتشرة في الأسواق، وكثير من الناس يشترون الكتب الموجودة بكثرة عند سيدنا الحسين وعند السيدة زينب، مثل (قصص الأنبياء) للثعالبي

وغيره، وهذه الكتب معظم رواياتها اسرائيلية، فلماذا تشتريها وتقرأها؟! لكن نزه الأنبياء عن أي شيء يخالف العصمة التي عصمهم بها الله تبارك وتعالى.

فنقرأ قصص الأنبياء حتى نأخذ منهم العظة والعبرة، فالأمم التي تُصاب في حياتها أو في حضارتها أو في أناسها، السبب الرئيسي أنهم لم يرجعوا إلى كتاب الله، أو إلى التاريخ، ورأوا وعد الله الذي لا يتخلف مع السابقين، لذلك لا بد أن يكون لنا أيضاً وقفة مع قصص القرآن ونحاول أن نأخذ منها العبرة والموعظة الحسنة.

الأمر الثالث الذي وجَّهنا ربنا إليه، لنخرج من الدنيا ولنا منازل عظيمة عنده، ولنا درجات كريمة في الدار الآخرة، إن كان في الموقف العظيم أو في الجنة، هو: ... ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ننظر إلى المواعظ التي أوردها الله في كتاب الله للمتقين والمقربين والسابقين لكي نمشي على آثارهم ونتشبه بهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّهَ بالرجال فإِصلاح

وهذا ما نحاول أن نفعله، حيث نأتي بمواعظ المتقين في كتاب الله، ونحاول أن نُفصلها ونُفسرها لنمشي على هُداها، لعل الله ﷻ أن ينظر إلينا نظرة عطف وحنان، فيرفعنا إلى درجاتهم وإلى منازلهم أجمعين إن شاء الله.

وهذه آية واحدة في كتاب الله، فانظر كم فيها من العلوم؟ ولا يستطيع أحد أن يُحيط بهذه العلوم.

الله نورُ السموات والأرض

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أمر واضح لنا ولغيرنا، بل لكل الكائنات، حتى الكفار في عصرنا أثبت الله ﷻ إليهم بعلومهم العصرية، وفي معاملهم، أن الله ﷻ نور السماوات والأرض، أن الكون كله نور، والكون كله عبارة عن ذرات، والذرات تتكون من بروتونات ونيوترونات والكترونات، والالكترونات هي الكهارب والتي هي الأنوار، فالكون كله نور سواء الظاهر والباطن.

هناك نور الشمس، وهناك نور القمر، وحتى المخلوقات لها نورها الذاتي، لكن ما

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ بِحْرُ الدُّنْيَا

يهيمن في الآية النور المعنوي الذي خصَّنا به الله ﷻ، لأن الأنوار الموجودة في الأكوان يتمتع بها كل البشر المؤمن وغيره، حتى الحيوانات وحتى الحشرات و حتى الطيور وغيرها.

لكن النور الذي خصَّنا به الله هو نور الإيمان، ونور القرآن، ونور النبي العدنان ﷺ، ولذلك حتى الشيخ بن القيم رحمة الله عليه، يقول: (الله نور، ونبيه نور، وكتابه نور، والإيمان نور، ويجعل منازل المؤمنين إن شاء الله في الجنة من النور) وهذا نور خاص بنا جماعة المؤمنين، وهذا المثل الذي أعطاه لنا الله ﷻ.

وهذا مثل لأن الله ﷻ نوره لا يحتاج لليل أو نهار، فعند الله ﷻ لا يوجد ليل ولا نهار ولا شمس ولا كواكب ولا أقمار، وإنما نوره ذاتي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

هذا النور الذي تفضَّل به علينا الله هو نور الإيمان، ونور الإيمان الذي أعطاه لنا الله هو فضل من الله، وإكرام من الله، لا بمجهود قدمناه، ولا بعمل فعلناه، ولا بمال اشتريناه، ولكنه فضل من الله تبارك وتعالى، قال فيه الله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٥٢ الشورى).

فالنور الذي أعطاه لنا الله هو أعظم هدية قدَّمها لنا الله ﷻ، ويبين قدر هذا النور سيدنا رسول الله ﷺ وهو يوضح الآية القرآنية التي نزلت في سورة المطففين، فيقول ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) ٥ }

نكتة، وليس نقطة، والنكتة الشيء الذي له أثر، والرَّانُ يعني الغطاء أو الستارة، من أين يأتي الغطاء؟ من الذي يكتسبه من الغفلات والذنوب والمعاصي والبعد عن حضرة الله ﷻ، فأين يكونوا في هذه الحالة؟ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَحَجُوبُونَ﴾ (المطففين).

فتأتي الغفلة، ولا توجد مراقبة لحضرة الله، ولا توجد خشية من عظمة الله، ولا يوجد خوف من جلال الله وكبرياء الله، كيف يحدث ذلك ونحن مؤمنين؟ يحدث للمؤمن الذي

أسرف على نفسه، وغفل عن ذكر ربه، وخالف ما نهاه عنه الله، ولم يقتدي بحبيب الله ومصطفاه، فنزل عليه هذه الستارة، فتمنعه عن مراقبة الله، وعبادة الله كأنه يراه، أو كأن الله يراه، والخوف والرجاء في حضرة الله، والتسليم في كل الأمور لحضرة الله، وتولية الوجه بالكلية في كل الأمور لحضرة الله جل في علاه .. كل هذا يأتي من الغفلات التي تنتاب الإنسان ... ومع ذلك وهو في هذه الغفلة يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله وأرضاه: ((لو كشف عن نور المؤمن العاصي لمأ ما بين السماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!)) لو كشف عن نور المؤمن العاصي الذي عليه هذه الستارة لمأ ما بين السماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع!! هذا النور هو الذي تفضل علينا الله به.

وجعل النبي صلى الله عليه وآله نور وقال لنا فيه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥ المائدة) لو كان النور هو الكتاب لما أتى بالواو، ولكانت صفة النور كتاباً مبين، لكن الواو تقتضي المغايرة، فالذي قبلها غير الذي بعدها، فالنور شيء، والكتاب المبين شيء، وهو صلى الله عليه وآله كان عندما يدعو في صلاة الصبح يقول:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، واجْعَلْنِي نُورًا }^٦ ... وفي رواية أخرى:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشَرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عَظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا }^٧

وكان دعاؤه صلى الله عليه وآله لا يُردُّ، وأظهر الله دليلاً حسيّاً في عصر حياة النبي على نورانيته وشفافيته، فكان صلى الله عليه وآله إذا مشى لا يرى له ظل، والذي ليس له ظل هو النور، لكن أي شيء مادي لا بد وأن يكون له ظل .. وكان صلى الله عليه وآله كما يقول عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما:

٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

٧ جامع الترمذي عن ابن عباس صلى الله عليه وآله

الكُنُوزُ الْخَالِيَةُ لِصَبُوحِ نَفْسِيَّةِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الشيخ فوزي محمد فوزي

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُبِّي كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ }^٨، وكان ﷺ كما يقول أبو هريرة رضي الله عنه: { ما نظرتُ إلى شمسٍ ولا قمرٍ ولا مصباحٍ إلا وكان رسول الله ﷺ أزهى من نور الشمس وأبهى من نور القمر وأضوأ من نور المصباح }، ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه: { رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ خُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ }^٩

أي كان القمر في ليلة الرابع عشر وهو في رابعة السماء، لكنه رأى رسول الله أبهى من القمر، فرسول الله ﷺ نور والقرآن نور والله ﷻ نور وجعل الله في باطن المؤمن نوراً يقبل كل هذه الأنوار، فيكون نوره مستمداً من نور الله، ويتألاً بإمداد رسول الله، ويظهر (إن عمل بكتاب الله) فيكون نوراً كما قال الله في مثل المؤمن: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾.

ضرب الله مثلاً لنور الإيمان في قلب العبد المؤمن، والله جعل نور الإيمان في القلب، لأنه الخزانة النورانية الإلهية التي لا يستطيع أي شيطان أن يصل إليها لئفسد ما فيها، فالشيطان يوسوس في الصدور، لكن لا يستطيع أن يصل إلى القلوب، ولو حاول أن يصل إلى القلب سيخرج النور الذي في القلب فيحرق هذا الشيطان، قال رضي الله عنه:

{ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ حَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ التَّقَمَّ قَلْبُهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ }^{١٠}

لا يقدر أن يفعل شيئاً من الوسوسة ما دام يذكر الله، وأين يوسوس؟ ﴿الَّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس: ٥).

ولذلك لا يستطيع أن يتجاوز هذه المنطقة، لكنه يوسوس للإنسان ليقع في الغفلة، ويقع في المعاصي، لكنه لا يستطيع أن يُغَيِّرَ ما في باطنه، أو يصل إلى الإيمان الذي بداخله، ما دام هذا نور من نور الله ﷻ، وهذا فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين.

٨ معجم الطبراني وسنن الدارمي

٩ جامع الترمذي وسنن الدارمي

١٠ مسند أبي يعلى الموصلي وشعب الإيمان للبيهقي عن أنس رضي الله عنه

القلب إذا بَيَّضَهُ الْمُؤْمِنُ وَجَلَاهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَصْبَحَ كَالْمَشْكَاةِ، وَكَالْمَكَانِ اللَّامِعِ الَّذِي فِيهِ الْمَصْبَاحُ، وَالْمَصْبَاحُ هُوَ الْإِيمَانُ، وَالْإِيمَانُ فِي الْفُؤَادِ، وَالْفُؤَادُ فِي قَاعِ الْقَلْبِ، وَالْفُؤَادُ كَأَنَّهُ زَجَاجَةٌ، وَالزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْمُبَارَكَةُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهَا اللَّهُ: ﴿رَيْثُونَةٌ﴾ يَعْنِي تُغْذِي الْإِنْسَانَ لِأَنَّ الزَّيْتَ فِيهِ غِذَاءٌ، فَتُغْذِي الْإِنْسَانَ بِمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ لَا هِيَ شَرْقِيَّةٌ، وَلَا هِيَ غَرْبِيَّةٌ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لِلآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، لِأَنَّ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ قَالَ فِيهَا اللَّهُ: ﴿إِذِ انْتَبَذْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم) وَسَيِّدَنَا مُوسَى قَالَ فِيهِ اللَّهُ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ (٤٤: الْقَصَص) أَمَا نَحْنُ فَلَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ، وَلَكِنْ مُجْمَدِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ تَسْتَمِدُّ مِنْ رَبِّ الدَّرِيَّةِ، وَيُعِينُنَا عَلَيْهَا الْحَبِيبُ الْمُخْتَارُ ﷺ بِأَنْوَارِهِ الْبَهِيَّةِ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يَعْنِي حَتَّى الْإِنْسَانُ لَوْ لَمْ يَدْخُلْ فِي نَارِ الْمَجَاهِدَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَالْعِبَادَاتِ الْأَكِيدَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَحْضِرَ عِظَمَةَ اللَّهِ وَخَشْيَةَ اللَّهِ، فَيَجِدَ إِمْدَادَاتِ اللَّهِ ﷻ تَأْتِي لَهُ، مَا دَامَ مُحَافِظًا عَلَى الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِ مَوْلَاهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لَيْسَ شَرْطًا زِيَادَةُ النُّورِ بِزِيَادَةِ النُّوَافِلِ، لَكِنْ أَهَمُّ مَا فِيهِ وَأَهَمُّ مِنَ النُّوَافِلِ الْخَشْيَةُ، وَالْحُضُورُ، وَالْخَوْفُ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ وَعِظَمَتِهِ، وَالرَّجَاءُ فِي اللَّهِ، وَهِيَ الْأَوْصَافُ الْقَلْبِيَّةُ الَّتِي لَا يَدُ مِنْهَا لِلِاسْتِمْدَادِ مِنَ الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

هَذَا النُّورُ الْإِلَهِيُّ إِذَا ظَهَرَ فِي الْقَلْبِ شَعَّ فِي أَفْنَدَةِ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي غُلُوِّ شَأْنِهِمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَتَقْتَبِسُهُمُ الْأَنْوَارُ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الدَّارِ، وَيَلْتَفُونَ حَوْلَهُ، وَيُلْهِمُهُ اللَّهُ ﷻ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَرْفَعُهُمْ مِنْ عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَالْأَسْرَارِ، وَيَرْقِيهِمْ إِلَى مَرَاتِبِ الْكُشْفِ الْإِلَهِيِّ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَشَاهِدَاتِ وَأَنْوَارِ .. كُلِّ هَذَا يَحْدُثُ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ الْمَوْجُودِ عِنْدَنَا.

أَنْ نُورِ الْإِيمَانَ

مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ: أَنَّ النُّورَ الْمَوْجُودَ مَعَنَا هُوَ نُورُ الْإِيمَانِ، وَلَوْ أَنَّا جَمَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَكَّمْنَا فَقَطْ نُورَ الْإِيمَانِ فِي أَفْعَالِنَا وَأَحْوَالِنَا لَنَجْحُنَا وَنَجُونَ جَمِيعًا، يَعْنِي أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ فَعْلَهُ اعْرِضْهُ أَوَّلًا عَلَى نَفْسِكَ: هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنْهُ وَأَنْتَ تَفْعَلُهُ؟! أَوْ هَلْ أَنْتَ تَفْعَلُهُ وَتَعْرِفُ أَنَّكَ

الكلمة الأولى المطبوع

نفسياً أيتها الملقين!

الشيخ فوزي محمد فوزي

على خطأ؟ هذا المقياس لو أن المؤمنين مشوا عليه لن تكون هناك مشاكل، لأن معظم من يقع في الخطأ يعلم أنه على خطأ، ولكنه يتمادى في الخطأ!! لكن الله أمرنا أن نحكم دوماً نور الإيمان الذي معنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ أين هذا التذكر؟ يرجع لنفسه: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف) ... لكننا نقول على المنابر، ونقول في الدروس، والناس تعرف الحلال من الحرام، فالأبله قد يعرف الحلال من الحرام، وحتى الحيوانات تعرف الحلال من الحرام، فإذا كانت عندك مثلاً قطعة في البيت، إذا ألقيت لها طعاماً تأكله وهي مطمئنة، وإذا خطفت هي بنفسها تحرب، لماذا؟ لأنها تعرف أنه حرام!! فلا بد للإنسان أن يراجع نفسه، أي شيء تفعله راجع فيه نفسك!!

كلمة قتلها لزوجتي أحاسب نفسي عليها: هل أخطأت في هذه الكلمة أم أنا محق؟! فإذا رأيت أنني مخطئاً أعترف لها، ولن يحدث بعد ذلك مشكلة، لأن الاعتراف بالحق فضيلة، لكن هذه الفضيلة ألغيناها من قاموسنا حالياً!!.

فأي أمر من الأمور يجب على الإنسان أن يرجع للمرجعية التي بداخله، والتي جعلها فيه الله وهي نور الإيمان الذي في باطنه، الذي ينير دوماً بنور الله جل في علاه.

وكما قلت لو أن المؤمن كان متلطخاً من رأسه إلى قدميه في المعاصي، فإن نور الإيمان موجود بداخله، ولذلك عندما يرجع لنفسه قليلاً يتوب إلى الله، ويرجع إلى الله، لماذا؟ لأنه رجع لنفسه.

وهذه هي الجزئية التي بها صار الصالحون صالحين، يرجعون دائماً لأنفسهم، فيحاسب نفسه، حساب النفس، فأحاسب نفسي: هل ما فعلته صواب أم خطأ؟ فالإنسان قد يندفع، لأن الإنسان من النسيان، وكل بني آدم خطاء، ولكن أرجع فأحاسب نفسي، فإذا أخطأت أداوي خطأي بالكلمة الطيبة، والبسمة الصادقة، فينتهي الأمر، ولكن لا أكابر وأتمادى في الغي وفي القبيح.

لو رجعنا كلنا لهذا النور الإيماني في باطننا، فحكّمنا أنفسنا لن توجد مشكلة تحدث في المجتمع كله، ونعود كأيام حضرة النبي، ذهب إلى امرأة تعترف بالزنا وتريد أن يُقام عليها الحد، لأنها سمعته يقول:

{ مَنْ أَصَابَ ذَنْبًا أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ } ١١، فقالت له:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ارْجِعِي، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَاةِ أَثْنُهُ، فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزَّنَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، طَهِّرْنِي، لَعَلَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَبَ بَنِي مَالِكٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ، جَاءَتْهُ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ فِي خِرْقَةٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ وَلَدْتُ، قَالَ: فَادْهَبِي، فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ، جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ، فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ، فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا، فَحَفَرَ لَهَا حُفْرَةً، فَجُوِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْجُمُوهَا، فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَاهَا، فَانْتَضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ، أَوْ جَبْهَتِهِ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلَا يَا خَالِدُ، لَا تَسُبَّهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ، لَقَبِلَ مِنْهُ، فَأَمَرَ بِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ } ١٢

وهذه ليست حالة واحدة فقط، فهناك أحوال كثيرة حدثت أيام رسول الله كانت على هذه الشاكلة، ما الذي يجعله يفعل ذلك؟ لأنه يراجع نفسه !! ... ولذلك لا بد للمؤمن أن يراجع نفسه دائماً، فأنظر إلى ما فعلت، وهل هذا العمل صواب أم خطأ؟ وما فعلته مع غيري هل أرضاه لو عمله هو معي أم لا؟ فإذا كنت لا أرضاه لا أفعله معه.

هذه الحالة الوحيدة التي أيقظ بها حضرة النبي الأمة المحمدية، والتي قال فيها رب البرية: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٢ القيامة) النفس التي تلوم صاحبها دائماً، حتى في الطاعات، فلو أذن الفجر ذات يوم ونام ولم يقيم للصلاة، يظل يؤنب نفسه طوال اليوم، فمن فاتته طاعة أو فريضة في وقتها ولم يؤنب نفسه فهذا مريض مرضاً خطيراً يحتاج إلى جراح معه توكيل من البشير النذير يجري له هذه الجراحة.

١١ مسند أحمد وسنن الدارمي عن خزيمة بن ثابت
١٢ سنن النسائي ومسند أحمد عن بريدة بن الحصيب

الكتاب: فضل المطبوع نفسياً: أي: الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

لأن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا عندما يفوت أحدهم تكبيرة الإحرام الأولى يُعْبَن، ويجلس في البيت ويعزيه أصحابه ثلاثة أيام، لأنه كيف تفوته تكبيرة الإحرام؟! وكيف يفوته هذا الخير الكثير؟! وإذا فاتته الجماعة الأولى يُعزوه لمدة أسبوع، مع أن الجماعة الثانية قائمة والوقت لا يزال متسعاً، لكنهم سمعوا حضرة النبي ﷺ يقول:

{ **أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ** } ١٣

فيحاسب نفسه على ذلك دائماً، والتي قال فيها سيدنا عمر ؓ:

{ **حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيِّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا** } ١٤

فلو أن الأمة رجعت لمحاسبة النفس، وكل واحد يحاسب نفسه، ولا نريد حكماً غيرك: ﴿ **أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ (١٤ الإسراء) اقرأ كتابك الذي بداخلك، واعرض ذلك على لوحة أعمالك، وانظر فيما يُرضيك، وما الذي يخرسك، وحاول أن تضبط الأمور لتخرج من دار الغرور وأنت مع: ﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾ (٦٩ النساء).

﴿ **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ** ﴾ لكن أهل النور يشاهدون الحقائق ولا يحتاجون

للامثال، فقد كان الإمام أبو العزائم يقول:

دع عنك مثلاً بل مثلاً واشهدن نور العلي بنوره الوضاح

يعني هذه الأمثلة للناس الغافلين عن الحقيقة، لكن المؤمن يصل إلى كبد الحقيقة على

الفور: ﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا مراقبته في السر والعلانية، وخشيته في الغيب والشهادة، وأن

يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
 أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۚ قُلْ لَا تُقْسِمُوا
 طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا
 حُمِّلْتُمْ ۚ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى
 الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (النور)

٣. صفات الفائزين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهداه، وجعل آذاننا صاغية لكلام الله، ووقفنا فجعلنا أجمعين في طاعة الله، وفي طاعة حبيب الله ومصطفاه على الدوام، اللهم أكرمنا بدوام هذه النعمة، وزدنا منها ولا تحرمنا منها حتى نخرج من الدنيا وأنت راضٍ عنا يا أكرم الأكرمين، والصلاة والسلام على الإمام الأعظم، والرسول الأكرم؛ سيدنا مُحَمَّد الذي من أطاعه غنم، ومن عصاه فقد حُرِم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين

يا أرحم الراحمين.

من أحبه الله فدليل هذا الحب الأعظم من الله للعبد في الدنيا أن يوفقه الله لطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة الرسول هي عين طاعة الله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٨٠ النساء).

ولذلك بيّن سيدنا رسول الله ﷺ منزلة هذه الأمة يوم القيامة عند الله، ومن يتخلف ولن يكون معهم في الجنة، فقال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى }^٢

فمن الذي يحرم الإنسان من الجنة؟ مخالفته لأمر الله، وعصيانه لسيدنا رسول الله ﷺ، وكان ﷺ ذات يوم مستلقياً على ظهره، وهو كما أخبر عن نفسه تنام عينه وقلبه لا ينام، يحكي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فيقول:

{ جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِمَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلاً، فَاضْرِبُوا لَهُ

١ المسجد الحسيني - طفيس - إسنا - الأقصر ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ ٢٥/١/٢٠١٧ م

٢ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن أبي هريرة ؓ

مَثَلًا، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَادُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَادُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادُبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلُوهَا لَهُ يَفْقَهَهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ ۝ ۳.

فأهم شيء يحرص عليه المؤمن في حياته طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، وكل اختبارات الدنيا التي يمتحننا الله فيها أن أي أمر نتعرض له فيه جانب إذا فعلته فقد أطعت رسول الله، لكن الهوى الذي بداخلي، والدنيا التي تُحركني، والحظوظ والأهواء والشهوات التي تشغلني تدفعني لأن أترك طاعة رسول الله وأمشي على هوائي، وهذا هو ميدان جهادنا كلنا.

وأضرب لذلك مثلاً بسيطاً: الفجر يؤذن، والله قال لنا: ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (٣١ الأحقاف) فيجب أن أجيب داعي الله، لأن المؤذن يقول لي: (حيي على الفلاح) يعني أقبل على هذا الفلاح، لكن النفس تقول لي: النوم الآن جميل، ولا يزال الوقت معي حتى مطلع الشمس، فخذ حظك من النوم، فتضحك عليّ إلى أن أنام، وأقوم فأجد الشمس في كبد السماء!!، فما الذي ضيعني هنا؟ النفس والهوى، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات).

فكلنا في ميدان الجهاد، الحبيب يريد أن يأخذ بأيدينا إلى الجنة، والنفس والهوى يريدان أن يبعدونا عن هذا الطريق، وأين هذا الصراع؟ بداخلي، ومن الذي سينجح ويفوز ويجوز؟ كما قال الله في الآيات التي معنا: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

فأحرص ما يحرص عليه المؤمن دوماً طاعة الله، وطاعة رسول الله، وطاعة الله يعني

تنفيذ طلبات وأوامر الله التي طلبها منا، وطاعة رسول الله يعني الأخذ بسنته التي سنّها لنا، ولا أتركها طرفة عين ولا أقل.

أوصاف المنافقين

فلما نزل الوحي على سيدنا رسول الله ﷺ انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام، قسم آمنوا ظاهراً وكذبوا باطناً - نسأل الله الحفظ والسلامة - وهؤلاء المنافقون والعياذ بالله، وقسم آمنوا ظاهراً وباطناً وهم المخلصون، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين، وقسم لم يؤمنوا لا ظاهراً ولا باطناً وهؤلاء الكافرون، والله ﷻ عمل مقارنة في الآيات التي معنا من سورة النور - وسورة النور تنير لنا المسيرة التي نسير فيها - بين المنافقين والمؤمنين، لكن الكافرين ليس لهم اعتبار فلم يذكرهم الله ﷻ.

فالمنافقون كانوا عندما يسمعون رسول الله يقولون: سمعنا وأطعنا، ثم يتولوا مدبرين، ويعدوا عنه ولا ينفذون شيئاً، وهذه علامة من العلامات التي أتى بها الله لنعرف بها المنافقين.

يسارعون إلى التصديق، ولكن يفرون عند العمل والتحقيق، وهذه ذكرها لنا الله لئِنَّهُ المؤمن نفسه عن أوصاف هؤلاء القوم، فعوّذ نفسك وعاهد نفسك، أن لا تقول كلمة وتخل في العمل بها، فقبل أن تقول أي كلمة كوعد لأحد، أو كلام فيه رباط بينك وبين أحد، فكّر وقدر بحيث إذا قلت تنقذ.

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان في الحج، وكانت السنة الأخيرة له، وبعدها توفاه الله ﷻ، وأثناء طوافه بالبيت كان مشغولاً مع الله، كما في الصلاة، فالطواف مثله مثل الصلاة في الدعاء وتلاوة القرآن، قال ﷺ:

{ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَحَلَّ فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ، فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ }^٤

أباح الله لنا في الطواف الكلام مع بعضنا لكن في الضرورات، يعني لو قابلت أحداً

٤ سنن الدارمي وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

أعرفه من بلدي أثناء الطواف، فلا مانع أن أتكلم معه وأعرف مثلاً مكان سكنه ورقم تليفونه، ثم ننتهي من الطواف ونجلس معاً نتكلم مع بعضنا، لكن لا أستهلك كل الطواف في الكلام.

فسيدنا عبد الله بن عمر كان يطوف، فجاءه سيدنا عُروة بن الزبير بن العوام ابن أخت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تحتضنه وتربيته لأنها لم يكن لها أولاد، فقال له وهو يطوف: أريد أن تزوجني إبتك فلانة، لكن سيدنا عبد الله كان مشغولاً ولم يردّ عليه، وبمجرد أن انتهى الحج ورجع إلى بيته مرض مرض الوفاة، فجمع أولاده الرجال وقال لهم: كنت قد وعدت عُروة بالزواج من فلانة، فوصيتي لكم أن تزوجوه حتى لا ألقى الله بثلاث النفاق - يقصد إذا وعد أخلف - فقالوا له: وهل قلت له: موافق؟ قال: لا، ولكني سكتُ والسكوت علامة الرضا.

هو لم يتكلم ولكنه سكت، وكونه سكت فقد أوجب على نفسه أن هذا وعدٌ ولا بد من تحقيقه، لماذا؟ حتى لا يدخل في عداد المنافقين والعياذ بالله.

من الذي سيكون أسفل في جهنم، هل المنافقين أم الكفار؟ المنافقون: لأن الله قال لنا في القرآن: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (١٤٥ النساء) والدرك يعني السلام النازلة، فكل من نزل جهنم ستكون له درجة يخرج منها، لكن هؤلاء في الدرجة الأخيرة من جهنم حتى لا يخرجوا منها أبداً، لماذا؟ لأن هؤلاء يقولون ما لا يفعلون، ويخالفون ما يقولون، وهذا أمر لا يحبه الله، وأمرٌ قد يضّر الحبيب ﷺ ومن معه، لأنهم كانوا يخرجون معه في ساعة الشدة ويظن أنهم عوناً له، وإذا بهم يخذلونه، فلو لم يخرجوا معه لكان أفضل له لأنه لن يعتمد عليهم.

أوصاف المؤمنين

فهذه كانت أوصاف المنافقين، لذلك أوصانا الله بوصايا جامعة، في الآيات التي معنا.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

وهذه الآية كان لها سبباً نزلت من أجله وتعالج قضية خطيرة يمكن أن تكون آثارها موجودة حتى في زماننا هذا، وهي أن الإنسان لأن نفسه معه عندما يحدث

خلافَ بينه وبين آخرين، حتى ولو كان بينه وبين إخوانه في الميراث، فيريد أن يختار من يحكم له هو، وهذا الأسلوب لا يصح أن يكون مع المؤمنين.

فماذا يريد المؤمن؟ المؤمن يريد الحق إن كان له أو لغيره، لأنني عندما آخذ الحق وأنا في الدنيا، أفضل من أن آخذ الباطل ثم أقف هناك أمام الحق ﷻ ويحدث لي ما لا يُحمد عُقباه من الدُّل والخزي أمام حضرة الله.

فالمؤمنون الصادقون كمثال سيدنا الإمام عليّ ﷺ وكرّم الله وجهه، ادّعى عليه رجلٌ دعوى، وذهب يشكوه لسيدنا عمر، فأرسل إليه سيدنا عمر، فأصبح سيدنا عليّ هو المتهم والرجل هو المدّعي، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته.

فلما وقفنا أمام سيدنا عمر فقال سيدنا عمر لسيدنا علي: تعالَ واجلس بجاني يا أبا الحسن، فغضب سيدنا علي وتغير وجهه ولم يجلس، وبعد أن انتهت القضية وحُكم فيها، وخرج منها سيدنا عليّ بريئاً، فقال له سيدنا عمر: رأيتك وقد غضبت، فلماذا؟ فقال سيدنا علي: ناديت الرجل باسمه وناديتني بكُنيتي وقلت: يا أبا الحسن، وتركته واقفاً وطلبت مني أن أجلس بجوارك، فأنت لم تسوّ بيننا والقضية لم تنته بعد!! لم يرضَ بالتميّز في الحكمة، لأنه حريصٌ على الحق، وعلى إقامة الحق كما علّمهم سيد الخلق ﷺ.

متى تُصلح أحوالنا كلنا؟ إذا وصلنا إلى هذا الحال؛ أن كل واحد منا يطلب الحق ولو كان مرأى، ولو كان على نفسه لغيره، فالمهم أن يُظهر الحق، وكان هذا حال المؤمنين أجمعين في عصر حضرة النبي ﷺ.

ولذلك عندما تولى سيدنا عليّ الخلافة، وكان في طريقه لصلاة الفجر، فوقع منه درعه الذي كان يلبسه، وبعد أن صلّى وذهب إلى السوق وجد درعه مع أحد اليهود، فقال له: هذا الدرع درعي، فقال له: ليس درعك، فذهب الخليفة لقاضيه ليشرح له القضية، ويطلب تحكيم القضاء، فقال له القاضي: ومن يشهد لك بأن هذه درعك؟ قال: ابني الحسن، قال القاضي: الابن لا يجوز شرعاً أن يشهد لأبيه، فقال عبدي الذي يعمل عندي: فقال القاضي: والعبد شرعاً لا يجوز أن يشهد لسيده، فهل معك دليلٌ آخر؟ فقال الإمام عليّ: لا، فحكم القاضي وقال: الدرع درعك يا يهودي، فالقاضي يحكم بمستندات أمامه، فلو

رأى القاضي الشيء بعينه فهل يحكم على ما رآه أم ما يراه أمامه في المستندات؟ يحكم بما في الورق، مثلاً رأى بعينه رجلاً يقتل آخر، وعُرضت القضية عليه، وأهل القتل لم يستطيعوا إثبات ذلك، فهل يحكم بما شهد؟ لا، لأنه سيكون شاهداً في هذه الحالة وليس قاضياً... فالرجل اليهودي تعجّب وقال: إن هذا هو الحق الذي قامت به السماوات والأرض، قاضي أمير المؤمنين يحكم لليهودي على أمير المؤمنين، الدرع درعك يا إمام، ولقد وجدتها خلفك وأنت ذاهبٌ إلى صلاة الفجر، ثم نطق بالشهادتين، فقال الإمام علي عليه السلام وكرّم الله وجهه: ما دمت قد أسلمت فهي هدية مني إليك.

هكذا كان سلفنا الصالح، ولكن هذه الآيات نزلت في أحد المنافقين اسمه بشر، حدث خلافٌ بينه وبين أحد اليهود، فقال له اليهودي هيا نذهب إلى النبي، وهو يعلم أن النبي ﷺ سيحكم بالحق، فقال له: لا ولكن هيا نذهب لكعب الأحبار وهو زعيم اليهود!!، اليهودي يريد الذهاب إلى النبي، والمسلم يريد الذهاب لليهودي!!، وهذه هي القضية التي فضحها الله ﷻ في هذه الآيات؛ أن من يفعل ذلك يكون من المنافقين، لكن المؤمن في أي زمانٍ ومكانٍ لا يريد إلا الحق، ويدور مع الحق حيث دار، لأننا أمة الحق، وأوصانا الله ﷻ بالحق وقال لنا في آيات الصدق: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣٠ العنكبوت) فالحق يحتاج من الناس أن تصبر عليه.

سيدنا أبو بكر عليه السلام في مرض وفاته قالوا له: لمن تترك المسلمين؟ فقال لهم: لعمر، فأتوني بعمر، وقال له: سأوصيك بوصية وأنت كفيل بالمسلمين من بعدي إن شاء الله، واعلم أن الحق ثقيل، ومع ثقله مريبٌ - الإنسان عندما يؤديه يشعر بارتياح في داخله - واعلم أن الباطل خفيف ومع خفته وبيء أي مهلك.

الميزان الذي أعطاه لنا الله، لو أن المسلمون حكموا به سنستريح كلنا، فلو كل واحدٍ منا فعل شيئاً أو قال شيئاً ورجع لقلبه ليرى أثره عليه إن كان سعيداً بهذا العمل أو حزينا، فلن تكون هناك مشاكل بعد ذلك، ولن نحتاج إلى أحدٍ آخر لنُحكّمه في ذلك، ولكن حَكَمَ نفسك أنت... فمثلاً أنا وإخواني نُقسَم الميراث، وقد ميّزت نفسي، فهل أشعر براحة نفسية؟! مستحيل، حتى ولو كان الإنسان بعيد عن الله، وبعيد عن طاعة الله، بل سيشعر في نفسه أنه أخطأ وأنه عمل عملاً غير سليم.

الكتب المصنوعة نفسيًا آية الملقين الشم فزى محمد فوزي

فلو أن الإنسان حَكَمَ هذا الأمر الإلهي الذي في قلبه في كل أموره، فكل الناس ستستريح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١ الأعراف) ... لكن كل ما يحدث أن النفس تجعل الإنسان يكابر، فيعرف أنه أخطأ ولكن لا يستطيع أن يقول أنه أخطأ، كيف يعترف بالحق مع أن الإعراف بالحق فضيلة؟! وهي المصيبة العظمى التي يقع فيها معظم المسلمين في هذا الزمان وفي كل زمان.

ولكن لو أدرك المؤمن أن ما يفعله في الدنيا أفضل مما سيؤجله إلى الآخرة، فسنسير كلنا على المنهج القويم الذي وضعه لنا الله ﷻ.

فالمؤمنون دائماً عندما يسمعون كلام الله وكلام رسول الله يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ سمعنا بأذان رؤوسنا وقلوبنا، وأطعنا بتنفيذ ما طلبه منا إلهنا وحبينا ﷻ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء الذين فازوا بالفلاح، والفلاح يعني الفوز العظيم يوم القيامة إن شاء الله.

آية الجامعة

آية وحيدة من كتاب الله جمعت كل ما في الكتب السماوية السابقة، سيدنا عمر ؓ وأرضاه كان يسير في المدينة ذات يوم وهو خليفة، وإذا برجل يقابله ويقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فقال له: لم تنطق بالشهادتين؟ فقال له: آية في كتاب الله أنزلها الله على المسلمين جمعت كل ما في الكتب السابقة السماوية وزيادة، فعندما سمعتها من أحد الأسرى عندنا اهتز قلبي وشدتني إلى الإيمان بالله ﷻ، وهي:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

آية صغيرة لو أن أحدنا وضعها أمامه وأخذ يقرأها ويتدبرها ويحاول أن يعمل بها فيها، فيكون قد فاز وجاز، يطيع الله فيما أمرنا به من تشريعات، ويطيع الرسول ﷺ فيما سنه لنا من سنن وواجبات، ويخشى الله ﷻ فيما فات، فيتذكر الأعمال التي عملها وعندما تعرض على الله ﷻ فماذا سيكون موقفه؟ وهي التي تنبهه إلى التوبة النصوح والرجوع إلى الله، والندم على ما فعله في حق نفسه أو في حق عباد الله، وهذه هي خشية الله ﷻ.

ويتق الله ﷻ فيما هو آت، فكل ما سيأتي يحاسب نفسه عليه، ولا يفعل إلا ما يرضي

الله، ولا يقوم بأمرٍ إلا إذا تأكد وتيقن أنه به سيكون من المحبوبين لحضرة الله ﷻ، فمن يفعل ذلك يكون من هؤلاء القوم: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

فهذا نظام المؤمنين، وهو الحرص على طاعة الله ﷻ في كل وقتٍ وحين.

أما الآخرين فكما قال فيهم الله ﷻ مرةً ثانية يُذكرنا بهم: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ يُقسمون بأغلظ الأيمان، على أنهم سيخرجون مع رسول الله إذا خرج للقتال، ويخرج سيدنا رسول الله للقتال فيأتون بالأعداء التي غيرهم بما الله في كتاب الله، فكان عذرهم عن عدم الخروج يوم الأحزاب كما قال الله: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ (الأحزاب) بيوتنا مكشوفة للأعداء، لكن الله ﷻ فضحهم وقال: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (الأحزاب) ... فهم قومٌ مخادعون، كانوا مع رسول الله في الصلاة وفي الصوم وفي الظاهر، لكن عند الجهاد يقولون مثلاً: إن الجو حارٌّ الآن فهل تنتظر حتى يتلطف الجو!! لكن الله يقول لرسول الله أن يقول لهم: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة) لم يترك لهم الله أمر إلا وفضحهم به الله ﷻ.

فقال لهم الله: ﴿ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لماذا تُقسموا؟! طاعتكم معروفة وهي قولية وليست فعلية، فلا داعي للقسم لأنكم معروفين، فيضرب الله ﷻ لنا المثل بهؤلاء حتى نبتعد عن أخلاق وأوصاف المنافقين، ونكون على أوصاف المؤمنين الصادقين الذين ذكرهم الله في قرآنه الكريم .. وانظر إلى الحديث الصحيح لرسول الله ﷺ والذي يقول فيه:

{ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ }^٥

يجب على المؤمن أن يعاهد الله أن لا يكذب أبداً؛ محققاً كان أو مبطلاً، ولو حتى في اللهو واللعب، فسيدنا رسول الله ﷺ كان يمزح، ولكنه كان يقول:

{ إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا }^٦

٥ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ؓ
٦ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

لماذا؟ لتكون هناك ثقةً بين المجتمعات الإسلامية، فهذه الأمة سَمَّاهَا اللهُ ﷻ بالصادقين: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) أمة الصادقين، وبركة الصدق ستكونون صَدِيقِينَ وتعالوا أعلى الدرجات في الجنة بعد النبيين والمرسلين، قال ﷺ:

{ إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا }^٧

فالمؤمن يحاول دائماً أن يتخلى عن أخلاق المنافقين، ويتصف بأوصاف المؤمنين الصادقين ليكون: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩ النساء).

فعبَّرَ اللهُ ﷻ المنافقين بطاعتهم أنها طاعة غير مُجدية، وهي طاعة معروفة في ادعاء أنهم مطيعين، ولكنهم في الحقيقة مكذِبين في قلوبهم بما جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ.

طاعة الله وطاعة الرسول

وأمرنا اللهُ ﷻ أن نطيع الله، وأن نطيع رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ نطيع الله فيما جاءنا به، ونطيع الرسول فيما بيَّنه لنا، وبين الله لنا عاقبة الطاعة فقال لنا: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ فحتى نُحل كل مشاكلنا العائلية والاجتماعية والدولية نحتاج كلنا لطاعة الله، وطاعة رسول الله ﷺ.

نسأل اللهُ ﷻ أن يجعلنا من عباده الطائعين، وأن يُجَمِّلنا بحمال عباده الصادقين، وأن يرزقنا أخلاق الفائزين وأحوال المتقين، وأن يُنِيرَ قلوبنا بنور قرآنه الكريم، وأن يوفقنا للعمل خلف نبيه الرؤوف الرحيم، وأن يجعلنا معه يوم الدين، وفي جنة النعيم أجمعين
وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٧ البخاري ومسلم وأبي داود عن عبد الله بن مسعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ
دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(النور)

٤. أهل النمكن وأهل الاسخلاف في الأرض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي بشرنا في كتابه بأنه أعد لنا ما أعدّه لأحبابه مع نبيه وحببيه وصفيه، والصلاة والسلام في كل وقتٍ وآن على من أرسله الله بالهدى والقرآن والنور والبيان؛ سيدنا محمد وآله الحسان، وصحابته الذين حملوا سرّه المصان، وكل من تبعهم على هذا الهدى والنور إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بمنك وفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

عاد الزمان في عصرنا هذا كما كان في عصر الحبيب المهتدي، والذي كل ذو روح له يُفتدي؛ سيدنا محمد، ولذلك من إعجاز القرآن أنه حيّ طريّ منذ نزوله على ختام الأنبياء إلى آخر الزمان، فالآية التي معنا نزلت على الحبيب ﷺ وصحبه الكرام في مواقف معينة تعرضوا لها، ونحن نتعرض لها وأشد منها، وكما حدث لهم الوعد سيحدث معنا إن شاء الله في هذا الوقت.

سبب نزول الآية

لأنه لو اقتصرَت هذه الآية على الأحداث الماضية لكان يجب أن تلغي هذه الآية من القرآن الآن، لكن القرآن لكل زمانٍ ومكان، ولكل عصرٍ وأوانٍ لأمة النبي العدنان ﷺ. ما الأمر؟

سيدنا رسول الله ﷺ كان ومن معه في مكة في شدةٍ شديدة، حربٍ وسُخْرية واستهزاء، وكل ما يخطر على بالك وما لا يخطر على بالك من فنون الأذى تعرّض له النبي ﷺ ومن معه، فأمرهم النبي بالهجرة إلى المدينة، ثم هاجر هو كذلك إلى المدينة.

وفي المدينة ظنوا أن هناك طمأنينة، ولكن زاد الأذى، فبعد أن كان الأذى في مكة من أهل مكة فقط، أصبح الأذى في المدينة من القبائل العربية، واليهود الذين يسكن معهم النبي، والكل متآلبٌ على أنصار الله، وعلى رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

الكُفْرُ أَفْضَلُ مِنَ الصُّلُوحِ نَفْسِي أَيْتُهَا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

حتى زاد الأذى أكثر من ذلك، فقد دُثُّوا أناس - وهذا لم يكن في مكة - تظاهروا بالإسلام، ودخلوا في وسط المسلمين ليعرفوا أخبارهم، ويتعرفوا على أسرارهم ويبلغوها للكفار، فيكون الإيذاء أشد، لأنهم عرفوا الأسرار الخاصة الموجودة بين حضرة النبي وبين السادة المؤمنين.

حتى كان النبي ﷺ وصحبه الكرام يبيتون في السلاح ويصبحون في السلاح، لأنهم متوقعين في أي لحظة شراً من هنا، أو هجوماً من هنا، أو أذى من هنا، حتى أن أحدهم قال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبَدَ الدَّهْرِ نَحْنُ خَائِفُونَ هَكَذَا، مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ فِيهِ السِّلَاحَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ لَنْ تُعْبَرُوا إِلَّا بِسِيرٍ حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِئًا لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ }^٢

أنزل الله ﷻ هذه الآية لِيُبَرِّدَ الْقُلُوبَ، وَيُفْرِجَ الْأَفْعَدَةَ، وَيَزِيلَ هَذِهِ الرِّهْبَةَ.

قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ وعدٌ من الله، والله لا يخلف وعده، فوعده لا يتخلف، ولكن لمن هذا الوعد؟ لمن اجتمع فيهم شرطين: الإيمان والعمل الصالح: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقال الله: "منكم" لأن المؤمنين كثير، لكن من يعمل العمل الصالح قليل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (٢٤ص).

من يستطيع أن يجاهد نفسه، ويمنعها عن المعاصي والمخالفات، ويجعلها دوماً في الطاعات والنوافل والقربات فهؤلاء هم الصالحون الذين نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين ... فمن يحافظ على الإيمان، ويبرهن على صدق الإيمان بالعمل الصالح، فالإيمان دعوة والإيمان حُجَّة، وما الدليل عليها؟ وما البرهان عليها؟ ... العمل الصالح!

ولذلك قال حبيبي وقرّة عيني ﷺ:

٢ تفسير بن أبي حاتم وجامع البيان للطبري

{ لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ }^٣

ويقول الحسن البصري رحمه الله: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

ولو نظرت إلى آيات كتاب الله تجد دائماً تلازماً بين الإيمان والعمل الصالح ، كل الآيات التي فيها الإيمان معها العمل الصالح: ﴿ وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾ (العصر) فكل الآيات على هذه الشاكلة؛ الإيمان شرطه أن يكون معه العمل الصالح.

وعد الله

هؤلاء القوم بماذا وعدهم الله؟ وعدهم بثلاث عطاءات ، ولم تكن تخطر ببالهم في هذه الآيات ، الوعد الأول: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ سيجعلهم خلفاء الله ﷻ في الأرض ، وهم الذين يقومون بالخلافة ، كما مكّن لقوم موسى بعد أن كانوا مستضعفين ، وكان فرعون يستعبدهم ، فمكّن الله ﷻ لهم في الأرض ، وكما مكّن لسيدنا يوسف بعد أن كان عبداً يُباع ويشتري ، فأصبح هو الذي على خزائن الأرض ويتحكم فيها: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (يوسف).

فكما مكّن هؤلاء القوم فسيُمكن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض ، وهذا حدث في أيام حضرة النبي ، فإنه ﷺ لم ينتقل إلى جوار الله إلا بعد أن خضع له كل أعدائه في الجزيرة العربية ، وفتح الله له مكة ، وفتح الله له خيبر ، ودانت له الجزيرة العربية كلها ، وسلّم له الأعداء المحيطين به ... وفي عصر خلفائه الراشدين زاد التمكين ، حتى ملكوا ناصية الأرض في عصرهم ، فكانت الدولة الإسلامية من بلاد الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، كلها دولة موحدة ، وكل من عليها يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا الذي وعدهم به سيدنا رسول الله ﷺ ، قال صلوات ربي وتسليماته عليه:

٣ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه

{ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ }^٤

وفي حديث آخر عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ:

{ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَاَ إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَاَ إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَّ الظُّعَيْنَةَ تَرْتَجِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تُطَوَّفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ }^٥

المرأة تمشي بمفردها من الحيرة في بلاد العراق إلى مكة، وهذا من الأمان والاطمئنان الذي يسيطر على بلاد المسلمين أجمعين بفضل رب العالمين، وبركة النبي الأمين ﷺ.

وأخبر أصحابه أنه سيأتي يوم لن يحمل فيه أحدٌ منكم سلاحاً، ولا حتى سكيناً أو خنجراً، لأنهم كانوا يبيتون في السلاح ويقومون على السلاح فقال:

{ لَنْ تُعْبَرُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا لَيْسَتْ فِيهِ حَدِيدَةٌ }^٦

أي لا يحمل أحدهم حتى قطعة حديد، وهذا من الأمان والاطمئنان الذي سيجعله الله لأهل الإسلام، لأن الإسلام من السلام، يعني يصبح أهله في سلام، والإيمان من الأمن، فلا بد لأهل الإسلام والإيمان أن يكونوا في سلام وفي أمنٍ وطمأنينة لأنهم مع الله جل في علاه، ومن كان مع الله حلَّ عليه أمان الله سبحانه على الدوام.

الوعد الثاني: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ سيمكنهم بالقيام بمشاعر الدين بدون خوف ولا رهبة من الآخرين لأنهم في حماية رب العالمين ﷻ، والخوف الذي هم فيه حالياً سيتحوّل إلى أمن.

٤ صحيح البخاري وأبي داود عن خباب بن الارت ﷺ

٥ صحيح البخاري ومسنّد أحمد

٦ تفسير بن أبي حاتم وجامع البيان للطبري

وهذا هو الوعد الثالث: ﴿وَلَيَبْدَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ بعد الخوف الذي هم فيه سيكونون في أمن وطمأنينة على الدوام، وهذا ما حدث مع رسول الله وصحبه الكرام، وسيكون نفس الأمر معنا إن شاء الله.

الحذير من ترويع المسلمين

فالمؤمنون الآن مششتون، والكفار والمشركين قاتلهم الله يقومون بحرب شرسة لا هوادة فيها على المسلمين، وسيطروا على جماعات من المنافقين وأمدوهم بالسلاح لكي يخيفوا ويرعبوا ويدمروا المسلمين ويقولون: إن المسلمين يحاربون المسلمين، ولكن هؤلاء لا شأن لهم بالإسلام، فالمسلم يقول فيه ﷺ ليئين الذي معه من الذي ليس معه مع أنه جالس معه:

{ مَن حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا }^٧

هل هناك مؤمن يحمل السلاح على إخوانه المسلمين؟! فقد قال ﷺ:

{ مَن أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ }^٨

لا يصح ذلك حتى في اللهو أو في اللعب، وقد ورد:

{ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلِ مَعَهُ، فَأَخَذَهُ فَفَزَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْوَعَ مُسْلِمًا }^٩

وفي رواية أخرى:

{ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلِ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ، فَزَعَ، فَضَجَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ ﷺ: مَا يُضْجِكُمْ؟ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا، فَفَزَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ

٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٨ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٩ سنن أبي داود والبيهقي

لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا ١٠

فلا يجوز أن أشير لأحدٍ بسكين أو سلاح وأقول أنا مؤمن!!، لأنك بذلك روعت مسلماً، أو أشير إليه بخنجر وأقول أنا أمزح، فلا يصح هذا، ومن يحمل السلاح أيّاً كان نوعه - حتى ولو حمل حديدة - على المسلمين فليس من المسلمين كما قال سيد النبيين ﷺ.

فهؤلاء القوم - قاتلهم الله - كما أخبر النبي:

{ يُوْهِدُكَ الْأُمَمُ أَنْ تَدَّاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَّاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا } ١١

فهؤلاء الإخوة السوريين اثنا عشر مليون منهم مهجرين في البلاد ليس لهم مأوى، هُدمت بيوتهم، وشردوا هم ونسائهم وأطفالهم ولا يجدون مأوى لهم، منهم من هاجر إلى أوروبا، يقولون لهم: نريد الشباب لأنهم ليس عندهم شباب للعمل في المصانع، فيذهب الشباب ويقولون له: إذا أردت أن تؤمن حياتك وتعيش معنا نمنحك الجنسية، ولكن بشرط أنك تترك الإسلام وتنصر، وهذا ما حدث في الفترة الماضية في ألمانيا وغيرها، أو يقولون له: ليس لك عمل عندنا.

من أين أتى الإرهابيون بالأسلحة التي يحاربون بها؟ من أمريكا، وقد خرج تقرير مخبراتي أمريكي وأقر بخروج عشرة مليون قطعة سلاح انتقلت من مخازن الجيش الأمريكي، ورأوها تُستخدم في سيناء وفي ليبيا، وقالوا في وصف هذه الأسلحة أن الجيوش لا تقدر عليها.

من الذي أوصلها هؤلاء القتلة؟ الأمريكان، لماذا؟ ليروعوا المسلمين، والمسلمين الليبيين حالياً هل يعيشون في بلادهم في أمان؟! لا، هل المسلمون في الصومال يعيشون في بلادهم في أمان؟! لا، وهكذا غيرهم.

نص الله للمؤمنين

فالله ﷻ بشرنا بأن هذه الغمة ستزول، وسينصر الله جُنْدَهُ الْمُؤْمِنِينَ الصادقين:

١٠ مسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة
١١ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٥١ غافر) فالمؤمنون إن شاء الله سينصروهم الله، وسيرجع لنا مرة أخرى وعد الله الأول بالاستخلاف في الأرض.

وسيدذهب الغناء من الكفار وغيرهم وأنواعهم وأصنافهم، ولا يبقى على وجه الأرض ليتحكم فيها ويسير شئونها إلا المسلمين الصالحين الذين صدقوا في الوفاء بالوعد لله مع سيد الأولين والآخرين ﷺ، كما أخبر ﷺ:

{ وَثُمَّ لَآ أَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكُ

إِلَّا لِلْإِسْلَامِ } ١٢

وقال الله تعالى في صريح القرآن: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٢٨ الفتح) وهل ظهر الإسلام على كل الأديان السابقة؟ لا، لكن في الأيام القادمة إن شاء الله سيظهر على كل الأديان:

يعلمو على كل الأديان دين ربي فاتلوا لنا أخباره

سيكون الدين الأعلى في الكون كله، وسيتمكن المؤمنون من الدين في كل أرض من أرض الله، لأنه ما دامت لهم الغلبة فالآخرين سيكونون خاضعين ومسلمين.

وبعد الخوف الذي يعيش فيه إخواننا ونحن وغيرنا إذا كان من الفقر والغلاء، أو من البنادق والقتل .. فكل أنواع هذا الخوف ستجلي ويأتي بدلاً منها الأمن والأمان من حضرة الرحمن ﷻ:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ

خَوْفٍ ۖ ﴾ (قريش).

شروط الوفاء بالوعد الإلهية

وهذا سيحدث معنا كلنا إن شاء الله، ولكن بشرط أن نوفي بالطلب الذي طلبه منا

الله، وما الروشة التي تتحقق بها هذه الوعود كلها؟ ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُوتَ بِي شَيْئًا﴾

وفي ذلك قال ﷺ: { مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ } ١٣

عبادة خالصة لله، فلا تكون العبادة طمعاً في مآرب دنيوية، أو من أجل شهوات نفسية، أو من أجل مناصب فانية دنيوية، لكن تكون العبادة خالصة لله كما أمرنا الله في كتاب الله وقال: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٢٩ الأعراف) اجعلوا العبادة خالصة لله ﷻ كما قال الرجل الصالح في الإلهام الذي ألهمه به موله: (لو لم أخلق جنة ولا ناراً أفلم أكن أستحق العبادة لذاتي؟!).

الناس في زماننا استغلوا الدين والعبادة من أجل المصالح والمنافع، فمنهم من استغلوا الدين ليكونوا حكاماً، ويريدون انتخابات وسياسات، وهذا من استغلال الدين في الدنيا، ومنهم من يستغل الدين ليسيّط على أموال المسلمين، فيكتبون لافتات إيمانية على المحلات التجارية، وجعلوا أشكاهم وهيئاتهم دينية ليثق الناس فيهم ويقولون إنهم مؤمنين وموحدين ويسلموا لهم أعمالهم وأموالهم... كل هذا لا بد وأن يزول، ويبقى المخلصون الذين يعبدون الله طمعاً في رضاه، ولا يبغيون أجراً ولا ثواباً إلا من عند الله ﷻ، لا يطلبون بذلك دنيا دنية ولا رغبات نفسانية لقوله ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا يَمْعَلِ الْآخِرَةَ ، طُمَسَ وَجْهُهُ ، وَمُحَقِّ ذِكْرُهُ ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ } ١٤ ، وفي رواية أخرى: { مَنْ طَلَبَ عَمَلِ الدُّنْيَا يَمْعَلِ الْآخِرَةَ فَمَا لَهُ

فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } ١٥

العمل هيئته للآخرة، ولكنه ماذا يبغي من وراء هذا العمل؟ يريد مصلحة دنيوية عاجلة، وهذا لا يجب مع الله، فالخلاص بالإخلاص؛ أن يخلص الإنسان العمل لله، ولا يرجو من الله إلا الله، ولا يرجو من العمل إلا رضاه جل في علاه، إذا وُجد هؤلاء الأقوام وانتشروا وكثروا فعلى الفور ستتحقق هذه الوعود الإلهية التي ذكرها الله في الآيات القرآنية.

١٣ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن عثمان بن عفان ﷺ

١٤ معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء ﷺ

١٥ مسند الشهاب عن أبي بن كعب ﷺ

ومن يرتد بعد ذلك عن الإيمان ولا يعجبه هذا يقول الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله ﷻ.

العبادة الخالصة لله

ما هيئة العبادة التي يريدتها الله؟ عبادة جسمانية، وعبادة مالية: فالعبادة الجسمانية: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ والعبادة المالية: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ فشمّل الله العبادتين لأهمّهما رمزاً للعبادة بالأجسام، ورمزاً للعبادة بالأموال.

وشمل الجميع بالطاعة للحبيب فقال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

فروشته التمكين والاستخلاف في الأرض والأمن والأمان تحتاج إلى إقامة الصلاة، وليس أداء الصلاة، ولكن إقامة الصلاة بخشوع قلب، وحضور مع حضرة الله جل في علاه طلباً لمرضاة الله.

وإيتاء الزكاة بحسب النصوص الواردة بشأنها في كتاب الله، وإعطائها للموارد والأصناف التي حددها الله في آيات كتاب الله جل في علاه، ولذلك لا يجوز التفريق بين الصلاة والزكاة، فالذين امتنعوا عن دفع الزكاة حاربهم سيدنا أبو بكر، وقال: لا أترك من فرّق بين الصلاة والزكاة ... وبعد ذلك الطاعة الشاملة الكاملة لكل ما جاءنا به، ووجهنا إليه سيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يُحقّق لنا هذا الوعد، وأن يجعلنا من المقيمين للصلاة، والمؤتين للزكاة، والمحافظين على طاعة الله، والمحافظين على طاعة حبيبه ومصطفاه، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصةً لوجه الله

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ
يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ
مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
خُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩﴾ (النور)

٥. أهل الأدب مع الرسول ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي تولى بذاته أمر حبيبه ومصطفاه، فبين منزلته ومكانته عنده ﷺ في كتاب الله لأنه لا يعلم أحد قدره ولا مقداره عند مولاه، ثم بين لأصحابه - لحرصه تبارك وتعالى عليهم أن يذلوا أو يضلوا - الآداب التي ينبغي أن يكونوا عليها مع حبيب الله ومصطفاه، حتى لم يدع لأحد في الوجود كلاماً بعد كلام الحق تبارك وتعالى في كتابه المورود.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد الذي أعلى الله شأنه على جميع الأنبياء والمرسلين والمقربين، ورفع ذكره وقرنه باسمه وجعله باباً للدخول على حضرته للأولين والآخرين، صلِّ وسلِّم وبارك اللهم على هذا النبي الذكي الطاهر القدسي؛ سيدنا محمد وآله أهل وراثته وأصحابه الذين قاموا بنصرته وعلينا معهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

باب الأدب

عَلِمَ ملك الملوك تبارك وتعالى أن باب الأدب هو الذي يوصل المرء إلى أعلى الرتب، فلو كان العبد قد قضى عُمره كله طائعاً لله، لكنه سقط في سقطة من الآداب في حق مولاه، أو في حق حبيب الله مصطفاه، طُرد فوراً من رحمة الله جل في علاه.

وأنتم تعلمون المثل الظاهر على ذلك، كما ورد في الأثر أن (إبليس عبد الله ﷺ اثنان وسبعون ألف سنة، وليس في السماوات السبع موضع شبر إلا وإبليس فيه سجدة لله تبارك وتعالى).

لكنه سقط في باب الأدب، وفي هفوة وذلة واحدة، فكان نتيجتها: ﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨ الأعراف) .. مع أنه كان معه شبهة، لأنه كان يعتقد أنه لا يجب السجود إلا لله، فلا ينبغي أن يسجد لأحد غير مولاه، لكنه خالف أمر الله في مواجهة الله، وهذه هي السقطة التي سقط فيها.

آدم وقع في الخطيئة فتاب عليه الله لأنه لم يكن في المواجهة، ونسي: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (١١٥ طه) لكن إبليس طُرد لأنه كان في المواجهة، وأمره الله بالسجود، فقال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (٦١ الإسراء) فكان هذا اعتراض على الرحمن ﷻ، أوجب عليه الإنطراد من رحمة الله إلى يوم الدين، فلم تنفعه طاعاته، ولم تشفع له عباداته، لأن العبرة بالأدب.

والله ﷻ عندما أثنى على حبيبنا وقرة أعيننا صلوات ربي وتسليماته عليه، أثنى عليه لجميل أدبه، فعندما رَفَّاه إلى عوالم الملكوت الأعلى، وكاشفه بالجماليات الموجودة في السماوات والعوالم التي بعد السماوات، لم يلتفت إليها، وحجز بصره أن ينظر إليها لأنه لا يريد أن يكحل بصره إلا بالنظر إلى مولاه، فامتدح الله ﷻ حُسن أدبه، وقال لنا أجمعين في شأنه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧ النجم) لم يَزِغْ هنا أو هناك، لأنه لا يريد إلا ملك الملوك ﷻ ... هذا هو الأدب الذي قالوا لنا فيه: (حافظ على الأدب ولو رُقِيت إلى أعلى الرُتب) لأنه رُبَّ ذَلَّةٍ واحدة تُصاب فوراً بعدها بالعطب، ولذلك تَوَلَّى الله ﷻ بذاته أن يَعْلَمَنَا الأدب مع نبيه ﷺ، لأنه يُحِبُّنا من أجل حبيبه وحبيبنا.

ومن جملة هذه الآداب ما ورد في الآيات التي معنا الآن من سورة النور، لكن الآداب ماثوثة في كتاب الله، وقد شرحنا بعضها وطبعناها لكم في كتاب: (الآداب القرآنية مع خير البرية) أتينا بالآيات التي تتكلم عن الأدب مع رسول الله، ووضحناها على قدر الأحباب، وليتنا نقرأ ونذاكر ونطبق.

أدب الحضور مع الرسول

والأدب الذي ذكره الله لنا في هذه الآيات هو الأدب مع النبي ﷺ، وكذلك ورثته في حال الاجتماعات واللقاءات المهمات، فما الذي ينبغي علينا في مثل هذه الأمور؟.

هذه الآية كان لها سبب نزول، ولكن سببها موجود إلى قيام الساعة، نحن نعرف أن حضرة النبي ﷺ كان معه مندساً في صفوف المؤمنين كتيبة كبيرة من المنافقين، والله ﷻ ما فضحهم ولا كشف أمرهم إلا ليعرف المؤمنون المؤمن من المنافق، حتى لا نقع في الأحوال التي وقعوا فيها، ولا تختلط علينا الأوهام التي عاشوا فيها، وإنما نكون دائماً مع الصادقين

الذين مدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه المبين.

المنافقون كانوا في الجماعات كصلاة الجمعة؛ كان إذا صعد حضرة النبي منبره الشريف يتسللون ويتفльтون واحد تلو الواحد ويخرجون خارج المسجد، ولماذا أتيتهم؟ مثلهم كمثل بعض الموظفين المنكوبين في هذا الزمان، يمضي حضور ثم يترك العمل، وهي نفس الأمر، فيحضر مع حضرة النبي ثم يهربون، فلماذا أتيتهم؟! وهل النبي يريد منكم شيئاً؟! ولما جاءت غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب، وسيدنا سلمان الفارسي أشار على النبي ﷺ بأن يحفر خندقاً حول المدينة، وذهبوا ليحفروا هذا الخندق، وكان النبي ﷺ بذاته يشاركهم في الحفر والحمل، حتى كانت الصخرة التي تستعصي عليهم يُخبروا بها حضرة النبي، فيقول لهم: دعوها لي، ويمسك ﷺ بالآلة أو المعدة بنفسه ويضربها فتفتت الصخرة!!

هؤلاء المنافقون كانوا يتفльтون واحداً وراء واحد بدون إذن، ولكنهم يتسللوا، كما قال الله: ﴿لِوَاذًا﴾ يعني خفية واحداً وراء واحد.

أصحاب حضرة النبي الصادقين كان الواحد منهم لا يستطيع أن يتحرك هنا أو هناك إلا إذا استأذن من رسول الله، فيقول له أحدهم: لو أذنت لي سأذهب للبيت، أو لو أذنت لي سأذهب لأتوضأ، أو لو أذنت لي سأذهب لأبشر زرع... لا يتحرك أحدهم إلا بإذن من رسول الله.

حتى في الأمور المهمة التي لا غنى لهم عنها، سيدنا رسول الله ﷺ كان خارجاً لغزوة بدر، وسيدنا عثمان بن عفان توفيت زوجته بنت حضرة النبي، فمن الذي يجهزها؟ زوجها، فهل يحتاج هذا إلى إذن؟ لا، لكن سيدنا عثمان ذهب إلى النبي ليستأذنه، وهذا هو الأدب العالي الذي تعلّموه، فأذن له رسول الله ﷺ... وسيدنا عمر بن الخطاب في إحدى الغزوات كان مشغولاً بمصالح لا غنى له عنها، فاستأذن من رسول الله، فأذن له.

إذاً فمن المنافقين؟ هم الذين يمشون بدون إذن نهائياً، لكن المؤمن لا بد وأن يستأذن، وهكذا علّمنا الإسلام، وعلّمنا القرآن، وعلّمنا نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ويجعل الله ﷻ صفة الإيمان قرينة مع الأدب والاستئذان لنعرف أهمية الأدب في الاستئذان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ﴾ وآمنوا يعني صدّقوا بالله

ورسوله، وما علامتهم؟ ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾
هذه علامة صدق الإيمان، معه في أي أمر جامع إن كان اجتماع، أو في معركة حربية، أو في صلاة جمعة، أو في مجلس من مجالس الأنس مع حضرة الله.

فعلامه صدق الإيمان هنا أنه لا بد وأن يستأذن، وماذا يعني أن يستأذن؟ مثلاً كان سيدنا رسول الله عندما يكون يخاطب على المنبر - والكلام أثناء الخطبة ممنوع - فكان بعضهم يقف ويشير إلى رسول الله ﷺ، فيشير له ﷺ، يعني معك الإذن، لكن لو كان في اجتماع فلا بد وأن يكون الإذن صريح بالعبارة.

إذن إذا كانوا معه في أمر جامع، والأمر الجامع كما قلنا إذا كان في معركة، أو كان في اجتماع، أو كان في قضية مهمة، أو في مناقشة أمر يخص المؤمنين أجمعين، ... لم يذهبوا حتى يستأذنوا.

ثم بين الله ﷻ خطورة عدم الاستئذان، وهذا الأمر يشقُّ قلوب المخلصين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الذين يستأذنوك هؤلاء فعلاً هم المؤمنون، لأن الذي لا يستأذن المنافقون، فأكد الله ﷻ أن علامة الإيمان الصادق هو الاستئذان من رسول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ﴾.

وأعطاه الله ﷻ تفويضاً عاماً بأن له مطلق الحرية في أن يأذن أو لا يأذن، فليس شرطاً أن يأذن لي: ﴿فَإِذَا اسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ من تأذن له يذهب، ومن لم تأذن له يكون الخير في جلوسه وبقائه، وربما لا يعلم، لكن حتماً إذا أجاب واستجاب فسيعلم، وحتى نعلم أن البقاء خير من الاستئذان، فقال الله: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لماذا تستغفر لهم الله؟ لأن هذا العمل ليس هو العمل الأكمل، ولا العمل الأصح، لكن العمل الأصح والأكمل هو البقاء معه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وآداب الاستئذان التي ذكرها الله في القرآن للنبي العدنان - كما قلت - تسحب على أئمة المتقين، وكُمّل المرشدين والصالحين في كل زمان ومكان، أن الإنسان إذا كان معهم في أمر جامع فلا بد أن يتأدب معهم، كما قال الشيخ أبو مدين الغوث رحمه الله:

فأصحبهم وتأدب في مجالسهم وخلّ حظّك مهما قدموك ورا

اجعل حظك وراء ظهرك، وإياك أن تنظر لنفسك إذا قدموك فتغتر فتتضر، واجعل حظك وراءك، والزم الأدب في ضجة هؤلاء الأقسام الذين أعطاهم الله فضلاً منه ومنه، حلة المصطفى ووراثته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإياك في هذا الباب أن تجتهد بتأويل من نفسك، لأنه قرآن، وانظر إلى أصحاب النبي العدنان، وامشي على المنهاج، وإياك أن تبتكر لنفسك أو بنفسك فتخالف هؤلاء، وتظن أنك ذكي وألمعي، لأن الله ﷻ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ثم بين الله ﷻ لنا أجمعين أمر المنافقين: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ ولواذا: يعني يمشي كل واحد منهم خلف الآخر متخفين، يعني يكون جالساً في المجلس ويتصنع أنه ذاهب مثلاً لقضاء حاجته ثم ينصرف، فليماذا جئت أصلاً؟ كل اجتماعتنا الأمر فيها كما قال الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٥ الجاثية).

أنت المراد، وأنت صاحب البغية، وأنت الذي يريد أن يستزيد فقهاً في الدين، ويستزيد في القلب نوراً ويقيناً، وتريد أن تتشبه بالأئمة من العلماء العاملين، وتلحق برب الأنبياء والمرسلين، فأنت من يبحث لنفسه ولا يبحث عنك أحد: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (١٤ القيامة).

أدب مناداة الرسول

ثم بين الله ﷻ وانتقل إلى أدب آخر مع حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، وهو الأدب في التعامل مع حضرته؛ كيف نناديه؟ وماذا نفعل عندما ينادينا؟ لكي نتحقق بكمال الأدب الذي اختاره لنا الله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ لا تجعلوا دعاء حضرة النبي مثل دعاؤكم، وفيها معاني كثيرة، المعنى الأول: إذا نادينا على حضرة النبي ﷺ فلا يكون كدعائنا لبعضنا، فقد كان بعض العرب عندما يأتون إلى رسول الله وينادون عليه، منهم من يقول: يا محمد، ومن هم من يقول له: يا ابن عبد الله، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك.

والله ﷻ بذاته لم يناديه إلا بـ: ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ (١ الطلاق) ﴿ يٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ (المائدة)

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيتها الملكة زين الشيخ فوزي محمد فوزي

﴿يَتَأَيُّهَا الْمُزْمِلُ﴾ (المزمل) ﴿يَتَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر) ولم يذكره باسمه إلا وقرنه بالرسالة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٢٩ الفتح) مع أنه نادي على الأنبياء الآخرين بأسمائهم مثل: ﴿يَمُوسَى﴾ (طه) ﴿يَعِيسَى﴾ (٥٥ آل عمران) ﴿يَقَادُومُ﴾ (٣٥ البقرة) ﴿يَنُوحُ﴾ لكن عندما نادى على رسول الله ﷺ استثناه الله ﷻ وكان يناديه بغاية الأدب .. فنحن يجب أن نقول: يا نبي الله، يا رسول الله، يا حبيب الله، يا صفى الله .. لا نناديه إلا بالألقاب التي نحسب أنها مدخ في حضرته، وأنها هي التي تليق بمقام قربه من ربه ﷻ.

وحضرة النبي له أكثر من ألف إسم، جمعها العلماء الأجلاء والأقطاب والصالحين، وكلها تبين حقيقة مقاماته، وما له عند الله ﷻ، فهل نترك هذه الأسماء العظيمة ونناديه بما لا يليق؟! لا، فليس نداؤه كنداؤنا، وحتى عندما نناديه أمرنا الله بأن نناديه أولاً بصوت خافت فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (٢ الحجرات).

وعندما نزلت هذه ورد أن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر كانا لا يكلمان النبي إلا كأخي السرار، يعني بصوت خافت، حتى كان ﷺ يستوضحهما، فهو لا يريد أن يرفع صوته حتى لا يحبط عمله، والآية أوضحت ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (٣ الحجرات).

أما الآخرين فالآية تقول فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤ الحجرات) هم ليسوا بعقلاء ولا حكماء، ومن هنا استنبط الصالحون أن مجالس الصالحين يجب أن يكون الحديث فيها خافتاً وهادئاً ورزياً كما علم الله ﷻ المؤمنين في الحديث مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ... هل يصح أن يحدث خلاف بين اثنين عند أحد الصالحين، ويرتفع صوتهما؟! هذا خرق للأدب، لأن التنازع ممنوع، فقد قال ﷺ:

{ لَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ }^٢

تتنازع في الخارج، فإذا دخلنا عند الرجل الصالح نسلّم له ونقول: سمعنا وأطعنا ولو على الرقاب، فهذا هو الأدب الذي علّمه الله للمؤمنين، وكان عليه السلف الصالح أجمعين وهذا معنى من المعاني، فيتكلم بصوت خافت، وإذا أحسن، وكان صاحب حظٍ

٢ البخاري ومسلم عن ابن عباس

أفضل: ﴿ إِذَا تَجِيتُمْ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ (١٢ المجادلة) فلا بد أن يقدم صدقة قبل أن يتكلم مع حضرة النبي، أو مع وارث حضرة النبي ﷺ، والله لم يقل كلاماً ولكن مناجاة، ومناجاة يعني كلام خافت وبتضرع وبخشوع وبخضوع، فيكون فيها شيء من الذلة، وشيء من المسكنة، لأن هؤلاء محل نظر الله ﷻ في الأرض.

المعنى الثاني: إذا نادى الرسول علينا فلا يكون كأى إنسان ينادي علينا، فسيدنا رسول الله ﷺ كان عندما يرسل المنادي ينادي ويقول: هلموا إلى رسول الله، فكان كل واحد يترك ما في يده ويخرج، وأنتم تعرفون الرجل الذي كان في ليلة زواجه، ونام مع زوجته، وسمع المنادي ينادي للجهاد، فلم يغتسل وقام مسرعاً لإجابة المنادي، حتى لا يتأخر عن نداء رسول الله، وذهب إلى المعركة واستشهد، فأراد ﷺ أن يبين منزلته، فقال:

{ إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُّوا صَاحِبَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنُبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ } ٢

كان ﷺ عندما ينادي عليه أي أحد من الأمة سواء رجل أو امرأة يرد عليه ويقول: لبيك، أي إطاعة لك بعد إطاعة، لكن الآن لو نادى عليك أحد تقول له: ماذا تريد؟! وهل هذه أخلاق الإسلام؟! وهل هذا ما علمه لنا نبي الإسلام؟! أهل الإسلام أهل الذوق الرفيع، والأدب البديع، الذي أنزله الله على يد الحبيب الشفيع ﷺ، فكان ﷺ يقول: لبيك، وكان أصحابه أيضاً عندما ينادي رسول الله على أحدهم يلبي على الفور، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ، قَالَ:

{ كُنْتُ أَصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَانِي، فَلَمْ أَتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ)؟ } ٤

يعني من ينادي عليه النبي وهو في الصلاة يجب أن يُسَلِّمَ ويخرج من الصلاة لكي يلبي نداء الرسول، وقد استنبط منها العلماء العاملون أن الإنسان لو كان يُصلي في البيت ونادته

٣ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن الزبير ﷺ

٤ صحيح البخاري وسنن أبي داود

أمه أو أبوه، فإذا كانت نافلة يقطعها وبلي ندائهما، لأنها سنة وتليتهما فريضة، والفريضة مقدمة على السنة، وإذا كانت صلاة فريضة يرفع صوته ليعرف أنه يصلي، فإذا لم يسمعه يسلم ويحييهما، ثم يُعيد الصلاة بعد ذلك، خوفاً من أن تتغير قلوبهما.

فأخطر ما يتعرض له المرء في هذه الحياة أن يتغير قلب الأب أو الأم نحوه، والقلب عندما يتغير من الجائز أن لا تشعر، لكن لا بد أن يكون للإنسان في قلبه دائماً خطأً حارياً واصلاً بينه وبين قلب الأب، وواصل بينه وبين قلب الأم، فتستشعر دائماً مشاعرهم نحوك، هل هما راضين أم غاضبين عنك، فلا بد وأن تشعر بهذه المشاعر لقوله ﷺ:

{ رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ }^٥

ولا يجوز أن أقطع أمراً مهماً في حياتي إلا بعد استئذانهم، أريد أن أتزوج، أو أريد السفر، أو أي أمر، فلا بد أن يكون بإذنه، فقد ورد أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُ:

{ هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ، قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ: أَذِنَا لَكَ، قَالَ: لَا، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فِيرْهُمَا }^٦، وقال ﷺ: { جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَحْيِي وَإِلْدَاكَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ }^٧

اجلس معهما وجاهد في طاعتهما، وشبابنا يحتاج إلى هذه الآداب الإسلامية العالية، والتي علمها لنا رسول الله ﷺ، والتي كان عليها السلف الصالح رضوان الله عنهم أجمعين.

فنداء الرسول لنا، ودعائنا الرسول لنا ليس كدعاء أي إنسان، وكذلك الأمر فدعاء مشايخ التربية، ودعاء الكُتَل، عندما ينادي عليّ لمصلحة فهي مصلحة لي أنا، فلا بد أن أستجيب فوراً ولا أجعله كدعاء أي أحد آخر، وخاصة أن هؤلاء الأقوام خصَّهم الله ﷻ بما لم يخص به غيرهم من الأنوار الكاشفة، والعلوم الإلهية الوارفة، والأحوال النبوية العالية، وهناك أمورٌ يستطيع كشفها لنا لأننا نتحملها، وأمورٌ يرمز لها لنا لأننا لا نستطيع أن

٥ جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٦ سنن أبي داود ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

نتحملها، ولو سألناهم كشفها ما كشفوها لأننا لن نتحمل وقعها، مع أنها في الحقيقة في مصلحتنا وفي منفعتنا.

المعنى الثالث: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ دعاء حضرة النبي غير دعائنا، إذا دعا لأحد، أو دعا على أحد، فهل دعاؤه كدعائنا؟ لا، لأن دعاؤه مجاب على الفور، فقد كان ﷺ إذا دعا فدعاؤه لا يُردُّ.

رجلٌ أنشد شعراً فأعجب النبي ﷺ، فقال له ﷺ:

{ أَحْسَنْتَ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكٌ }^٨

فعاش هذا الرجل حتى زاد عمره على المائة سنة ولم ينكسر له سن، لأن حضرة النبي دعا له .. وطلبت السيدة أم سليم من حضرة النبي أن يدعوا لابنها أنس، فقال ﷺ:

{ اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ }^٩

فعاش سيدنا أنس بن مالك أكثر من مائة سنة، وكان أولاده وأحفاده أكثر من مائة، لأنها دعوة حضرة النبي، وكانت له حدائق في البصرة تُثمر في العام مرتين، وهذا بفضل الله وبإكرام الله وبدعوة سيدنا رسول الله.

وهذا مجال واسع، فكم من دعوة استجابها الله لسيدنا رسول الله، وحتى الكفار أنفسهم كانوا يعرفون أنه إذا دعا فإن دعوته لا تُردُّ، فقد أساءوا إليه ذات يوم فهم أن يدعوا عليهم، فمنهم من أسرع فاخْتَبَأَ، ومنهم من لم يستطع فنام على الأرض، حتى لا يقع نظره عليه، وكان بينهم أبو جهل، فسألوه:

لم فعلت ذلك؟ فقال لهم: أنتم تعلمون أن دعوته لا تُردُّ.

فدعوة حضرة النبي إن كانت لنا، أو على أعدائنا لا تُرد، لأن دعاؤه ليس كدعاء أحدنا أبدًا.

النحذير من مخالفة الرسول ﷺ

٨ كشف الأستار ودلائل النبوة للبيهقي عن قيس بن سعد ﷺ

٩ صحيح البخاري ومسنَدُ أحمد عن أنس ﷺ

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ عَاقِبَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مَخْتَفِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ بَيَانَ تَنْشِقُ لَهُ شَمُّ الْجِبَالِ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ من الذي يُحَذِّرُ؟ الله، وانتبهوا: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ولو فتننا في المعاصرين والسابقين تجد كل هذا الأمر موجود ومشهود، والقصص في هذا كثير، فمن يفارق الجماعة لشهوة نفس، أو حب ظهور، أو رغبة في الشهرة، أو رغبة في السمعة، أو رغبة في جمع الأموال، أو رغبة في بعض الشهوات .. كل هؤلاء يصيبهم كما قال الله ﷻ: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .. حَذَّرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ مِنْ أَمْرَيْنِ شَدِيدَيْنِ؛ الفتننة والعذاب الأليم، والفتنة تصيب الإنسان في نفسه أو في ماله وهذه هينة، لكن المصيبة الأعظم إذا كانت الفتننة في دينه، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين، خاصة ونحن في عصر الفتن التي قال لنا سيدنا رسول الله ﷺ فيها:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ } ١٠

في هذا العصر كأن السماء تمطر فتنًا، يعني فتنٌ بغير حساب، وما الذي يحمي الإنسان من هذه الفتن؟ الاستعصام والاستمسك بقوة بالصادقين الذين أثنى عليهم رب العالمين، وقال فيهم في قرآنه الكريم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ الأحزاب) وهؤلاء عُرضت لهم الدنيا فأبوها، وعُرضت عليهم المناصب فرفضوها، وعُرضت عليهم الشهوات فقاطعوها، لأنهم لا يريدون من الله إلا وجهه الله ﷻ.

ونحن كل واحد منا معه بصيرة ولو قليلة، ويرى، فإذا كان هناك من يُغشك فلا تغش نفسك، لأنك تصحب الصالحين، ومن يصحبهم يأمن من هذه الفتن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢ الأنعام) وهذه شهادة رب العالمين ﷻ .. وحذَّره أيضاً من العذاب الأليم، ولا يوجد عذاب للمحبين، ولا للسالكين، ولا المريدين أشد من عذاب القطيعة عن الله، أو الحجاب عن مشاهدة أنوار الله، أو الصدود والاعراض عن ذكر الله وعن تلاوة كتاب الله، أو المخالفة للصالحين من عباد الله .. ولا يوجد عذابٌ أشد من هذا، فهو عين العذاب الأليم في الدنيا، وهذا عذابٌ ليس بهين،

ولكنه على أهله عذابٌ يَبِّنُ، نسأل الله ﷻ أن يحفظنا منه أجمعين.

مراقبة الله

ثم ختم الله ﷻ هذه الآيات المباركات بأمر يجعل الإنسان المؤمن يراقب الله في الحركات والسكنات، والحروف والألفاظ والكلمات في كل الأوقات، وفي كل الجهات: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كل ما في السماء وما في الأرض وما تحتها وما فوقها وما بينهما .. كل هذا الله ﷻ يُصَرِّفُهُ كيف يشاء، ويفعل فيه ما يشاء، ولا يستطيع أحد أن يُحرك شيئاً إلا بإذن الله جل في علاه، وأمره سبحانه وتعالى بين الكاف والنون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢يس).

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فكل أحوالك يراها الله، وكل الخواطر التي تمر في صدرك يطلع عليها، وكل الحركات والسكنات التي تفعلها وأنت في تمام يقظتك أو في نومك أو في غفلتك يعلمها الله ﷻ ويسجلها، وكل حركة بلسانك ولو للفظ غير كامل يسمعه الله، لأنه ﷻ سيتولى حسابنا يوم لُقِيَاهُ إِذَا غَرَضْنَا عَلَيْهِ جُلَّ فِي عِلَاقِهِ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨ق).

محاسبة العبد لنفسه

ونرجع في يوم: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إذا تذكَّر الإنسان هذا اليوم، وعلم: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (٨العلق) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم) وسيأتيه يومٌ سيحاسب على كل ما قاله أو فعله، سيضبط الإنسان نفسه، ويمشي على الجادة، ويستقيم على المنهج الإلهي.

ومن الذي مشى على هذا المنهاج؟ الصالحون وأتباع الصالحين من السالكين والمريدين والخبين، ضابط نفسه على الدوام لأنه يعرف أن هناك حساب ولا يريد أن يطول حسابه، ونحن كلنا نطمع يوم الدين أن ندخل في قول رب العالمين: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠الزمر).

فمهما كان الإنسان محسن في أعماله، وصالحاً في أحواله، تجد المتقين خائفين من

العرض للحساب، لماذا؟ لأن حضرة النبي قال للسيدة عائشة:

{ مَنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ } ١١

كونه تعرض للمساءلة والمناقشة فهذا نفسه فيه عذاب، لأنه لا يوجد في ديوان الإنسان أو السجل أو الملف مكان يخلو من شيء سيئ بما إذا نظر إليها مولاه، سيتهدل وجهه من الحياء من الله إذا اطلع عليها في مواجهته الله، فنحن لا نريد الحساب، وماذا نريد؟ نريد أن ندخل الجنة بغير حساب، ومن يدخل الجنة بغير حساب ماذا يفعل؟ يُحاسب نفسه أولاً بأول، ويضبط أموره، ويُصلح نفسه وهذه دعوة الصالحين، يريدون أن يجمعوا الفريق الذي يدخل الجنة بغير حساب.

لكن الذين يمشون على هواهم، ويريدون أن يحققوا في الدنيا مناهم، فلا شأن لنا بهم، لأنهم لا يسمعون الكلام، ويمشون على حسب مراد النفس والهوى.

لكنهم يريدون الذين قال فيهم الله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (النساء).

اللهم ارزقنا مراقبتك آناء الليل وأطراف النهار، وخذ بأيدينا وثبتنا على منهج الحبيب المختار، واجعلنا في الدنيا دائماً وأبداً نسعى إلى رضاك، وننتقي مسأخطك وغضبك يا رحمن، ووقفنا دائماً وأبداً لسلوك طريق الأبرار، واجعلنا مع المتقين في دار القرار، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا همّاً إلا فرجته، ولا كرباً إلا كشفته، ولا حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة هي لك رضا ولنا غنى إلا وقضيتها ويسرها بفضلك وجودك يا أرحم الراحمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٩﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَخُلِدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١﴾﴾
(الفرقان)

٦. عباد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا وجعلنا من عباد الرحمن، ونسأله تبارك وتعالى أن يحفظنا بحفظه، ويصوننا بصيانه، ويجعلنا داخلين في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٤٢ الحجر) والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله، الذي أعلى الله شأنه، ورفع قدره وتولاه ووالاه، وجعله في الدنيا إماماً للأنبياء والمرسلين، وفي الآخرة شافعاً للخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين ... فتح الله ﷻ لنا في هذه الآيات كنوز العنايات، فإن الله ﷻ كتب لنا مقاماتنا عنده، ودرجاتنا عنده، بهذه الأحرف النورانية في هذه الآيات القرآنية! وإن شاء الله كلنا بلا استثناء لنا فيها نصيب ولذا كلنا من عباد الرحمن المذكورين في آخر سورة الفرقان إن شاء الله.

فعباد الرحمن ليسوا صنفاً واحداً، ولكنهم أصنافاً ذكرهم الله بأوصافهم في هذه الآيات المباركات.

أهل القرب

ذكر في البداية الصنف الأعلى في المقام عنده، والذين بلغوا الدرجات العظمى في القرب من حضرة الله، أهل محبته، وأهل مودته، وأهل القرب من حضرته، وهؤلاء بدأ بهم وبين أوصافهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ وهوناً يعني برفق وتواضع ولين، لم يعد في نفوسهم داء الكبر اللعين الذي يسببه طُرد إبليس من الجنة، ولم يعد في نفوسهم تعالي على عباد الله، ولا افتخار على أحد من خلق الله، لأنهم يعلمون أن الأمر عند الله بحسب التقوى، والتقوى محلها القلوب، والقلوب لا يطلع عليها إلا علام الغيوب: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١٣ الحجرات) من هو التقى؟

نسأل حضرة النبي، قال:

{ التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ² }

فالتقوى في القلب، ومن الذي يطلع على القلوب؟ ليس إلا حضرة علام الغيوب، ولذلك ترى هؤلاء القوم لا يرون لأنفسهم فضلاً على أحد، ولا يرون في أنفسهم أنهم زادوا في أمر من أمور الطاعات أو العبادات على أحد، وإنما يروا الفضل كله للواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ.

فلو أن الأمر أمر العبادات، فمن منا قد ضمن القبول عند رفيع الدرجات؟! فنحن نعبد الله، لكن ليس الشأن شأن العبادة، ولكن الشأن شأن القبول، والقبول لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

والذي لا يهتم بالقبول نعتبه في دنيا العلماء جهول، ولو حصل علوم الفحول، لأنه كيف لا يبحث عن القبول من الله ﷻ؟! .

والعبادة لله، وشرطها الدقيق الذي وضعه الله للقبول شرطٌ صعبٌ: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ (٥ البينة) والإخلاص شيء صعب جداً، يحتاج من الإنسان أن يكون ماشياً على الصراط المستقيم ليكون عمله خالصاً لله، ليس فيه شائبة من الخط، ولا شيء من الهوى، ولا رغبة في الظهور، ولا رغبة في الشهرة، وإنما يعمل العمل لا يريد به إلا وجه الله.

كالأحباب الذين مدحهم الله في كتاب الله في سورة الكهف وأوصى حضرة النبي ﷺ أن يُصَبِّرَ نفسه معهم، لماذا؟ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَفْئِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف) لا يريدون إلا وجه الله تبارك وتعالى.

فإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة يمشي بين الناس باللين والمودة والمحبة واللطف والتلطف، فلا يكون في تعامله مع الخلق قسوة ولا غلظة ولا خشونة ولا شيء من هذا القبيل، وهؤلاء الفصيل الأول في القرب من الله ﷻ، لأنهم على منهج الحبيب ﷺ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا

مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٥٩ آلف عمران).

الجهاد في مكارم الاخلاق

عباد الرحمن المحبوبين لله ما عبادتكم؟ التخلق بأخلاق الله، والإنطباع على أخلاق حبيب الله ومصطفاه، وهذا الجهاد الأعظم الذي يجاهدون فيه أنفسهم في هذه الحياة، يقول فيهم ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ }^٣

يبلغ بحسن الخلق مع الخلق في اتباعه لأخلاق سيد الخلق أن يكون عند الله كالصائم طوال الدهر ولا يفطر أبداً، وكالقائم طوال الليالي لا ينام أبداً في الأجر والثواب.

والناس يظنون أن الأجر والثواب على القيام والركوع والسجود فقط، لكن الله عندما مدح الحبيب ﷺ بماذا مدحه وأثنى عليه؟ ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤ القلم) مدحه بالأخلاق الكريمة.

وهل يحتاج الله لعبادتنا؟! لا، السماء مكتظة ومملوءة بملائكة لا يفترون عن طاعة الله وعبادته لحظة ولا أقل، لكنه يريد في الدنيا خلفاء عن حضرته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣٠ البقرة) يمشون في الأرض وينشرون أخلاق الله من الرحمة والحنان واللطف والعطف والشفقة والمودة.. هذه الأخلاق الإلهية هي التي خلق الله بها الأنبياء والمرسلين، وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك قال فيهم مرة ثانية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ لا يردوا على الجاهل الإساءة بالإساءة حتى لا يكونوا مثله، ولكنهم يتعالون عن ذلك، يقولون سلاماً، يعني يا رب سلّمنا من هذا ومن شره، لأننا لا يصح أن نتنزل ونُنزل من قدرنا ونعامله بمثل ما يعاملنا به.

فالإنسان إذا ردَّ على الجاهل يكون مثله، وسيعرض لأكثر مما تعرض له، لكن هؤلاء علّمهم المعلم الأعظم ﷺ أنهم يترفعون عن الجاهلين، وعن الحانقين، وعن الحاسدين، وعن المبغضين، وعن كل من يحاول أن يستهزئ بعباد الله الصالحين المخلصين، لأن الله أعلى

٣ معجم الطبراني والحاكم عن أبي هريرة

شأنهم فلا يلتفتون إلى أمثال هؤلاء.

وهذه تحتاج لجهد شديد، فمن السهل أن يقوم الإنسان الليل في طاعة الله، وسهل أن يصوم الأيام المتوالية المتعددة رغبة في رضا الله، لكن لو أن أحداً من الجاهلين قابله في الطريق وتعدى عليه بالكلام وخاصةً أمام الأنام، فهل يصعب عليه أن يسكت أم يسهل عليه هذا الأمر؟! هذا الذي يحتاج للجهد، وهو جهاد النفس، أنه كيف يجاهد نفسه لكي لا يرد على هذا؟!

سيدنا خالد بن الوليد ؓ وأرضاه كان رجلاً شجاعاً، ولم يكن رجلاً عادياً، شتمه أحدهم، فماذا كان ردّه؟ قال: اكتب ما تريد أن تملأ به صحيفةك!!.

ما تقوله سيثبت في صحيفةك التي يحاسبك عليها ملك الملوك ؓ، وهو خائف على صحيفته ويريد أن تكون بيضاء نقية حتى ينال رضا رب البرية ؓ.

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ومن خلفهم من كمل الصالحين وأئمة المتقين، لا يخرج من ألسنتهم كلمة عيب، ولا كلمة تؤذي أحداً حاضراً أو بالغيث، لأنهم لا ينطقون إلا بما يرضي الله جل في علاه.

ويربأ الإنسان منهم بنفسه أن تخرج منه كلمة يبغيضها الله، ويشمئذ عند مراجعة الصحيفة منها سيدنا رسول الله، أفلا تعرض أعمالنا عليه ؓ كل ليلة؟! كل ليلة نحن ننام والملائكة تأخذ أعمالنا وصحفنا وتعرضها على الحبيب المصطفى، ويراجعها، وقال لنا:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنَحْدُثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَفْغَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }؛

فالجهد الأعظم في التخلق بالأخلاق الإلهية، والانطباع في أخلاق سيد البرية ؓ، إن كان في بيته مع زوجته، أو مع أولاده، أو مع جيرانه، أو مع أحبائه من المؤمنين، أو حتى مع أعدائه، فالمثل الواردة عن سيد الأولين والآخرين نعلمها جيداً.

وكان وصفه الذي ورد في كتب الأولين ورواه سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي نَضْرَةَ الرَّسْمُ فَرْزِي مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

رضي الله عنهما وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، فسئل: بم وُصف ﷺ في التوراة والإنجيل؟ فقال رضي الله عنهما: سيدنا رسول الله كان من أوصافه التي نزلت في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزًّا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ يَفْظُ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ }^٥

لا يقابل السيئة بالسيئة أبداً، ولكن يغفو ويصفح، وهناك روايات في هذا الباب لا تُعد، نذكر منها رواية واحدة ...

فالنبي ﷺ ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي قرماً لأجل معين، يقول هذا الرجل: { فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الْأَجَلِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَأَنَّكَ الْمُسْتَدِيرُ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلَا مَا أَحَادَرْتُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُتْقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَثُودَةٍ، ثُمَّ قَالَ: { إِنَّا كُنَّا أَخَوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، إِذْ هَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ } قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا

^٥ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عِلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَيْنِ لَمْ أُحْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ جِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدْ أُحْبِرْتُهُمَا، فَأَشْهَدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا { ٦ .

لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلمًا، فكلما زاد الجاهل في جهله كلما زاد الحبيب في الحلم، ومشى على هذه الأوصاف الكريمة والنعوت العظيمة أصحاب هذا المقام العليّ.

سيدنا الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ﷺ هم أجمعين، أراد جماعة أن يستفروه ليختبروه، لأنهم كانوا يعلمون أن صاحب هذا المقام لا يستطيع أحد أن يستفزه أو يغضبه لنفسه، ومتى يغضب؟ كما قالت السيدة عائشة في حضرة النبي ﷺ:

{ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ }
فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ { ٧

كان لا يغضب لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة الله ﷻ، والله كان يدافع عنه.

فسلّطت هذه الجماعة رجلاً علي سيدنا علي زين العابدين، وأثناء عودته لبيته أخذ يشتمه، وسيدنا علي زين العابدين ساكت ولا يلتفت ولا يرد، إلى أن اقترب من بيته فوقف وقال له: يا هذا إن كان عندك شيء فهاته، حتى لا يسمعك أحد من أولادي فيؤذيك، فتعجّب الرجل، وكذلك الذين أرسلوه، لأنهم كانوا يسيرون خلفه ليروا ماذا يحدث، فقالوا له: ما هذه الأخلاق؟ فقال ﷺ:

يَخَاطِبُنِي السُّفِيهَ بِكُلِّ قُبْحٍ فَأُكْرِهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مَجِيبًا
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا كَعُودِ زَادِهِ الْإِحْرَاقَ طَيِّبًا

كعود البخور كلما زادت النار، زادت الرائحة الطيبة، ولو فتشنا في دوواين الصالحين

٦ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

٧ الصحيحين البخاري ومسلم

وسيرهم وحياتهم نجدها على هذه الشاكلة، فمن أراد أن يكون من الصف الأول في القرب من رب العالمين، فهذه هي البضاعة التي عرضها علينا الله ﷻ: ﴿يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

أهل طاعة الله وعبادته

ومن لم يلحق بهذا الصنف وهم أهل محبة الله ومودته، فليذهب إلى صنف أهل طاعة الله وعبادته، وهذا صنف آخر من عباد الرحمن الذين يحرصون على طاعة الله في كل وقت وآن، وأعظم الطاعات التي تُقَرَّبُ إلى الله التي كَلَّفَ بها حبيبه ومصطفاه.

فإن الله ﷻ عندما أراد أن يرفع الحبيب ويجعل له يوم القيامة المقام المهيب، ماذا قال له؟ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء) لا بد أن يكون لك قيام في الليل إذا كنت تريد المقام المحمود، وفي هذه المرة سنَّ عليه قيام الليل، لكنه بعد ذلك فرضه عليه، فنحن الفرائض التي علينا خمسة، لكن سيدنا رسول الله فرائض الصلاة التي عليه ستة، لأن الله قال له: ﴿يَتَأْتِيَ الْمُزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ (الزمل) فأصبح قيام الليل فرضاً على رسول الله ﷺ.

ومن يُرد أن يكون معه، أو يكون في درجة عظيمة مقاربة لدرجة رسول الله، فالله ﷻ أعطاه نصيباً في الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (الزمل) ليس كلهم، ولكن بعضهم يكون معك، فمن يُرد أن يكون مع رسول الله فلا بد أن يكون له قيام في الليل ولو ركعتين، قال ﷺ تخفيفاً عن أمته:

{ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الدَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالدَّاكِرَاتِ }^٨

ركعتين اثنتين فقط، هل ذلك صعب؟! لا، ولكن نحتاج فقط إلى جُرعة توفيق من الموفق ﷻ، فالكثير يستيقظ قبل الفجر بساعة أو أكثر لأن الليل طويل، ويتقلب يميناً وشمالاً، ويبخل على نفسه بركعتين حتى لا يوضع في ديوان: ﴿وَالدَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا

الْكُفَّةُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ آيَاتِ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ نُوزَيْرٌ وَالَّذِي كَرِهَتْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ (الأحزاب).

فلا بد أن يكون للمؤمن نصيب من قيام الليل، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ لا بد أن يكون لهم قيام من الليل، وهؤلاء العباد الذين يريدون اللحاق بسيد العباد، ويكونون معه في الدرجة والمقام إن شاء الله، قال ﷺ:

{ بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالثَّوْرِ الثَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^٩، وقال ﷺ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا النَّاسَ نِيَامًا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ }^{١٠}

فسيكونون من المشاهير الذين يباهي بهم الحبيب، والذين سيرفع الله شأنهم ويُعلي قدرهم بين الأنام.

السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها كانت تصلي كل ليلة ألف ركعة، فسُئلت: لماذا تصلي ألف ركعة؟ هل تريد الجنة؟ قالت: لا أعبده خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، قالوا: فلماذا تصلي ألف ركعة كل ليلة؟ قالت: حتى يتباهى بي رسول الله ﷺ يوم القيامة ويقول للأنبياء والمرسلين: إن في أمي امرأة فعلت ما لم يفعله رجالكم.

انظر إلى نيتها، تريد أن يتباهى بها رسول الله ﷺ هناك ويقول للأنبياء كلهم أنا عندي امرأة أفضل من رجالكم في طاعة الله وعبادة الله جل في علاه.

وقت الفتوحات الذي يترقبه الصالحون، والذي فيه تنزلات وأنوار وأسرار وإلهامات ومكاشفات رب العالمين، يكون في وقت السحر، والذي يكون قبيل الفجر بساعة.

صحيح أن قيام الليل يبدأ بعد صلاة العشاء، يعني من لم يستطع أن يقوم في آخر الليل فلا مانع أن يصلي بعد صلاة العشاء أربع ركعات أو ركعتين، حتى يكون له نصيب في قيام الليل، لكن وقت التجلي يكون في وقت الأسحار الذي يقول فيه حضرة النبي:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ

٩ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن بريدة بن الحصيب ﷺ

١٠ سنن الدارمي عن عبد الله بن سلام ﷺ

سائل فأعطيه؟ هل من مُستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأثوب عليه؟ هل من دافع فأجيبه؟ حتى يطلع الفجر { ١١ }

الغني هو الذي ينادي على الفقراء، في أوقات التجليات التي بينها الله سبحانه وتعالى لنا، ومن يُريد أن يكون من هؤلاء الأقوام فلا بد أن يكون له نصيب من قيام الليل في جُرح الليل والناس نيام، ليلحق بالحبیب المصطفى ﷺ في هذا المقام.

الخائفون من جلال الله

فإذا لم يدرك المؤمن أن يكون مع العباد، عليه أن يدخل في الصنف الثالث من عباد الرحمن، وهم الخائفون من جلال الله، والخائفون من قهر الله، والخائفون من عذاب الله، لأنهم موقنون بأن الله جل في علاه فعّال لما يريد، فدائماً يدعو وينادوه ويقولون: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ يقولون: يا رب أجرنا من النار، والحبیب ﷺ يسر لنا هذا الأمر وأعطانا دعاءً سهلاً وبسيطاً فقال:

{ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ، كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تِلْكَ، كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَكَ جَوَارًا مِنَ النَّارِ { ١٢ }

ولذلك سيدنا رسول الله أمرنا أن نحرص على هذا الدعاء في الصباح وفي المساء، وهو دعاء سهل جداً، فيقول: (اللهم أجرنا من النار) سبع مرات، لأن جهنم لها سبعة أبواب ولكل بابٍ منهم جزءٌ مقسوم، فسبع مرات حتى لا يدخل من أي باب من هذه الأبواب، فتُسَدُّ كلها أمام الإنسان.

وفي حديث آخر قال ﷺ:

١١ مسند أحمد عن أبي هريرة
١٢ مسند أحمد والطبراني عن مسلم بن الحارث

{ إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ لِحَبْنَمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَ بِي مِنْ حَرِّكَ فَاشْهَدِي أَنِّي أَجَرْتُهُ، وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ شَدِيدُ الْبَرْدِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشَدَّ بَرْدَ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهِرِ جَهَنَّمَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ لِحَبْنَمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدْ اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهِرِكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ } ١٢

فعندما يسأل الله العبد الإجارة من النار، فإن الله سبحانه وتعالى -وهو مقلب القلوب، ويده ألواح الغيوب - يوفق العبد للبعد عن المعاصي، ويحفظه من الفتن والمخالفات، ويقيمها في العبادات والطاعات لينال هذه الدرجة التي يرجوها عند رب البريات ﷻ.

وكلنا هل يستطيع أحدٌ منا أن يحفظ نفسه من المعاصي بنفسه؟ أبداً إلا إذا تفضل عليه المتفضل ﷻ، ولا أحدٌ منا يستطيع أن يعبد الله إلا بمعونة الله، فلو تخلَّت عنا معونة الله طرفة عين، فمن منا يستطيع أن يعبد الله ﷻ!!؟.

هل يستطيع أحدٌ أن يُحرك اللسان بذكر الرحمن إلا إذا أراد الله ﷻ له ذلك؟! لا، وإلا سينسى الذكر، ويصبح الذكر ثقيل عليه، ويدخل في الذين يقول فيهم الله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢ النساء).

فهؤلاء القوم يسألون الله الإقالة من النار وعذاب النار، وعذاب النار كما قالوا في الآية: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يعني: لزماً، أي لا بد منه لمن يرتكب المعاصي ويخالف الله ﷻ.

ثم يستطردون فيقولون: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ لا تصلح أن أن يُقيم فيها المؤمن، إلا أن الله ﷻ قد يُنزلنا فيها قليلاً لنتجول فيها، والله وعدنا بذلك، فبعد أن ندخل الجنة يريد الله أن يُشهدنا النعيم الذي أكرمنا به، فيأخذنا إلى النار، ويأمر النار أن لا تصنع شيئاً في المؤمن يؤذيه، فعندما يسير المؤمن كما قال النبي ﷺ:

{ تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لَهْبِي }^{١٤}

تقول النار للمؤمن: أسرع يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وهذا ما نريده، أن لا ندخل إلا بهذه الهيئة.

لكن - والحمد لله - نحن دائماً وأبداً ندعوا الله أن يجنبنا العثرات، وأن يحفظنا من المعاصي والمنكرات، وأن يدخلنا الجنة، وأن يُجبرنا من النار أجمعين ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الإنفاق والمنفقون

ومن كان خائفاً فلا بد أن يكون له عملاً آخر يلزمه لكي يكفر الله عنه الذنوب والأوزار، وهو:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

وهذه الآفة الخطيرة التي وقع فيها الناس في زماننا هذا:

- على أنفسهم يسرفوا في الإنفاق ..
- وعند الخير تجدد التقطير والبخل والشح !!
- تقول له: هات يا فلان، يقول لك: ليس معي شيئاً، ويقول لك: ما يحتاجه البيت يُحرم على الجامع !!، من أين أتيت بهذه الكلمة الشيطانية؟! أنت الذي تحتاج، والجامع غير محتاج!!.

ما الذي يكفر المعاصي والخطيئات؟

الإنفاق في سبيل الله، والتصدق على المحتاجين والفقراء من عباد الله جل في علاه، وأي إنسان يحتاج دوماً إلى تكفير الذنوب، لأنه لا يخلو إنسان من الذنوب ومن العيوب، وأحسن باب لذلك هو الإنفاق فيما يحبه حضرة علام الغيوب ﷺ.

والإسراف هنا يعني الإنفاق في الشر، فلو أنفق الإنسان قرشاً واحداً في الشر فقد

أسرف، ولو أنفق ماله كله في الخير لا يكون مسرفاً ولا مبذراً، فقد ورد في الأثر:

(لا خير في السرف ولا سرف في الخير)

دعا النبي الصحابة للتبرع فجاء سيدنا أبو بكر بكل ما يملك فقال ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ هَذَا مَالٌ كَثِيرٌ، فَمَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ } ١٥

لم يقل له اترك لهم النصف أو الربع، ولم يقل له هذا غير صحيح، لأن الله أخذ علينا العهد أجمعين في كتابه المبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (١١١ التوبة).

وكان ﷺ يبدأ بذاته، فقد ذبح ذبيحة، وأمر السيدة عائشة رضي الله عنها أن توزعها وخرج، وبعد أن عاد قال لها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتَفَهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتَفِهَا } ١٦

الذي ذهب إلى خلق الله وعباد الله فهذا باقي عند الله، وما ادخرته لتأكله فليس له نصيب في البقاء.

فالإسراف هو إنفاق الأموال فيما لا يحب الله ﷻ ولا يرضاه، فمن يُنْفِقُ الأموال في المخدرات فهو يشتري جهنم - والعياذ بالله - بأمواله، ومن يُنْفِقُ الأموال في شراء الخمر فهو يشتري جهنم والعياذ بالله، ومن يُنْفِقُ الأموال في الألعاب التي فيها شيء من القمار فهذا يشتري جهنم ... فهذا لو صرف قرش واحد فقد أسرف، لأنه وضعه في غير محله.

لكن من يُنْفِقُ ماله كله ويذهب ليخرج بيت الله فيا هناء لأنه أَدَّى فريضة الله، وأنفق المال فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه.

وهكذا جماعة المؤمنين الإنفاق هو الفريضة الغائبة التي يبحث عنها المؤمنون في كل وقت وحين، لأنه الباب الأعظم نحو الذنوب، وستر العيوب، وجلب محبة ورحمة حضرة علام الغيوب ﷻ.

١٥ فضائل الصحابة لابن حنبل، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

١٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عائشة ﷺ

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي النوبة النصوح

أما المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء أيضاً فتح الله ﷻ لهم الباب إذا تاب الرجل منهم وأتاب، وجعلهم من عباد الرحمن:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾

لا يقعون في هذه الكبائر، وحفظوا أنفسهم من هذه الكبائر، وظلوا على طاعة الله مديمين، وعلى سنة الحبيب ﷺ سائرين، هؤلاء ضمن الله ﷻ لهم أن يكون لهم نصيب في أن يكونوا من عباد الله ﷻ.

ومن يقع في هذه الأمور: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ليس إثمًا واحداً ولكن آثاماً كثيرة في الدنيا والآخرة.

ففي الآخرة: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سينال أضعافاً مضاعفة، لأن عذاب من يعلم ليس كعذاب من لا يعلم، فالرجل العالم إذا وقع في الذنب غير الجاهل، فالعالم عقابه مضاعف لأنه عارف.

حتى نساء النبي لم يسلمن من هذا الأمر لأنهن عارفات، قال لمن الله: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (الأحزاب) من تقع منك في ذنب يضاعف لها العذاب ضعفين، لماذا؟ لأنها عارفة، فمن عرف يكون عذابه أشد، ولهذا لا بد أن ينتبه.

والمصيبة الأشد أنه إذا لم يتب قبل موته ربما يخلد في هذا العذاب، نسأل الله الإقالة من ذلك أجمعين: ﴿وَيُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا﴾.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهذا الباب العظيم الذي فتحه حضرة التواب ﷻ، عن ابن عباس رضي الله عنهما:

{ أَنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا، وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا، وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا

كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ"، وَنَزَلَ: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" {١٧}

أنزل الله ﷻ هذه الآية لهؤلاء وأمثالهم؛ أن باب التوبة مفتوح على الدوام، ولكن العاقل الذي يُعَجِّلُ التوبة ولا يؤخرها ويقول: غداً، أو بعد غدا، أو في أول رمضان، لأنه لا يعلم متى يُلبي نداء الله، فالمؤمن حريص على تعجيل التوبة ولا يُسَوِّفُها أبداً حتى يكون جاهزاً للقاء الله ﷻ.

إذا تاب وأناب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً، وهذه هي التوبة النصوح، والتوبة النصوح شرطها أنه يتوب أي يرجع عن العمل يعملُه والذي يُغضب الله، ويعمل مكان الذنب عملاً صالحاً لله سبحانه وتعالى لإثبات حسن توبته، وحسن نيته، فإذا فعل ذلك فإنه يتوب إلى الله متاباً.

هؤلاء القوم وهم عباد الرحمن جاء بهم الله سبحانه وتعالى ليفتح الباب لأمة حبيبه ﷺ على الدوام:

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ إذا واصل

المؤمن التوبة وداوم على العمل الصالح ولم يرجع إلى الذنوب، فإن الله يجعل مكان كل ذنب حسنة، فضلاً من الله، وإكراماً من الله للعبد الذي تاب إلى الله جل في علاه.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده التائبين، الواقفين على بابه دائماً وأبداً آمليين في فضله، طامعين في محض رحمته، وأن ينزل لنا الخيرات، ويقيمنا دوماً في الطاعات، وأن يجعلنا من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٩﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٤٢﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَتَحُلَّدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٤٣﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٤﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مَتَابًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِعَايَةِ رَبِّهِمْ لَمْ يَسْخَرُوا عَلَيْهَا صُغًا وَعُغْمِيَانًا ﴿٧٨﴾
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا
﴿٧٩﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلَمًا ﴿٨٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٨١﴾ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا
﴿٨٢﴾ (الفرقان)

٧. أنواع عباد الرحمن وصفاتهم

سنتناول هذه الآيات الكريمة من آيات الله جل في علاه، بطريقة أخرى غير التي تناولناها بها في الدرس السابق، فقد فصلنا أنواع عباد الرحمن الذين ذكرهم الله في هذه الآيات، وذكر أوصافهم ونعوتهم والأعمال المحببة التي ينبغي عليهم أن يقوموا بها لينالوا رضا ربهم.

وقلنا أنهم أربعة أصناف: أهل محبة الله، وأهل الطاعة والعبادة لله، وأهل الرهبة والرغبة في جلال الله وإكرام الله، وأهل الإيمان العام الذين قد يتعرضون لسقطات النفس وهفواتها ففتح لهم باب التوبة الله جل في علاه.

ولا يوجد أحد من المسلمين خارج هذه الأصناف الأربعة .. فكلنا داخلون في عباد الرحمن من يُريد أن يكون من عباد الرحمن بصدق ويقين، ويكون له الهناء العالي الذي ذكره الله في آخر هذه الآيات وخص به المقربين، فإن الله جعل له طريقاً للسير إلى الوصول إلى ذلك، والطريق إجماله التخلي والتحلي، لا بد أن يتخلى عما لا يحبه مولاه، ويتجمل ويتحلّى بما يحبه حضرة الله.

إشارات رحمانية

ومن عجب أن الآيات بدأت عكس ما نتوقع، فدائماً نطالب السالك أن يتخلى لكي يتحلّى، ولكن رب العباد بدأ بأوصاف التحلي، لماذا؟ لأن العبد إذا أقبل على مولاه بشغف لا تخطر على قلبه الذنوب، ولا يُفكر في الوقوع في العيوب، فشدة شوقه لمولاه يُعطي على النفس الأمانة بالسوء، ويجعله يسارع إلى التجمل الذي يحبه مولاه جل في علاه ... فبدأ الله ﷻ بآيات التحلي: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هينة نفوسهم، لينّة قلوبهم.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ العفو والسماح، وأهل السماح ملاح، فلا يطمع أحد أن يكون من عباد الرحمن ومن أهل خصوصية الصالحين، ويحمل في

الكُنُفُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِي أَيْتُهَا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

قلبه أضغاناً لغيره، لأنه مشغول عن هذا الأمر، فمن يملأ القلب بالأضغان فليس له شأن بالوصول إلى مقام عباد الرحمن.

فالقلب جعله خالصاً لمولاه، وأخذ العهد على نفسه أن لا يدخل فيه شيء سواه جل في علاه، فهذا العهد الذي بيننا وبين الله.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ثم يقوم العبد بالعبادات لتهديب النفس وتصفيتها، وترقية القلب والفؤاد، وهؤلاء يقول فيهم الصالحون: (من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة) إذا كانت البداية شديدة، والعزيمة قوية، فلن يفكر العبد في المعاصي، أو يلتفت لهذه الأمور، لأنه يريد بلوغ المراد سريعاً.

وإذا صنع الطاعات، فإنه يتلذذ بالخدمة، ويتذوق حلاوة الطاعة، قال ﷺ:

{ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولًا }^٢

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾

إنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ جهنم بالنسبة لهم هي القطيعة بينهم وبين حضرة الله، أو البعد عن الطريق الذي يوصل إلى رضاه، أو الصدود عن ذكر الله، وعن تلاوة كتاب الله، يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغي الجنان لطبيها
فالقرب منه جنتي ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

فهذه جنة الصالحين والعارفين، وهذه نار الصالحين والعارفين، والعذاب في الحب هو الغرام في المحبوب ﷺ:

نار الغرام كم أذابت مهجتي وأخوا المحبة لا يميل لغيرها
قسماً بمن أنا فيه ميت مغرم لو فتحت أبوابها لفقلت لها

قليل لأحد العارفين: لو أطفئت نار جهنم كيف يوقدها الله ﷻ؟ فقال: يُسلط عليها شرارة من نار محبة أحبابه فتؤججها ... نار المحبة سعيرها يعني الهوى، لا يوجد شيء يعني

٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن العباس بن عبد المطلب

الأهواء الموجودة بالداخل، وتُدَمِّر الأغيار، وتجعل القلب مؤهلاً للأنوار والأسرار، إلا نار الحبة للحبيب المختار وللعزيز الغفار ﷺ.

قيمة الأنفاس

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ والذين

إذا أنفقوا أوقاتهم وأعمارهم وأنفاسهم، فهذا أعظم الإنفاق، فلا يضيعوا الأنفاس فيما يباعد بينهم وبين رب الناس.

أعلى شيء تملكه في الدنيا ليس المال، ولكن الأنفاس التي تنفسها، لأن المال يذهب ويجيء، ولكن النفس الذي يمر لا يرجع مرة ثانية، فلا يوجد شيء أعلى من هذه الأنفاس، وأنفاسك هي نفائسك، ولذلك السالك في طريق الله لا يضيع نفساً إلا في رضا مولاه جل في علاه، لأنك لن تستطيع أن تأتي به مرة أخرى.

المال الذي يضيع اليوم قد تأتي بغيره غداً، لكن الأنفاس التي تمر لن تأتي بها مرة أخرى، ولذلك قال لنا الله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء ٢٦) لا تبذر في عمرك وأنفاسك، وماذا في العمر؟ جلسة هنا، وجلسة هناك، ويوم هنا، ويوم هناك، فما يبقى من العمر؟!.

فأنفاسك نفائسك، وهذه التي تحرص عليها، وإسرافها يعني إنفاقها في الغفلة، وإنفاقها في جلسات البعد عن الله، وإنفاقها في اللهو واللعب، وإنفاقها فيما لا يرضي الله جل في علاه.. كل هذا إضاعة للأنفاس، ولا يستطيع أحد أن يعوضها، لكن الصالحين كما قال الإمام أبو العزائم رحمه الله:

في كل نفس لهم نور يواجههم	من حضرة الحق ترويحاً وتيقيناً
والعارف الفرد محبوب لخالقه	فات المقامات تحقيقاً وتمكيناً
يمشي على الأرض في ذلٍّ ومسكنة	هام الملائك شوقاً فيه وحنيناً
معناه غيبٌ ومبناه مشاهدة	والفرد معنى وليس الفرد تكويناً

يمشي في ذل لله، لكنه عزيز على خلق الله، هذا الفرد من الذي يعرفه؟

لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهة صفا فصوصي فأحيا النهج والدين

الكُفَّاءُ أَفْزَلُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُزَيْرٌ

هذه هي الجمالات التي يتحلّى بها أهل القرب، وهؤلاء ينبغي أن لا يخطر على بالهم بالكلية الرذائل والمعاصي التي ينبغي أن يتخلّى عنها سواهم، فأهل الإيمان ينبغي عليهم أن يتخلّوا عن هذه البضاعة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا بد وأن يصل إلى حقيقة التوحيد والتفريد للحميد المجيد ﷻ:

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ليس لهم شأنٌ بطريق القتل، والقتل الذي هو بالحق، والذي قال فيه ﷻ:

{ لَا يَجِلُّ قَتْلُ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: زَانٍ مُخْصَنٍ، فُيْرَجَمُ، وَرَجُلٌ يَقْتُلُ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا، فَيُقْتَلُ، وَرَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُحَارِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَيُقْتَلُ، أَوْ يُصَلَّبُ، أَوْ يُنْفَى مِنَ الْأَرْضِ }^٣

هؤلاء هم الذين يُقتلون، وليس نحن من يقتلهم، ولكن يقتلهم الحاكم بعد حكم القضاء، لكن ليس متاحاً لنا أن ننفذ الأحكام إلا على أنفسنا.

وما المتاح لنا في القتل؟ قتل النفس الإليسية، والنفس الأمارة، والنفس الحيوانية، والنفس الشيطانية التي بداخلنا: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٥٤ البقرة) يعني امنعوا عنها سرَّ حياتها، فحياة النفس بالمعاصي والغفلات والبعد عن الله ﷻ:

كم حسنت لذة للمرء قاتلةً من حيث لا يدري أن السُّم في الدسم

وكيف أقتل النفس؟ أمتنع عنها الشهوات، وأمتنع عنها الملذات والمستحسنات التي فيها حياتها، والنفس هي شيء معنوي، وحياة النفس كما قيل:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين

فماذا أعطيها؟ ما أباحه الشرع:

إلا الضرورة فالإباحة إن دعت فيها الضرورة فأطلبنها من معين

٣ سنن النسائي والدارقطني عن عائشة ؓ

الكنك: فن الجوع نفسياً: أي: الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

إلا الإباحة فاطلبنها من معين، والمعين يعني الحلال، ما تريده أعطيه لها وأقلل، فإذا جاعت، لا أعطيهما حتى تشبع، لأنها إذا شبعت تمردت، وستطلب المعاصي على الفور، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في الأثر الوارد عنها: (أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، إن الناس لما شبعوا بطونهم، جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا).

فالنفس تطلب الدنيا والشهوات والأهواء، لكنها تحتاج إلى المنهج النبوي:

{ نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ }

جهاد شاق، لكن من يريد الدكتوراه في معرفة الله يستسهل المشاق، لكن من يريد أن يسمن جسمه، فهو بذلك يكثر الوليمة للدود في القبر، لكنك إذا أردت الدكتوراه في معرفة الله يجب أن تمشي على منهج حبيب الله ومصطفاه، لا تأكل حتى تجوع وإذا أكلت لا تشبع.

فإذا فعلت ذلك تستريح جسدياً ولن يأتيك المرض، وتستريح قلبياً وروحانياً لأنك ستكون في حياة روحانية دائمة مع الله جل في علاه، ومع الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ والزنا - نسأل الله ﷻ أجمعين الحفظ منه - هي الجريمة الكبرى العظمى التي جعل الله ﷻ فيها حُرُمات لا تُعد ولا تُحَد، ونحن ليس لنا شأن بالزنا والحمد لله، ولكن نريد أن نسُدَّ بابه، والذي قال لنا فيه سيدنا رسول الله:

{ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَزَنَاهُمَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَزَنَاهُمَا الْمَشْيُ، وَالْفَمُ يَزْنِي، وَزَنَاهُ الْقَبْلُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ }^٤

العينان زناهما النظر، وهي الجريمة التي يقع فيها الكثير، واليدان زناهما اللمس لأن كان في المواصلات المزدحمة وغير ذلك، ليلمس بيده هذه أو تلك فهذه جريمة، وأنتم

٤ زاد المعاد والبداية لابن كثير

٥ مسند أحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

تعرفون أن سيدنا عثمان عندما دخل عليه رجل كان قد نظر إلى امرأة كشف الريح عن ساقها، فعندما دخل عليه قال: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليّ وفي عينيه أثر الرنا؟! فقال له الرجل: أوحى بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكنها فراسة المؤمن، قال رسول الله ﷺ:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }^٦

فمن يريد أن يصل إلى مقام الفراسة فلا بد له أن يحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ويتذكر الموت والبلى، وكان الصالحون يقولون: ((متلفت لا يصل أبداً)) الذي يتلفت هنا وهناك، وينظر في المناظر هنا وهناك، فكيف يصل؟!.

أليس لنا أسوة في الحبيب؟ رأى الجمال الذي ليس بعده جمال، جمال الجنات، وجمال الملكوت، وجمال العرش، وجمال العوالم الرحمانية، والعوالم الإلهامية ... ومع ذلك لم يؤثر فيه شيئاً من هذا الجمال، ولم تطرف عينه، لأنه يريد الجمال الأعظم: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (١٧ النجم) وما النتيجة؟ ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨ النجم) رأى لأنه حرس حواسه الظاهرة والباطنة.

فمن يريد أن يصل إلى مقام الوراثة، وينال هذه الوراثة، أو مقام الكشف والعيان، لا بد أن يحفظ هذه الجوارح والأركان من النظرات التي نهي عنها حضرة الرحمن، أغض حواسي الخارجية لكي يفتح الله لي ما بداخلي.

فكما أن لك حواساً في الوجه، لك حواساً روحانية في القلب، فلك عيان ولكن تنظران في عالم الملكوت الأعلى وفي عالم الباطن الإلهي، ولك آذان ولكن تسمع تسبيح الكائنات، وكلام ملائكة السماوات، ولك لسان ولكن يخاطب هذه الحقائق، لكن طالما أنت مشغول بالحواس الخارجية فإن الحواس الداخلية في مخازنها حتى تصدأ، فماذا أفعل؟

غُضْ عَيْنَ الْحَسَنِ وَاشْهَدْ بِالضَّمِيرِ تشهدن يا صبُّ أنوار القدير
لا يصلح الاثنين معاً، فالقلب باب به الملكوت، والجسم باب به الملك، وأنت تريد أن

٦ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري

الكُنْزُ الْمَكْنُونُ فِي أَسْرَارِ الْمَلَكُوتِ نَفْسِيَّاتُ الْأَيْمَانِ الْمُقَرَّبِينَ السَّيِّدِ الْفَرِيدِ مُحَمَّدٍ نُوَيْرٍ

تشاهد جمالات وأسرار الملكوت، فما الذي يشاهدها؟ ليس عين الحس، ولكن عين القلب، وعين الروح، وعين الفؤاد، وعين السر، وعين الخفا، وعين الأخرى .. عيون ترى بها هذه العوالم المكنونة من ملك الحي القيوم ﷻ:

بعين الروح لا عين العقول شهدت الغيب في حال الوصول

عين الغيب بداخلك، ولكن تحتاج أن تغض عين الحس أولاً: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (النور ٣٠) حتى تفتح أبصار قلوبهم.

وبعد ذلك فتح الله ﷻ باب التوبة للمؤمنين أجمعين، والتوبة تصحب كل مقامات الإنسان في سيره وسلوكه إلى حضرة الرحمن، يتوب من الذنوب، فإذا تاب من الذنوب وأقبل على الأعمال الصالحة، يتوب من رؤية الصالحات والحسنات، لأنه هو الذي عملها ويرى فضل الله عليه في تنفيذها والقيام بها.

ثم يتوب من رؤيته هذه، ولا يشهد لنفسه حولاً ولا طولاً، ويعلم علم اليقين أن الحول والطول من رب العالمين، وأنه وحده ﷻ هو الذي يتولاه بولايته في كل وقت وحين، ولو تخلى عنه طرفة عين أو أقل ما زاد عن التراب أو الطين.

فنحن أصلنا تراباً أو طين، وكل ما زاد عن ذلك فهو جمال رب العالمين ﷻ، وماذا معي؟! إذا أعطاني من فضله، فيكون معي كل شيء، وإذا تركني لنفسى، فماذا يكون معي؟! ليس معي غير المعاصي والغفلة وما شابه ذلك.

إذا مشى الإنسان على ذلك، وتاب الله ﷻ عليه التوبة النصوح: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَرَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ كيف يبدلها بحسنات؟ إما يمسح السيئة ويضع مكانها حسنة، وإما يوفق المرء لعمل صالح ويدخل في قول الله: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ ﴾ (١١٤ هود) وفي كلتا الأحوال فالله ﷻ هو الذي يتولى ذلك.

هؤلاء لا بد أن يحرصوا كل الحرص في حياتهم على التخلي بالكلية عما أشار إليه الله في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ المجالس التي فيها اللغو، والتي فيها اللهو، والتي فيها الغيبة، والتي فيها النميمة، والتي فيها الوقعة ... فهي مجالس زور، فليس له شأن

الكُتُبُ أَنْزِلُ الصُّبُوحَ نَفْسِيَّ أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ

بمجالس الزور أبداً، وهذه المجالس كلها يعاهد نفسه ويقول لها: الله قال لي: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨ الأنعام).

لأني لو لم أترك هذه المجالس فستصيبني العدو من أهلها، ومن الجائز أن أرجع مرة ثانية والعياذ بالله ﷻ، ومن الجائز أن يحدث عندي تردد، وقد يحدث لي كبوة، وقد يحدث لي وقفة، والوقفة حجاب، فالإنسان لا يجلس مجالس الزور، ولا مجالس الفجور بالكلية أبداً مهما كان الأمر، ومهما كان الشأن.

فضلاً عن أنه يُعوِّد نفسه على أن كل كلمة ينطق بها في حق أحد أمانة، وشهادة يُحاسبه الله ﷻ عليها، فيرعوي وينهى نفسه عن قول ما لا يعلم.

فمصيبة المسلمين في هذا الزمان أن الكل يُفتي بغير علم في أي مجال، فتجد كثير من الناس خبير في السياسة، وناقد فني، وخبير اقتصادي، ويعرف الخطط الحربية .. ويُفتي في كل شيء بغير علم!! مع أن سلفنا الصالح لم يكونوا على هذه الشاكلة، والله وجَّهنا وقال لنا: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣ النحل).

هل يوجد أحد أعلم من أصحاب رسول الله ﷺ في دين الله؟ لا يوجد، ومع ذلك كانوا يحترمون التخصص، سيدنا عمر ؓ كان جمع الناس لصلاة التراويح، ومن الذي معه دكتوراه في علم القراءات من رسول الله؟ سيدنا أبي بن كعب، فأمره سيدنا عمر أن يُصلي بالناس، مع أن سيدنا عمر يحفظ القرآن ومعه القراءات، ولكنه يحترم التخصصات، لأن النبي ﷺ قال فيه:

{ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ }^٧

إنه ينطق بالحق، وكم من مرة ينطق وينزل القرآن بما قال!! لكن عندما تأتي فتوى يقول: أين علي بن أبي طالب؟

لأنه هو المفتي الذي عيّنه الرسول ﷺ، احتراماً للتخصصات.

ويرسله سيدنا رسول الله ﷺ إلى المعركة ومعه سيدنا أبو بكر، ومع أنهما وزراؤه إلا أنه

٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

أرسلهما جند، وقائد الجيش عمرو بن العاص، الذي سلمه سيدنا رسول الله ﷺ عصا القيادة!!.

كلهم كانوا سائرين على هذا المنوال، ونحن إلى عصر قريب كنا كذلك سائرين على هذا المنوال، فما الذي استجدَّ في هذا العصر؟ فتنة وقع فيها معظم المسلمين، ولم ينتبهوا لقول الحبيب ﷺ:

﴿وَأَنْ أُبْغِضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ﴾^٨

والثرثارون هم الذين يتكلمون في كل شيء، والمتفهيون أي الذي يجعل أحدهم نفسه فقيه في كل مجال.. فهؤلاء أبغض الناس لرسول الله ﷺ، فلماذا تجعل نفسك مع هؤلاء؟!!

فالمؤمن يجب أن ينتبه لكل كلمة يقولها على أي إنسان ولأي إنسان، فهي شهادة لك أو عليك، يحاسبك عليها الرحمن ﷻ، تتكلم مع أحدهم ويذكر لك فلان، فتقول: فلان هذا صفته كذا وكذا، هذا الأمر ليس سهلاً، فالخضرة الإلهية تُسجل، والأدلة والبراهين معك أنت، لأن جوارحك ستنتطق وتشهد عليك!!.

فالمؤمن العاقل الحكيم هو من يلتزم بالصمت، ولا يتكلم إلا عن ضرورات تشبهاً بالنبي العدنان ﷺ.

فالعبادة التي كان سيدنا رسول الله يعطي أصحابه دورة تدريبية فيها هي عبادة الصمت، وكان يُحضر لهم وسائل إيضاح، فسيدنا أبو بكر كان يأتي بحصوة ويضعها تحت لسانه، حتى إذا تكلم فإن الحصوة تعاكس اللسان فلا يتكلم وبذلك يقلل الكلام، فسأله عن ذلك، فقال: هذا الذي أوردني الموارد، جعل له فرامل صغيرة ليوقفه.

فمن في هذه الأمة الآن يجعل فرامل للسانته؟! للأسف نسمع السب والشتم واللعن وإلى ما لا نهاية في كل الأمور، وهذا ليس منهج المؤمنين ولا منهج المسلمين.

إذا سألك أحد: ما رأيك في فلان؟ فرأيك الذي نطق به شهادة يحاسبك عليها الله

٨ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن جابر ﷺ

ﷺ، فلا بد أن تعرف ذلك جيداً وتُفَكِّرَ وتُقدِّرَ قبل أن ينطق اللسان.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ واللغو هو الكلام الذي لا ينفع ولا يضُرُّ، كأن نتسامر مع بعضنا ونتكلم في أمور عامة لا تنفع أحداً ولا تضر أحداً، ليس فيها غيبة ولا نغيمة ولا شيء من هذا القبيل.

لكن المؤمنون مشغولون عن هذه المواضيع، إما كلام يُفيد وإلا فالسكوت أفيد للعبد الذي يريد القرب من الحميد المجيد ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون) ليس عندهم وقتٌ للغو، ولا للهو، لأنهم مسافرون، ولا أعرف متى أصل، وأريد أن أذهب وأحجز لي بيتاً طيباً، ورصيد ينتظرنى، لأن هناك لا يتصدق أحدٌ على أحد، ولا أحدٌ يُعطي أحد، فلن ينفعني إلا ما عملته وحولته إلى ملك الملوك ﷻ.

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، حتى لا تندم على البضاعة، وتقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (المؤمنون) رب ارجعون حتى أصلح ما فات، أو أتدارك ما فات، لكن لا شيء من ذلك هناك، لذلك المؤمن يبعد بالكلية عن مجالس اللغو.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (المؤمنون) إذا ذُكِّرَ بآيات الله يتذكر ويرجع إلى مولاه، لأن قلبه قريب من الله، ومليء بأنوار الله، ومشغول بذكر الله، فعندما يسمع آيات الله يتوقف ويسترجع، ويرجع سريعاً إلى مولاه ﷻ، ويكون واقفاً عند الآيات ينفذ ما فيها من توصيات وتوجيهات، لينال أعلى الدرجات بجوار المصطفى ﷺ وأحبابه الكرام.

هؤلاء القوم يتمنون الخير لأنفسهم، ولأزواجهم، ولأولادهم، ويريدون أن يكونوا معهم في المسيرة، فالؤمن الذي يمشي وحده ويترك زوجته وأولاده يكون ظالماً لهؤلاء، فنحن نأكل ونشرب وننام معاً، أفلا نسير إلى الله معاً؟! ولكن كيف آخذهم معي؟ باللطف واللين والرفقة والمحبة.

فأول من مشى مع رسول الله إلى الله زوجته السيدة خديجة، وابن عمه الذي كان يريبه وهو سيدنا علي، والعبد الذي كان عنده وهو سيدنا زيد بن حارثة، لماذا؟ لأنه كان يعاملهم باللطف واللين والمحبة، حتى يكونون معه هناك، ويلحقوا بالأخيار والأبرار والأطهار:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ ومتى يكونوا

قرة أعين؟ إذا كانوا سائرين على منهج الله، ويكونون في الآخرة بجوار حبيب الله ومصطفاه.

لكن المسلمين انقلبوا أحوالهم في هذا الزمان، فأهم شيء عنده أن يُوقَّر لهم ما لَدَّ وطاب من الطعام والشراب ليسعدوا ويشكروه ويثنوا عليه، وبعد ذلك لا يبحث عن طاعة الله، ولا رعاية الله، ولا حق الله!!.

وكثير من الآباء والأمهات في زماننا الآن في أيام الدراسة بسبب الدروس والإمتحانات لا يبحثون عن الصلاة والطاعة للأولاد، وأهم شيء يسألونه: هل ذهبت لدرس كذا وكذا؟ وفقط وينتهي الأمر!!

فلا يسأله أحدٌ عن الصلاة، وإذا قال له أبوه مثلاً: صلِّ أولاً ثم اذهب إلى الدرس، فتقول له الأم: اتركه حتى يلحق بالدرس!!.

الصلاة هي التي تجعلهم يفهم ويستوعب الدرس سريعاً، ولا ينساه، لأنها تجعل الإنسان أكثر فهماً وذكاءً، لكن المسلمون تركوا كتاب الله ﷻ.

لذلك يجب أن ننتبه إذا أراد الآباء أن يكون أبناءهم قُرَّةَ أعين لهم، فلا بد أن يكونوا صالحين وملتزمين، ويخشون أن يُغضبوا الله، ويخافون من الوقوع في الحرام، حتى يفوزوا برضوان الله، ويتحرروا الأرزاق الحلال، ويتعدوا عما حرَّمه ذو الجلال والإكرام، كالصحابة الأولين، فكان الرجل يخرج في الصباح ليعمل بيده فتقول له ابنته: (يا أبتاه تحرّى لنا مطعماً حلالاً فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار) فهذه قُرَّةُ الأعين لهم.

﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

فتح الله لنا الباب أنه لا مانع أن يُرشَّح أي واحد منا نفسه أن يكون إماماً للمتقين، ويكون مرشداً للسالكين، ويكون عارفاً للطالبيين، لكي يقتدوا به، ويقتدوا بهُداة، ويكون له نصيباً من إرث سيدنا رسول الله ﷺ.

هؤلاء ما أجرهم؟ وما جزاءهم؟

﴿أُولَئِكَ تُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾

الكتب: انزل المطبوع نفسي: آية الملقين الشتم فوزي محمد فوزي

الغرفة التي قال الله فيها: ﴿ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ (٢٠ الزمر) الغرف العلية في دار الجنة، والتي سيكون ساكنيها لهم مذاق خاص ومتعة فريدة وهي النظر إلى وجه الله ﷻ، وتلقي السلام من السلام، يلقون فيها تحية من الملائكة، وتحية من إخوانهم وأشباههم وأمثالهم، وسلام من السلام ﷻ.

وأجل الله الكلام لأن هذا مقام شهود، والكلام لا يفيد، وإنما بابه: ذق تعرف، نسأل الله أن نكون من أهل هذه الغرف أجمعين.

وحق يطمئنوا طمأنهم الله فقال: ﴿ خَلِّدِينَ فِيهَا ﴾:

لن يخرجوا منها أبداً: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾:

لا يوجد مكان، ولا مكانة، ولا مقام، ولا مُقامة أفضل من ساكني الغرف في الجنان، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿ قُلْ مَا يَعْبَهُ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾

ينبها الله أنه لولا أنكم تدعون الله، وتناجون الله، لَمَا نظر الله إلينا ولا اهتم بنا، ولا أعلى شأننا ... والآية إذا كانت للكافرين لولا دعوة الأنبياء هؤلاء الكافرين، ما جعل الله ﷻ لهم اهتماماً، ولا اهتم بهم طرفة عين ولا أقل، وإنما ليقم عليهم الحجة برسله وأنبيائه.

نسأل الله ﷻ أن يحققنا بجمال هذه الآيات، وأن يكتب لنا هذه العنايات، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اَلَمْۤ اَحْسِبَ النَّاسُۦۤ اَنْ يُتْرَكُوْۤا اَنْ
يَقُولُوْۤا ءَاٰمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ۝۲۱ وَلَقَدْ فَتَنَّا
الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ
صَدَقُوْۤا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِيْنَ ۝۲۲ اَمْ حَسِبَ
الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّئٰتِ اَنْ يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا
يَحْكُمُوْنَ ۝۲۳ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللّٰهِ فَاِنَّ
اَجَلَ اللّٰهِ لَاۤ اَتٰ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيْمُ ۝۲۴ ﴾
(العنكبوت)

٨. ابتلاء الله للمؤمنين (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جعلنا من أحبائه، وأوقفنا دائماً على بابه، وسقانا من القرآن الكريم صافي شرابه، والصلاة والسلام على النور الهادي، والسر الظاهر والبادي، سيدنا محمد وآله الحكماء، وأصحابه العلماء، وكل من اهتدى بهديهم، ومشى على دربهم ما دامت الأرض والسماء، واجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم العرض والجزاء أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

القرآن الكريم يعالج القضايا الحياتية التي تتعرض لها الأمة وأفرادها في كل وقت وحين، ومن عظمة هذا الكلام أنه يصف ما نحن فيه، مع أنه أنزل على الحبيب المصطفى منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، لكنه يتحدث عن المشكلات التي تعترضنا ونتعرض لها كأنه يصف ما يحدث بيننا تماماً بتمام، وهذا دليل على إعجاز كلام الله جل في علاه.

والآيات التي معنا اليوم تتحدث عن قضية تُعتبر قضية العصر بالنسبة للمسلمين أجمعين، فالمسلمون مرّ عليهم في الفترات الماضية سنوات كثيرة تخلفوا فيها عن ركب الحضارة، وكانوا فيها مُقَصِّرِينَ في طلب العلم، وفي طلب المدنية والحداثة، فأصبحت الفجوة التي بيننا وبين الكافرين فجوة كبيرة جداً جداً إلى ما لا نهاية.

وعلى سبيل المثال: أصبح أهل أمريكا من كثرة الخيرات عندهم والتي تُنبتها بالجد والاجتهاد والعمل أرضهم، والمخازن لا تسع هذه المحاصيل الزراعية، والتخزين سيُكلفهم الكثير، ولو عرضوا كل ما أنتجته حقولهم فإن السعر سينخفض، فبالمفهوم الاقتصادي العلمي الحديث ماذا يصنعون؟ بدلاً من أن يخزنوها ويدفعوا تكلفة التخزين من أجر مخازن، وكيمواويات حتى لا تسوّس الحبوب وتحتفظ بحيويتها وأجنتها حية فإذا زُرعت تُنتج، وغير ذلك، فإنهم يلقون بجزء كبير من الحاصلات الزراعية في المحيط للأسماء وهذا في كل عام، فيلقون بالذرة وبالقمح وغيرها من المحاصيل في المحيط، !! وكثير من الدول ليس عندها شيء!!.

الكنز في فضل الصبر نفسي يا أيها الملك الربيع الشيخ فوزي محمد فوزي

وكذلك أهل أوروبا كهولندا والسويد والنرويج والدنمارك وغيرهم عندهم منتجات حيوانية تكفي العالم كله، من اللحم والسمن والألبان، والألبان وصلوا فيها لسر يريحهم، فينزعون المياه التي فيها ويجففوها فتعيش لمدة طويلة، وتستخدم بعد ذلك في هذه الحالة، لكن الزبد أين يذهبوا بالفائض منه، فهي تحتاج إلى مبردات ضخمة، وتحتاج إلى كهرباء، ولو عرضوها سينزل سعرها، فيلقونها في البحر للأسماك!!.

هؤلاء أحسنوا استخدام أدوات الله ﷻ التي سخرها لهم فأحسننت الإنتاج لهم، فالأرض هي الأرض لا تنتج إنتاجاً للمؤمن وإنتاجاً للكافر، ولكن تنتج لمن يعمل ويجتهد ويسابق في العلم الحديث ويطبقه في هذه المجالات، إن كان في الحيوانات، أو وفي الدواجن، وفي كل الأمور.

المسلمون - هداهم الله - وقفوا عند نقطة معينة يرددوها ونسمعها في كل مكان: نحن مسلمون وموحدون ونصلي ونصوم ونحج، فلماذا جعل الله عند هؤلاء القوم وسعة في الأرزاق وتركنا فقراء؟! رأيتم الحجة العوجاء التي نقولها؟! ويريدون بمجرد أن يقولوا نحن مؤمنين، يجعل الله لهم الأرض جنة، فيمد يده في الأرض ليأخذ ما يريد، ويمد يده في الشجر فيأخذ من الثمر ما يريد!!.

وهذا الأمر ليس في الدنيا، ولكن في الدار الآخرة، لأن الجنة ستكون هكذا، فتكون أشجار الجنة بجوارنا وفروع الشجرة نازلة على الإنسان، وكل ما تشتهي نفسه ينزل في حجره بدون أن يطلب أو يتكلم، ومن نفس الشجرة يشتهي التفاح فينزل التفاح في حجره، يشتهي العنب فينزل العنب في حجره، وإذا اشتهى تفاحة أخرى يجمد التفاحة الثانية غير الأولى في الطعم والشكل واللون والرائحة!!، إنها الجنة.

لكننا تعجلنا ونريد الجنة في الدنيا، وبدون تعب ولا عمل ولا عناء ولا شيء، وكأن الواحد منا يريد أن يقول الله ﷻ الغني عنا وعن طاعاتنا أجمعين: ما دمت صليت في المسجد فيجب أن تجعل لي كل ما أطلبه أمامي مباشرة بعد الصلاة.

فهذه القضية كما عالج فيها الله ﷻ أصحاب رسول الله ﷺ يعالجنها بها في نفس الآيات التي أنزلها عليهم، فأصحاب رسول الله ﷺ لَمَّا آمنوا ومشوا مع حضرة النبي صلوات

ربي وتسليماته عليه، كانوا حزينين، فكيف يؤذيهم الكفار؟! وكيف يضربه هذا؟! وكيف يطرده هذا؟! وكيف يشتمه هذا؟! وهو مؤمن، فيظن أنه طالما هو مؤمن فلا يجب أن يتعرض له أحد أبداً، فهو في حماية الله ورعاية الله على الدوام.

المؤمن وتحمل البلاء

فشكوا ذلك إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله إلى متى سنظل هكذا؟ إلى متى نتعرض لهذا الضنك والتعب والشدة والإيذاء؟ فنزلت الآيات: ﴿الْمَرْءُ أَحْسَبُ النَّاسِ أَنْ يَتْرَكَ أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

لماذا؟ الدنيا دار الامتحان، ودار الاختبار، ودار الابتلاء، فأسهل شيء أن ينطق اللسان بكلمة الإيمان، لكن الإيمان دعوة، والدليل على صدق الإيمان أنه يتحمل ما يطلبه منه الإيمان، وما يطلبه به حضرة الرحمن عزوجل.

هناك أناس قالوا: نحن مؤمنون ولكن الله وصفهم في القرآن وصفاً قبيحاً، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ (الحج ١١) ما مصيره؟

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ (الحج ١١) .. هل يوجد منا من يرضى أن يكون في هذا الموقف المخزي؟ حاشا لله ﷻ، نحن نريد أن نكون: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ الأحزاب) ... فلا بد أن نوطد أنفسنا من البداية على أننا ما دمنا آمنا وأسلمنا فلا بد من اختبار، ولا بد من امتحان، والدنيا خلقت من أجل ذلك.

وانظروا إلى أصحاب رسول الله ﷺ الصادقين عندما كانوا يقولون لهم: قد جمع لكم الأعداء الجيوش، وأعدادهم مثلكم عشرات المرات، فماذا أنتم فاعلون؟ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ (١٧٣ آل عمران).

وعندما جمعت فُريش القبائل الكبيرة في الجزيرة العربية وذهبوا وحاصروا المدينة، وأهل المدينة مع حضرة النبي كانوا قليلين في العدد، فعندما نظروا إليهم وشاهدوهم، لم يخافوا ولم يرتعشوا ولم يفروا: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ

الكتاب: فضل الصَّوْبِ نفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُزَيْرِي وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٣٥﴾ (الأحزاب).

زاد الإيمان، وزاد التسليم، لأن حضرة النبي علمهم ذلك، فمن جاءه ليؤمن كان حضرة النبي يخبره على أنه سيتعرض للبلاء ممن حوله، إن كان من العشيرة أو الأهل أو أهل بلده، وسيتعرض لتضييق في المعاش.

فالنبي ﷺ نفسه حاصره الكفار ثلاث سنوات هو وأصحابه في شعب اسمه شعب أبي طالب، فلا يعطوهم طعام ولو حتى بالمال، فلا يبيعوا لهم، ولا يشتروا منهم، حتى وصل الواحد منهم من شدة الجوع عندما ينظر إلى الأرض فيجد قطعة جلد فيتهدأ له أنها خبزاً، فيأخذها ويأكلها من شدة الجوع الذي تعرضوا له!!، ولكنهم لم يزيدوا إلا إيماناً وتسليماً!! فلا بد من الاختبار، وما بنود هذا الاختبار الذي نتعرض له في الدنيا؟

أعطانا الله البنود: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة ١٥٥) أي نختبركم في خمس مواد، هل يوجد أحد يدخل الدنيا ويخرج منها بدون أن يُختبر في هذه الخمس؟ لا، وإلا كيف يأخذ هذه المنزلة؟! وهذه المنزلة من الذي يأخذها؟ ﴿وَمَا يُقْلِقْهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلِقْهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥ فصلت) والحظ العظيم هو أن يكون معه توفيق العزيز الحكيم ﷻ.

وبلدنا مصر لأن الله ﷻ خصَّها وجعلها خزانة للإسلام، فهي الحافظة لشرع الله وكتاب الله، وينتشر منها إلى كل فجاج الأرض، فمن يُريد أن يسمع القرآن من المسلمين في أي مكان، يسمعه من قراء مصر، والذي يُريد أن يعرف دينه بحسب الوسطية التي اختارها لنا رب البرية، يعرفه من رجل من مصر تخرَّج من الأزهر الذي حمل رسالة الإسلام الوسطي، وإن شاء الله سيظل ذلك إلى يوم الدين، فأراد النبي أن يُعرِّفنا هذه الأمور فقال:

{ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ، فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْدًا كَثِيرًا، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَمْ يَأْسُؤْهُ اللَّهُ؟ قَالَ: لَا تُهْمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }^٢

٢ رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه

والجنود هنا ليسوا للقتال فحسب، ولكن جنود في ميدان القتال، وجنود في تبليغ رسالة العلم، وجنود في تلاوة القرآن .. جنود في كل المجالات الإلهية.

ولو قال: فإنهم في جهادٍ إلى يوم القيامة، لكان جهاداً بالسيف والحرب فقط، لكن هم وأزواجهم، فيكون جهاد في المعيشة كالذي نحن فيه الآن، جهاد الطعام والشراب والحياة الإقتصادية التي نحن فيها الآن، وهي تحتاج منا جماعة المؤمنين أن نأخذ بالأساليب العلمية الحديثة، وننفذ قول رب العزة لنا أجمعين: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥ التوبة).

اعمل وكفاك كسلاً وتقاعساً، وكفاك بعداً عن العمل، هل نريد من السماء أن تنزل لنا، والأرض تخرج لنا بدون عمل؟! سيدنا عمر رضي الله عنه وجد شاباً في مسجد رسول الله، فسأله: من أنتم؟ قال: متوكلون، قال: بل أنتم متواكلون، لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (١٠ الجمعة) وعلاهم ضرباً بدرته، وأخرجهم من المسجد ليذهب كل واحد منهم ليحز قُوَّتَه، ثم يعبد الحي الذي لا يموت ﷻ.

أسرار الابتلاء

الأمر لا ينته عند عبادة الله فقط، فالعبادة تكون خالصة لله وتكون شكراً لله ﷻ على عطاياه سبحانه وتعالى.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ لأن الابتلاء هو الذي يُظهر حقيقة الإنسان، فإذا كان مع شخص بعض التبر، والتبر هو الذهب الذي به شوائب، ويريد أن يعرف الذهب من الشوائب فماذا يفعل؟ يُدخله النار، فتظهر سبيكة الذهب وتلمع، وتنفصل الشوائب.

فكذلك لا بد من البلاء ليظهر الصادق من الكاذب في الإيمان، وفي التعامل مع حضرة الرحمن ﷻ، وهي حكمة الله التي لا تتخلف ولا تتغير على مر الأزمان.

الكَنْفُكُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْزِيلِيُّ

كل ما في الأمر أن الذي وعدنا به الله ﷻ إذا عملنا واشتغلنا واجتهدنا وأطعنا الله، أنه يُعطينا دعماً من عنده اسمه البركة، فتجعل القليل كثير، لكن لا بد من العمل لكي ينزل لنا الله سبحانه وتعالى البركات، فمن يترك أرضه بدون زراعة، فكيف تنزل البركة على الزرع؟! لكن لا بد له من الزراعة، وبأحدث الأساليب العلمية، فلا توجد زراعة إسلامية وزراعة غير إسلامية، فالعلم لكل وليس علماً دينياً، فلا بد أن نستغله ونأخذ به، وبعد ذلك تنزل البركات من الله ﷻ نتيجة الطاعات، ويصبح القليل يكفي الكثير، وهذا فضل الله ﷻ على عباده المؤمنين الصادقين أجمعين.

سيدنا أنس بن مالك ؓ كانت له حديقتان في البصرة في بلاد العراق، كان الشجر فيهما يُنتج الثمر مرتين في السنة، كما سيحدث عندنا في محصول القمح إن شاء الله، فالقمح سيتم زراعته مرتين في السنة، لأننا نحتاج للقمح، والدول تتلاعب بنا في توريده لنا، فاستفدنا بالعلم وزرعنا القمح مرتين في السنة بدل المرة الواحدة، وقد أصاب وأجاب وأتى والحمد لله بإنتاج عظيم.

فكانت حداثق سيدنا أنس تُنتج في السنة مرتين، وذات مرة جاءه المكلف على المزرعة فقال له: يا صحابي رسول الله أوشك الزرع على الهلاك، فلم يعد عندنا قطرة ماء واحدة، قال: ولم تُخبرني من قبل؟! أعندكم ماء يكفي وضوء رجل واحد؟ قال: بلى، قال: ائتني به، فتوضأ وصلى ركعتين، وكانت السماء صحوً وليس فيها سحابة واحدة، وإذا بالسحاب يملأ السماء، وإذا بالمطر ينزل، وبعد أن انتهى المطر قال له: يا غلام انظر أين بلغ الماء؟ فذهب ثم عاد وقال له: يا سيدي كأنه يعلم حدودنا، فقد نزل على أرضنا فقط!! ما هذا؟ جاء المطر بخط سير من ملك الملوك إغاثةً لهذا العبد الذي استغاث بمولاه، فأغاثه الله جل في علاه.

وهذا الأمر معنا كلنا، ويستطيع أي واحد منا أن يفعله، فإلني ﷺ علّمنا كلنا صلاة اسمها صلاة الاستسقاء، إذا قلّت عندي المياه، أطلب من الله فيأتي بالمياه، لكن لا بد أن أزرع، وأضع النبات، وأعتني بالنبات، وأخرج منه زكاة الزرع، أو زكاة الثمار، حتى يكون مباركاً من عند الله تبارك وتعالى، فهذا حال المؤمنين الذي ينبغي أن يكونوا عليه في كل وقت وحين.

لكن على سبيل المثال عندما نسمع أن الأمم المتحدة قامت بعمل احصائية عن أكسل شعوب الأرض، تجد رقم واحد واثنين وثلاثة من الدول العربية، وليست مصر منهم!!، وهل هذا من الإسلام؟! وهل هذا ما أمرنا به الله؟! فالله تعالى يقول لنا:

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا﴾ (١٥ الملك) والمناكب يعني الجبال العالية، يعني أنظروا إلى الجبال العالية ومهدوها وازرعوها، ولا تتركوا أرضاً بدون زراعة.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا﴾ (١٥ الملك) يعني ازرعوها وكلوا من رزق الله، لأن الرزق بيد الرزاق ﷻ، فنحن علينا أن نصلح الأرض، ونضع فيها الحب ونرويه ونسمّده ونعمل ما علينا، والباقي على من يقول للشيء كن فيكون.

لكن أجلس وأطلب من الله أن يضع الرزق في يدي!! لا يجوز هذا في جماعة المؤمنين، أو كما يحدث الآن فقد أصبح كثير من الناس يتسولون في الطرقات، ويتعرضون لهذا وذاك، ويمدون أيديهم، فهل هذه أمة العزة؟! هل هذه الأمة التي قال فيها الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨ المنافقون)؟ فالمؤمن عزيز، لا يمد يده، ولا يسأل الناس ويتسول، ولا ينبغي أن يكون ذلك في أمة الإسلام ... وخاصة أن الآخرين الذين يأتون بلادنا يصورون هذه الصور وينشرونها عندهم، ويقولون هذا هو الإسلام، عبارة عن مجموعة من المتسولين، وبذلك يشوهون صورة ديننا الحنيف.

عزة المؤمن

لكن الإسلام دين العزة والكرامة، فلا بد للمؤمن أن يكون عزيزاً، ولا يمد يده إلا لمولاه، ولا يطلب إلا من حضرة الله، ولا يرضى أن يكون ذليلاً إلا لمن يقول للشيء كن فيكون جل في علاه فهذا حال المؤمن على الدوام، وهذا كان حال أصحاب النبي الفقراء رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فنحتاج في هذه الفترة إلى نهضة لشبابنا، وكفانا كسلاً وبطالة، ولنعمل، والأرض التي عندنا من أجود أنواع الأراضي الموجودة في الوجود، الفدان الذي نزرعه حالياً لو اعتنينا به فسيُنتج قدر سبع فدادين وأكثر من المحاصيل، ولكن يحتاج فقط للعناية والرعاية.

الشباب عندما يذهب للمدرسة يقول ليس لي شأن بالأرض ولا بالزراعة، فمن الذي سيزرعها؟! ولذلك ليس عندنا عمالة زراعية حالياً، فماذا فيها لو ذهبت إلى حقلك وعملت فيه بنفسك؟! أنت تعمل في أرضك، وثمره سيكون لك.

فلا بد أن نغير مفاهيمنا، ونرجع للأصل الأول الذي تربى عليه أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥) والمؤمن عزيز يُعطي دائماً، ولا يمد يده.

الشيخ إبراهيم بن أدهم كان رجلاً من الصالحين:

وكان أصله ابن ملك من الملوك، وسيرت الملك، وذات يوم ركب فرسه وذهب ليصطاد في غابة، فأنطق الله سرج الفرس وقال له: يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ أي هل خلقت للعب ولللهو وللصيد وما شابه هذا الكلام؟! فنزل من على فرسه، وكان بجواره راعي من رعاة أبيه، فأخذ ملابس الراعي ولبسها، ومشى يطلب الله، ويذكر الله، ويعبد الله.

ومع هذا كان لا يأكل إلا من عمل يده!!، مع أنه كان مرفهاً!!، فكان يشتغل في حصاد الزرع، أو في حراسة البساتين، ويأخذ أجرته ليأكل منها.

وكان حارساً أميناً، فذات مرة صاحب حديقة طلب منه رمانة خلوة، فأتى له برمانة ففتحها فوجدها ليست خلوة، فقال له: أريد رمانة خلوة، فأتى له بواحدة وأخرى وكلها ليست خلوة، فقال له: كيف تكون حارساً للرمان ولا تعرف الخلو من المرء؟! فقال له: كلفتني بحراسة الرمان ولم تأذن لي بالأكل من الرمان، فلا أعرف طعمه!!.

قابله رجل من الذين يقولون: نحن متوكلون على الله، وفي الحقيقة هم متواكلون وليسوا متوكلين، فقال له: كيف تعيش يا إبراهيم؟ فقال: مما يُرسله إليَّ الله من أرزاق، قال له: ولم؟ قال: أنا توكلت على الله، فقال له: كيف توكلت على الله؟

قال: رأيت طائراً أعمى في عُشٍّ في أعلى شجرة، وطائر آخر يأتي له بالطعام ويضع منقاره في منقاره ليُطعمه، ثم يذهب ويملاً فمه بالماء ويضع منقاره في منقاره ليسقيه الماء، فقلتُ في نفسي عندما رأيت هذا المشهد: هل أنا عند الله ﷻ أهون من هذا الطائر!

أنا سأتوكل على الله!!

وانظر إلى ردِّ الرجل الحكيم فقال له:

ولم رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى، ولم ترضى لنفسك أن تكون الطائر الذي يُطعمه ويُسقيه؟! فالْمُؤْمِنُ العزيز هكذا، قال ﷺ:

{ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى }^٣

مجتمعنا يحتاج إلى تغيير هذه المفاهيم، ونسارع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

سيدنا أبو بكر أصبح خليفة لرسول الله، وكان يعمل تاجراً للقماش، فحمل بضاعته وذهب إلى السوق، فقابله سيدنا عمر فسأله: إلى أين أنت ذاهب يا خليفة رسول الله؟ فقال: ومن أين أطعم أولادي؟!

فقال له: هذا شيءٌ لا بد منه، فجمع سيدنا عمر الصحابة وقال لهم: نجعل لأيي بكر نصيباً من بيت مال المسلمين ليتفرَّغ للخلافة وللحكم، ونعطيه في السنة ثوبين، ثوباً للصيف وثنوباً للشتاء، ونُخرج له كل يوم خروفاً لأن ضيوفه كثير، ليأكل هو وضيوفه، ونجعل له عبداً لخدمه ويقضي له مصالحه، وظل سيدنا أبو بكر ماشياً على هذا الحال حتى وافاه الأجل، فقال لابنته: يا عائشة إني حسبْتُ ما أخذته من بيت مال المسلمين فوجدته كذا، رُدِّيه إلى بيت مال المسلمين من مالي حتى أخرج من الدنيا وليس عليَّ شيء!

فقال له سيدنا عمر: لقد أتعبت الخلفاء من بعدك يا خليفة رسول الله!!

سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان ملكاً ونبياً:

وكان قد جعل لنفسه ثلاثة أيام، يوماً يتفرَّغ فيه بالكلية للحكم، ويوماً يتفرَّغ فيه لطلبات أهله وأولاده، ويوماً يتفرَّغ فيه لعبادة الله وطاعة الله، ويوم العبادة يدخل الخلوة ويغلق على نفسه ولا أحد يدخل عليه!

وذات يوم دخل عليه جماعة من الجدار، فعرف أنهم ملائكة، فجلسوا معه وتكلموا معه، وكل فترة كانوا يودُّونه ويجالسونه، فقال لهم ذات يوم: أفيَّ عيب؟

٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الكُفَّةُ أَفْضَلُ الْمِصْبُوحِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بْنُ مُحَمَّدٍ نُزَيْرِي

وانظر للصّادقين يريد أن يعرف عيوبه، فقالوا: ليس فيك إلا عيبٌ واحدٌ؛ أنك تأكل من بيت مال المسلمين، فتسوّى على الفور أن يعمل لكي يكون الحكم دون نظير أجرٍ ولا غيره، وإنما العمل يكون لله، ويأكل هو وأولاده من طعام يده، فماذا يعمل؟ ألهمه الله بمجرد ما صدق في النية صنْع الدروع.

فأول من اخترع الدروع سيدنا داود، والدروع شيء من حديد يضعه المحارب على صدره ليقويه ضربات السيوف والسهام والرماح، والحديد حتى يتم تصنيعه يحتاج إلى كور ومنفاخ ونار ليصهره ويلينه، ولكن لأنه صدق النية مع الله ألان الله ﷻ في يده الحديد: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبا).

ولذلك شبابنا الذين لا يعملون وينتظرون أن تأتي لهم معونة من هنا أو من هناك، ليوظفهم، لأنه لا يريد أن يعمل مع أبيه أو مع أحد، أقول له: يا بني لو صدقت النية فإن الله ﷻ سيوجد لك عملاً في الحال، ويكفيك من سؤال الناس والحاجة لهم.

فهذا مبدأ الإسلام الذي علّمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ:

وأنتم تعلمون أن سيدنا عبد الرحمن بن عوف عندما هاجر من مكة للمدينة، وسيدنا رسول الله كان يواخي بين المهاجرين والأنصار، فأخى بينه وبين واحد من الأنصار يُعتبر من زعماء الأنصار ومن أغنى أغنيائهم، فقال له: أقسم مالي نصفين، والبيت أقسمه نصفين تختار ما تريد منه، وهل أنت متزوج؟ فقال له: لا، فقال له: أنا متزوج اثنين فانظر من تعجبك منهما أطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها.

لكن النبي علمهم العفة، فقال له: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في بيتك، وبارك الله لك في زوجك، ولكن ذلني على السوق، ولم يكن معه شيء، ولكن لأنه رجلٌ عفوف النفس، وهي العفة التي حببنا فيها ورباهم عليها صلوات ربي وتسليماته عليه. قالوا: كان إذا تاجر في التراب يربح فيه ذهباً، فظل يتاجر، وتزوج أربعة، وأنجب، وبعد انتقاله إلى الرفيق العلى قسّموا التركة فوجدوا نصيب النساء الأربعة وهو الثمن، لكل زوجة ثمانين قُفّة من الذهب!! من أين ذلك؟ من العمل الحلال الذي قال فيه النبي ﷺ:

﴿ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدُو، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ

السَّلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ؛

ولماذا داود بالذات؟ ... لأنه كان ملكاً ونبياً وعابداً لله، ومع ذلك آلى على نفسه أن لا يأكل إلا مما تعبت فيه يده، ولا يطلب من خلق الله، ولا يمد يده إلا إلى مولاه تبارك وتعالى.

هذه قضية نريد نشرها بين الشباب، ولكن باللفظ واللين، شبابنا الذين أصبح ليهم نهار، ونهارهم ليل، وطوال الليل مع تليفوناتهم، وطوال النهار نائمون وكسالى، لعدم وجود عمل أو غيره، حتى يعرفوا أن هذا مخالف لشرع الله، ومخالف لهدى رسول الله، وليس هذا الطريق الأمثل الذي ينبغي أن يتبعوه.

لكن ينظروا إلى طريق رسول الله، وطريق الصحابة الكرام، وطريق الصالحين الأماجد، فكان كل واحد منهم له مهنة، فهذا اسمه الحصري لأنه كان يعمل في صناعة الحصر، وهذا اسمه الخواص لأنه كان يعمل في صناعة الخوص، وهذا الجزار لأنه كان يعمل في الجزارة.. فكل واحد منهم كانت له مهنة يأكل منها، وليس متفرغاً لطاعة الله، لكن يتفرغ لطاعة الله بعد أداء عمله واكتسابه الرزق الحلال، ويتصدق منه ليكون من المتصدقين عند ذي الجلال والإكرام ﷺ.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

الذين يكيّدون للمؤمنين، ويحاولون نشر المفاهيم التي أشرنا إليها، والتي زعزعت شباب المسلمين، وهم يظنون أنهم سيسبقوا أي يفلتوا من رب العالمين ﷻ، لكن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر) وسيغير الله الأمور، وسيصير أهل النور هم أهل الظهور في العالم كله، تطبيقاً لقول الله:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى

الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٣٣ التوبة).

الكتب: ابن المطبوع نفسية آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي طالب الله

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآتٍ﴾ من كان يطمع في وجه الله، وفي رضا الله، وفي إكرام الله، وفي عطاء الله، يعلم علم اليقين أن هذا آت على التحقيق له، ما دام قد صدق في طلبه لمولاه، فإن الله ﷻ لا يمكر بطلابه.

ما دام الإنسان قد صدق، فلا بد أن يجوز ويفوز: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر ٣٣) الذي يريد ما عند الله يعاهد الله على الصدق في الأقوال، والصدق في الأحوال، وقبل ذلك كله الصدق في النوايا والطوايا، ولا يبغي بغير الله بديلاً، لا يرجو غير الله.

لا يرجو بعمل يقدمه لمولاه دنيا دنية، ولا مآرب ظاهرة أو خفية، ولا علل نفسية، وإنما يرجو من وراء هذا العمل وجه الله، فينال رضا الله ﷻ.

والله ﷻ أعلمنا علم اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين أنه سبحانه وتعالى كما قال في القرآن: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يسمع وجيب صدورنا، ويسمع حركات قلوبنا كما يسمع كلمات ألسنتنا، كما يسمع ما يدور من خواطر في صدورنا، كما يسمع ما يمر من الأفكار في عقولنا، لأنه يسمع بسمع إلهي ليس له مثيل في عالم الخلق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى ١١).

ويعلم الله ﷻ عن الإنسان لأنه هو الذي خلقه، وعلمه تبارك وتعالى بما كان، كعلمه بما يكون، كعلمه بما هو كائن، فليس عند الله ﷻ زمان ولا مكان، ولكن الله ﷻ يعلم بعلم إلهي كل شيء في الأكوان وغير الأكوان.

فإذا علم الإنسان أن الله ﷻ يسمعه، ويطلع عليه ويراه، ويعلم كل شيء عنه وما تقدمه يده، صدق في إقباله على الله، فنال القرب والمودة وأصبح من أهل المنجاة لحضرة الله جل في علاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
﴾ (العنكبوت)

٩. ابتلاء الله للمؤمنين (٢)

قضية أخرى تعالجها الآيات التي معنا، ولكنها تتعلق بالمجدين في العبادة لله، والمكثرين في الطاعات لله جل في علاه، فهناك أناسٌ كثيرين تقع في هذا المطب، يعينه الله ﷻ فيحافظ على صلاة الفجر في وقتها، وما تيسر من النوافل قبلها، والفرائض بعد ذلك في أوقاتها، ويقرأ ما تيسر من كتاب الله، ويشغل وقته بالطاعات.

فإذا انتابه ابتلاء يبدأ كأنه يعاتب ربه، فيقول: يا رب لماذا أصبتي بهذا؟! أنا أصلي وأصوم، وأفعل كذا وكذا من الطاعات، وفلان الذي لا يصلي ولا يلتزم توسّع له الأرزاق وتصنع له كذا وكذا!!، وهذا مرضٌ خطير، يعني يريد ثمن العبادة في الدنيا، والدنيا كلها من أولها إلى آخرها لا تساوي تسبيحة واحدة لله ﷻ!!.

والعبادات والطاعات كلها في الأصل لنفسك ﴿وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أنت تجاهد لنفسك، فتجهّز لها ما به تنال فتح الله، وتعد لها ما به تنال إكرامات الله، وتجهّز لها ما به تنال الدرجات الوهية العلية عند حضرة الله، لكن الله ﷻ غنيّ عنا أجمعين وعن طاعاتنا وعن قرباتنا، فإن الله كما قال عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وقال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي:

{ يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَثْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا

فَلْيَحْمَدِ اللَّهُ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومُنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ٢
أمر الأعمال لك أنت: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥ الجاثية).

الشرك الحفي

ومع هذه القضية قضية أخرى تتبعها وتلحقها، فكثير أيضاً من الذين يوفقه الله للاستقامة على طاعته، يطلب نظير ذلك من المسلمين والمؤمنين أن يعظموه ويكرموا ويكبروه، لماذا؟ لأنه رجل مطيع لله ﷻ، لكن هؤلاء ماذا معهم من الأجر ليعطوه لك؟! وهذا من ضعف النفس.

وبعضهم إذا وفقه الله فتكلم في الناس، يطمع أن يجامله الناس، فإذا ذهب إلى السوق مثلاً يريد من التجار أن يجاملوه، فيعطوه البضاعة بنصف الثمن، أو يعطوها له بدون ثمن نهائياً، لماذا؟ لأنه رجل طائع لله وعابد لله، ويدعوا الناس!!، وكل هذا من بدوات النفس، وهذه لا ينبغي أن تعزي الكُمل من عباد الله الصالحين.

السيدة عائشة رضي الله عنها والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كانتا إذا تصدقت بصدقة تشتري أولاً عطر وتُعطر الصدقة، لأن المال كان إما فضة أو ذهباً، فسئلت السيدة عائشة عن ذلك، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدِّقِ عَلَيْهِ ٣ }

وما دامت تقع في يد الله فيجب أن أطيبها وتكون رائحتها طيبة.

وكانت السيدة عائشة والسيدة أم سلمة تقولان للخادمة التي كُلفت بأخذ الصدقة واعطائها لمستحقها: احفظي ما يقول، لأنه عندما تُعطي للفقير صدقة فمن المعتاد أن يدعو فيقول: ربنا يكرمك، أو ربنا يبارك لك في أولادك، أو أي دعاء، فتقول لها: احفظي الدعاء، فترجع الخادمة فتسألها: ماذا قال السائل؟ تقول لها: قال: كذا: فتدعو له بنفس دعاؤه،

٢ صحيح مسلم والبيهقي عن أبي ذر

٣ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة

فُسِّلنا: لماذا تفعلان ذلك؟ قالتا: دعاء بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا.

تخاف من أن يكون هذا الدعاء أجراً للصدقة، فكما دعا لنا ندعو له حتى تكون الصدقة خالصة لوجه الله: ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان).

نفرض أن أحداً يتكلم، وفتح الله له الباب بعض الشيء من علم الإلهام، وبعد الدرس من يقول له: أحسنت اليوم، ومن يقول له: أنت أبدعت، ومن يقول له: فتح الله عليك اليوم .. ونفسه تفرح وتُسّر ويسعد بهذا الكلام، فهذه أيضاً مصيبة من المصائب التي يُبتلى بها العبد، وتحجب عنه المناصب العالية، والدرجات الراقية عند من لا يغفل ولا ينام ﷻ، فكل ذلك دخل في كلمة: ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان) حتى كلمة شكراً، أو استحسان، أو التحسين.

فالمؤمن إذا عمل عملاً يعلم أن هذا العمل لنفسه فيجعله خالصاً لربه ﷻ، لا يبغي به سمعة، ولا شهرة، ولا رياء، ولا حظ ظاهر، ولا حظ خفي، والحظ الخفي كالذي أشرت له الآن، وهو أن الناس تُعظمه وتُكبره ويقولون له: أحسنت، وأنت كذا وكذا، ويسارعون في قضاء حوائجه، ويسارعون في حمل نعله، ويسارعون في تلبية طلباته، فإذا كان يريد هذه الأمور في نفسه، وإن لم يشعر فهذا مرض يحتاج للعلاج منه، وهذا ما نسميه بالشرك الخفي، الذي يقول فيه ﷻ:

{ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصِّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ }^٤

ويقول فيه الله ﷻ، وهذا ما يُقَطِّع نياط قلوب العارفين الصادقين: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦ يوسف) !!

أكثر المؤمنين مشركين!!، وكيف ذلك؟ بهذا الشرك الخفي، التابع لحب الظهور، وحب السماع، وحب كذا وكذا من مثل هذه الأشياء، فلا بد أن يُطَهَّر أرجاء نفسه كلها من هذه الأفياء، ليكون العمل خالصاً لوجه الله ﷻ.

٤ الحاكم في المستدرک وأبی نعیم فی الحلیة عن عائشة ؓ

جزء العمل الصالح

إذا فعل ذلك يدخل في قول الله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لهم شيتين اثنين، الأمر الأول: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كما قال الله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١١٤ هود) وفي ذلك يقول الحبيب ﷺ لنا ناصحاً:

{ وَأَتْبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا } ٥

إذا هفوت ووقعت في ذنب أو سيئة، سارع على الفور بحسنة، فهذه الحسنة تذهب السيئات على الفور، وكما قال ﷺ:

{ مَا قَالَ عَبْدٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا طُمَسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ } ٦

انظروا إلى رحمة الله وإكرام الله ﷻ بنا، تكون الحسنة كالمحاة تمسح لك السيئات حتى تجد حسنة تقف بجوارها!!، ما أكرم هذا الرب العظيم، الذي يقبل اليسير، ويثيب عليه بالكثير، ويجعل عليه أجراً كبيراً تبارك وتعالى.

الأمر الثاني:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

من إكرام الله ﷻ لم يكتف بذلك، بل سيعطيهم أيضاً أحسن الأجر والثواب والجزاء: ﴿فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨ الحجرات).

ومن لطف الله ﷻ جعل لهذه الأمة خصوصيات لنا نحن فقط وليس للآخرين، أن الأمم السابقة كان الرجل منهم إذا أذنب يُصبح فيجد الذنب مكتوباً على باب بيته، وكان هذا عند اليهود فضيحة لهم، فمن سرق يجد مكتوباً في الصباح على باب بيته: فلان سرق، أو فلان قتل، أو فلان زنا، لكن نحن سترنا الله ﷻ بستره الجميل.

٥ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي ذر

٦ مسند أبي يعلى الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس

الأمر الخاص الثاني والهام:

أن الله سيحاسب الأمم كلها علانية، وكل أهل الموقف يشهدون ويرون، ونحن معظم الأمة سيدخلون الجنة بغير حساب، كما قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر ١٠) وَمَنْ مَنَا لَمْ يَصْبِرْ؟

عظم الأمة يصبر إن كان على وفاة والده، أو على فراق أمه، أو على تعب نفسه، أو على تعب ولد من أولاده، أو على مشقة في يوم حار، أو على مشقة في يوم بارد، فلا يوجد أحد منا لم يصبر!!

فما دام الإنسان محافظاً على فرائض الله، ومجتنباً لمعاصي الله، فعلى الفور يُدخله الله في عداد الصابرين ويدخل الجنة بغير حساب إن شاء الله.

والذي سيحاسب فسيكون حسابه فيما بينه وبين مولاه، لا يطلع عليه أحد من أهل الموقف العظيم؛ ستراً من الله ﷻ على هذه الأمة؛ أمة حبيبه ومصطفاه، ويُسْهِدُهُ ذَنْبُهُ كَمَا قَالَ ﷻ، وهذا من فضل الله على هذه الأمة المجتابة:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }^٧

والخصيصة الثالثة:

أنه من فضل الله ﷻ على هذه الأمة، أمة حبيب الله ومصطفاه أن الله ﷻ يتغاضى عن الصغائر التي ترتكبها، بالصلوات الخمس التي تقوم بآدائها لله ﷻ.

فالصلوات مثلها كمثّل نهر جارٍ أمام بيت الواحد منا، ويستحم فيه خمس مرات، فهل يبقى عليه بعد ذلك تراب أو أوساخ أو شيء من هذا القبيل؟ لا، وهذا ما قاله سيدنا رسول الله ﷺ:

٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّيْخُ فُزْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خُمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَبِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَبِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا }^٨

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ:

{ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْنِي عَلَيْهِ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّلَاةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ }^٩

فالصلوات الخمس تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ، والذنوب التي تحتاج إلى التوبة النصوح هي الكبائر، فلو اجتنب الكبائر فإن الله يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، ويتقبل منه أحسن ما عمل، ويتغاضى الله عن هذه الصَّغَائِرَ، ويمحوها من صحيفته، ويمحوها من على جوارحه التي تشهد عليه يوم القيامة، ويمحوها من الموضع الذي فعلها عليها في الأرض، فيأتي يوم القيامة لا يرى أحدٌ ما عمله، لأن الله تغمده بستره وغطائه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ أَنَسَى اللَّهُ الْحَفْظَةَ ذُنُوبَهُ، وَأَنَسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ }^{١٠}

هذا فضل الله على هذه الأمة، أمة رسول الله التي نحن منها أجمعين إن شاء الله، فيجب أن نشكر الله على هذه العطاءات، وعلى هذه الإكرامات، فنذكره صلى الله عليه وسلم ذكر الشاكرين الحامدين الحاضرين على الدوام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٩ البخاري ومسلم.

١٠ تاريخ دمشق لابن عساکر عن أنس رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ
فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ
الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (العنكبوت)

١٠. أهل الغرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جمعنا بتوفيقه على طاعته في بيته المبارك، وأطلع صدورنا بسماع كلام الله، وجعل جلستنا المباركة هذه نحاول فيها قدر وسعنا أن نطبق حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول لنا فيه:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }^٢

فنسأل الله تعالى أن نكون أهلاً لذلك أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اصطفاه مولاه وحباه ورقاه وأدناه، وخصه بخير كتاب أنزله إلى خلق الله، وجعله نبينا وهو شفيعنا وحبينا يوم الدين ... صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ: (جعلنا القرآن الكريم رسائل ربنا ﷻ إلينا، فكنا نقرأه ونتدبره بالليل، ثم نقوم عاملين به بالنهار) رسائل وخطابات أرسلها لنا الله على يد حبيبه ومصطفاه.

فالله ﷻ أمرنا أن لا نقرأ القرآن قراءةً جوفاء، ولكن نتدبر ونتمعن ونتفكر في معاني هذا الكلام: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (٨٢ النساء). يعني الله على من يقرأ القرآن ولا يتمعن فيه، ولا يفكر فيه، ولا يتدبر فيه، لأنه نزل للتدبر والتمعن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (١٧ القمر) لم يقل للتلاوة، ولكن قال: (الذكر) والتذكر والتفكير، ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١٧ القمر) ولم يقل أيضاً: فهل من تال، لأن العبرة بالتذكر والتدبر في كلام الله، لكي نعمل به فننال رضا الله ﷻ، ومتابعة حبيب الله ومصطفاه.

والله ﷻ يقول في مناجاة أنزلها على نبي الله داود وهي له ولأمته ولنا أجمعين، لقول

١ مسجد الحن - إسنا - الأقصر ١ من جماد الأولى ١٤٣٨ هـ ٢٩/١/٢٠١٧ م

٢ سنن أبي داود عن أبي هريرة ؓ

{ حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الْعَاجِيبُ }^٢

يقول الله تعالى في هذا الأثر لنبيه داود:

(عبي يأتيك كتابٌ من حبيب لك وأنت في الطريق تمشي، فتجلس لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً، وهذا كتابي أنزلته إليك، أفكنتُ أهون عليك من بعض أقربائك؟) عبي يجلس إليك حبيباً أو صديقٌ يتحدث معك، فتقبل على حديثه بكل وجهك، وتستمع إليه بكل سمعك، وها أنا ذا متحدثٌ معك، أفكنتُ عندك أهون من بعض جلسائك؟).

كلام الله يكفي فيه قول الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ (الحشر ٢١) لو نزل على جبلٍ فإن الجبل يخشع، من ماذا؟

﴿ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر ٢١).

قال السادة العلماء: القلب الذي لا يخشع ولا يخضع ولا يتأثر بكلام الله عند سماعه فهو أقسى من الجبال، وأشد من الصخور الصماء، لأنها تخشع لكلام الله جل في علاه.

هذه الرسائل جعل الله ﷻ فيها رسائل للمؤمنين، ورسائل للناس أجمعين، ورسائل خاصة للمؤمنين الذين لهم منزلة كريمة عند رب العالمين ﷻ.

فأرسل للمؤمنين ثنتان وثمانون رسالة، والتي تبدأ بقول الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " وماذا يريد صاحب الرسالة ﷻ لتنفيذ ما فيها؟ هذه الرسائل كلنا مطالبين بقراءتهم، أو يقرأهم لنا أحدٌ، ونفهم ما فيها، وننفذ مراد الله ﷻ.

وهناك رسائل للناس وهي التي تبدأ بـ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ " وهي رسائل خصصها الله ﷻ لكل الخلق، مؤمنهم وغير مؤمنهم.

أهل مقام العبودية لله

٣ فوائد تمام الرازي والزهد لأحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله

لكن الرسائل خاصة الخاصة، وأهل القرب، والذين لهم منزلة عند الله، كهذه الرسالة التي معنا اليوم: ﴿يَعْبَادِي﴾ عندما يسمع أهل القرب نداء الله: ﴿يَعْبَادِي﴾ يموتون عشقاً وغراماً وهياماً في ذات ذي الجلال والإكرام، لأنه جعلنا في منزلة عظمى، وهي منزلة عباد الله، ولا توجد منزلة أعلى من هذه المنزلة أبداً، فهي منزلة العبودية لله ﷻ.

وأضاف إلى العبودية الإيمان: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ لنعرف أن الأرض كلها لله ﷻ، وكل ما فيها من أشجار، ومن ثمار، ومن أطيار، ومن بحار، وكل ما في باطنها من معادن وغيرها.. الكل ملك لله جل في علاه، والله ﷻ يوزعه بما يشاء على عباده سبحانه وتعالى.

الأمزاق والنقوى

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَلْيَبْتَئِي فَأَعْبُدُونِ﴾ هذه الآية تعالج مشكلة ومعضلة موجودة في كل زمان ومكان، وزادت في زماننا، فالناس التي تتكاسل عن العبادات، وتتباطأ عن الطاعات، وأحياناً تتوقف بالكليّة عن الفرائض المفترضة التي افترضها عليها رب البريات، تسأل أحدهم: لماذا تترك العبادة؟ يقول لك: وهل أترك الأرزاق وأجلس في المسجد؟! فمعي مصالح ومعني معاش، وأريد أن أجلب طعاماً للأولاد، وأجلب لهم النفقات، وجعل الأولاد حجة!!.

والله ﷻ في هذا الكلام المبارك أبطل هذه الحجة، لأن الله ﷻ قسم الأمر بيننا وبينه، فنحن علينا شيء، وهو عليه شيء، السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها أشارت إلى ذلك حين غلت الأسعار في زمانها، فقالوا لها: الأسعار زادت عن الحد، أفلم تسمعي بذلك؟ قالت: (وعزة ربي لو صارت الحبة بدينار ما اهتممت، علي أن أعبد كما أمرني، وعليه أن يرزقني كما وعدني).

كل واحد له تخصصه، فلماذا أدخل في تخصص الله؟ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (١٣٢طه) والرزق يا رب؟ قال لي: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ (١٣٢طه) من الذي عليه الرزق؟ حضرة الرزاق ﷻ، ولذلك ورد في الأثر، يقول الله: (إذا كنت أرزق من غفل عني وعصاني، فكيف لا أرزق من أطاعني ودعاني؟).

الكتب: انزل المطبوع نفسي: ايها الملقين الشتم فزني محمد ونزير

العاصي يرزقه الله، والغافل يرزقه الله، أفلا يرزق التقي النقي؟! فالتقي النقي سيرزقه ومعه دعم إلهي، أما الرزق للآخرين ليس معه معونة ولا مدد، وقال فيه الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

هذه الجزئية التي كان يعيش فيها حضرة النبي وصحبه الكرام والصالحين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وهي الجزئية التي يغفل عنها كثير من الناس، فالناس يريدون العدد، ولكن الله يريد من المؤمن أن يطلب المدد من الواحد الأحد، والمدد لو نزل في الرزق القليل يقوم مقام الكثير، بل يفيض ويزيد ما دام بارك فيه الحميد الجيد ﷺ.

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عندما تحدث عن تقوى القرى، وعندما يجتمعون ويتقون الله، وتكون المجموعة كلها أتقياء، فما النتيجة؟: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٩٦ الأعراف) لم يقل فتحنا عليهم خيرات، فالخيرات كما هي، ولكنه سيضع فيها البركة، وهذا هو الدعم الإلهي النوراني للمؤمنين، الذي لو وصل للمؤمن لا يخشى إلا الله، لأنه سيكون في كفالة الله ورعاية الله على الدوام إن شاء الله.

وهي الحالة التي ورثها سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه البررة الكرام، ومشى عليها الصالحون على مدى الأيام، فكانوا يعتمدون على البركة التي تنزل من الله ﷻ إن كان في الزرع، أو في الضرع، أو في الجسم، أو في الأولاد، أو في البيت .. كل شيء تمسه البركة يزيد، والبركة يعني الزيادة، فيزيده الله وينميها، ولا يعلم أحد ما جعل الله فيه من خير اذخره الله سبحانه وتعالى لصاحبه الذي أعطاه له: ﴿ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا بِإِنِّي أَنزِلْتُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ فَلَا تَكُونُوا مِّنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٩٦ البقرة) نتحقق فقط بتقوى الله ﷻ.

المشاكل التي حدثت، والتي تحدث في المجتمع، والتي أذهبت الأرزاق، وأفسدت الأخلاق، وضيعت البركات، أن الناس ليس عندهم التقوى المطلوبة لله جل في علاه، وهو

يرى أن الأرزاق لا تكفيه، فيغش في الكيل، ويغش في الوزن، أو يغش في السعر، أو يحتال، أو يكذب، وهذا ما ضيع البركة بين المؤمنين، وزادت المشاكل والخلافات بين المسلمين.

لكن لو أن المسلمين اتقوا الله، وراقبوا الله مراقبة من يعلم أنه يطلع عليه ويراه، فالقليل سيغني عن الكثير بفضل البركة النازلة من عند العلي الكبير ﷺ.

الرجوع إلى الله

وحذر الله ﷻ الذين يصنعون ذلك في كل زمان ومكان، والذين جعلتهم الدنيا يتخلون عن تقوى الله، ومراقبة الله، وتستهبوهم النفوس فيصنعون ما لا يرضي الله مع عباد الله، فقال لهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ هل نسيتم أنكم ستموتون؟! والإنسان لا يدري ما الوقت الذي سيخرج فيه لتلبية نداء الله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٣٤ لقمان) والحبیب ﷺ حذرنا من هذه اللحظة، وقال لنا:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ }٤

البركة في حُسن الختام؛ أن يختم الله ﷻ له بالإسلام والإيمان، فأنبىء الله ورسَل الله ماذا كانت كل طلباتهم؟ الوفاة على الإسلام، فأحدهم يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١ يوسف) وهذا نبيٌّ من أنبياء الله ﷻ، يريد أن يثبت الله على الإيمان حتى يلحق بالصالحين ويخرج في روح ويرحان إلى رب راض عنه غير غضبان.

وهذه هي الحالة التي يجب أن يحرص عليها كل مسلم، فهي تعتبر السائق الذي يسوق النفس إلى طاعة الرحمن ﷻ، لكن إذا نسيها الإنسان، ونسي أنه سيموت، وهُيئ له أنه مُخَلَّد في الدنيا، فسُتسيطر عليه النفس والخطأ والهوى، ويمشي على هواه، وعند النفس الأخير عندما يرى ما جُهِز له، يطلب الرجعة، ولا يليه العلي الكبير!!، فيقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون).

فلماذا لم تُجهز نفسك لهذه الساعة؟! ولذلك ينبغي على المؤمن على الدوام أن يكون ذاكرةً أنه إن آجلاً أو عاجلاً سيرحل من الدنيا للقاء مولاه، وأن محطة السفر الأخيرة هي

٤ صحيح مسلم ومسنَد أحمد عن جابر ﷺ

قول الله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُجَىٰ﴾ (٨ العلق) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُتَىٰ﴾ (٢٠ النجم) فالهمم هذه اللحظة التي سيموت فيها، وقال فيها حضرة النبي:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ } ٥

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } وقد قيل:

ولو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي
ولكننا إذا متنا بُعِثنا فنسأل بعدها عن كل شيء

فلو لم يكن هناك حساب ولا سؤال بعد الموت لكان الأمر سهلاً، ولكنه سيُسأل عن القليل والكثير والنقيير والقطمير، وكل أمر فعله، وكل لفظ نطقه .. سيُسأله الله ﷻ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فما يُعين الإنسان على دوام الاستقامة، وعلى العمل الصالح في الدنيا هو تذكر الموت والدار الآخرة والحساب والعرض على الله ﷻ، ويزيد في رغبته في ذلك أن يتذكر الأفراد الأفاضل الذين تحدّث عنهم الله وبيّن منازلهم ومكانتهم.

فنحن كلنا سنخرج من الدنيا ولكن العاقل والكيس والفطن الذي يُحدد لنفسه منزلةً كريمة، فالذي يُريد أن يكون من المقربين، غير الذي يريد أن يكون من أصحاب اليمين، فهذه منزلة وتلك منزلة.

والذي يريد أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ويطمع أن يغفر له الله ويعفو عنه، فهل هذا مثل هذا؟! لا، فالإنسان العاقل هو الذي يختار المنزلة وهو في الدنيا، قال ﷻ:

{ إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاطَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ } ٦

اجعل دائماً عندك همة كبيرة في الطلبات التي تريدها في الآخرة، قال ﷻ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ }

٥ صحيح مسلم ومسنّد أحمد عن جابر

٦ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة

فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ٧

فدائماً الإنسان يحاول، فكما أن له في الدنيا تطلعات يجب أن يكون له تطلعات أعظم عند الله في الجنة وفي الآخرة لكي ينال ما يتمناه.

والله أعطانا نموذجاً في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ودائماً في القرآن الإيمان مقرون بالعمل الصالح، فمن يدعي الإيمان ويترك العمل فهو كما قال الحسن البصري رحمه الله: (وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، قالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

فالإيمان دعوة، والدليل عليه العمل الصالح، والإيمان حجة، والبرهان على صدق الحجة العمل الصالح، ولذلك قرن الله الإيمان بالعمل الصالح في كل آيات القرآن التي تحدث فيها عن الإيمان.

أهل الغرف

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هذه الغرف منزلة عالية في أعلى الجنة، ذكر الله ﷻ في عباد الرحمن أن جزاءهم: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (١٧٥ الفرقان) وهنا أيضاً جعل الله جزاء الغرف للذين صبروا، هذه الغرف هي:

﴿غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مِّبْيَئَةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢٠ الزمر) وهؤلاء القوم بعد أن يدخلوا الجنة يقول الله تعالى لهم:

{ هَلْ رَضِيتُمْ،؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلٌ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } ٨

ينالون رضوان الله ﷻ، وهذه الغرف هي التي يلقون فيها من الله التحية والسلام: ﴿

٧ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رحمه الله

٨ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رحمه الله

وَيُلْقُونَ فِيهَا تِجَةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ (الفرقان) من الله ﷻ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (٤٤: الأحزاب) وحضرة النبي ﷺ بين هذا الأمر أن أناساً يتمتعون في الجنة من أكل وشرب وحوار وقصور وغيرها، وأناسٌ أكمل مُتعمهم النظر إلى وجه الله ﷻ في الجنة، فهذه هي المنفعة الأعظم، والنعيم الأكرم، والذي يقول الله فيه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة).

هذه هي النعمة الأعظم والأكرم التي سيكرم بها الله خاصة المباركين والثلاثة المباركة من المتقين؛ بأن يُبيح لهم النظر إلى وجهه الكريم، قال ﷺ في حديثه الآخر:

{ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﷻ }^٩

ما رأوا نعيماً ولا نعمة أبهى ولا أشهى من النظر إلى وجه الله ﷻ، فالنظر إلى وجه الله ﷻ هو بُغية المؤمنين، وبُغية المتقين على الدوام، حتى أن الله ﷻ جعلها الأجر الكريم الأعظم للذين يصومون في شهر رمضان ابتغاء النظر إلى وجه الله، فالحلم أن تقدم طلباً على هذه البُغية، وعلى هذه النية، فالذي لا يريد كيف يأخذها؟! لذلك لا بد من تقديم طلب عليها، قال ﷺ:

{ صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ }^{١٠}

نحن نعرف في الشريعة أن المقصود صوموا لرؤية الهلال، وأفطروا لرؤية الهلال، لكن الصالحين لهم إشارة في الحديث وهي: صوموا من أجل رؤيته، يعني اجعل النية لرؤية الله ﷻ، ومتى تُفطر؟ عند رؤيته ﷻ، ولذلك قال ﷺ:

{ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ }^{١١}

لأنه كان كل أمله وعشمه لقاء الله ﷻ، الشيخ ابن الفارض ﷺ وأرضاه وهو يعالج سكرات الموت مثل المؤمنين الصادقين رأى منزلته في الجنة، يُبشّره بها الله ليفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقائه، لكنه لما رأى منزلته في الجنة حزن وقال:

٩ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١١ صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

وماذا يريد؟ يريد وجه الله ﷻ، فلم يعبد الله ﷻ من أجل جنته، وإنما من أجل النظر إلى وجه حضرته تبارك وتعالى.

فالذين يؤهلهم الله للنظر إلى وجهه الكريم، هؤلاء سيكونوا في هذه الغرف التي تجري من تحتها الأنهار، وطماغم الله بأنهم لن يخرجوا منها، فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ لو لم يقل (خالدين فيها) لكانت مدة محددة ويخرجون منها، لكن هذا أمان واطمئنان من الله.

حسن الخاتمة

ثم قال الله ﷻ مادحاً لهم ومثنياً على أعمالهم لنسابق في اللحاق بهم:

﴿ نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾.

سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأرضاه في لحظات سكرات الموت حدق البصر وأطال، ثم قال: إني أرى حضرة ما هم بجن ولا إنس، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، وخرجت روحه للقاء الحق ﷻ، وهذه هي بركة حسن الختام.

السيدة نفيسة - نفيسة العلوم رضي الله عنها :

حفرت قبرها في بيتها، وهو الذي دُفنت فيه، ومكثت خمس عشرة سنة تتعبد فيه، وتقرأ فيه القرآن، وتصوم النهار، وتقوم الليل، وجاء أجلها في رمضان فمرضت مرضاً شديداً، وأوصاها الأطباء أن تفطر لعدم قدرتها على الصيام، فقالت: أنا كنت أمتن أن أرجع إلى الله وأنا صائمة، أفطر اليوم؟! لا والله لا يكون، ثم أخذت في تلاوة وردها من القرآن الكريم إلى أن وصلت في سورة الأنعام إلى قول الله تعالى: ﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام) وخرجت الروح للقاء الله ﷻ، وكانت الآية التي بعدها: ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام).

فهؤلاء القوم يجعل الله ﷻ لهم حسن الختام هو الأجر العظيم، ويزيدهم فيجعلهم من ذوي النظر إلى وجه الله الكريم سبحانه وتعالى.

مقام الصبر

ما الأعمال التي مدحهم الله عليها وقال: ﴿نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾؟ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ لا بد من الصبر، فالله يقول لنا كلنا:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران) وأعظم الصبر في عصرنا هذا :

هو الصبر عن الحرام، وعن المطعم الحرام، لأن المطعم الحرام يجعل صاحبه لا يتقبل الله منه عملاً ولا دعاءً ولا صلاةً ولا صياماً، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا }^{١٢}

وقال لسيدنا سعد بن أبي وقاص وكان قد سأله أن يكون مُجَاب الدعوة:

{ يَا سَعْدُ أَطْبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }^{١٣}

فالذي يأكل الحرام لا يُقبل منه صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا دعاء، ولا تلاوة للقرآن، ولا ذكر لله، ولا أي عمل، لأن بعض الناس يخدعون أنفسهم، فيتكسب من الحرام وفي النهاية يقول أبي مسجداً لله، لكن المسجد لا بد وأن يؤسس على التقوى، ولا يجوز بناء مسجد من الحرام: ﴿لَمْسَجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (التوبة ١٠٨) أو يقول: أنا أحج بيت الله الحرام، لكن النبي ﷺ قال:

{ إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرْزِ، فَنَادَى: لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادَكَ حَلَالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلَالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعَرْزِ، فَنَادَى: لَبَيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَا لَبَيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ، زَادَكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ }^{١٤}

١٢ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٣ معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

١٤ معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

الكتب: افضل المطبوع نفسي: ايضاً الملقين الشتم: فوزي محمد فوزي

فلا يقبل الله تعالى منه عملاً قليلاً ولا كثيراً، فأعظم الصبر في عصرنا هذا جماعة المؤمنين الصبر على المطعم الحلال، والمطعم الحلال كما قال فيه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (اللقة الحلال لها نورٌ في القلب يشد الأعضاء إلى طاعة الله ويمجدهم عن معصية الله، واللقة الحرام لها ظلمة في القلب تجمّد الجوارح عن طاعة الله، وتشدها إلى معاصي الله ﷻ).

فأساس حل المشاكل كلها المطعم الحلال، وهذا الذي يحتاج إلى الصبر الجميل في هذه الحياة الدنيا.

والله ﷻ وهو الرزاق قدّر الأرزاق التي تكفي كل إنسان مؤمناً إذا اتقى الله بما يتوالت عليه من البركة من عند مولاه جل في علاه، وإذا جاءت البركة فيكون أغنى الأغنياء، لأنه سيكون راضٍ عن الله:

{ اَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } ١٥

يحتاج المؤمن بعد ذلك إلى الصبر على الطاعات، وخاصة في المشقّات أيام الصيام في الأشهر الحارة، وصلاة الفجر في اليوم أو الليلة الباردة، ويحتاج الإنسان إلى الصبر الجميل عند التعرض للمصائب، أو للمرض، أو ما شابه ذلك، والمؤمن دائماً وأبداً يجعل الله ﷻ له في هذه الأشياء إما تكفيراً لخطيئة فعلها، أو غفراناً لذنوب ارتكبها، أو يجعلها رفعة في الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ، قال ﷻ:

{ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ } ١٦

وكما قال سيد الرسل والأنبياء ﷻ:

{ مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ

١٥ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن أبي هريرة ﷺ
١٦ مسنّد أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ

خُطْبَةٌ { ١٧ }

فيكون طاهراً مُطَهَّراً على الدوام، فإذا تَطَهَّرَ وجاءَ البلاءُ، يكون البلاءُ لينال درجة في الجنة يرجوها عند الله، وعمله لا يبلِّغه إياها، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُبْتَلَى بِالْبَلَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَيُبْتَلَى بِالْبَلَاءِ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنَالُهَا دُونَ أَنْ يُبْتَلَى بِذَلِكَ، فَيُبَلِّغُهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ { ١٨ }

لأنه لم يبلغها بعمله فيبتليه ليرفعه، وبعض الناس الذين لا يفقهون يجعل البلاء غضباً من الله - سبحانه الله - أشد الناس بلاءً الأنبياء، فلو كان البلاء غضباً ما أنزله الله ﷻ على الأنبياء، ولكن البلاء كما قلت: إما كفارة للذنوب، وإما رفعة للدرجات، وإما يدفع الله به بلاءً نازل من السماء، يلتقي البلاء النازل من السماء فيدفعه عن الإنسان، فيكون الإنسان دائماً وأبداً من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.

حسن التوكل على الله

﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ على ربهم يتوكلون في كل شئوهم، وفي كل أحوالهم، وفي كل أمورهم، فإن المؤمن على الدوام لا يتوكل إلا على مولاه، حتى ولو كان المال في يده، فإنه أوثق فيما عند الله منه بما في يده، فما في يده ربما يضيع منه، لكن ما عند الله يأتيه على اليقين، ولذلك دائماً المؤمن ثقته في الله ﷻ وتوكله عليه لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ.

نسأل الله ﷻ أن يُفَقِّهنا في ديننا، وأن يُلْهِمنا رشدنا، وأن يعيننا على العمل بما علمنا، وأن يعَلِّمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعلنا من عباده الصابرين والمتوكلين، وأن يرزقنا الأرزاق الحلال المباركة الطيبة، وأن يحفظنا من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ صُبُلَنَا وَإِنَّ
اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩ العنكبوت)

١١. معية الله للمحسنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي منّ علينا بهداه، وتفضل علينا بأكبر نعمة وهي أننا من أمة حبيب الله ومصطفاه، وجعلنا بفضلله وجوده وكرمه هُداة مهدين، وحفظنا بحفظه من الضلال والضالين، ونسأله ﷻ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى ذَلِكَ ويزيدنا منه نحن وأبناءنا وبناتنا وأحفادنا إلى يوم الدين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد كُنز العناية الربانية، وباب الهداية الإلهية، وسرُّ كل المقامات الإحسانية واليقينية، صلى الله عليه وعلى آله أهل هذه المنازل العالية، وأصحابه الذين نالوا بفضلله هذه الدرجات الراقية، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين في الدنيا ويوم الدين ... آمين يا رب العالمين.

لفت نظري أن آيات القرآن فيها توصيفٌ وتخصيصٌ لكل مراتب ومراسي أهل الإيمان، فكل رتبة لها آياتها، ولها خطابها، ولها أجرها وثوابها، أو درجاتها ومقاماتها وترقياتها.

منزلة العباد

العباد الذين يجتهدون في العبادة، منهم من يجتهد في قيام الليل، أو في صيام النهار، أو في تلاوة القرآن، أو في ذكر الله ... رغبةً فيما أعدّه الله ﷻ في الجنة العالية لمن فعل ذلك، وهؤلاء خصّهم الله بآياتٍ في ذلك، ووراء كل آية ذكر الجزاء والأجر والثواب الذي سيُجزون به يوم القيامة.

مرتبة المخلصين

أما المخلصين والمخلصين فلا يبعون من الدنيا والآخرة غير وجه رب العالمين ﷻ، لا يعبدونه طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، وإنما يعبدونه ﷻ لذاته لأنه أهلاً لهذه العبادة.

والإمام عليّ عليه السلام وكرّم الله وجهه كان يقول لنا ولأشباهنا وأمثالنا من المتعلقين بهم: (لا تعبدوا الله خوفاً من ناره، فتكونوا كالأجير السوء، لو لم يخف لم يعمل، ولا تعبدوا الله طمعاً في جنته فتكونوا كالتجار، لو لم يأخذوا الأجر لم يعبدوا، ولكن اعبدوا الله

عبادة الأحرار، لو لم يخلق جنة أو ناراً أفلم يكن يستحق العبادة لذاته؟!

وهذه المقامات ذكرها القرآن، فهناك جماعة ذكرهم القرآن وقال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (١٦ السجدة) إما خائفين من النار أو طامعين في الجنة.

وهناك جماعة آخرين، وهؤلاء الذين طلب الله من حضرة النبي ﷺ أن يصبر معهم، ويصبر نفسه معهم، وقال فيهم: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (٢٨ الكهف) ما الصنف الذي يصبر معهم رسول الله؟ ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَيشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف) لا يريدون إلا وجه الله ﷻ.

وهل أنا أعبد الله لئدخلي الجنة؟! والجنة طعام وشراب، وهل الجنة أعظم من الله لأطلبها وأريد أن يعطيني لي الله؟! لكن نعبد الله لذاته.

أنا جئت لأزورك في بيتك، فقابلني الذين في البيت وقدموا لي أفخر الطعام، وأشهى الشراب، وقالوا: كُلْ لأن صاحب المنزل مشغول ولن يستطيع مقابلتك، فهل أتلذذ أنا بالطعام أو بالشراب؟! لا، لأنني جئت لصاحب البيت، وليس للخيرات التي في البيت.

والجنة أحببناها لأن فيها وجه الله، وفيها النظر إلى جمال حضرته، وفيها التَّمَلِّي بِجَمَالِ طَلْعَتِهِ، وفيها الحبيب ﷺ وصحابته، وليس من أجل الحور ولا القصور ولا غير ذلك، قيل لأحد العارفين: أتشتاق إلى الجنة؟ قال: نعم، قيل: ولم؟ قال: لأن فيها رسول الله.

وليس من أجل الطعام والشراب والحور والقصور وهذه الأشياء، ولكن لأن فيها سيدنا رسول الله، فهؤلاء القوم هم خاصة الخاصة من عباد الله الصالحين.

وهؤلاء ليصلوا إلى هذا المقام لهم آيات ذكرها الله ﷻ في القرآن، ذكر فيها أوصافهم، وبيّن فيها أعمالهم التي يعملونها، ثم ذكر ما لهم عنده ﷻ.

وأجمل ما عنده في قوله للجماعة الأولى أن لهم هذه الجنة: ﴿تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣ الأعراف) تفضلوا فالهواند ممدودة، والقصور مشهودة، والحور جاهزة، أما الآخريين: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٢٦ يونس) قال ﷻ في هذه الآية:

{ الْحَسَنَةُ الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }^٢

بعد أن يدخلوا الجنة يخاطبهم الحق ﷻ ويقول لهم كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ثَرِيدُونَ شَيْنًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْنًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }^٣

{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٢﴾ } (٢٣-٢٢ القيامة) حتى النساء من الأمة

طلاب هذه المقامات كن كذلك في هذه العنايات، فالسيدة رابعة العدوية رضي الله عنها كانت تقول: (إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني بنارك، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فلا تدخلي جنتك، وإن كنت أعبدك لذاتك فلا تحرمني من ذاتك) عبادة خالصة لله جل في علاه.

جهاد المخلصين

هؤلاء القوم لا بد أن يكون لهم في الدنيا جهاد، جهاد شديد قال فيه الله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (١٧٨ الحج) ولماذا هذا الجهاد؟ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ لم يقل أجر وثواب، ولكن قال: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ عاقبة الجهاد أن يكشف لهم الطرق الموصلة إليه، والسبل الهادية إلى عليّ جنابه، ويكشف لهم الحجب التي تمنع القلوب عن النظر إلى عليّ جنابه.

فكلنا مجهزين ولكن نحتاج إلى جهاد بسيط نستعين فيه بالله، ونقتدي فيه برسول الله، ونأخذ فيه رُفقة من الصالحين من عباد الله - خذ الرفيق قبل الطريق - حتى نصل إلى فضل الله، وإكرام الله، وإنعام الله ﷻ.

وكلمة ﴿ جَاهِدُوا فِينَا ﴾:

تركها لنا الله مفتوحة لتشمل كل أنواع الجهاد، ولكن المهم أن القصد من الجهاد هو

٢ حلية الأولياء لأي نعيم عن كعب بن عجرة ﷺ
٣ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

أيّ جهاد، لكن المهم في النية، ماذا ينبغي من وراء هذا الجهاد؟ لا ينبغي من وراءه شُمة، ولا شهرة، ولا دنيا، ولا حتى جنة أو آخرة، وإنما ينبغي به وجه الله ﷻ.

فمن يجاهد في طلب العلم ويعمل به لينال رضاء الله، فإن الله يورثه العلم المكنون الذي يُزيل الحجب التي على قلبه، حتى يشهد نور مولاه جل في علاه.

ومن يجاهد في ذكر الله طلباً لوجه الله جل في علاه، فيظل الذكر يجلو مرآة قلبه، حتى تكون مرآة القلب شفافة ناصعة يظهر فيها أنوار ملكوت الله، ويظهر فيها نعيم جنة الله، ثم يظهر فيها أسماء الله وصفات الله، ثم يتجلى فيها بحضرتة وكمالاته الله جل في علاه.

أي جهاد، المهم أن يقصد به وجه الله، والمهم أن يُحدد النية، والنية يجعلها خالصة لوجه الله، لا يريد من الكونين سواه جل في علاه.

قواطع السالكين

ما الذي يؤخر المحبين والساكنين والمريدين؟ العلل التي تدخل على النية، والبواعث الدنيوية والشهوانية، والحظوظ الظاهرة والخفية التي تدخل على المريدين، يريد أن يكون شيخاً ويجتمع حوله المريدين فهذه علة، ومادام فيه علة يكون القلب غير سليم، وشرط وجه الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء).

فلو أن الإنسان أخلص لله نفساً بقلب سليم تُمحي عنه كل الحجب والأستار، وتزول عنه كل الأغيار، ولا تقع عين بصيرته إلا على العزيز الغفار ﷻ، نفسٌ واحد فقط:

نفسٌ بقلب سليم رفعةً ورضاً وألف عام بلا قلب كالحظات

لن يصل إلى هذه البُغية ولا هذه المنبة، وكما قلت أن هذه البُغية بُغية الكُمل من العارفين، وأهل الكمال من الصالحين، الذين يقول أحدهم:

وغاية بُغيتي يبدو حبيبي بعين الروح لا يبدو خفيها

سيدنا عمر بن الفارض رحمه الله كان في الجامع الأزهر، ووجد رجلاً يتوضأ، وكان رجلاً

الكفّاء ابن المطبوع نفسي أيتها الملكة الشيخ فوزي محمد فوزي

مجدوباً، ولا يعرف ترتيب الوضوء الصحيح، فاختلط عليه الأمر فغير ترتيب الوضوء، فقال له: يا هذا الوضوء غير ذلك، فدفعه هذا الرجل دفعةً بيده فوجد نفسه في صحراء مكة، لأن هذا الرجل كان في هذا الوقت في مشاهد غيبية إلهية، وملك الملوك ﷺ إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، فكان في حال مع الله.

واستمرَّ ابن الفارض في صحراء مكة خمس عشرة سنة، في ذهابه وإيابه لا يصحب إلا الوحوش، ويشغل بذكر الله ﷻ، وبعد خمس عشرة سنة، إذا بالرجل يقول له وهو في مصر: يا عمر إني سأموت اليوم وتعالى لتصلي عليَّ صلاة الجنائز، وشده وجذبه بيده فوجد نفسه في مصر!!.

نحن نسمع قصائده ونتمتع بها، وهو قالها وهو في حالة المناجاة لله وهو في صحراء مكة بين الوحوش، فلم يكن عنده غير الله، فكان هائماً على وجهه لا يدري بشيء حوله وهو مع الله جل في علاه، لماذا؟ لجلاء السريرة وإنارة البصيرة، لأنه لا بد من حالة الجلاء البصري.

والعادة أن الصالحين تُعرض عليهم منازلهم في الآخرة وهم في الحياة الدنيا إذا كانوا متمكنين، فيعرف ما له هناك، كما قال الله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ (٦ محمد) حتى لا يسأل هناك، فيخرج من الدنيا ويعرف قصوره التي في الجنة وماذا تحتوي؟ ويعرف كل ما له عند ملك الملوك ﷺ.

ومنهم من يرى منزلته في الجنة في اللحظات الأخيرة عند موته، وكل واحد على حسب مقامه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤ الصافات).

وسيدنا عمر بن الفارض ؓ وأرضاه في اللحظات الأخيرة عند موته رأى منزلته العظيمة التي في الجنة، فعندما رآها بكى وقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكموا ما قد رأيت فقد ضيَّعت أيامي
إذا كانت مكافأتي عندكم هذه المباني والخور والقصور، فأكون قد ضيَّعت هذه الأيام، وماذا تريد؟ أريد وجه الله:

أمنية ظفرت روعي بها زماً واليوم أحسبها أضغاث أحلام

أنا أريد الأمنية التي كانت تتنابني على الدوام، فكُشف له عن جمال وجه الله، ثم خرجت روحه لتحدث حالة جمع الجمع على الجامع جل في علاه.

الصدق في النية

فهؤلاء دائماً يركزون حتى مع المبتدئين ...

فأهم شيء في طريق الله ﷻ أن تحقق النية، وتجعلها لوجه رب البرية ﷻ في كل عمل، وفي كل حركة، وفي كل سكنة، حتى ولو كان في السعي على المعاش، حتى ولو كان في مداعبة الأولاد، حتى ولو كان في اللقاء مع النساء، لا يريد من أي أمر يفعله ولا أي قول يقول إلا وجه الله ﷻ.

إذا كانت الهمة عالية فإن الله يُنزلهم المنازل العالية، ويفتح لهم الآفاق، ويرفعهم من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وكما قال بعض الصالحين: أن تعبد الله كأنك تراه إذا قدرت على نفسك وأفانيت نفسك في ذات الله، وأمتَّ شهواتك وحظوظك وأهواءك رغبةً في وجه الله، وأصبحت وكأنك ميت بين يدي الله، ودخلت في قول الله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ (١٢٢ الأنعام) وهذه ليست في الآخرة لأنه قال له: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢ الأنعام) ... فيُعطيه نور الكشف، ونور الفراسة، ونور الوراثة

يمشي به في الناس، لأنه لم يعد معه حظ ولا هوى ولا مجاملة ولا شيء من هذا القبيل، وإنما أصبح قائماً بالله ﷻ جل في علاه.

فإن لم تكن - تراه، يعني إذا وقفت عند: (فإن لم تكن) فبعدها (تراه)، وهذه همسة أخرى ولمسة أخرى، يأخذها العارفون من كلام سيد الأولين والآخرين ﷺ ..

لأن لهم في عبارات النبوة إشارات، وفي عبارات القرآن لمحات وإشارات، تستنير بها قلوبهم إلهاماً من رب البريات ﷻ.

معية الله للمحسنين

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ :

معهم بتأييده وحوله وطوله وتوفيقه ومعونته وقوته وكل شيء، فيمشون ومعهم رعاية الله وعناية الله على الدوام.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نعم فالمخاوف كلها نَّ أمان
لأن معه وجه الله، قال ﷺ:

{ مَنْ خَافَ اللَّهَ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ }

ما دام ليس هناك أحد معه إلا الله، فتكون معه رعاية الله جل في علاه في كل الأحوال، فإذا تمَّ لهم ذلك تحققت الإشارة في الآية وفي العبارة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ :

وهنا معني آخر وهو أنه لَمَعَ المحسنين، أي يُلَمِّعهم ويُظهرهم لكي يهتدي بهم الحائرين والسالكين والمحبين والطلابين لفصل رب العالمين ﷻ.

من الذي يُلَمِّعهم؟ الله، لكن الذي يُلَمِّع نفسه يكون نوره خافتاً لا يراه أحد من أهل القلوب، ولن يُحِيط به إلا كل معيوب، لأنه هو الذي أقام نفسه، لكن هؤلاء الذي لَمَّعهم هو الله ﷻ، الشيخ أحمد أبو شرقاوي رحمه يقول:

قد رُمْتُ نهجاً خفياً أستريح به ولكن رب العلى للخلق أبداني
فصرتُ لله مشكاةً وماذنَّةً طوبى لمن باللقا والبشر يلقاني

هؤلاء هم الفحول الذين يقول فيهم سيدي أبو العباس المرسي رحمه:

(إن لله رجالاً لا يقومون لدعوة الله إلا إذا هدَّدهم بالسلب)

لأنهم فرحين بالخلوة، لأن فيها أنس، وفيها لطف، وفيها إنعام، وفيها إكرام على

الكفّاء من المصنوع نفسي يا أيها المقربين الشيخ فوزي محمد فوزي

الدوام من الله ﷻ، ومن الحبيب المصطفى، لكن مع الخلق يجدون المناكفات والمشاكسات وغير ذلك، هم يريدون الراحة، والله ﷻ يريد راحة المحبين والسالكين والطلابين، فلا بد أن يُقيم المنارات بذاته للصادقين لكي لا يتوه هؤلاء الصادقين المخلصين، فإن الله ﷻ لا يُمكر بطالبه، فييسر الأمور لهؤلاء الرجال.

فكلمة: ﴿لَمَعَ﴾:

لها معنيان اثنان:

- فهم في مقام الإحسان.
- وإذا تجاوزوا مقام الإحسان وذهبوا إلى مقام الإيقان، وفنوا بالكلية في حضرة الواحد الأحد الفرد الصمد، أحياهم الله ﷻ به حياةً شهودية، وردّهم إلى البشرية فكانوا باطنياً في جمع الجمع على الله، وظاهرياً في جمع على خلق الله، فلا الخلق يشغلونهم عن الله، ولا الله ﷻ يمنعهم عن إمداد الخلق بما يحبه ويرضاه، وهذا هو العجب العُجاب ...، ولكن لا عجب إذا كان الذي أقامهم هو الله، والذي أظهرهم هو الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من رجال الله الصادقين ..

وأن يبلغنا مقام الكَمَل من رجال الله العارفين ...

وأن يجعلنا دائماً وأبداً نتقلب في مراتب الإحسان، وفي مقامات الإيقان .. ولا يكون في باطننا ولا في قلوبنا إلا وجه الله في كل وقت وآن، ولا نرجو منه في الآخرة إلا النظر إلى جمال حضرته ...

وأن نكون في الرضوان الأعلى في جنته للتملي على الدوام بشهود وجه عزته

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اَلَمْ ۙ تَلِكْ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ

هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿ (لقمان)

١٢. أهل هداية الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جمعنا في بيته على طاعته، ونسأله سبحانه وتعالى أن يُعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، والصلاة والسلام على خيرته من بريته، صفوة الأنبياء والمرسلين، وإمام السعداء في الدنيا والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين، سيدنا محمد وآله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا تُبين أوصاف فئة مباركة أعلى شأنها الله، وبين مقامها سيدنا رسول الله ﷺ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

{ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا نَعْرِفُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ ۚ }

جعل للدين مراتب ثلاثة، مرتبة الإسلام، وهي المرتبة الأولى التي فيها كل المسلمين.

واختصَّ الله من أهل هذه المرتبة طائفة من أهل القلوب السليمة والأعمال المستقيمة، والأحوال الكريمة، وهؤلاء جعلهم المؤمنين.

١ نجع الغنانية بالقرايا - إسنا - الأقصر ٣ من جماد الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧/١/٣١ م

٢ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثم اصطفى من المؤمنين رجال، وهم في المقام الأعلى، وجعلهم من المحسنين.

ويطول بنا الحديث لو استعرضنا حديث رسول الله ﷺ، لكني ذكرته لأشير إلى مراتب الدين التي بينها الله ﷻ على لسان جبريل، وعلى لسان الصادق الأمين ﷺ.

والآيات التي معنا تتحدث عن الطائفة الأعلى - نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين - وهي طائفة المحسنين.

وبدأ الله ﷻ خطابه كما بدأ في تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم بالأحرف الهجائية، وهذا إعجاز من الله ﷻ لفصحاء العرب، وفطاحل العلماء، ومن جاء بعدهم من جهابذة العلم، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها:

﴿الْم﴾:

السادة المفسرين والمؤولين والعلماء والعارفين قالوا فيها ما لا نستطيع الإتيان به في هذا الوقت والحين، وكلّ يتكلم على قدره بما شرح الله ﷻ به صدره، وكلهم مصيبون، لأنهم لا يتكلمون إلا عن فهم من الله، وإلهام منه تبارك وتعالى.

لكن الأولى في هذا الباب التسليم لله ﷻ في حروف كلماته، لأنها خصوصية من خصوصيات الله ﷻ، يبين بها إعجاز القرآن الكريم.

قال بعضهم: القرآن يتكون من الأحرف الهجائية كالألف واللام والميم إلى آخر الثمانية والعشرين حرفاً: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ هي مكونة من الأحرف الهجائية، ولكن الله تحدّى فصحاء العرب أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا، أو أن يأتوا بعشر آيات، فعجزوا، أو أن يأتوا بآية واحدة، فعجزوا، لأنه كلام من يقول للشيء كن فيكون.

وهذا كان أكبر دليل وبرهان على أنه كلام حضرة الرحمن ﷻ:

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

وعندما نتدبر في آيات القرآن نجد أن الله ﷻ تبارك اسمه وتعالى شأنه ولا إله غيره وصف القرآن في القرآن الكريم بأوصاف متعددة، فتارة يقول: ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ وتارة يقول: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ مَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٥٢-الشورى) وتارة يقول:

الكُتُبُ الْإِسْلَامِيَّةُ نَفْسِيَّةُ الْإِسْلَامِ السُّمُومُ الْفُزِّيُّ مُحَمَّدٌ نُزَيْرٌ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧ الحجـ) وتارةً يقول:
﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧ الواقعة) وتعدد الأوصاف وتعدد الأسماء يدل على عظمة هذا
الكلام، ولذلك نجد الله ﷻ تعددت أسماءه وأوصافه لعظمته تبارك وتعالى، فسيدنا
رسول الله ﷺ قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَّائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ }^٣

وهناك روايات أخرى تذكر أكثر من ذلك، حتى يُعرفنا أنه ليس لها حصر، فعن
سيدنا أنس بن مالك:

{ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي اسْمَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ لَهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَوْمِي فَتَوَضَّعِي، ثُمَّ اذْعِي حَتَّى أَسْمَعَ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ
الْأَعْظَمِ، وَبِاسْمِكَ الْكَبِيرِ الْأَكْبَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَبْتَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ^٤
وأحياناً يقول ﷺ:

{ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي
كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ }^٥

أربع أصناف لا يعلم ما فيهم إلا من علَّمه الله ﷻ، ودخل في قول الله:
﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف).

وكذلك نبينا ﷺ لعظم مكانته عند ربه، ورفعة درجته عند من يقول للشيء كن
فيكون، تعددت أسماءه، حتى في كتاب الله، فمرة يذكره الله بالاسم الصريح:
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ (٢٩ الفتح) ومرة يقول له: ﴿ يَتَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ (١١ المزمل) ومرة يقول له:
﴿ يَتَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (١١ المدثر) ومرة يقول له: ﴿ يَسَّ ۝ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴾ (يس) ومرة يقول

٣ البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٤ الدعاء للطبراني عن أنس ﷺ

٥ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الكتب: انزل المطبوع نفسنا: ايضاً المطبوعين الشمس فوزي محمد فوزي له: ﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ طه ﴾

ولذلك جمع الصالحون حوالي ألف اسم للنبي ﷺ من الأسماء الواردة في القرآن والسنة المباركة، وهذا على قدرهم، لكن قدر نبينا لا يعلمه إلا خالقه وباريه ﷻ!!.

فتعدد الأسماء، وتعدد النعوت والأوصاف، يدل على عظم المكانة: ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ ولو نظر الإنسان إلى حكمة كلام الرحمن يجد العجب العجيب، الحرف الواحد يُعطي معاني لا يدرىها إلا الواحد ﷻ، مثلاً يقول الله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر ٧٤) أما الكافرين: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر ٧١) الواو ليست موجودة في كلمة (فتحت)، وهذه الواو فيها معاني لا تُعد ولا تُحَد، فالجنة مفتوحة ومُجهَّزة ومُهيأة ومُعَدَّة لاستقبال الصالحين - نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين - وقبل أن يصلوا إليها بمسيرة خمسمائة سنة يشمُّوا رائحتها الطيبة، ويشاهدوا قصور الجنة، ويشاهدوا الحور وهنَّ واقفات في شرفات الجنة يهنئونهن بسلامة الوصول، ويُغنين لهم:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُوسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامِ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا } ٦

لكن جهنم لأنها للعذاب فإنها مغلقة الأبواب كالسجن، لا تُفتح أبوابها إلا عندما يذهب فوجٌ ليدخلها، ثم تُغلق أبوابها مرة أخرى، حتى لا تؤذي بقية أهل الموقف بما فيها من نِقن رائحتها، ومن مرارة شراراتها، والشرارة الواحدة التي فيها كالقصر، ومن دُخانها الذي يُعمي الأبصار ويُركم الأنوف، فلا تُفتح إلا إذا جاءها الفوج، والزبانية يفتحونها ويدخلونها ثم يُغلقونها مرة ثانية.

فالفرق بين هاتين الآيتين حرفٌ واحدٌ لنعرف حكمة كلام الحكيم ﷻ، ولو استطرَدنا في هذا المجال نجد أشياء تُعجز الإنسان، حتى يعلم الإنسان أن كلام الرحمن ﷻ كله حكمٌ من كنوز الحكيم تبارك وتعالى.

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر ﷺ

الهدى والرحمة

هذا الكلام ماذا فيه لنا؟ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه هداية، وفيه رحمة لنا جماعة المحسنين، نحن اهتدينا لمعرفة الله، وآمنا بالله، وآمنا برسول الله، لكن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (١٧ محمد) نحتاج إلى زيادة الهداية من الله.

والذي يريد زيادة الهداية عليه بكتاب الله، فيقرأه ويتدبره، ويتمعن المعاني الإلهية التي فيه، فتتفجر عيون الهداية في قلبه، فيمتلئ بالهداية الإلهية العلية السرمدية، وكلما قرأ كلما زاد في الهداية، وكلما كان له شرف أن يكون من أهل الدرجات العلى في سلم العناية عند الله ﷻ.

وفيه رحمة، لأن الإنسان إذا عمل بما فيه يكون معه رحمة الله في الدنيا والآخرة، في الدنيا يرحمه الله من المشاكل والهم والغم والنصب والتعب، ويعيش في الدنيا في أفضل حال، وفي أريح بال، لأن الله ﷻ يتولى أمره وسياسة شئونه على الدوام، ويدخل على الفور في قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٩٧ النحل) ماذا له في الدنيا؟ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (٩٧ النحل).

الحياة الطيبة

والحياة الطيبة ليست كما يفهم بعض الناس أنها العمارات والسيارات، فمعظم الذين عندهم هذه الأشياء لديهم هموم وغموم لا تنتهي، لكن الحياة الطيبة التي وصفها لنا حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةُ يَوْمِهِ؛
فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا }^٧

الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يبتليه في الدنيا ويثدّد عليه البلاء يُسلِّط عليه الهمُّ، ولو سلَّط الله على أحد الهمُّ فهل يتلذذ بطعام أو شراب أو بنوم؟! لا، فكون الله سبحانه

٧ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُطَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ،

الكتب المصنوع نفسي أيها الملقين، الشيخ فوزي محمد فوزي

وتعالى يحفظ الإنسان من الهموم، ويُيسّر له ما لا بد له ولا غناء له عنه في الحياة الدنيا، فهذا ما يحتاجه .. فلو كان عندي سبع قصور، فعلى أي شيء أنام كل ليلة؟ على سرير واحد، أو حتى كنبه، أم هل سينام في شقة كاملة؟! ومهما وسّع الله عليه الأرزاق والخيرات، فماذا يأكل؟ ما يكفي معدته، ولا يزيد عن ذلك، فعندما يُعطي الله الإنسان ما يكفيهِ فهذا دليل على عناية الله ﷻ به، ولذلك قال ﷺ:

{ ابن آدم، عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يُطغيك؟ ابن آدم لا يقليل تقنع، ولا بكثير تشبع؟ ابن آدم، إذا أصبخت مُعافى في جسّدك، أومًا في سريرك، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء }^٨

وهي المصيبة التي حلت بالأمة في زماننا هذا، ونسينا وصية الحبيب ﷺ:

{ ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس }^٩

أنا لا أريد إلا الضرورات، وبعبارة واضحة وصريحة: أنا أريد ستر الله إلى أن أخرج من هذه الحياة، لأننا مسافرون وليست هذه دارنا، فدارنا عند الله ﷻ هناك، والتي دخلها سيدنا آدم وشاهدها ورآها وجهزها لنا الله لنخرج من هنا إلى هناك.

لذلك نريد هنا ستر الله الذي يكفيننا حتى لا نمد أيدينا إلى خلق الله، ولا نمد أيدينا إلا إلى الله جل في علاه إلى أن نخرج من الدنيا، والزيادة ليس فيها مانع، ولكن مع توفيق من الموفق والتي قال فيها ﷺ:

{ نعم المال الصالح مع الرجل الصالح }^{١٠}

إذا زدني فوقتي، حتى أنفق هذه الأمور فيما يُرضيك يا ذا الجلال والإكرام، لكن إذا زادني وتركني فسيغرق الإنسان في الدنيا ويخرج من الدنيا ويقول: ﴿يَحْسَرَتُنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦).

٨ معجم الطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٩ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٠ صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص ﷺ

فالإنسان لو عمل بتعاليم القرآن، وتأسى فيها بالنبي العدنان، فيكون قد رحم نفسه في الدنيا، ورحم نفسه في الآخرة، ودخل في قول الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ (٦٣ الفرقان) أصبح من هذا الصنف العظيم الذي مدحه الله في القرآن، ويكون من المحسنين.

كلنا نريد أن نكون من المحسنين، فماذا نفعل لكي نكون منهم ونصل إلى درجة الإحسان التي قال فيها حضرة النبي:

{ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } ١١

إقامة الصلاة

ماذا نفعل لنصل إلى هذه الدرجة؟ أتى لنا الله بالأوصاف التي توصلنا لها، فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾:

العمل الأساسي الذي يؤدي إلى مقام الإحسان ليس أداء الصلاة، ولكن إقامة الصلاة، فأداء الصلاة يعني يصلي مسرعاً ثم يذهب إلى ما ينتظره في الخارج، ويصلي وهو غافل، وأحياناً ينسى عدد الركعات التي صلاها، هل صلى أربع أو خمس ركعات!!، أو هل قرأ الفاتحة أم التشهد في الوقوف!!

لكن إقامة الصلاة يعني إحسان الوضوء، وإتمام الركوع والسجود، والتدبر في التلاوة، مع استحضار عظمة الله في القلب لكي يخشع الإنسان لله، ويكون حاضراً أثناء الصلاة مع مولاه جل في علاه.

من الذين يحب الله صلاحهم؟ الإجابة في كتاب الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (المؤمنون) الذين يكون في صلاحهم خشوع، وخشوع يعني حضور القلب، ويقظة الإنسان عند أدائه للصلاة وهو بين يدي حضرة الرحمن عز وجل.

فلو أن الإنسان أدى الصلاة بهذه الكيفية، فلن تعترضه مشكلة في الدنيا، لأنه عند أي مشكلة سيتوضأ ويصلي ركعتين لله فيأتيه الحل فوراً في الوقت والحين من حضرة الله جل في علاه ... سيدنا رسول الله ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ } ١٢

فينتهي الأمر على الفور.

ومشى على هذا النهج الصحابة الكبار من الأبرار، وبعدهم العلماء الحكماء والصالحون إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها ...
وعلى سبيل المثال الإمام الشافعي رحمه الله :

كان إذا جاءه سائل يسأله مسألة واستغلق عليه فهمها، يقول للسائل: انتظر حتى أصلي ركعتين لله، فيصلي الركعتين، وبعد الصلاة يقول له: إجابتك كذا وكذا وكذا، فيسأله: من أين أتيت بالإجابة؟ فيقول: ألهمني الله بها وأنا في الصلاة!!.

الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله يقول في كتابه إحياء علوم الدين نقلاً عن الصادقين في سيرة الصحابة الأولين:

أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يأمر ولاته - يعني حكام الأقاليم - أن يجتمعوا في موسم الحج لكي يحاسبهم على ولايتهم وحكمهم في هذه السنة، فكان إذا جاءه الوالي منهم يقول له: انتظر حتى أصلي ركعتين لله، وبعد أن يصلي يقول له: حسابك كذا وكذا وكذا، فيقول له: من أين علمت يا أمير المؤمنين؟ يقول له: ألهمني الله به وأنا في الصلاة!!.

الاستخارة

هل يوجد أحد من المسلمين منذ عصر رسول الله ﷺ عِلِمَ وسلّم، يختار في أي أمر من الأمور؟! لا، ولماذا يختار؟! لو تقدم لابنتي خطيبين، وتخيرت في الاختيار، فلماذا أحتار وأنا معي صلاة الإستخارة؟! فأصلي ركعتين وأدعو الله بدعاء الاستخارة، فيشرح الله لي صديري لما يرى فيه الخير لي ولابنتي في الدنيا والآخرة.

ولذلك سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: (كان ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارة كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن) علّمهم دعاء الاستخارة حتى لا يختاروا.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُزَيْرُ

ولو أن ابني احتار في أي كلية يدخلها، عليه أن يستخير الله، فكما قيل: (لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار)

لو أن ابني جاءته فرصة للسفر للخارج، فهل يسافر أم لا؟ الاستخارة هي الحل، فالمؤمن لا يختار ومعه صلاة الاستخارة التي علّمها لنا النبي المختار ﷺ.

ولذلك عندما أسمع مؤمن يقول: أنا محتار ولا أعرف ماذا أفعل، ولماذا تختار وها هو الطريق، تتوضأ وتُصلي ركعتين لله، وبعد الصلاة تدعو بدعاء الاستخارة، وليس شرطاً أن تحفظه، فمن الممكن أن تقرأه وبعد ذلك سيلهمك الله ما ينفعك إن شاء الله.

وليس شرطاً أن يرى رؤيا، لأن الحديث لم يذكر الرؤيا كما يعتقد البعض، كل ما في الأمر أن الله سيشرح صدرك لهذا الأمر.

وإذا قلّت المياه عندنا قليلاً، ونحن والزرع والضرع معرضين للعطش، لماذا وقد أعطانا الله صلاة الاستسقاء؟! فأصلي صلاة الاستسقاء فتنزل المياه فوراً من عند الله ﷻ، ويجوز أن أصلها بمفردتي.

سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه كان له حديقتين في البصرة، ووكل رجل برعايتهما، وذات يوم قال له: يا صحابي رسول الله أوشك الزرع على التلف، فقال له: ولم؟ قال: لم يعد عندنا قطرة ماء واحدة، قال: ولم لم تبلغني من قبل؟ لأن معه تليفون فيه حرارة الإيمان ويتحدث فيه فوراً مع حضرة الرحمن ﷻ، فقال له: أعندك ماء يكفي لوضوء رجل واحد، قال: بلى، قال: اثني به، فتوضأ وصلى ركعتين، والسماء كانت صحوماً وليس فيها سحابة واحدة، وإذا بسحابة تظهر في السماء وتأتي فوقهم وتنزل الماء، فروت الزرع وملاّت الآبار التي كانوا يعتمدون عليها، والتي تعتبر كخزان مياه.

وبعد أن انتهى المطر قال له: اذهب فانظر أين بلغ الماء؟ ذهب الرجل حول حدود الأرض وقال له: كأن المياه تعلم أرضنا فلم تنزل قطرة واحدة على أرض جيراننا!!

هذه الصلاحية لهذه المهمة معك ومع كل مؤمن، ولكن تحتاج للخشوع والحضور مع الله ﷻ.

صلاة المؤمنين قال فيها الله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ ﴿٤٥﴾ العنكبوت) لكن صلاة المحسنين قال فيها الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤طه) هي صلاة عالية، فعندما يصلي الإنسان بهذه الكيفية تتحقق له القاعدة الإلهية: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١٥٢ البقرة) وكيف يذكرنا؟ لا يذكرنا باسمنا، ولكن يذكرنا بقضاء الشيء الذي نحتاجه، إذا ذكرته وأنا مريض، فذكره لي أن يشفي، وإذا ذكرته وأنا فقير إلى الماء، فذكره لي أن ينزل لي الماء، وإذا ذكرته وأنا خائف، فذكره لي أن يؤمني من الخوف ... كلما ذكرته في أي أمر، فذكره لي قضاء هذا الأمر وتنفيذ هذا المراد، فهذه صلاة المحسنين.

إِنَاء الزكاة

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾:

والزكاة دائماً يقرها الله بالصلاة، لأن الصلاة العبادة الجسمانية، والزكاة العبادة المالية التي كلّفنا بها رب البرية، والتي تدل الإنسان على نفسه هل هي طُهرت وزكت، أم ما زالت نفسه شحيحة وبخيلة.

من الذي يُخرج الزكاة؟ الذي نفسه طُهرت وزكت، وعرف أن المال مال الله، والفقراء عيال الله، فلا يبخل بمال الله على فقراء الله جل في علاه.

أما إذا خاف الفقر، ولا يريد أن يُخرج شيئاً للفقراء، فيكون كما قال الله: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ﴾ (٣٨ محمد) لم يقل (على نفسه) ولكن (عن نفسه) يعني هذه النفس لم تطهر بعد، ولم تتزكى، لأنها لو طُهرت ستسارع إلى انفاق مال الله على فقراء الله جل في علاه.

والزكاة هي الباب الأول بعد الصلاة لنزول البركة من عند الله على أرزاق المؤمنين، ما الذي جعل البركة قلّت عندنا؟ لأن الناس يتحايلون على التشريع الإلهي حتى لا يُخرجون الزكاة، ويهيأ له أن الشيء الذي سيخرج للزكاة رغماً عنه هو الذي سينقص رزقه وهو الذي يجعل معيشته غير موسّعة.

في حين أن الأمر عكس ذلك: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ مُحْلِفٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩ سبأ) هؤلاء غير منتبهين أنهم يتعاملون مع ملك الملوك ﷻ، ولا يستطيع

أحد أن يمنع حقاً فرضه الله، فلا بد أن يأخذ حقه، كيف يأخذ الله حقه والإنسان لم يُخرج الزكاة؟ قال النبي ﷺ:

{ وَمَا مَنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا الْمَطَرَ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَأَخَذُوا بَغْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ }^{١٣}

ما منع قوم الزكاة إلا وسلط الله عليه آفات الزراعة، كأن يسلب عليهم الفتران والآفات المختلفة التي ظهرت الآن، هذا غير أن الإنسان سيكون مذنب وسيحاكم يوم لقاء الله، لأن الإنسان شخّ وشحّت نفسه، ولا يريد أن يُخرج الزكاة التي فرضها عليه مولاه جل في علاه للفقراء من عباد الله.

وغير ذلك انتشر في المجتمع - كما نرى - الحقد والحسد والغل والكُره، لماذا؟ لأن الفقير يرى أن الغني يجرمه حقه، لكن لو عرف أن هذا الزرع سيكون له نصيب فيه وسيأخذه، فإنه سيحرص عليه، وسيحافظ عليه، وتكون العلاقات بينه وبين الغني طيبة، لأنه يعرف أنه سيأخذ منه حقه.

لكن الفقير يرى أن له حق فرضه الله له في هذا الزرع، وصاحب الأمر يرفض أن يُعطي حق الله جل في علاه، فيأخذ الله هذا الحق بالأمراض والعياذ بالله ﷻ، لأنه لا توجد بركة، فتمرض الأجساد ويختار عند الأطباء، وإذا كان عليه مثلاً زكاة مقدارها عشرة آلاف جنيه، فسيدفع في العلاج خمسين ألف جنيه، وهذا غير أن الجسم لن يكون كما كان أولاً!! فلماذا هذا من الأصل!! حصّن نفسك، وحصّن مالك، وحصّن بيتك، وحصّن عيالك بالزكاة، قال ﷺ:

{ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }^{١٤}

اليقين في الآخرة

الصفة الثالثة والهامة والتي نحتاج إليها في حياتنا ونحتاجها لتوصلنا إلى السعادة بعد

١٣ شعب الإيمان للبيهقي وسنن ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٤ معجم الطبراني ومسنند الشهاب عن عبد الله بن مسعود

لقاء الله: :

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

لو الإنسان تذكر دائماً أنه مسافر، وأنه لا يعرف ميعاد السفر!!!!، لذلك يجب أن يُجهز نفسه !!، ويكتب وصيته !!، والحقيقة التي أدخل بها على حضرة الله تكون جاهزة، وماذا في هذه الحقيقة؟

﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦ الكهف)

حتى يكون جاهزاً للقاء الله على الدوام.

كان أصحاب رسول الله ﷺ، ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، جاهزين على الدوام، كانوا عندما يأتي الموت يقولون: (مرحباً، حبيب جاء على فاقة) أنا منتظر هذا اليوم منذ زمن لأخرج من الهم والحزن والمشاكل التي أنا فيها، فعندما يُخرج من هنا يقول كما قال الله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (٣٤ فاطر).

هؤلاء القوم الذين فيهم هذه الصفات قال الله فيهم:

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ شهد الله لهم بالهداية ويكفي شهادة الله ...
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون في الدنيا ويوم الدين.

نسأل الله ﷻ أن يحققنا بهذه الآية ...

وأن يجعل لنا نصيباً من هذه العناية ... وأن يرزقنا رعاية حضرته في الدنيا، حتى نخرج ونحن في أبهى حُلل الشوق إلى لقاء حضرته، وأن يُعيننا على طاعته، وأن يجعلنا في الآخرة من أهل الدرجات العُلى في جنته، وأن يجمعنا على أحبته وعلى حبيبه ومصطفاه، وأن يرفع عنا الحُجب حتى نتمتع بجمال مُحيّاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴾ ١٢
وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلُوهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤
وَأَن جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥
يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي
 الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
 يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ
 ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي
 الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
 ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ
 إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (لقمان)

١٣. شباب أهل الجنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله كل ما نحتاج إليه في ديننا، ليرتفع شأننا، ويعلو شأن أبناءنا، وتكون لنا العزة على جميع الأمم في أرض الله ﷻ، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، شمس الحق المشرقة بنور هدايته، نوره ربيع للمتقين، ووجهه حبيب للعارفين، ولواؤه مرفوع يوم الدين ينضوي تحته لواء أهل الشفاعة، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين، سيدنا محمد إمام الهدى، ومصباح الظلام وبدر التمام، الذي جعله الله ﷻ بما علمه أستاذاً لجميع الأنام، صلى الله عليه وعلى آله الكرام، وعلى صحابته الهداة الأعلام، وعلى كل من تبعه على هذا الهدى والنور إلى يوم الزحام، وعلينا معهم أجمعين ... آمين آمين يا رب العالمين.

برنامج التربية الإلهية

الآيات التي معنا اليوم هي عبارة عن برنامج التربية الإلهية المقرر من الله على شباب الأمة الإسلامية، والذي يتولى التدريس هو الأب، فمهمته التي كلفه بها الله هي تعليم أولاده وتربيتهم على منهج الله جل في علاه.

وما كلف الآباء به أنفسهم في هذا الزمان أمر لم يطلبه منهم الرحمن، بل أمر ضمنه لهم في كل وقت وآن فالدستور الإلهي بيننا وبين الله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (١٣٢طه) والأهل والزوجة والأولاد ورزقهم، فهذا عمل الرزاق سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا لَنْ تَرْزُقَكَ وَالْعِيقَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢طه).

الرزق على الله، فأنت تسعى سعيًا حسيماً لتأخذ ما قدره لك الله جل في علاه، لكن ليس أنت من يجلب الرزق، ولا أنت من يأتي بالرزاق، وإنما تتناولها من يمين الكريم الخلاق ﷻ.

هذا البرنامج الإلهي خرج أبرز الأفراد في الوجود كله، الفتية الذين ليس لهم مثل في تاريخ البشرية كلها، الشباب الذين كانوا في ريعان الشباب ويقودوا الأمة كما يريد نبي الرحمة

ﷺ، إلى أن عمَّ نور الإسلام كل الآفاق، بهؤلاء الشباب، والنماذج لا يسع الوقت لذكرها وعدّها فضلاً عن أحوالها وأعمالها.

من الذي فتح بلاد الإسلام الممتدة؟ كلهم شباب، وأولهم أسامة بن زيد، فقد عقد له النبي لواء الدفاع عن المسلمين ضد الروم لما جهزوا مائتي ألف فارس ليقضوا على الإسلام والمسلمين، وكان عمره ثمانية أو تسعة عشر عاماً، وبمجرد تحرّكه من المدينة المنورة قذف الله في قلوب الأعداء الرعب، فانسحبوا من أماكنهم وتركوا معسكراتهم وظفر أسامة ومن معه بالنصر بدون قتال.

من الذي فتح بلاد الأندلس؟ أيضاً شابٌ عمره سبعة عشر سنة وهو طارق بن زياد البربري، وقائد الجيش العام كان الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، رأى في المنام أن رجلاً أعرجاً يكنى عبد الرحمن من أهل الجنة وسيفتح الله عليه بلاد المغرب، وفي الصباح قصَّ الرؤيا لمن حوله من الوجهاء والأمراء، وإذا برجل أعرج يأتيه ويقول له: أنا عبد الرحمن موسى بن نصير وأنا الرجل الذي رأيته في المنام، وسيتم على يديّ إن شاء الله فتح جزيرة الأندلس، فأخرج له على الفور أمراً بقيادة الجيوش التي ستفتح بلاد المغرب والأندلس، وقد كان رجلاً أعرجاً وعمره خمس وستون عاماً، لكن الله ﷻ جعل على يديه الفتح!!^٢

عبد الله بن أم مكتوم كان رجل أعمى، ونزلت فيه آيات في كتاب الله في سورة عبس، وكان النبي ﷺ يُعطيه إمارة المدينة في حالة خروجه مع الجيش، هذا الرجل طلب من سيدنا عمر بن الخطاب أن لا يمنعه من الجهاد في فتح بلاد الفرس، وحضر موقعة القادسية، وهو ذهب ليرفع الروح المعنوية لا ليحارب بالسيف، شعر وهو في وسط الجيش أن الأعداء هجموا بشدة، والجيش كأنه يتراجع وينسحب، فنادى عليهم وقال: أوقفوني على صخرة وأعطوني اللواء، - واللواء يعني علم القيادة الذي يمسكه قائد الجيش - فأنا أعمى ولن أنسحب من مكاني حتى يثبت الجند ولا يفروا ويتم النصر، وقد كان.

بلاد الهند وباكستان وبنجلاديش وأفغانستان، هذه البلاد من الذي فتحها؟ أيضاً شاب في عصر الوليد بن عبد الملك كان عمره دون العشرين سنة، وكان اسمه

٢ شذرات الذهب، والبرص والعرجان، ومراة الجنان وعبرة اليقظان وفتوح البلدان والوافي بالوفيات.

هؤلاء الشباب أين الجامعة التي تعلموا فيها؟! وما النفقات التي دفعوها؟!

فالآباء الآن يتنافسون على تعليم أولادهم في الجامعات الأجنبية، إن كان في الجامعة الكندية، أو الجامعة الأمريكية، أو الجامعة الصينية، أو الجامعة الألمانية، أو الجامعة الروسية .. ويقولون أن التعليم في هذه الجامعات أفضل.

لكن الله ﷻ أنزل لنا منهجاً لكل مسلم عالم أو غير عالم، وهو المنهج الأساسي لتربية أولادنا، وهي التربية التي يحبها الله، والتي يجب أن يكون عليها أتباع دين الله جل في علاه.

وبعد ذلك يتعلم فنون العلوم، فالعلوم العصرية هي عبارة عن فنون وصناعات، فيتعلم فن الطب، أو فن الهندسة، أو فن العلوم .. كل هذه عبارة عن فنون علمية، لكن الأساس كله هو النظام الإلهي الذي أنزله الله في كتابه سبحانه وتعالى.

لقمان الحكيم

هذا النظام ذكره الله على لسان رجل من أهل الحكمة، علّم ابنه بالحكمة التي ألهمه بها الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ولقمان كان رجل يعمل راعي غنم في بني إسرائيل، وكان في عصر سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان ابن خالة سيدنا أيوب، وهما من أنبياء بني إسرائيل، لكن الله علّمه الحكمة.

الرجل الذي كان يعمل عنده سيدنا لقمان قال له: يا لقمان أريد منك أن تذبح هذه الشاة وتأتي بأفضل شيء فيها، فذبح الشاة وأتاه بالقلب واللسان، وبعد بضعة أيام قال له: يا لقمان أريد منك أن تذبح هذه الشاة وتأتي بأخيث شيء فيها، فذبحها وأتاه بالقلب واللسان، فقال له: أقول لك اثني بأطيب شيء فتأتي بالقلب واللسان، وأطلب أخيث شيء فتأتي بالقلب واللسان؟ قال له: لأتاهما إذا طابا صاراً أطيب شيء في الشاة، وإذا خبثا صاراً أخيث شيء فيها، وهذا ليس في الشاة فقط ولكن في أي إنسان، فأطيب شيء فيه القلب واللسان.

إذا توجه القلب إلى الله، واشتغل اللسان بالكلام الذي يحبّه الله، فإنا هناء صاحب

هذا القلب، وصاحب هذا اللسان.

وإذا امتلأ القلب بما لا يُحبه الله، واشتغل اللسان بما نُهى عنه حضرة الله، فصاحب هذا القلب وصاحب هذا اللسان له سوء العاقبة عند مولاه، لأن الله ﷻ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }^٣

اشتهر لقمان بالحكمة، والحكمة يعني حُسن التصرف في الأحوال، وحُسن التفوُّه بالكلام الذي ينفع ما يسمعه من الرجال، كلامه نافع ورافع، وتصرفاته كلها تؤدي إلى خير، وإلى عمل طيب ... ولنعرف كيف وصل إلى الحكمة، قال له رجل: يا لقمان أأست الراعي الذي يعمل عند فلان؟ قال: نعم، قال له الرجل: فمن أين أتيت بالحكمة؟ قال له: الصدق والأمانة وترك ما لا يعني.

الإنسان الذي يريد أن يكون حكيماً ماذا يفعل؟ عليه أن يتمسك بثلاث صفات: الصدق في القول والعمل، والأمانة في كل أحواله، وترك ما لا يعنيه، والحبيب جمع لنا هذا الأمر كله في قوله:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ }^٤

شيء لا يخصني ليس لي شأن به، وضرب لنا لقمان المثل الأعظم في هذا الأمر، ذهب ليزور سيدنا داود، وكان سيدنا داود قد ألهمه الله بصناعة الدروع، والدرع شيء من حديد يضعه الفارس على صدره يقيه من ضربات السيوف والرماح في القتال، فظفر إليه وأراد أن يعرف ماذا يصنع، ولكنه قال في نفسه: إذا كان هناك شيء يخصني فسيُحدثني به، وبعد أن انتهى سيدنا داود من صنْع الدرع لبسه وقال له: هذا درعٌ يقي من ضربات السيوف والسهام، فقال: الحمد لله جاءت الإجابة بغير سؤال.

فهذه كانت أحوال الحكماء، غير أهل زماننا هذا، فتجد الرجل يسأل: لماذا بيني هذا الرجل؟! ولماذا يهدم هذا؟! ومن أين أتى بالمال؟! وبكم اشترى الحديد؟! وبكم اشترى الطوب؟! وبكم اشترى الأسمت؟! ويجعل نفسه مسئولاً في الجهاز المركزي للمحاسبات،

٣ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ

٤ جامع الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ

ويحاسب كل من حوله !! فلان كم تكلف زواج ابنته؟! وما الأثاث الذي اشتراه لها؟! فما شأننا وشأن هذه الموضوعات؟! فال مؤمن مطالب بالعمل بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ }^٥

أمر لا يعينني لماذا أتدخل فيه؟! أتدخل لو أردت المساعدة، فيسأل الرجل: يا فلان أنت تجهز ابنتك للزواج فماذا تحتاج لأساهم معك؟ فهذا لا مانع منه، لكننا شغلنا أنفسنا بمثل هذه الأمور، فتاهت الحكمة، وضاعت الحكمة من بين المسلمين، مع أن المسلمين الأولين كل واحد منهم كان حكيماً، لأن كل واحد منهم كان عالماً، وحضرة النبي وصفهم كلهم ولم يستثن أحداً منهم فقال فيهم:

{ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءُ }^٦ وفي رواية أخرى:

{ أَدْبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلَاءُ فَقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءُ }^٧

لماذا؟ لأنهم مشوا على هذا المنهج الإلهي الذي أنزله الله، والذي نفذه وأشرف على تنفيذه سيدنا رسول الله ﷺ.

الشكر باب المزيد

آتاه الله الحكمة وأمره بأمر جامع للعبادات كلها، فأهم عبادة يطلبها منا الله أجمعين: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ ﴾ العبادة المطلوبة منا كلنا أن نشكر الله، ونحن نظن أن من يشكر الله هو الذي معه مالٌ كثير فقط!!، لكن أفلا يجب أن نشكره على نعمة الصحة؟! أفلا نشكره على نعمة الدين والإيمان؟! أفلا نشكره على نعمة النبي العدنان والقرآن؟! نَعَمْ لا تُعد ولا تُحصى نحتاج أن نفكر فيها لنشكر الله عليها، لأن الشكر هو باب المزيد: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧ إبراهيم).

البلاء الذي نزل على الأمة الآن أن النعم أصبحت بغير حساب، ولا يرضى أحدٌ بها،

٥ جامع الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ

٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سويد بن الحارث ؓ

٧ أحاديث منتقاه لأبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث ؓ

ولا يريد أن يشكر الله ﷻ على عطاء الله، ولا على نعم الله جل في علاه، فمعظم الناس يشتكي ويبت شكاواه، وكأنه يشتكي الله جل في علاه، مع أن الله ﷻ غمرنا بنعم، الواحدة منها لا نستطيع أن نعد فضل الله علينا فيها: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ (٣٤ إبراهيم) لم يقل (نعم الله) لأنه لا يستطيع أحد أن يعد نعم الله، ولكن نعمة واحدة فقط من نعم الله لا نستطيع أن نحصي ما فيها من فضل الله ﷻ علينا.

ذهب رجل لأحد الصالحين يشتكي معيشته، وأن الله تركه وليس معه شيء ..

فقال له الرجل الصالح: تعال نحسب النعم التي معك:

أليس معك عينٌ تبصر؟ قال: نعم، قال له: هل ترضى أن يأخذ أحدٌ هذه العين منك بعشرة آلاف دولار؟ قال له: لا، قال له: إذا فأنت معك عشرة آلاف دولار، قال له: ألا تسمع؟ قال له: نعم، قال: هل ترضى أن يأخذ أحدٌ منك السمع ويعطيك عشرة آلاف دولار؟ قال: لا، قال: إذاً معك عشرون ألف دولار، قال له: أليس معك العقل الذي تميز به بين الأشياء؟ قال: نعم، قال له: هل ترضى أن يأخذ أحدٌ منك العقل ويعطيك عشرة آلاف دولار؟ قال: لا، قال: إذاً فأنت معك ثلاثين ألف دولار، قال له: أليس معك اليدين، ومعك الرجلين، قال له: نعم، قال: إذاً معك خمسين ألف دولار لهذه النعم فقط، وأنت تدعي الفقر وأن الله تركك ولم يعطك شيئاً!!.

الشيخ أبو اليزيد رحمه الله وأرضاه، كان كل صباح يتلَمَس عينيهِ وأذنيه وأعضائه، فسأله عن ذلك، فقال: أخشى أن يحاسبني الله بذنوبي فأصبح ولا أجد شيئاً من جوارحي!! ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (٦١ النحل) فكوني أصبح وأجد هذه النعم كلها موجودة فهذا فضل من الله، وإكرام من الله لا يعد ولا يُحد.

لذلك نحتاج أن نشكر الله باستمرار هذه النعم، ونحن كلنا نرى من أصيب بشيء في عينيه، لا يتأخر في أن يدفع كل ما يملك ليرى فقط بعينيهِ وتعود سليمة، لكن إذا كانت سليمة أفلا تحتاج إلى شكر الله ليحافظ لك الله على سلامتها!!

فنحتاج دائماً لعبادة الشكر لله ﷻ: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧ إبراهيم) ومن أين تأتي الزيادة؟ إذا شكرنا الله ﷻ على نعمه، والشكر ليس كلمة (الحمد لله) فقط، ولكن

الشكر هو أن أستخدم نِعَمَ الله في ما يُحِبُّه الله ويرضاه

فشكر نعمة البصر:

أن أنظر بها في الآفاق لكي أهتدي بهذه المخلوقات إلى الكريم الخلاق: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٠١ يونس) انظر إلى نعم الله في السماوات وفي الأرض لأشكر الله ﷻ عليها، ولا أستخدمها فيما نهي عنه الله، فقد قال لي: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ (٣٠ النور) فلا بد أن أنفذ هذا الأمر الإلهي بأن أغضُّ بصري، ومن يغض بصره سيمتلئ قلبه بالنور، قال ﷺ:

{ النَّظَرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ، أَثَابَهُ جَلٌّ وَعَزٌّ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ }^٨

لماذا؟

لأنه نفذ كلام الله، وغضَّ بصره عما نهي عنه مولاه في كتاب الله جل في علاه. وأتفقد بهذه العين أحوال إخواني المؤمنين الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين، لكي أقضي لهم من بعض ما تفضل به عليَّ رب العالمين، وأنظر في كلام الله، وأقرأ كتاب الله، لكي أتلذذ بخير كلام أنزله الله ﷻ على عباده.

وهكذا شكر الجوارح، والموضوع يطول لو استرسلنا فيه، ولكننا لا نريد أن نخرج عن الإطار فنوجز في العبارة حتى نحاول أن نحيط بمنهج الله بقدر ما نستطيع إن شاء الله. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾:

فإنه ليس محتاجاً لهذا الشكر، فهو ﷻ لا يحتاج لطاعتنا، ولا تضره معصيتنا، ولكن من يشكر يشكر ليستزيد من فضل الله ﷻ، ومن ترك الشكر يكون قد جحد بنعم الله: .. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي جحد بأنعم الله.

العقيدة الصحيحة

^٨ الحاكم في المستدرک ومسند الشهاب عن حذيفة بن اليمان ؓ

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الطَّاهِرِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الشَّيْخُ فَرْزِي مُحَمَّدُ نُورِي

منهج سيدنا لقمان الذي عرضه علينا الله في القرآن، هو المنهج الإلهي لتربية الأبناء والبنات، فما أول شيء نعلمه لأولادنا؟ العقيدة الصحيحة، بأن تكون عندهم ملكة المراقبة لله، ويعلموا علم اليقين أنهم تحت بصر الله جل في علاه، وأنه لا يخفى عليه خافية في صدورهم ولا في قلوبهم، ولا في عقولهم، ولا في أعمالهم، ولا في كل أحوالهم.

ولذلك قال الله لنا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ كيف أكلم ابني؟ باللطف واللين والعبارات التي تستدر عطفه وترقق قلبه، فلا أخره ولا أزجره، ولكن أقول له: يا بني، وهي كلمة تستدر بها عطف الولد وتجعله يستمع إلى أبيه: ... ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ والحقيقة أن الوقف القرآني يُعطى معاني عظيمة، فمن الممكن أن نقول: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ﴾ وبعد الوقف: ﴿بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يُقسم أن الشرك ظلمٌ عظيم.

ومن الممكن أن نقول: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ وبعد الوقف: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ﴾ وإن للتأكيد، ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ظلم للإنسان، فمن يُشرك فقد ظلم نفسه: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (الطلاق) لم يظلم أحداً آخر، ولكنه ظلم نفسه، لأن الله واحد أحد فردٌ صمد، لا في شيء، ولا من شيء، ولا على شيء، ولا مفتقراً إلى شيء، ولا محمولاً على شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى) لا يحتاج لي، ولكن أنا المحتاج إليه.

مراقبة الله

إذا فأول درس يحتاجه أولادنا مراقبة الله، وهذا الدرس لن يأخذوه في المدارس ولا في الكتاتيب ولا في الجامعات، ولكن الأب والأم هما من يعلمان هذا الدرس لهم، وهو أول درس نجح فيه أصحاب رسول الله ﷺ.

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان ماشياً في الصحراء ومعه نفر، ونفذ طعامهم، فوجد ولداً شاباً يرعى غنم، فنادى عليه وقال له: يا بني بعني شاة من هذه، فقال الغلام: إنها ليست لي، وإنما لسيدي وأنا أعمل عنده بالأجر، قال له: قل له إن الذئب أكلها، قال الغلام: إذا قلت هذا لسيدي الصغير هنا، فماذا أقول لسيدي الكبير هناك؟!..

إنه يعمل راعي، وليس معه شهادة، فهو ليس مهندساً ولا طبيباً ولا محاسباً ولا

مستولاً، لكن هذا الدرس ألا يحتاجه كل المسئولين عندنا؟! ولكن متى يتعلموه؟! كان من الواجب أن يدرسوه في الصغر، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ويأخذه من الوالدين، قال ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }^٩

من تكون رعيّتك؟ زوجتك وأولادك وبناتك، وأنت الذي تعطيهم هذا الدرس بنفسك.

سيدنا عمر كان يمر في المدينة في الليل ليتفقد أحوال الرعية، فسمع حواراً دار بين بنت وأمها، فالأم تقول لها: يا بنية ضعي الماء على اللبن، قالت: يا أماه إن أمير المؤمنين نهي عن غش اللبن بالماء، قالت: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ قالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله ﷻ يرانا، فعلم سيدنا عمر البيت بحجر لأن الطريق كان مظلماً، وذهب لبيته وجمع أولاده وقال لهم: من يتزوج هذه البنت وأنا أجهّزه؟ ولو كنت ما زلت شاباً وفيّ قوة لتزوجتها، فقال له ابنه عاصم: أنا أتزوجها ...

فتزوجها وولدت له بنتاً، هذه البنت ولدت سيدنا عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين الخليفة الورع، لماذا؟

لأن حضرة النبي قال لهم:

{ تَخَيَّرُوا لِنُطْفَئِكُمْ }^{١٠} .. وفي رواية أخرى: { وَانْظُرْ فِي أَيِّ بَصَابٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فَإِنَّ

الْعِرْقَ دَسَّاسٌ }^{١١}

أنظر أين تضع النطفة؟ كما قال الله: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (النور ٣٢) انظر للمرأة الصالحة التي تراقب الله، وتخشى الله ﷻ.

فأول درس مطالبون بأن نلقنه لأولادنا هو مراقبة الله؛ ونجعل عندهم في شغاف القلب شيء من الخوف من الله، والخوف من معصية الله.

٩ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٠ سنن ابن ماجه والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

١١ مسند الشهاب ومعجم ابن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما

الأهميات في زماننا - هداهم الله - أحياناً يخيفوا أولادهم لكي يسكتوا بأمور غير مستحبة، تقول له: اسكت وإلا سأحضر لك كذا!! لكن المفروض دائماً أن نربي فيهم ملكة الخوف من الله ﷻ من الصغر.

الإمام محمد بن سهل رحمه الله وأرضاه، كان الذي رباه خاله، وكان عنده ثلاثة أعوام، وكان خاله يأخذه بجواره وهو يقوم الليل، والولد سريع التقليد، وهذا مبدأ علمي موجود في علم النفس، أن الأولاد يتعلمون بالحاكاة، فيحاكي من أمامه، فكان يراه ركعاً فيركع مثله، فإذا سجد يسجد مثله، وهو لا يعلم ما يعمل، ولكنها مطلوبة في دين الله ﷻ، فالولد كان يعمل مثل خاله وهو ابن ثلاث سنوات!!.

فلما رآه خاله هكذا قال له: أريد أن أعلمك شيئاً، قل كل ليلة: (الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهدٌ عليّ) وتكررها كل ليلة ثلاث مرات، وهو يريد أن يدرسه على مراقبة الله، وأن الله يراه ويشاهده، وأنه مطلعٌ عليه، فمشى على ذلك، وبعد أسبوع قال له: زدها فاجعلها إحدى عشرة مرة، وبعد أن داوم عليها قال له: (من كان معه الله فلا يخشى أحداً سواه، ومن كان الله ناظرٌ إليه فلا ينبغي أن يعصاه، ومن كان الله شاهداً عليه فينبغي أن يحسن العمل لأنه يطلع عليه مولاه) وأمره أن يحافظ على هذا الورد في كل حياته، ومشى عليه على الدوام... فهذا كان منهج السلف الصالح مع أولادهم، فأنت المسئول عن مثل هذه الأمور، لكن أنت تجهزه ليصبح مثلاً مهندساً من الجامعة الأمريكية، ويتخرج ويتوظف حتى يكون رئيس مجلس إدارة شركة، أو وزير، أو محافظ، فماذا أنت آخذ منه؟ لن تأخذ منه إلا كما قال حضرة النبي:

{ أَوْلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ } ١٢

إذا كان صالحاً فهذا ما ينفعني، لأنه سيدعو لي، وأنا أحتاج لدعوته، ولذلك ذهب شاب إلى رجل من الصالحين وقال له: كيف أعرف أن الله يُجيبني؟ فقال له: هل تدعو لأبيك وأُمك كل يوم؟ قال: نعم، قال له: إذا كنت تدعو لأبيك وأُمك كل يوم فأنت من الصالحين، لأن النبي ذكر أن من يدعو لهما فهو ولدٌ صالح، ومن ينساهما ولا يتذكرهم ولا يدعو لهم،

فهل يدخل في الحديث؟ لا، فلنكن تضمن أن تكون من الصالحين لا بد أن تواظب على الدعاء لأبيك وأمك كل يوم وكل ليلة.

إذاً أول درس نحن مطالبون به مع أولادنا تعليمهم مراقبة الله، وهذا يحتاج منا أن نتقرب منهم، ونتكلم معهم، ونقول له: أتعرف يا بني لماذا نجحت؟ لأن الله وفقك، فاشكر الله على هذا الأمر، أتعرف يا بني لماذا أكرمنا الله في محصول هذه السنة؟ لأن الله يحبنا، وهكذا، فأجعل علاقة الولد دائماً مع الله، ولا أجعل علاقته مقطوعة مع مولاه.

الشرك الظاهر والخفي

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ نحن والحمد لله كلنا ليس عندنا شرك لأننا كلنا مسلمين، ولكن ما خوّفنا منه حضرة النبي شيء اسمه الشرك الخفي، وما الشرك الخفي؟ أن يعمل الإنسان أي عمل يريد أن يراه الناس ويمدحوه عليه، ويثنوا عليه، ويؤدّ الشهرة والسُّمعة والرياء، فإذا كان عمله بهذه الكيفية حبط عمله، لأنه لم يعمل لله، ولأن الله اشترط علينا في قبول الأعمال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر ٣) خالص لله، ويأتي يوم القيامة مكتوب على باب المحكمة الإلهية:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ }^{١٣}

ولمن نعمل العمل؟

لله، خالصاً لله، لا نرجوا ثواباً ولا جزاء ولا شكراً إلا من حضرة الله، حتى إذا أطعنا أحداً أو سقيناها يكون: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان) ... فالإنسان المؤمن أحرص ما يحرص عليه عدم الوقوع في الشرك الخفي، والذي يقول فيه الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف ١٠٦) كيف يكونوا مشركين؟! يعملون العمل ظاهره لله، وباطنه يريد منه الشهرة أو الأجر والثواب والثناء من الناس، وهذا يُحبط العمل ولا يقبله رب الناس تبارك وتعالى.

١٣ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ

الوصية بالوالدين

ولأن المعلم هو الأب، فقبل أن يسترسل في الدروس العلمية والعملية التي يعطيها لابنه، تدخل الله سبحانه وتعالى وعلمنا قيمة المعلم الأول وهو الأب أو الأم ليحترم الإنسان معلمه، فيكون قد شكر الله، ويمشي على منهج الله ﷻ:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾.

من الذي أوصى بالوالدين؟ الله ﷻ، والحقيقة أن الحلق فيه غصة مما يحدث في هذا الزمان من الشباب مع الوالدين، فقد نشأنا كلنا ولعلنا نعلم كيف كنا نحب الوالدين؟! وكيف كنا نحترم الوالدين؟! وكيف كنا نجلهما؟! وهذا العمل الذي أمرنا به الله، والذي أوصانا به رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة في هذا الباب، واحد منهم فقط يقول فيه:

{ رِضَا اللَّهِ مِنْ رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ مِنْ سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ }^{١٤}

وكما تعلمون أن اللجنة تحت أقدام الأمهات !!...

فالجنة دخولها يحتاج إلى رضا الوالدين، والذنب الوحيد الذي تُعجل عقوبته في الدنيا هو عقوق الوالدين، ولذلك المؤمنون لا بد أن يُظهروا لأنفسهم ولإخوانهم عبادة بر الوالدين، والبر يعني طاعة للوالدين، ولكن في المعروف.

الوفاء للأم

وخصَّ الله الأم بسبب الآلام التي تتحملها: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ ضعفاً على ضعف، فالجنين في بطن الأم يتربى ويتغذى من أمه، والأمهات في هذا الزمن معظمن يشتكين من وجع الأرجل، ووضح ذلك العلماء وقالوا: إن الجنين عندما يحتاج إلى الكالسيوم الذي تتكون منه العظام يأخذه من طعام الأم، فإذا لم يكفيه فإنه يأخذ الكالسيوم من عظامها، ولذلك قد تُصاب الأم بهشاشة العظام، والتي انتشرت في هذه الأيام، فالجنين يتغذى من أعصابها ومن عروقهها ومن ضلوعها ومن كل شيء فيها، لذلك سبب ضعفها

١٤ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

يعني انتهاء مدة الرضاعة بعد عامين، والعامين هنا عامين هجريين.

ثم عَقَّبَ الله بقول بليغ لكل إنسان حكيم: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾
 قرن شكر الله بشكر الوالدين، فشكر الله مع شكر الوالدين واحد، لكي نعرف قيمة شكر
 الوالدين، وشكر الوالدين يعني برهما وطاعتهما والوفاء لهما بما أوجبه الله، وبينه سيدنا رسول
 الله ﷺ لهما، وقد ورد:

{ أَنْ رَجُلًا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلًا أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ أَدَيْتُ حَقَّهَا ؟
 قَالَ: لَا ، وَلَا يَزْفِرُ وَاحِدَةً } ١٥

لأنه قد يفعل معها ذلك ويتمنى موتها، ولكنها كانت تفعل معه أكثر من ذلك وتتمنى
 حياته، فنريد أن نعيد مرة ثانية بر الوالدين.

أهل الغرب ليس عندهم هذه الأعمال، لذلك من الأمور التي تحبهم في الإسلام
 عندما يشاهدوا بر المؤمنين بآبائهم وأمهاتهم، ومنذ عدة سنوات مضت كان المركز الإسلامي
 في باريس يقيم احتفالاً، فجاءت امرأة فرنسية ومعها ابنها وقالت لهم: أنا أريد أن تدخلوا
 ابني في الإسلام، فقالوا لها: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، قالوا: ولم تريد أن يدخل ابنك
 في الإسلام؟ قالت: لأني أريده عندما أكبر في السن يفعل معي كما يفعل أولاد المسلمين
 بأمهاتهم، ولا يفعل كما يفعل معي أولاد الفرنسيين!!.

لأنه هناك عندما يكبر الابن فليس له شأنٌ بآبيه ولا أمه، ويذهب لحال سبيله، حتى
 لا توجد زيارات بينهم، ولا مودة، غاية ما في الأمر إذا مات أبوه أو أمه، ويجبروه بذلك
 يتصل بوكالة دفن الموتى ويقول لهم: مات فلان، أو ماتت فلانة في مكان كذا، فيذهبوا
 ليدفنها!! فما الذي يشدهم للإسلام؟ هذه القيم الإسلامية النبيلة التي غرسها فينا سيدنا
 رسول الله ﷺ مع كتاب الله ﷻ.

نفرض أن الأم والأب يأمراني بأمر يخالف هدي الله، فهنا نقف، وكما قال ﷺ:

{ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ } ١٦

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾:

لا أطيعهما في هذه الجزئية، ولماذا أتى الله بهذه الآية؟ لأن الله أباح للمؤمنين أن يتزوجوا من أهل الكتاب، فنفرض أن الأب تزوج امرأة انجليزية أو فرنسية أو ألمانية، وهي تمسكت بدينها، وتريد أن تجعل الولد على دينها، فيجب عدم طاعتها في هذا الباب، ويظل متمسك بالإسلام، ومنهج الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

الرفقة الصالحة

كيف أتعامل مع هذه الظروف؟ ﴿ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أراقب الذين رجعوا إلى الله، وأولهم سيدنا رسول الله وأصحابه الكرام، ومن بعدهم من الصالحين والعلماء العاملين والحكماء الربانيين، فهذه وصية من الله لنا أن نصحب في حياتنا هؤلاء الصالحين، لكي لا نميل إلى الجهات الأخرى التي لا يحبها الله ولا يرضاها.

كان لقمان يعلم ابنه التوحيد، فقال له الابن: يا أبت لو عملت شيئاً ولم يرني أحد فهل يراني ربي؟ فقال له:

﴿ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (١٦ لقمان).

هل يوجد أحد من أبنائنا لا يحتاج إلى هذا الدرس؟! كلهم يحتاجون لهذا الدرس، ولكن بلطف وبمودة، والمسلم إذا جلس مع أولاده يثبت ويغرس فيهم هذه العقيدة؛ عقيدة الله ﷻ، وأنه لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

فقال له سيدنا لقمان: يا بُنَيَّ لو كانت حبة خردل في صخرة، وليس لها باب ولا كوة - شبابيك - فإن الله ﷻ يعلمها، لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

١٦ مسند الشهاب ومسند أحمد بصيغة (لا طاعة في معصية الله) عن عمران بن حصين

الكُنْكَ أَنْفَالِطَبُوعِ نَفْسِيَّاتِيَّاتِ الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

ومثقال حبة يعني بعض حبة، والخردل هو نبات وحبته صغيرة، فلو كان جزء من هذه الحبة ووضعتها في صخرة، والصخرة ليس لها فتحات، ووضعتها في السماء أو في الأرض، فإن الله يأت بها، لأنه لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ الله سبحانه لطيف، لأن الولد قد يقول لأبيه: أريد أن أرى الله، فيقول له: يا بني إن الله لطيف، من اللطف، أفلا تشعر بالهواء؟ فيقول له: نعم، فيقول: له: وهل تستطيع أن ترى الهواء؟ يقول: لا، ولماذا؟ لأنه لطيف، ويا بني ألا تتمتع بالكهرباء؟ فيقول: نعم، فيقول له: وهل تستطيع أن ترى الكهرباء؟ فيقول: لا، لماذا؟ لأنها لطيفة.

فيعطيه هذه الأمثال ليكون عنده يقين في رب العالمين، وأن الله ﷻ لا يُخَيَّرُ في زمان، ولا يُدْرِك في مكان، لأنه خلق الزمان والمكان، وهو ﷻ تعالى عن أي زمان وعن أي مكان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد).

﴿حَبِيرٌ﴾ يعلم كل شيء يفعلُه الإنسان، كلماته وحركاته وسكناته وأفعاله .. كل ما يحدث من الإنسان يعلمه الله ﷻ، ويحاسب الإنسان عليه بلطفه وكرمه تبارك وتعالى.

حكمة الصلاة

بعد العقيدة الصحيحة تبدأ العبادة: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ فأريد أن أعلمه الصلاة لله، لذلك لا بد أن يعرف الله في البداية، لكي يعرف لمن يُصلي، ويعرف النبي ﷺ ليعرف كمن يُصلي ويقتدي به، فيعرف أنه يُصلي لله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾ ① أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ② صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ③ (الفاتحة) لا بد أن يعرف الله ﷻ معرفةً يقينية.

والحقيقة من الأمور العصرية المستحبة في زماننا والتي تُرْسِخُ العقيدة في قلوب أولادنا وبناتنا ما جاءنا من العلم الحديث في كتاب الله، ومن الإعجاز في سُنَّةِ حبيب الله ومصطفاه، فلو دخلت على الانترنت على بعض مواطن الإعجاز في القرآن الكريم، وهي لها مواقع خاصة في هذا الباب، وأشرحها لأولادي على قدرتي، فهذا يزيدهم إيماناً، ويزيدهم يقيناً ويزيدهم توحيداً لرب العالمين ﷻ.

ومن ضمن هذه المواقع التي على الانترنت، مواقع تعرض الإعجاز العلمي في آيات القرآن ولكن بشكل مصور، يعني يأتي بالآية القرآنية ويأتي بالإعجاز العلمي فيها بالصورة، وتعليق لطيف من أحد المختصين من العلماء العاملين ... فهذا أسلوب عصري، وكلنا نحتاج له، ويا ليتة ينتشر في كتاتيبنا، وينتشر في بيوتنا، حتى إذا كان أولادنا يريدون التسلية في أوقات الفراغ، نعرض عليهم هذه الأفلام العلمية، إن كان الذي يُثبت أهمية الصلاة، الفيلم العلمي الذي يثبت إعجاز الله في الفلك، أو إعجاز الله في طبقات الأرض، أو إعجاز الله في البحار، أو إعجاز الله في النباتات .. كل هذه الإعجازات موجودة، ويسرّها الله لنا لكي نلقن أولادنا التوحيد الخالص للحميد المجيد ﷻ.

بعد التوحيد، ستجده هو الذي يبحث عن الصلاة، وهو الذي يتعلم الصلاة، ويحاول أن يؤدي الصلاة، لأنه عنده يقين كامل في الله جل في علاه.

لكن أنا قد أعلمه الصلاة، وقد أضربه على عدم أدائها، وطالما أنا موجود فهو يُصلي، وإذا غبت عنه يترك الصلاة!!، إذاً هو يُصلي لي أنا وليس لله ﷻ، ولكن أنا أريد أن أربطه بالله، فتكون البداية هي توحيد الله عز وجل.

﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ لم يقل له: اَدِّ الصلاة، ولكن قال له: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ فإقامتها يكون بإحسان الوضوء، وإحسان أداء الأركان، مع خشوع القلب وحضوره بين يدي حضرة الرحمن ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون).

الأمس بالمعروف والنهي عن المنكر

﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يبدأ بنفسه، أعلمه كيف يحكم نفسه بنفسه؟ فأقول له: هذا حلال وهذا حرام، وهذا يُرضي الله، وهذا لا يُرضي الله، وبعد ذلك أقول له: احكم أنت بنفسك، هل هذا العمل الذي قمتَ به أنت راض عنه أم غير راض؟.

إذا وصلنا لهذه المرحلة، والتي نحتاجها كلنا فتكون قد أيقظت الأمة، ويكشف الله ﷻ الغمة، ويجعلنا الله في خير حال.

فمن يظلم إخوته ويريد أن يأخذ الحظ الأكبر في الميراث، فلو حَكَمَ نفسه هل هو

الكُفَى انْزِلْ بِطُوبَعِ نَفْسِي أَيُّهَا الْمَقْرِبِينَ الرَّسْمُ فُزِّي بِحُكْمِ نُوْزِيرٍ

راض عن هذا العمل أم غير راضٍ؟ لانتهى الأمر، لأنه لو رضى عن هذا العمل فمعناه أنه بعيد عن الله ﷻ بالكلية، أو أنه جاهل في دين الله تبارك وتعالى، وإذا كان غير راض فلا بد أن يُغير نفسه.

ولو رأيتُ أن زوجتي أغضبت أُمي، وأنا لا أريد أن أغضب زوجتي، ولا أنصر أُمي عليها، فهل أنا مستريح أم غير مستريح؟! فالأمور تُقاس بهذه الشاكلة، أن المؤمن دائماً يُحْكَم القلب المليء بالهدى والنور والإيمان في أعماله.

إياك أن تفعل شيئاً وأنت غير راض عنه، لأنك لو كنت غير راض عنه فهو عمل غير صحيح، وغير مقبول عند من يقول للشيء كن فيكون.

إذا فعلت شيء وأنت متضرر، أو تفعله وأنت متلصص، ولا تريد أن يراك أحد، فهذا معناه أنك غير راض عن هذا العمل، لكن الذي يفعل الشيء الصحيح فلو أن الناس كلهم رأوه سيفتخر به، وهذا دليلٌ على أنه يفعل هذا العمل الصحيح الذي يُرضي الله ﷻ، فالإنسان منا

يبدأ بنفسه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم أهلك، ثم الأقرب فالأقرب.

ابداً بنفسك فانهها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يُسمع ما تقول ويُشتفى	بالقول منك وينفع التعليم
لا تنهى عن خلقٍ وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كيما يصح به وأنت سقيم

فلا بد للإنسان أن يبدأ بنفسه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا بدأت بنفسي أبدأ بالذين ولأني عليهم الله، وهم زوجتي وبناتي وأولادي، وهي البداية التي أمرنا الله بها جماعة المؤمنين، فإذا بدأ كل واحدٍ بنفسه فسينتشر الخير، ويزول الشر، ونكون خير أمة أخرجت للناس، كما قال رب الناس تبارك وتعالى.

حقيقة الصبر

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ لا بد من الصبر، فلا يوجد أحدٌ يستطيع أن يفوز ويجوز

الْكُنُفُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

من الدنيا ويخرج منها وينال سعادة الآخرة إلا إذا عوّد نفسه على الصبر، فقد ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام: (وَأَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ لَهُ) ١٧.

القوم الذين مدحهم الله، والذين سينالون الدرجات العلا عند الله في الجنة، بماذا؟ ﴿وَمَا يُلقَئُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ (٣٥ فصلت) سينال هذه الدرجة العظيمة من صبر في الدنيا عن البعد عن معاصي الله، وصبر على القيام بطاعة الله، وصبر على نوائب الدهر التي انتابته ورضي وسلم لمراد وأمر الله جل في علاه.

فالصبر ثلاث أنواع: صبر عن المعاصي حتى لا أقع فيها، لأن المعاصي تشتهيها النفس، فكوني أصبر نفسي وأبعد عنها، فأكون قد نجوت ونجحت إن شاء الله.

وصبر على الطاعة، لأن الطاعات تحتاج إلى صبر، فمن يصلي الفجر في بيت الله يحتاج إلى صبر، لأن النفس تُفْضِلُ النوم في هذه الساعة، فكونه يجاهد نفسه ويقوم ويتوضأ ويذهب ليصلي فقد أصبح من الصابرين الذين يقول فيهم رب العالمين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٢٤ السجدة).

والصبر الأعظم في هذا الزمان هو الصبر على تحريم الرزق الحلال، فمن يحاول أن يتحرى الرزق الحلال، ويبعد عن الحرام فهذا يحتاج إلى صبر عظيم، لأن الأمور اختلطت، والإنسان الورع قال فيه حضرة النبي:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } ١٨

الإنسان الورع هو الذي يبعد بالكلية عن الحرام في الأرزاق، ويتحرى أحلّ الحلال الذي يرضي ذي الجلال والإكرام ﷻ.

فمن تحلى بهذه الصفات فكما قال الله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ فقد أخذ بالعزيمة التي مدحها الله وأثنى عليها، فهذه صفات يجب أن يتجمل بها الشباب، وأن يتكملوا بها، وأن يتحلّوا بها.

١٧ الإلماع إلى علم أصول الرواية للقاضي عياض

١٨ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

الكُتُبُ أَنْزَلَ الصُّبُوحَ نَفْسِيَّ إِلَى الْمَقَرِّينَ الرَّسْمُ فُزِّي بِحَمْدِ نَزِيرٍ النهي عن الكبر

ثم بيّن الله ﷻ آفة خطيرة انتشرت في مجتمعنا الآن، وينبغي للشباب أن يتخلوا عنها، هذه الصفة هي صفة الكبر، فكثير من الشباب إذا كان معه مال، أو في وظيفة طيبة، فيمشي كالتاؤوس يختال بنفسه، ولا يريد حتى أن يُلقي السلام على غيره، وإذا نطق بالسلام فيكون من طرف اللسان، ولا يريد أن يشعر أنه مثل الناس، ولكنه شي آخر!!
وهذه آفة نفسية، ودعوة إبليسية حذر منها الله، وبيّن خطورتها سيدنا رسول الله ﷺ، ويكفي فيها قول رسول الله ﷺ:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ }^{١٩}

الذي في قلبه بعض ذرة من الكبر لا يدخل الجنة كما أخبر سيدنا رسول الله، وكذلك من كان عنده بعض ذرة من الكبر، فليس له في فتح الله ﷻ نصيب، مهما عمل من أورا، ومهما اجتهد في العبادات والطاعات، لأن الله كما قال في قرآنه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣ النحل).

وماذا يريد الله ﷻ منا؟ التواضع، ولين الجناح، والإخبات، وأن الإنسان يرى الخير في نفسه، ويرى الخير في غيره، وقال الإمام أبو العزائم ﷺ مبيناً خطورة هذا الأمر: (كفى بالمرء إثمًا أن يرى الخير في نفسه ويرى الشر في إخوانه).

وضرب سيدي أبو العباس المرسى لتلاميذه مثلاً عظيماً في ذلك فقال رضوان الله تبارك وتعالى عليه: إذا نزل المطر من السماء هل يقف على رءوس الجبال أم في الأودية؟ قالوا: في الأودية، قال: كذلك فتح الله ﷻ إذا نزل على القلوب لا ينزل على القلوب التي فيها كبر، ولكن التي تواضعت لله، وأخبت لله، وخفضت الجناح لخلق الله أجمعين.

وهذه هي وصية الله لنا، والتي قال فيها:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ :

وتصعير الخد يعني إماتته، وإماتته على سبيل الكبر؛ أنه يكلم الناس من طرف

اللسان، ولا يريد حتى أن يلتفت إليهم أو ينظر إليهم تكبراً عليهم واعتزازاً بنفسه وإعجاباً بها وإجلالاً عليهم!!، وهذا لا يجوز بالنسبة لمن يريد إكرام الله وفتح الله ﷻ.

وبين الله ﷻ للمسلم - وهذا أمرٌ عجيب في كتاب الله - حتى طريقة المشي، حتى نعرف أن القرآن لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كيف نمشي:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾

لا تمش في الأرض باختيال واعتزاز زائد بالنفس، وتظن أنك خيرٌ ممن تمر عليهم، لكن الإنسان دائماً يمشي على الأرض كما قال الله في عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٦٣ الفرقان) هينين لينين، قال ﷻ:

{ الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ } ٢٠

وقال ﷻ:

{ الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنْ اسْتَنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاحَ } ٢١

والأنف يعني المطيع، وهذه أحوال المؤمنين، وهذه الأحوال كانت تُذلل الصعاب، وتيسر الأمور، وكان الناس عندما يسعون في الصُّلح بين المتخاصمين يجدون سهولة من هذا، ويُسر من هذا، فيتصالحون بسرعة.

لكن في زماننا هذا تجد هذا مصمماً على رأيه ومتكبر، والآخر مصمماً على رأيه ومتكبر، فكيف يتصالحوا؟! لأنه لم تعد الأخلاق القرآنية التي أراد الله ﷻ أن نكون عليها وذكرنا بها.

خطورة الزهو

وأخبر الله ﷻ بخبر يجعل الإنسان المؤمن يذوب في نفسه خوفاً من الله، وحياءاً من

٢٠ مسند الشهاب والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢١ مكارم الأخلاق للطبراني عن العرياض بن سارية ﷺ

مولاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ومختال يعني مزهو بنفسه، ومعجب بها، وفخور يعني يفتخر بنفسه، وينسب الصفات الطيبة التي جعلها فيه ربه لنفسه فقط، وكأنه صاحب الفضل، مع أننا كما قال لنا الله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

متى ينال المؤمن فتح الله؟ إذا لم ينسب الخير إلا لحضرة الله جل في علاه، تقول له: كيف فعلت هذا الأمر؟ يقول: بفضل الله، ويتوفيق الله، وبمعونة الله ... فينسب الفضل لله جل في علاه، أو كيف ستفعل كذا؟ يقول: إذا أعاني الله، وإذا قواني الله، وإذا تولاني الله بولايته ... فدائماً راكن ظهره على الله، ويعتمد بالكلية على الله، فيدخل في قول الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣ الطلاق) وحسبه يعني كافيه، فيكفيه الله كل طلبات الدنيا والآخرة.

القصد في كل الأحوال

ورجع الله مرة ثانية وذكر المشي، ولكن المشي هنا في المنهج، فقال:

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

يعني لا تمش مسرعاً، ولا تمش بطيئاً، ولكن بين بين في كل أحوالك، فتمشي بالوسطية الإسلامية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١٤٣ البقرة).

سيدنا رسول الله ﷺ كان لا يحب المشي السريع من أصحابه، ويكره لهم ذلك، لأن فيه عجلة، والعجلة دائماً تكون من الشيطان، فكان يطلب منهم التأني والتمهل في المشي والحركات والسكنات، وكل الأعمال التي يزاولها في حياته الدنيا فيمشي بتؤدة، وهذه هي الحكمة العالية.

ونحن نرى دائماً أن أي إنسان يتسرع في أي أمر فنادراً ما يُصيب، ولا بد أن يندم، ويقول: أنا تسرعت وفعلت كذا، أو أنا تعجلت وفعلت كذا، فلماذا تتعجل وقد قال لنا الله: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧ الأنبياء) المؤمن دائماً يترؤى ويتأني.

سيدنا رسول الله ﷺ أتاه وفد من قبيلة عبد القيس يُعلنون الدخول في الإسلام، فعندما وصلوا إلى المدينة ربطوا دوابهم وأسرعوا ليدخلوا على رسول الله ﷺ، إلا واحداً منهم

اسمه المنذر الاشج، ذهب فاعْتَسل أولاً وتعطر ولبس ثوبين كان قد جهزهما للقاء رسول الله، فلما رآه سيدنا رسول الله ﷺ قال له:

{ إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَكَاةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ } ٢٢

فكان النبي ﷺ يدعونا جميعاً إلى التخلق بهذه الأخلاق، أن الإنسان يتأقن في كل أموره، ويترؤى في كل أحواله، ولا يتعجل، ولا يتسرع، ليمشي على النهج الحكيم والذي قال لنا الله فيه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.

كان العرب في الجاهلية يتباهون برفع الأصوات، فيكلمون بعضهم دائماً بأصوات عالية، وينادون على بعضهم بأصوات عالية، لكن حضرة النبي ﷺ غيّر كل هذه العادات، فكان ﷺ يتكلم بهدوء، وصوت غير عال، على قدر ما يُسمع الحاضرين، لأن الله سبحانه وتعالى أخبره بذلك وقال لنا كلنا: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

هدوء صوت المؤمن

لذلك يجب دائماً أن يكون صوت المؤمن هادئ، فنحن أمة الإسلام نحتاج لهذا المنهج العظيم، إذا تكلمنا في الشارع وهناك شخص مريض نائم في بيته، فلماذا نزعجه بالصوت العالي؟! أو طالب يذاكر، لماذا نزعجه بالصوت العالي؟! وأنا أعجب عندما أرى بعض الشباب يقفون على ناصية أو في شارع، وهم يمزحون ويصيحون بأصوات تُفزع من حولهم!!، والإسلام غير ذلك، هل نحن أهل الإسلام صدّرنا هذا الخلق إلى الغربيين وأخذنا أخلاقهم؟ أخلاق الغجر التي كانت في أوروبا؟! فإذا ذهبت إلى أي مكان هنا إن كان في سوق أو في محطة أو في أي مكان، تجد الأصوات والصياح والصوت العالي.

وإذا ذهبت إلى أي مكان في أوروبا فلا تسمع شيئاً، وبعض الدول الأوروبية مثل سويسرا سنوا تشريعاً عندهم يمنع استخدام سيفون الحمام بعد الساعة الحادية عشر مساءً،

لماذا؟ حتى لا يُزعج جيرانه من فوقه أو من أسفل منه ويحكيها رجل مصري كان هناك ولم ينتبه لذلك، فاستخدم السيْفون، فوجد من يطرُق بابَه من الشرطَة، فسألهم عن السبب؟ فقالوا: لقد استخدمت السيْفون بعد الساعَة الحادية عشرة فأزعجت جيرانك من فوقك ومن تحتك ... فما بالنّا بالراديوهات، والسَّماعات التي تعمل طوال الليل، والأفراح التي تدوِّي في آذان الناس فتفسدها، وتوقظ الأطفال الرُّضّع، وتجعل الناس لا ينامون!! هذه السماعَات صنعها الغرب لنا نحن فقط، لكن ليس عندهم هذا الأمر، وأفراحهم ليس فيها هذه السماعَات ...

رجال الإسلام يوصفون بالهدوء، وبالصوت الخافت، وهذا السلوك الحسن الذي علّمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ، وكان ذلك تصديقاً لمنهج الله ﷻ.

فنحن كلنا في حاجة أن نعلّم أولادنا من البداية، فأقول لابني: تكلم بصوت هاديء، ولا ترفع صوتك لأن لنا جيران، لا نريد إزعاجهم، أو إخوة نائمين، أو أنا أريد أن أنام قليلاً، فتعلّمهم الكلام الحسن ... وما يحدث الآن سببه أننا تنازلنا عن أخلاق الإسلام التي اختارها لنا الله، وكان عليها سيدنا رسول الله ﷺ.

وسيدنا رسول الله لم يكن جهوري الصوت، وكان عنده بحةٌ في صوته، ومع أن صوته كان هادئاً إلا أنه كان يبلغ الجميع، فكان إذا خطب على منبره الشريف في المدينة وصل صوته إلى كل البيوت المحيطة بمسجده المبارك، فتسمعه النساء وهن في بيوتهن!!.

فعندما كان ﷺ في حجّة الوداع وخطب الناس في منى، ومعنى عبارة عن جبلين مرتفعين، لكن صوته وصل الجميع، قال عبد الرحمن بن معاذ ﷺ:

{ خُطِبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنَى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا } ٢٢

فكل من في الخيام سمعوا صوت رسول الله ﷺ، ولم يُعَب الحنجرة، ولا الأحبال الصوتية، ولا أي شيء من ذلك، فهو يتكلم بهدوء، والله ﷻ عليه البلاغ.

الكتاب المنال المطبوع نفسي يا أيها الملقين اللهم فزني محمد بن زبير

وعندما جاء الأعراب ونادوا على حضرة النبي بصوت عال وقالوا: يا محمد يا محمد، فعاب عليهم الله وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤ الحجرات) ،،

هؤلاء غير ثابتين في عقولهم، لكن الذين فازوا وجازوا في الإمتحان قال فيهم الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (٣ الحجرات) ... سيدنا عمر كان جهوري الصوت، لكنه كان إذا تحدّث مع سيدنا رسول الله لا يكاد يستبين كلامه، حتى كان رسول الله يستوضحه!!.

فالمؤمنون يحتاجون إلى تغيير هذا السلوك بالكلية:

تريد أن تتكلم مع أحد فاجلس معه ثم تتكلم، ولكن لا تتكلم بصوت عال وبينك وبينه مسافة، حتى لا تسبب ازعاجاً لمن حولك !

أو تريد أن تتكلم مع ابنك في البيت، فكلمه بصوت منخفض، لأن بعض الناس عقيدتهم أن الصوت العالي والصياح هو الذي يهذب الولد ويؤدبه!!، لكن هذا ليس من الإسلام في قليل ولا كثير ...

والإسلام يحتاج إلى العقلاء والحكماء الذين يكون صوتهم ندي وطري وهادئ، يكاد يُسمع من يريد ان يُسمعه، لأن هذا هو الأدب الإلهي في الكلام ... والله ﷻ حذرنا من علو الصوت تحذيراً شديداً يجعل كل مؤمن يراجع نفسه مراراً ومرات، قبل أن يرفع الصوت، فرفع الصوت مستحب في حالات محدودة فقط كالآذان، وذلك حتى يُسمع الناس، وكان ذلك قبل مكبرات الصوت، وعندما جاءت مكبرات الصوت لم نعد في حاجة لرفع الصوت،

هذا التحذير الشديد قال الله فيه: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ولماذا الحمار تحديداً؟ قال العلماء: لأن أصوات باقي المخلوقات تسبّح الله، أما الحمار فقال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا } ٢٤

فعندما يرى شيطان يُنبه بصوته العالي، لكن باقي المخلوقات تُسبح الله: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤ الإسراء).

ونحن عندما نقوم لصلاة الفجر نسمع أصواتاً جميلة لبعض العصافير وبعض الطيور الجميلة، هذه الطيور تسبح الله ﷻ، ولذلك يكون الصوت لطيفاً وجميلاً كالموسيقى الشجية الإلهية التي يشجى لها قلب الإنسان.

لكن الحمار يرفع صوته عندما يرى شيطان، لذلك الإنسان المؤمن يحرص كل الحرص - إن كان في حديثه مع غيره، أو حديثه مع أهله، أو حديثه مع زوجته، أو حديثه من جيرانه، أو حديثه مع أي أحد - على الصوت الهادئ، ويعمل كما قالت السيدة عائشة:

{ إِنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ }

كان يعدّ الكلام ...

يتكلم وينصت، ليفهم الجميع ...

ومع ذلك كان يعيد الكلمة ثلاث مرات، حتى من لا يفهم من المرة الأولى يفهم من الثانية، أو يفهم من الثالثة ...

ولكنه تعوّد على عدم السرعة في الكلام، وعدم رفع الصوت في الكلام.

لذلك نحتاج إلى التأني في الكلام، وبصوت هادئ ورزين !!

فهذه صفات نرجوا الله ﷻ أن نتحقق بها أجمعين، وأن نتخلق بها في كل أحوالنا في الدنيا، حتى نكون من الفائزين يوم الدين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا
خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ
الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا
أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ۝ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ
فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ۝ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (السجدة)

١٤. أهل قرّة العين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي خصّنا بهذا التنزيل، وجعلنا أهلاً لهذا الكتاب الجليل، كتاب فُصِّلَت آياته من لدن حكيمٍ خبير، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الذي جعله مولاه محلاً لتنزل كتاب الله، فأهله لنزول هذا الكلام، وزاده من فيض فضله من نوره تبارك وتعالى ليكون كما قال الله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء) صلوات الله وسلامه على هذا النبي، وآله الأتقياء، وصحابته الأتقياء، وكل من تبعه على هذا النور إلى يوم العرض والجزاء، وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

حول سجود التلاوة

في بداية حديثنا عن هذه الآيات، لا بد أن نذكر أمراً تشريعياً لا غنى لنا عنه أجمعين، هذه الآيات من سورة السجدة، وورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ هذه السورة كلها في الركعة الأولى في صلاة الصُّبح ليلة الجمعة، وإذا وصل إلى آية السجدة سجد سجدة واحدة، وهي سجدة التلاوة، ثم يقوم من هذه السجدة ويكمل التلاوة حتى ينتهي من السورة، وفي الركعة الثانية كان يقرأ على أصح الأقوال سورة الدهر: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ (الإنسان).

الإمام الشافعي رحمه الله أخذ بما صحَّ لديه من الحديث الوارد في هذا الأمر، فجعل قراءة هذه الآيات وسجدة التلاوة في صلاة الصُّبح ليلة الجمعة واجباً عنده في مذهبه المبارك، يعني لا بد للإنسان أن يعملها، والمذهب الشافعي منتشر في الوجه البحري، أما المذهب المالكي لا يأخذ بهذا، وهو منتشر في الوجه القبلي:

وكلهم من رسول الله ملتصق
رشفا من البحر أو غرقاً من السديم

أقول هذا الكلام لأنه لو ذهب أحدٌ من الوجه القبلي للقاهرة وصلى الصبح ليلة الجمعة في أحد المساجد الكبرى، وهم شافعية، فسيجدهم يسجدون فلا يستغرب ولا

يتعجب، ويكون عارفاً بالحكم الشرعي، ويُصلي معهم بهذه الكيفية.

لأن أئمة المذاهب الفقهاء الأربعة الأكابر كانوا علماء وأولياء، فالإمام الشافعي ؓ كان في بغداد، وكان يذهب آنات لزيارة الإمام أبي حنيفة في روضته في مسجده لأنه كان قد انتقل إلى جوار الله، وصنعوا له ضريحاً في مسجده، ومسجده يصلون فيه على مذهب الإمام أبو حنيفة.

الإمام الشافعي عنده القنوت في صلاة الفجر واجب بعد قيام الإمام من الركوع في الركعة الثانية، والقنوت يعني الدعاء، ويكون جماعة، فالإمام يدعو والمأمومين يؤمنوا عليه.

والإمام أبو حنيفة القنوت عنده في صلاة الوتر وليس في صلاة الصبح، والإمام مالك ؓ عنده القنوت في صلاة الصبح بعد قراءة السورة أو الآيات القرآنية في الركعة الثانية قبل الركوع، وليس واجب، ويكون فردياً، فكل واحد يدعو وحده، فإذا قنتنا فيها ونعمت، وإذا لم نقتن فليس فيها شيء.

وكلهم جاءوا بهذا من سُنَّة رسول الله، لأن رسول الله فعل هذا، وفعل هذا، وفعل هذا، وسعة للأمة، فلم يجعلهم على منهج واحد، ولكن وسعة لهم ليأخذ كل واحد منا ما يروق له وما يحلو له من منهج الله وسُنَّة حبيب الله ومصطفاه ؓ.

فالإمام الشافعي عندما كان يصلي الفجر في مسجد الإمام أبي حنيفة كان يترك القنوت، مع أنه واجب عنده، فسُئل: لم تترك القنوت؟ قال: تأدباً مع صاحب المذهب في مسجده.

أنا في مسجد الإمام أبي حنيفة فالواجب أن أصلي على النسق الذي اختاره الإمام أبو حنيفة من شرع الله ﷻ.

كما نفعل معكم هنا، فأنا شافعي، ولكن إذا صليتُ معكم أصلي مالكي، لأن الناس هنا مالكية، حتى لا يحدث قلق بالنسبة للبسطاء أو القاصرين في العلم، وهي الحكمة التي علّمها لنا هؤلاء الأكابر رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فالسجدة التي تُقرأ في صلاة الصبح ليلة الجمعة هي التي في سورة السجدة، لأنها الواردة في السنة، وأنا أقول هذا الكلام لأني وجدتُ بعض الناس - هداهم الله - يقرأون

أي آية فيها سجدة، لكن السُّنة قراءة سورة السجدة، أو إذا لم يستطع يأخذ بعض آيات من سورة السجدة.

والإمام الشافعي رحمه الله والذي جعل السجدة واجبة عنده في صلاة الصبح ليلة الجمعة كان رجلاً مُيسراً، قال: لو قرأ الإمام آية فيها سجدة في غير فجر الجمعة فعليه أمرين: إما أنه يُنبئه على المصلين قبل الصلاة بأنه سيقراً آيات سجدة حتى لا يحدث خلاف، وعندما يسجد يسجدوا معه، لأنه لو لم يُنبئه ربما من كان خلفه بعضهم يسجد، وبعضهم لا يسجد، فيحدث خلاف بين المصلين.

أو ينوي السجود في ركوعه إذا لم ينبئه عليهم، ولا يسجد هذه السجدة، لأن أهم شيء هو الحفاظ على سلامة المصلين، وعدم حدوث بلبلة بينهم، وهذا الذي كان يُشدد عليه سيد الأولين والآخرين رحمه الله.

نفرض أننا لسنا في الصلاة ولكننا في المسجد، أو في عزاء، والقاريء قرأ آية فيها سجدة، فماذا نفعل؟ المتوضيء يتوجه إلى القبلة وينوي سجود التلاوة ويكبر ويسلم، الإمام الشافعي قال: يسلم كتسليم الصلاة، والأئمة الآخرين قالوا: ليس مهماً أن يسلم فيكبر وينتهي الأمر.

نفرض أن المكان غير مهياً للسجود، فيسجد وهو على هيئة القعود، أي ينحني قليلاً وينطق بالألفاظ الواردة في السجود ثم يرفع رأسه.

أما إذا كان غير متوضيء فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ومن يقرأ القرآن يجب أن يكون مُتجهاً إلى القبلة، وعلى وضوء، وعندما يصل إلى آية سجدة يسجد، لأنه جاهز لهذا العمل، سواء قرأ القرآن في مسجد، أو في بيته، أو في أي مكان، أو حتى في وسيلة مواصلات، فإذا لم يستطع أن يسجد كما ينبغي يتجه إلى القبلة ويكبر ويسجد حيث وضعه وهو جالس، ولكن المهم عند التكبير يتجه بصدره إلى القبلة ... وهذا حُكم شرعي كان لا بد منه لكي نعرف أحكام ديننا، لأن الشريعة هي البداية، والصفاء والصوفية هي النهاية بعد العمل بما شرع الله ﷻ لنا.

الآيات التي عندنا اليوم من سورة السجدة تتكلم عن صنف من المؤمنين نسال الله

عزوجل أن نكون منهم أجمعين، هؤلاء القوم بعد أن ذكر الله أوصافهم ذكر جزاءهم، والجزاء لا يستطيع أحد من أهل البسيطة أن يعيه أو يعقله لأنه جزاء عالي، قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ عند نزول آية الجزاء:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

{ قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَعُوا إِنَّ شَيْئَئِي: " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ " }^٢
فما جزاؤهم؟ يكون قُرَّة العين: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾:

تقرُّ أعينهم بما يطلبون وبما يريدون من الله ﷻ، إذا كان الواحد منهم غاية منتهى أمله الجنة ونعيمها فإن الله يُعطيهِ الجنة ونعيمها، وإذا كان الواحد منهم أمله أن يكون بجوار رسول الله، فإن الله يُعطيهِ ما يريد فيكون بجوار رسول الله، وإذا كان الواحد منهم أمله أن يحظى بالنظر إلى وجهه الله، فإن الله يُعطيهِ ما يريد وهو النظر إلى وجهه الله، فيُعطي كل واحد ما يتمناه، ولذلك قال ﷺ:

{ إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرُّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاطَمُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ }^٣

اجعل دائماً رغبتك فيما تطلبه من الله ﷻ عظيمة، فاطلب شيئاً ثميناً وعظيماً ليُعطيهِ لك الله، فإذا سألنا الجنة فماذا نسأل؟ قال ﷺ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ

فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }^٤

عندما تسأل الله لا تسأل الجنة، ولكن قل: اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى، فاللهم إنا نسألك أجمعين الفردوس الأعلى، لأن هذا الفردوس هو الموضع الذي يحظى فيه داخلوه بالنظر إلى وجهه الله ﷻ، والجنة مائة درجة، قال ﷺ:

٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٣ صحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٤ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }^٥

الدرجة الواحدة يدخلها الأولون والآخرون وتسعهم جميعاً ...

كل الناس من أول آدم إلى قيام الساعة لا يملأون درجة من درجات الجنة، والدرجات، هذه الدرجات أعلاها وأرقاها وأبهاها الفردوس الأعلى، التي طلب منا سيدنا رسول الله ﷺ أن نطلبه لنحظى فيه بالنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

الذين سيأخذون ما يتمنون، وفوق ما يتمنون في الجنة، هؤلاء ما مواصفاتهم؟

وما الأعمال التي وصفها الله لهم، وإذا عملوا بها استحقوا هذه المنزلة؟

ذكر الله ﷻ هذه الأعمال بالترتيب:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَآيَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾ :

ذكروا بها يعني وعظوا بها، فعندما يُوعظون بهذه الآيات يخروا ساجدين لله ﷻ من عظمة تأثيرها في قلوبهم وخشوعهم وخضوعهم لله تبارك وتعالى.

واستكمالاً للجزء التشريعي: إذا كرر القارئ آية السجدة أكثر من مرة، لأنه من عادة القراء تكرار الآية، فنسجد مرة واحدة فقط، ولا يُستحسن من القارئ أن يكررها.

وذكر الله ﷻ السجود لأن السجود قال فيه الله ﷻ: ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (١٩٩ العلق) .. لم يقل الله (واسجد تقترب) وإلا كان سجوداً واحداً، ولكن قال: (واسجد واقترب) يعني كلما سجدت كلما زدت قرباً من الله، وكلما سجدت كلما زدت في التواصل الباطني والقلبي مع حضرة الله ﷻ ولذلك حبيب الله ﷻ حبنا في السجود وقال لنا:

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }^٦

وأمرنا أن ندعوا الله في السجود إذا كان هناك أمر يهمنا ونريد تلبيته، فقال ﷻ:

٥ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة

٦ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }^٧

(قمن) يعني جديراً أن يستجيب لكم، فالسجود بالحالة التي يحبها الله ﷻ من عباده، لأن المؤمن لا يسجد إلا لله ﷻ، لا يسجد لبشر، ولا يسجد لحجر، ولا يسجد إلا خالق القوى والقدر وهو الله تبارك وتعالى، وكان ﷻ يُطيل السجود، ويقول في السجود أدعيةً وكلمات كثيرة من جملتها:

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ }^٨

وفي رواية أخرى كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا سَجَدَ، قَالَ:

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ إِذَا سَجَدَ، قَالَ: عَفَرْتُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ لِخَالِقِي وَحَقُّ لَهُ }^٩

وكان مسجد سيدنا رسول الله ليس فيه فرش كأيامنا هذه، فكانوا يسجدون على التراب ليُغفروا وجوههم بالتراب تذلاً وتضرعاً لله ﷻ.

ولما أراد أصحابه الأجلاء أن يصنعوا صنيعاً حسناً يفرشوا به المسجد، فاستشاروا رسول الله ﷺ فأشار عليهم أن يأتوا بالحصباء (الحصى الصغير) من وادي العقيق وقال لهم:

{ الْعَقِيقُ وَادٍ مُبَارَكٌ }^{١٠}

ففرشوا مسجد رسول الله ﷺ بهذا الحصى الصغير، وكان هذا فرش المسجد الذي يصلون عليه والذي ينامون عليه.

ولما جاء الخليفة الزاهد العابد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، وكان أميراً على المدينة، وكان هو الذي يُصلي بالناس الفرائض، وهو الذي يخطب فيهم الجمعة والعيد فأصرَّ رضي الله تبارك وتعالى عنه أن يُزيل هذا الفرش من موضع سجوده حتى لا يكون بين جبهته وبين التراب حائلاً وهو ساجدٌ لله ﷻ، وهذا من زهده وورعه.

^٧ سنن النسائي وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

^٨ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن عائشة رضي الله عنها

^٩ الجامع في تفسير القرآن لابن وهب ومصنف ابن أبي شيبة

^{١٠} تاريخ المدينة لابن شبة عن عمر بن الخطاب ﷺ

الكُتُبُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ السُّنَنُ فِي رُكُوعِ نِزَارِ

رفع الفرش من موضع السجود، ليسجد على التراب دائماً لله تبارك وتعالى، واقتداءً وتأسياً بسيدنا رسول الله ﷺ.

فأول صفة من صفات هؤلاء القوم:

أنهم إذا وُعطوا آيات كتاب الله انفعلت قلوبهم، واقشعرت أبدانهم فذكروا الله ﷻ بالسننهم، وخروا لله سبحانه وتعالى - يعني سقطوا - سُجْدًا بأعضائهم، مسلمين ومستسلمين لله ﷻ.

وماذا يفعلون في السجود؟ ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يسبحوا بحمد الله ﷻ في السجود، والتسبيحات علمها لنا رسول الله، فعن عقبة بن عامر ﷺ قال:

{ لَمَّا نَزَلَتْ: "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ }^{١١}

لكن إذا أردت أن تزيد فباب المزيد مفتوح، فمن أراد أن يستزيد من التسبيح والتحميد لله ﷻ في الركوع والسجود... فلا حرج، ولا حرج على فضل الله تبارك وتعالى، والذي يريد أن يكتفي بما ورد فلا مانع، .. وكما قلنا أن سيدنا رسول الله نفسه قد زاد، كما قال:

{ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ }^{١٢}

هذه كلمات كان يستزيد بها سيدنا رسول الله ﷺ، وكان أحياناً يقول في ركوعه وسجوده:

{ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ }^{١٣}

كل هذا وارد، فما دام الإنسان يُسبح الله فالباب مفتوح لفضل الله وإكرام الله جل في علاه.

١١ سنن أبي داود وابن ماجه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

١٢ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

١٣ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها

الكتاب المنال المطبوع نفسي يا أيها الملقم ربنا اللهم فزني محمد بن نوزير وقت السحر

متى يكون أفضل السجود؟ في الأوقات التي يتنزل فيها الله بفضله وخيره وبركته إلى العباد من عباد الله، هذا الوقت قال فيه ﷺ:

{ يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ } ١٤

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ يَصْفُ اللَّيْلُ، نَزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأُثَوِّبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ } ١٥

وكلمة يتنزل يجب أن ننتبه لها، فليس لنا شأن بالمجسمين، فهي تعني أنه يتنزل بخيره، ويتنزل بيره، ويتنزل بفضله، ويتنزل بعطاءاته، ويتنزل بعبادته، ويتنزل بتجلياته، ويتنزل بأسراره، ويتنزل بأنواره، ويتنزل بما لا يُعد ولا يُحد من فضله وإكرامه وعطاءه.

والثلث الأخير من الليل هو وقت السحر، والذي كان أصحاب رسول الله حريصون عليه، وكذلك الصالحون في كل زمان ومكان، لأن هذا الوقت هو الذي اختاره الله للمناجاة معه، ينام الغافل، ويبقى الذين يريدون وجهه الذي لا يغفل ولا ينام تبارك وتعالى، والذي يقول فيهم الله لسيدنا داود عليه السلام في الأثر الوارد:

{ إِنْ لِي عِبَادًا مِنْ عِبَادِي أَحَبُّهُمْ وَيُحِبُّونِي، وَأَشْتَقُ إِلَيْهِمْ وَيَشْتَقُونَ إِلَيَّ، وَأُذَكِّرُهُمْ وَيَذَكِّرُونِي، مِنْ سَلَكِ طَرِيقَهُمْ أَحَبُّبَتُهُ، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهُمْ مَقَّتُهُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا وَمَا عَلَامَتُهُمْ؟ قَالَ: هُمْ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِي يُرَاعُونَ الظَّلَالَ بِالنَّهَارِ - يَعْنِي الْأَجْسَامَ - كَمَا يُرَاعِي الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ، فَإِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ، وَافْتَرَشَتِ الْفُرُشَ، وَنُصِبَتِ الْأَسْرَةُ، وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ، افْتَرَشُوا إِلَيَّ وَجُوهَهُمْ - وَهَذَا هُوَ السَّجُودُ -

١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٥ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

ونصبوا إلي أقدامهم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إلي بإنعامي، فمن صارخ وياك، ومن متأوٍ وشاك، ومن قائم وقاعد، ومن راکع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي، أول ما أعطيتهم ثلاث: أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم، ولو أن السماوات والأراضين في موازينهم لاستقللتها لهم، وأقبل عليهم بوجهي، أريت من أقبلت عليه بوجهي أعلم ما أريد أن أعطيه؟!}

هؤلاء هم العباد الذين يخصهم رب العباد بالمقامات الهنية، والدرجات الوهية العلية، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

قيام الليل

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يُوصي الخاصة من أصحابه، بأن تكون له قومة في آخر الليل ...

رأى سيدنا عبد الله بن عمر وكان من المجدين في طاعة الله، فقال له:

{ نَعَمْ، الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا }^{١٦}

من كان له قومة في جوف الليل الآخر فيها هناء، قال ﷺ:

{ بَشِّرِ الْمَشَاقِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{١٧}

فهؤلاء أصحاب النور، وأصحاب العرض على حضرة العزيز الغفور يوم الدين، لأنهم كانوا سُجَّدًا وقيامًا لله، والآخريين الغافلين نائمين.

{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ }

تتجافى يعني تتباعد، كلما أراد النوم يتذكر أنه يريد أن يناجي الله، فلا يتلذذ بالمنام، لأن تلذذه في مناجاة الذي لا يغفل ولا ينام، فيقوم لناجي الله وحتى يدخل في معية حبيب الله ومصطفاه ...

١٦ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٧ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن بريدة بن الحصيب

سيدنا رسول الله ﷺ يريد المقام المحمود، فأمره الله بالتهجد، وقال له الله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (١٧٩ الإسراء) ولا يوجد في القرآن حروف ترجي، مثل (لعل) و(عسى)، لكنها في القرآن تكون تأكيد، يعني ليعثك ربك مقاماً محموداً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣ البقرة) (لعل) هنا للتأكيد، أي لتصلوا إلى مقام التقوى.

وعاد الله مرة أخرى ففرض على رسول الله ﷺ فريضة سادسة، فالفرائض بالنسبة لنا خمسة؛ الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، ولكن سيدنا رسول الله فرض الله عليه فريضة سادسة: ﴿يَتْلِيهَا أَلْمَزْمَلُ﴾ ﴿فَمِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿يُصَفِّهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل).

فكان سيدنا رسول الله يقوم الليل على قدم واحدة، حتى تتورم قدمه، زيادة في التذلل والتضرع لله جل في علاه، إلى أن أنزل الله سبحانه وتعالى عليه على حسب القراءة الأخرى: ﴿طه﴾ ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (طه) وطأها يعني أنزلها وهي قراءة من ضمن القراءات الأخرى في هذه الآية الكريمة، والسيدة عائشة تقول له:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا } ١٨

ما دام قد غفر الله لي، وفتح لي، وأعطاني كذا وكذا، أفلا أشكره على هذه النعم؟! فكان ﷺ يُحْيِي الليل إلا قليلاً، لكن في الأيام المباركة في رمضان كان يُحْيِي الليل كله، وبعد رمضان أو قبله يحببه إلا قليلاً لكي لا يشق على أمته، يريد لأمته التيسير في عبادة وطاعة العلي الكبير ﷺ.

والذي يريد أن يكون معه فتح الله له الباب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (٢٠ المزمل) فالذي يريد أن يكون مع رسول الله لا بد أن يكون له قيام من الليل، ولكنه ليس فرضاً عليه، ولكنه يلزم نفسه بشيء من

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الشَّيْخِ فُزَيْرِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

القيام لكي يكون في معية الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وقيام الليل يبدأ منذ صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، لكن أفضل الأوقات - كما قلنا - في وقت السحر، وقيام الليل ليس شرطه الصلاة فقط، فيجوز للإنسان أن يقوم الليل تالياً لكتاب الله، أو أن يقوم الليل ذاكراً لله، أو أن يقوم الليل مستغفراً بين يدي الله.

والصحابه الكرام أحيوا وقت السحر كما قال الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) كانوا يجيئون وقت السحر بالإستغفار بين يدي الله ﷻ.

ويجوز أن يُحيى الليل إذا كان أقامه الله لتعليم العلم النافع والعمل الرافع، فالإمام الشافعي رحمه الله كان يزور سيدنا أحمد بن حنبل، وسيدنا أحمد بن حنبل كان كعادة الكرام في هذا الزمان إذا زاره أحد يضع له ابريقاً وطستاً، حتى إذا استيقظ في الليل يقوم ويتوضأ، لأنهم كانوا كلهم لهم قيام.

فالإمام الشافعي صلى العشاء واستلقى على ظهره ولم يقيم لصلاة القيام، والإمام أحمد بن حنبل كانت له ابنة، وكانت من العابدات، فأرادت أن تعرف ماذا يفعل الشافعي فراقبته لتتشبه به، لأنهم كانوا يحبون التشبه بالصالحين.

وفي الصباح سأها أبوها: ما رأيك في الشافعي؟، قالت: رأيت فيه ثلاث خصال ليست في الصالحين، لم يقيم في الليل للصلاة، وقام وصلى الفجر بدون وضوء، وعندما قدمنا له الطعام أكل وملاً بطنه، ومن عادة الصالحين أنهم لا يملأون بطونهم من الطعام فأراد الإمام أحمد وكعادة الصالحين أن يتثبت من الكلام أولاً، ولبتنا نمشي على هذا المنهج، فقال لها: نسأل الشافعي، فقال له: ابنتي تقول كذا وكذا، فقال في الأولى: حلت في هذه الليلة مائة مسألة فقهية كلها تهم المسلمين، وهذا كان قيامه، قيام ليله يجتهد في حل المسائل الفقهية التي تشغل بال المسلمين، فهل هذا أفضل أم من يشتغل بالصلاة والعبادة؟! الصلاة والعبادة لنفسك، ولكن هذه المسائل لكل المسلمين، ودائماً العمل الصالح الذي يتعدى إلى الغير أفضل عند أكرم الأكرمين ورب العالمين ﷻ، ... قال له: والثانية؟ قال: وأنا منذ صلاة العشاء على وضوئي حتى صلاة الفجر، فأنا لم أتم.

قال له: والثالثة؟ قال: علمتُ أن زادك حلال فملائتُ بطني لأني سمعتُ في أقوال السابقين: (من ملأ بطنه من زاد الصالحين، ملأ الله قلبه إيماناً وحكمة)!!

هذا حتى لا نقف عند أمورٍ معينة، فقيام الليل للطبيب في مداواة المرضى وعلاجهم أفضل من ألف ركعة في هذه الليلة، وقيام الليل للجندي الذي يحرس الحدود أو يحرس البلاد أفضل من ألف ركعة من غيره، حتى لا نقصر القيام على الركعات فقط.

فقيام الليل المهم فيه أن يكون في عملٍ نافع لنفسه ولمن حوله من عباد الله، ويقصد بهذا العمل وجه المولى تبارك وتعالى.

وسيدنا رسول الله ﷺ سهّل لنا هذا الأمر بعمل بسيط، وله أجر عظيم، قال ﷺ:

{ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيَّظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }^{١٩}

فيجب أن لا نحرم أنفسنا على الأقل من ركعتين، تستيقظ قبل الفجر بقليل وصلّ ركعتين، حتى تُكتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

عبادة الدعاء

ثم بعد ذلك: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

دائماً المؤمن ليس له إلا مولا، يعرض عليه حوائجه، ويرفع إليه طلباته، وكما قلنا:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ بَصُفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }^{٢٠}

هو الذي يطلب منا أن ندعوه، لأن الدعاء تحقيقٌ للإنسان بمقام العبودية؛ أنه يحتاج لله، وهذا ما يريده الله منا، يريد منك دوماً أنك تحتاج إليه، وأنت تُمُدُّ يديك له، وأنت دائماً

١٩ سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٢٠ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

تريد منه كل طلباتك الدنيوية وكل أمنياتك ورغباتك الأخروية، فكلها ترفعها إلى حضرة من يقول للشيء فيكون، والدعاء قال فيه ﷺ:

{الدعاء مُحُ الْعِبَادَةِ} ٢١

لماذا؟ لأن الله يريد منا أن نكون دائماً واقفين على بابه نناديه، ونستغيث به، ونطلب منه تبارك وتعالى، فهذا دليل على أن العبد مجملٌ بأداب العبودية التي يحبها الله ﷻ.

باب الانفاق

آخر صفة من هذه الأوصاف: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ لا بد للإنسان أن يجعل لنفسه باباً للإنفاق من كل النعم التي شمله بها الكريم الخلاق، فإذا تفضل عليه بما لا يحصى من هذا المال جزءاً للفقراء والمساكين، وإذا تفضل عليه بالعلم يجعل نصيباً من هذا العلم للجهلاء والراغبين في تعليم أصول الدين وحيثياته وسننه وتشريعاته لوجه الله، فلا يطلب على ذلك أجراً ولا جزاءً، ولا حتى كلمة شكر، حتى يجعله خالصاً لوجه الله ﷻ.

وإذا جعله الله في منصبٍ كريم، فيجعل من هذا المنصب نصيباً لقضاء حوائج الفقراء والمساكين الذين لا سند لهم ولا جاه لهم ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

وإذا حباه الله بالقوة يجعل هذه القوة فيها نصيباً أيضاً للمحتاجين، ومساعدة الضعفاء والفقراء والمساكين، مثلاً يأخذ بيد أعمى ليمشي في الطريق، قال ﷺ:

{مَنْ قَادَ أَعْمَى أَرْبَعِينَ خُطْوَةً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ} ٢٢

أو يبحث عن الفقراء والمساكين الذين لا زائر لهم!! ولا أنيس لهم...!!، لكي يزورهم في الله، ولكي يؤنسهم طلباً لمرضاة الله، ولكي يقضي لهم حوائجهم طمعاً في مرضاة الله جل في علاه، قال ﷺ:

{مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ} ٢٣

٢١ جامع الترمذي والطبراني عن أنس ﷺ

٢٢ جامع الطبراني والبيهقي عن ابن عمر ﷺ

٢٣ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

وقال ﷺ:

{ مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بِرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ }^{٢٤}

ولما كان المسلمون الأولون يمشون على هذا المنهاج، كانت المجتمعات الإسلامية كلها مجتمعات تقية نقية، ليس فيها إثم ولا بغي ولا شهادة زور ولا سرقة ولا قتل ولا كذب ولا غيبة ولا غيمة، لأنهم كانوا كلهم كما قال نبينا ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى }^{٢٥}

هؤلاء ماذا لهم؟

ما قلنا في البداية: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

دفاع الله عن المؤمنين

حدث نقاش بين سيدنا علي بن طالب ﷺ وكرم الله وجهه، وبين الوليد بن عتبة، وكان هذا في مكة، والوليد بن عتبة كان على الشرك والكفر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما:

{ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: أَنَا أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَجْلَى لِلْكِتَابَةِ مِنْكَ، فَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^{٢٦}.

فكان هذا سبب نزول هذه الآية، لنعرف أن الله دائماً يُحْكِمُ القاعدة القرآنية:

٢٤ فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما
٢٥ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن النعمان بن البشير
٢٦ الشريعة للأجري عن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٣٨ الحج)

المؤمنون لا يدافعوا عن أنفسهم، لأن الذي يدافع عنهم رب العالمين ﷻ، وكانت هذه تربية رسول الله لأصحابه الأجلاء دوماً، كان يريهم أن كل واحد منهم يعتمد على حضرة الله، ويتوكل على مولاه، ويُلقي بحموله على الله، والله يتولاه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٩٦ الأعراف) ولا يحمل هم أي شيء بعد ذلك أبداً.

فعندما جاء رجلٌ وتناول على سيدنا أبي بكر في مجلس رسول الله، وهذا الرجل كان منافقاً، لأن الذي يتناول في مجلس رسول الله لا يكون مؤمناً صادق الإيمان، ففي مجلس رسول الله لا بد من الأدب التام: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (٢٠ الحجرات).

وسيدنا أبو بكر ظل ساكناً ولم يرد عليه تأدباً مع الحبيب ﷺ، فلما زاد الرجل عن الحد، هم سيدنا أبو بكر بالدفاع عن نفسه، فقام سيدنا رسول الله من المجلس، فخرج أبو بكر مسرعاً خلف رسول الله وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ } ٢٧

عندما يتشاجر اثنان من المؤمنين، ويسبان بعضهما، وصفهما حضرة النبي وقال فيهما:

{ الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانَانِ } ٢٨

لأنه في هذا الوقت كأنهما شيطانان، لذلك يردان على بعضهما.

فالله ﷻ هو الذي دافع عن سيدنا الإمام علي، وانظر لكلام الله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ وكان سيدنا النبي ﷺ دائماً عندما يقرأ هذه الآية يقف في هذا الموقف، ثم يعود فيقول: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ فالوقف هنا سُنيّ وارد عن سيدنا رسول الله ﷺ:

٢٧ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة

٢٨ مسند أحمد وابن حبان عن عياض بن جمار

لا يستوي هذا مع ذاك أبداً، والإمام أبو العزائم رحمته الله يقول في هذا المجال: (قَلَامَةُ ظَفَرِ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَلَأِ الْأَرْضِ كَفَاراً) بما فيهم رؤساء أهل الشرك الذين يخاف منهم الناس وغيرهم، فالْمُؤْمِنُ له منزلة كريمة عند الله لا أحد من الأولين ولا الآخرين يستطيع معرفتها إلا إذا عرفه الله بذاته شأها.

ثواب المؤمنين الصالحين

﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾:

وكما قلنا قبل ذلك أن الإيمان دائماً يكون مقترناً بالعمل الصالح.

وهؤلاء ماذا لهم؟

﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾:

المؤمنون ربنا جهّز لهم جنة اسمها جنة المأوى، تأوي إليها الأرواح بعد مفارقة الأشباح، أرواح المؤمنين والمتقين التي تخرج من هنا تأوي إلى جنة المأوى، حضرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشهداء:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ }^{٢٩}

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَرَعَى فِي رِیَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مَأْوَاهَا إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ }^{٣٠}

عندما تصعد روح الشهيد تدخل في جوف طير أخضر ويذهب بها إلى الجنة، ينتقل من شجرة إلى شجرة، ومن فرع إلى فرع، لأنهم أحياء لا يموتون:

﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩ آل عمران) فهناك أيضاً أرزاق، ولكنها ليست

٢٩ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه
٣٠ الزهد لهناد ابن السري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الكُنْزُ الْإِلهِيُّ الْمَطْبُوعُ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

كالأرزاق الدنيوية، ولكنها أرزاق إلهية من أنوار وأسرار ومشاهدات وتجليات وإكرامات ...
أرزاق من هذا الباب.

وإذا كان من الصالحين المتمكنين في المقام عند رب العالمين، يُشكِّل الله ﷻ روحه على هيئته وعلى صورته وتذهب كيف شاءت، وتغضي حيث تريد، وتكون لها الحرية المطلقة في كل عوالم الله جل في علاه، لأنها خرجت من هذا القفص الذي حُبست فيه في الحياة الدنيا، ولذلك الإمام الغزالي رحمه الله لحظة الخروج من الحياة الدنيا، تلاميذه وقفوا حوله وأخذوا ييكون فقال:

قل لإخوان يروني ميتاً	ليس والله بالميت أنا
أنا عُصفورٌ وهذا قفصي	طرتُ منه إلى دار الهنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه	لحياةٌ وهو غايات المنى
لا تغرنكم روعة الموت فما	هي إلا نقلةٌ من هاهنا

ينتقل من دار إلى دار، ويكون هناك في جنة المأوى ..
﴿نُزْلًا﴾ :

والنُّزْلُ هو منزله ومقامه الذي يستقر فيه إلى يوم الدين ويوم العرض والجزاء.
ولماذا هذا كله؟

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعمال الطيبة، والنوايا الصادقة التي وفقهم الله ﷻ لها في حياتهم الدنيا.

نسأل الله عزوجل أن يُحققنا بهذه الأوصاف، وأن يخلصنا بهذه الألفاظ، وأن يجعلنا من أهل هذه العناية، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا

۝ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝

لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ وَيُعَذِّبَ

الْمُنَافِقِينَ ۚ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ

اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا
 ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا
 ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
 وَأَرْضًا لَمْ تَطْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ (الأحزاب)

١٥. أهل الصدق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - نستفتح كنوز الفضل الإلهي بيسم الله، ونسأله عز شأنه أن يفتح لنا كنوز فضله وخيره وبره وعطاياه، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر الهدى والنور، والجالب للمؤمنين في الدنيا والآخرة الهنا والسرور، ودافع عنهم كل الأذى والشرور، صلى الله عليه وعلى آله بدور الهدى، وأصحابه مصاييح الظلام، وكل من تابعهم على هذا الهدى الكريم إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

نحاول ونحن وإياكم أن نعمل بالحديث الوارد عن حبيب الله ومصطفاه ﷺ عسى الله ﷻ أن يعمنا بعطاياه، فقد قال ﷺ في مثل هذه المجالس:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }^٢

وكل مكان تسجد فيه لله صار بيتاً لله، فهنيئاً لنا أجمعين بهذه العطاءات من رب العالمين، التي بشرنا بها الصادق الوعد الأمين؛ سيدنا محمد ﷺ.

فتن آخر الزمان

وقد اخترنا هذه الآيات من سورة الأحزاب بالذات لأن النبي ﷺ نبأ بما سيحدث في أزماننا هذه وقال فيها:

{ سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ }^٣

وأشنع هذه الفتن وأشرها فتن الأفكار البعيدة عن الوسطية الإسلامية ومنهج خير

١ سراجيوم - الإسماعيلية ١٦ من رجب ١٤٣٨ هـ ١٣/٤/٢٠١٧ م

٢ سنن أبي داود عن أبي هريرة ؓ

٣ معجم الطبراني عن جندب بن عبد الله ؓ

البرية ﷺ، وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ سَتَكُونُ فِتْنٌ، قِيلَ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تُلْتَبِسُ بِهِ النَّالِسَةُ، وَلَا يَشْنَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تُنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ((إِنَّا سَمِعْنَا قُرْعَانًا عَجَبًا))، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤

فآيات القرآن فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان ..

إذا غابت المعلومات في عالم الأكوان، فالمعلومات مبنوثة في كتاب مكون الأكوان ﷻ، وقد كان الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه يقول: (لوضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله) لا يحتاج إلى التنبيه عليه والبحث عنه، وإنما يقرأ كتاب الله فيهديه إلى ما ضاع منه.

وكان كثير من الصالحين يُسألون: كيف تعرفون أخبار الخلق وأنتم لا تتحدثون ولا تجالسون من يتحدثون فيها؟! فيقولون: نقرأ كتاب الله فنعلم كل ما يدور في الكون بإذن الله جل في علاه!!!.

والآيات التي معنا في الحقيقة تصف الحال الذي نحن فيه الآن جماعة المسلمين، وإن شاء الله كما حدث مع الأولين سيحدث مع الآخرين من نصر رب العالمين ﷻ.

هذه الآيات نزلت بعد غزوة، وكلمة غزوة يعني حضرها النبي ﷺ، فأَي معركة حضرها النبي تُسمى غزوة.

٤ سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

وسميت هذه الغزوة بالخذق، لأن النبي ﷺ وصحبه بناءً على إشارة من سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه حفروا خندقاً حول جزء من المدينة، وتحصنوا خلفه من الأعداء.

وتسمى أيضاً باسم السورة؛ غزوة الأحزاب:

لأن اليهود وكما فعلوا في البداية يفعلون الآن مع المسلمين في النهاية، فألبوا العرب جميعاً، وذهبوا إلى أهل مكة، وقال لهم أهل مكة: يا معشر يهود أنتم أهل كتاب، ما رأيكم فيما جاء به محمد؟ أهو الذي على الحق؟ أم نحن الذين على الحق؟ فمن بختهم وضالهم وتزويرهم كعادتهم قالوا: أنتم الذين على الحق، ومحمد ومن معه على الباطل.

هي قضيتهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (٨٢ المائدة) هذا كلام رب العالمين، فهل هذا الكلام يتغير أو يتقلب أو يتحول؟ لا، لأن اليهود هم اليهود.

فجمع العرب جموعهم وجاءت القبائل العربية تنزعها قريش بما لا قبل للمسلمين به كما يحدث الآن، لا بالسلاح، ولا بالعتاد، وبالمثونة، ولا بعدد الأفراد المقاتلين من الجيوش، وهو نفس السيناريو يتكرر في هذه الأيام.

وقبل مجيئهم إلى المدينة استشف الرسول ﷺ ببصيرته الإلهية الأمر، وأخبر صحبه أنهم سيأتون بعد عشرة أيام، وبالفعل بعد عشرة أيام وصلت كل هذه القبائل العربية، وأحاطوا بالمدينة

ومع النبي نفرٌ قليل لا يستطيع أن يواجه بهم هؤلاء، إلى أن جاء نصر الله.

الأحزاب في عصرنا

ذكرنا الله في القرآن حتى نفتدي في عصرنا وفي أحوالنا مع أعدائنا بقول الله ﷻ لنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾:

فكما أخبرهم بقدوم الأحزاب بعد عشرة أيام، قال لنا:

{يُوشِكُ الْأَمُّ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ}

نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَفُتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ۝

فكما قال لهم، قال لنا، وهل تحقق قول النبي لنا أم لم يتحقق بعد؟! تحقق، اجتمعوا على المسلمين، ومن الذي جمعهم؟ اليهود، لأنهم هم الذين بيدهم زمام الأمور في أمريكا، وأهل الغرب كلهم ذبول تابعةً لأمريكا، فكلهم تجمعوا على المسلمين، وزعموا - وكذبوا - أنهم وصلوا إلى المستوى الأعلى في الصدق والأمانة، أين أمانتهم فيما حدث في العراق؟! كيف دخلوا العراق؟ ألم يختلقوا أخباراً وصوراً على أن العراق فيه أسلحة ذرية؟! ثم بعد ذلك هم الذين اعترفوا بأن العراق لم يكن فيه شيء!!.

وبعد ذلك اتجهوا إلى ليبيا، ثم اتجهوا إلى سوريا، ويريدون قاصمة الظهر لسوريا بعد أن أخذوا كل الأسلحة الكيماوية منهم، وسلمتها لهم الحكومة السورية راضية مرضية، لكنهم اخترعوا أن هناك سلاح كيماوي ليضربوا ويقسموا سوريا إلى أقسام، كما قسموا ليبيا والعراق إلى أقسام، وكل هذه الأمور سببها اليهود.

فأراد الله ﷻ أن يُعلمنا في قرآنه بما حدث، وما يحدث لنا على نهج نبينا، وطالبنا من البداية أن نفتدي ونهتدي ونتأسى برسول الله ﷺ في كل أحواله.

فرسول الله ﷺ في هذه الغزوة لما أشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق في المدينة شاركهم في الحفر، وشاركهم في حمل التراب، بل كانت الصخرة التي تستعصي عليهم ولا يستطيعون تفتيتها يلجأون إلى حضرة النبي ﷺ، قابلتهم صخرة شديدة الصلابة فذهبوا إلى حضرة النبي ﷺ، فطلب منهم أن يأتوه بماء، فأمسكه وحرك فاه، وتلى عليه ودعا الله ﷻ فيه، ثم رشه على الصخرة، فإذا بالصخرة تتفتت من قبل نفسها.

ومرةً أخرى أراد أن يُبشِّرهم - مع ما هم فيه - بالمستقبل العظيم الذي يُجهزه لهم المولى الكريم، فقابلتهم صخرة شديدة الصلابة، فجاء رسول الله ﷺ، فَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَقَالَ:

الكُتُبُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الطَّاهِرِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الشَّيْخُ فُزْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

{ بِسْمِ اللَّهِ، فَضْرَبَ ضَرْبَةً، فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ ضْرَبَ أُخْرَى، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ، ثُمَّ ضْرَبَ ثَالِثَةً، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ }^٦

أين هم وأين هذا الكلام!!؟ حتى أن بعض المنافقين الذين ليس لهم إلا عالم الدنيا والطين، ولا يستشعرون من ميراث النبوة شيئاً لأن قلوبهم غُلْفٌ، قال بعضهم: إن أحدنا لا يأمن على نفسه أن يقضي حاجته، ومُحَمَّدٌ يُبَشِّرُنَا أَنَّهُ سَتُفْتَحُ بِلَادُ الشَّامِ وَبِلَادُ فَارِسَ!!؟ وهذا أسلوب المنافقين، لكن المؤمنين أهل يقين، يعلمون علم اليقين قول رب العالمين: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم).

فأمرنا الله ﷻ، وقال للمسلمين أجمعين منذ بعثته إلى يوم الدين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ كلمة (لكم) لمن كان معاصراً له، ولمن بعده، ولنا، ولمن بعدنا، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فكلنا مطالبون بهذه الآية لنفوز بهذه العناية.

ولم يقل: (لقد كان لكم في مُحَمَّدٍ) لأن مُحَمَّدٌ له أَجَلٌ محدودٌ، لكن الرسالة إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، فلا نبي بعده.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ يعني قدوة طيبة في كل أحواله، إن كان في تعامله مع الله، أو كان في تعامله مع أهل منزله، أو كان في تعامله مع المؤمنين، أو كان في تعامله مع الجيران والأقارب، أو حتى في تعامله مع الأعداء، فالميزان الذي نزن به كل أمورنا لثرضي الله أن نزن أعمالنا كلها بأحوال حبيب الله ومصطفاه.

وهذا الميزان الذي لو جعله المؤمنون أجمعون ميزاناً لهم ما حدث اختلاف أبداً بين مسلم ومسلم، لماذا نختلف ما دمنا كلنا نزن بميزان واحد، وهو ميزان رسول الله ﷺ.

فهذا يزن بهواه، وهذا يزن بفكره، وهذا يزن باطلاعه، وهذا يزن بما وصلت إليه

^٦ سنن النسائي ومسنند أحمد عن البراء بن عازب ؓ

اجتهاداته، فيحدث خلافات كما يحدث في هذا الزمان، نسأل الله ﷻ أن يُزيلها، وأن يجمع المؤمنين أجمعين على كلمة سواء.

ثم بيّن الله ﷻ لنا لئلا نرغب في هذا الأمر، أن الذي يتأسى برسول الله هو الذي يفوز بهذين المقامين أو بأحدهما: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الذي يريد رضا الله عليه أن يتابع رسول الله، والذي يريد النجاة في الدار الآخرة ويرجو هذه النجاة فعليه بوزن أحواله كلها بأحوال رسول الله، ولا يكتفى بذلك بل عليه دائماً وأبداً أن يذكر الله ولا يتخلى عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل: ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾.

لذلك يُخبرنا الله عن أحوال المؤمنين الصادقين لنحاول أن نكون منهم أجمعين إن شاء الله، فالمؤمنين الصادقين لم يحدث عندهم هلع، ولا فرع ولا جزع عندما رأوا الأعداء وهم قادمون. .. وأيضاً المؤمنون الصادقون في زماننا لو اجتمعت أمم الأرض كأمريكا ومن حولها، بل ولو أضيف إليهم روسيا ومن معها، فإن كلمة الله هي العليا، لأن الله ﷻ أسلحة إلهية تعجز عن مقاومتها والوقوف أمامها كل الاختراعات والمعدات والتسليحات البشرية، إن كانت نووية أو هيدروجينية أو غيرها، لا يقف أي شيء أمام قدرة من يقول للشيء كن فيكون.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ فالنبي أخبرهم أنهم يأتون بعد عشرة أيام، وبعد عشرة أيام وجدوهم قادمين، فكان رد فعلهم: ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأن الله وعد المؤمنين في الدنيا أن يكون لهم فيها نصيب من البلاء أو الابتلاء، لماذا؟ لتحسن عاقبتهم، ويرتفع شأنهم ومقامهم يوم العرض والجزاء: ﴿الْمُحْسِنُونَ﴾ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت).

لا بد من الاختبار، ولا بد من الامتحان، ولا بد من البلاء للمؤمنين في هذه الدار، ليكشف عن قوة الإيمان، وعن اليقين الذي امتلأ به قلوب أهل الإيمان.

الإيمان إذا كان سطحي فسيسارعوا للصياح والشائعات، وتتبع هذه الشائعات ولو كانت مُغرصة، ويبدأوا يفتنوا في عضد إخوانهم المؤمنين، لكن إذا كان الإيمان قد وصل إلى مقام اليقين، فيكون المؤمن واثق تمام الثقة أن الله كما نصر النبي ومن معه في غزوة الأحزاب

بغير قتال، فإن شاء الله النصر قادم لنا في المعارك القادمة، وأيضاً بغير قتال: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (٢٥ الأحزاب).

الأعداء كانوا أكثر من عشرة آلاف، والمصيبة العظمى أن اليهود الذين كانوا مع النبي في المدينة وكانوا حوالي ثمانمائة مقاتل، وكان قد اتفق معهم على الجهاد معه إذا جاء عدو إلى المدينة، فخانوه وكشفوا ظهره، وأصبح العدو من الخارج، والعدو من الداخل، وهذا ما يحدث الآن، فهو نفس الأمر، فالسيناريو يُعاد مرةً أخرى.

مسرحة يُعيدها الله ﷻ للأمة المحمدية مع اختلاف الحجم والقوى، فإذا كانوا قبل ذلك عشرة آلاف، فالآن هم ملايين، وإذا كانت الأسلحة قبل ذلك أسلحة بدائية، فالأسلحة الآن أسلحة كونية جهزوها ليجعل الله ﷻ بها فناؤهم والقضاء عليهم إن شاء الله رب العالمين، والإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه كان يقول في ذلك عن أسلحة الغرب:

كل ما بها من آلة أو صنعة فهي للإسلام وهو بها يُعان

كل ما يصنعونه سيكون غنيمة لنا، كما غنم حضرة النبي اليهود وما معهم، فهو نفس الأمر، ولكن الناس ليس عندهم الصبر الجميل الذي أمرنا به الله في كتابه العزيز، يقول لكل المؤمنين: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠ آل عمران) فنحتاج أن نعمل بهذه الآية.

فسيدنا رسول الله شاركهم في كل شيء، حتى في الجوع كان مثلهم، ولم يُفَضِّلْ نفسه عليهم، وهي الأسوة الطيبة التي ينبغي على كل مسلم أن يتأسى بها في أيامنا هذه.

نص الله لأوليائه

وهم بما شاهدوه من حضرته عندما شاهدوا الأعداء مدحهم الله وقال فيهم: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ لما شاهدوا الأعداء قد كثرت أعدادهم زاد الإيمان، لأن النبي بشرهم بهذا، وهم يعلمون أن الله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (٢١ المجادلة).

وماذا عنا يا رب؟ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٥١ غافر) فلنا نصيب في النصر إن شاء الله، حتى لا يقول أحد: أن النصر لحضرة النبي فقط، لا، فنحن أمة النبي،

الكُفَّاءُ فِي الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ

فينصرنا الله من أجل حضرة النبي: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٥١ غافر) وهل ذلك في الآخرة؟ قال: ﴿ فِي أَحْيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٥١ غافر).

لا بد أن يكون النصر هنا حتى نفرح بنصر الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ينصر الله ﷻ (الروم).

فحضرة النبي ﷺ بعد أن حفر الخندق، وجاء الأعداء، دعا الله ﷻ، فلم تحدث معركة في غزوة الأحزاب، فأثناء مُكثهم حول المدينة، نصبوا خيامهم، وفي الليل أوقدوا النيران ليجهزوا الطعام، أرسل الله عليهم ريحاً قلبت قدور الطعام، وأطفأت النيران، وخلعت الخيام من شدتها، وظن كل طائفة منهم أن المسلمين قد هجموا عليهم، فأخذ يضرب بعضهم بعضاً ولا يشعرون!!، ثم رجعوا مهزومين كما أخبر رب العالمين ﷻ.

هزمهم الله بأن سلط عليهم الريح، ونحن نرى أحيانا بعض المناورات الصغيرة في الليل، فنجد بعض السُحب المحملة بالبرق، فنجد الخوف، ونظل بالبيوت، مع أنها مناورة صغيرة جداً!!، فماذا لو كانت فعلية؟! تذر الديار بلاقعا، وهذه أسلحة القدرة الإلهية.

سيدنا رسول الله نصره الله بمدد من عنده، وجند من عنده، وهذا الأمر مستمر مع الصادقين من المؤمنين إلى يوم الدين، فمرة ينصرهم بالريح، ومرة ينصرهم بالرعب يليقيه في قلوب الكافرين والمشركين.

وبعد المعركة، وبعد أن رجع الكفار، ذهب سيدنا رسول الله ﷺ إلى بيته وخلع لباس الحرب، فجاءه سيدنا جبريل وقال له:

{ قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ، وَاللَّهُ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ }^٧

فقال ﷺ لصاحبه:

{ لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ

^٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْتَفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ^٨

فأعطى الأمر، وعرفنا بالأمر التي توجد الخلافات بين المسلمين حتى لا نقف عندها، فبعض الصحابة فهموا من أمر النبي أنهم يصلون العصر ثم يذهبون إلى بني قريظة، وآخرين فهموا من الأمر أنهم لا يصلون العصر إلا إذا ذهبوا إلى بني قريظة، فذكروا ذلك لحضرة النبي حتى لا يختلفوا، فلم يُعَلَّقْ وأقرَّ الاثنين، فليست هذه الخلافات التي تُفَرِّقُ المسلمين.

فمن أجاب النداء وصلى العصر وذهب فهو على خير، ومن أصرَّ أن لا يؤدي الصلاة إلا بعد ذهابه إلى هناك، فهذا على خير، والإثنان مجتهدان.

وذهب رسول الله ﷺ وصحبه وحاصروا بني قريظة، وطلب منهم أن يُسَلِّمُوا فرفضوا، فأشار عليهم أن يوافقوا على ما يحكم به فرفضوا، وكان سيدنا سعد بن مُعَاذٍ ﷺ صاحباً لهم في الجاهلية، وسيدنا سعد بن معاذ كان قد جُرح في الحرب، وحضرة النبي لأنه يُحِبُّه صنع له خيمة في المسجد النبوي ليباشره في مرضه باستمرار، وانظر إلى الرجال الذين يتكلم الله عنهم، فقال: اللهم إن كنت متوفيني فلا تتوفاني حتى تُقَرَّ عيني في بني قريظة، فبمجرد أن دعا هذه الدعوة فتوقف نزيف الدم في الحال، فالتأجيل من عند العلي الكبير لتقرَّ عينه في بني قريظة، وطلب يهود بني قريظة وقالوا: لا نرضى إلا بحكم سعد بن مُعَاذٍ.

فأمر به ﷺ مع مرضه أن يحملوه، فحملوه على حمار، وانظر إلى الأدب النبوي عندما جاء سعد بن مُعَاذٍ وكان زعيم الأنصار، قال لمن حوله:

{ قَوْمُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ }^٩

ليُعلِّمنا الأدب النبوي، فالقيم النبوية نحن في أمس الحاجة إليها الآن،

فقال: يا سعد إنهم يرضون لحكمك . وكان سيدنا سعد شديد الأدب . فنظر إلى اليهود وقال لهم: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم، فخاطب النبي ومن معه ولم ينظر إليه أدباً مع رسول الله، وقال: أترضون بحكمي؟ واستحى أن ينظر نحو رسول الله، قال:

٨ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الكتاب أنزل المطبوع نفسي أي الملقين الشتم فوزي محمد فوزي

{ فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَن تَقْتُلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَنْ تُسَبِّى الذَّرِيَّةَ وَالنِّسَاءَ وَتُقَسِّمَ أَمْوَالَهُمْ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ } ١٠

وبعدها عاد الجرح فنزف ومات سعد بن معاذ، فَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ:

{ مَنْ هَذَا الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاهْتَرَأَ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ؟ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ فَوْجَدَهُ قَدْ مَاتَ } ١١

وفي رواية أخرى: أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل من السماء فقال:

{ يَا مُحَمَّدُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَدْ اسْتَبَشَرَ بِمَوْتِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، فَقَالَ ﷺ:
لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَدْ أَمْسَى دَيْقًا، مَا فَعَلَ سَعْدُ؟ فَقَالُوا:
قُبِضَ يَا رَسُولَ اللَّهِ } ١٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: { لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ:
مَا أَخَفَّ جَنَازَتُهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:
إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تُحْمِلُهُ } ١٣

نهاية اليهود .. (راجعوا كتابنا: بنو إسرائيل ووعد الآخرة)

فأمر رسول الله ﷺ بإنزال اليهود، وكما ذكرت كانوا حوالي ثمانمائة مقاتل أشداء،
ووقف سيدنا الإمام علي وسيدنا الزبير بن العوام ويتقدم اليهود ليقطعوا رقابهم، حتى انتهوا
من قتل الثمانمائة رجل، لنعرف أنهم قومٌ جبلاء، فنفس المصير الذي حدث للأولين سيحدث
أيضاً إن شاء الله للآخرين، وكما أرسل الله الريح سيُرسَل جنوداً من عنده:
{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } (٣١ الم نشر).

١٠ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

١١ الحاكم في المستدرک وفضائل الصحابة لابن حنبل

١٢ مسند إسحاق ومصنف ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها

١٣ جامع الترمذي والحاكم في المستدرک

والأمر أصبح الآن في أيدي المسلمين في منتهى السهولة، فبعد التعقيدات الالكترونية أصبح التغلب على هذه الجيوش اليهودية في منتهى السهولة، كيف؟ لو اخترقنا شبكة الانترنت التي تشغل بها كل الأجهزة المدنية والعسكرية عندهم، فلن نستطيع أي طائرة عندهم أن تطير!! ولن يخرج أي صاروخ من مكانه؟! ولن توجد كهرباء، فالحياة كلها ستتوقف.

وهذا سيناريو حرب الختام الذي بدأنا فيه والحمد لله، وسبحان الله فكما كان رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه في عصر حضرة النبي، يُوجد في عصرنا مثل هؤلاء الرجال، فمن الأمور العجيبة الموجودة الآن وجود مجموعة من القوات المسلحة أُحيلوا إلى المعاش، وكانوا يجيدون العمل على الكمبيوتر، فاتفقوا مع بعضهم وعملوا جيشاً وأسموه (الجيش المصري الإلكتروني) وهم الذين يأتون بكل أسرار داعش وشركائهم عن طريق الاختراقات الالكترونية.

وحاولت جهات كثيرة أن تساعدكم بالمال فرفضوا، فقالوا: نحن نعمل للوطن ولله، وقاموا بعمل تجربة منذ عدة شهور، أوقفوا فيها حركة اسرائيل تماماً، واخترقوا حتى وزارة الدفاع الإسرائيلية، وعطلوا حركة البنوك تماماً، وهذه عناية الله:

وَإِذَا الْعَنَافَةُ لَا حَظَّكَ عِيُونَهَا نَمَّ فَالْمَخَافُوفُ كُلُّهُمْ أَمَانٌ

فسيحدث إن شاء الله ولكن مع الرجال الصادقين الذين وصفهم الله بأنهم يرجون الله واليوم الآخر، ومواظبين على ذكر الله وطاعة الله طلباً لرضاه على الدوام.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ وليس كل المؤمنين، فهؤلاء المؤمنون وصفهم الله بأنهم رجال، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، وعندهم يقين تام بأن ما ذكره الله في كتابه، والحبيب في أحاديثه، ستصدقها الأيام، وقد قال الله ﷻ عن هؤلاء الأقسام: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (١٠٤ الإسراء) جماعات غرهم الإمهال ليتجمعوا في فلسطين، لتكون مقبرتهم، لأنهم مُفتتون في كل العالم، وهم موطن الشر في كل الوجود، فإذا بحثت عن الشر في أي مكان في العالم تجد وراءه اليهود، في أي مكانٍ أو زمان، وبين النبي ﷺ ما يحدث معنا ومعهم فقال:

{ ثَقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْشِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْي فَأَقْتُلْهُ } ١٤

إذاً لا بد من القتال، وهذا القتال سيكون فيه معنا كل القوى الإلهية، الأرضية والسمائية، فالحجر سيساعدك ويعاونك على قتل هؤلاء الأقوام لأنهم منبع الشر، وأساس الفساد في كل العوالم التي نراها في أي زمان ومكان.

فلا بد من المعركة، والمعركة شهدنا بشائرها: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ (الإسراء) بعثنا عليكم عباداً لنا وهم الموجودون الآن في جيشنا في مصر، وهم أولي بأس شديد، وأنتم تروهم الآن والحمد لله، تسليحهم وبطولتهم ورجولتهم، هؤلاء لا بد أن يجوسوا خلال الديار، ولا بد أن يدخلوا حتى يُحرروا بيت المقدس وأرض فلسطين، ويقضوا على اليهود الأفاكين.

وفي هذا الوقت سيقضى معهم على المنافقين الذين يتعاونون معهم والذين يناصروهم، والذين يدلونهم عليهما أماكننا الحيوية... كل هؤلاء أيضاً سيكونون معهم لأن هذا وعد الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم) متى تأتي هذه الأيام؟ هذه الأيام كما قال ﷻ:

{ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتَمِّمِ، الَّتِي لَا يَذَرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجُؤُهُمْ بِوَلَادِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا } ١٥

نحن في هذه الأيام مثل المرأة الحامل التي على وشك الوضع، قد يقول البعض: نحن غير جاهزين!!، لكن نحن معنا رب العالمين، فكيف تقول: أننا غير جاهزين!! كل ما في الأمر حتى يتجمعوا: ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (القلم).

فهم يظنون الآن أنهم مطمئنين لأن سوريا تدمرت، والعراق تدمرت، وليبيا تدمرت، والآخرين في جيوبهم، فظنوا أنهم في أمان، لكن:

١٤ صحيح البخاري وسنن البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٥ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال

وصنعوا لنا معركة في سيناء أشد من حرب ١٩٧٣م، من الذي يخوض هذه المعركة ضدنا؟ هم، ويعاونهم المنافقون من كل مكان، لكنهم هم الأساس في هذا الأمر، وكل هذا لأنه لا يقف ضدهم إلا الجيش المصري الذي وصّى به حضرة النبي ﷺ وقال في شأنه:

{ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ أَسْلَمَ النَّاسُ فِيهَا ، أَوْ قَالَ : لَحِيزُ النَّاسِ فِيهَا : الْجُنْدُ الْعَرَبِيُّ } ١٦

والجندي العربي هو الجيش المصري الذي جعله الله ﷻ مؤيداً بتأييد الله، وقائم بالله لله جل في علاه.

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ﴾

المفسرين بارك الله فيهم تكلموا في هذه الآية على أصحاب رسول الله فقط، فقالوا: من قضى نجه كحمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر، وغيرهم، ومنهم من ينتظر، لكن المنتظرين هل يوجد منهم أحد باق إلى الآن؟! لا، إذا الآية لكل زمان ومكان.

فرماننا هذا فيه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، منهم من قضى نجه، مثل الرجل الذي احتضن المجرم الإرهابي ومات هو ومن حوله من رجال الشرطة، أليس هذا من هؤلاء الرجال؟! وكذلك من فدى كنيته في سيناء، وغيره وغيره، لو سجل التاريخ هذه البطولات ستحتاج إلى كتب كثيرة، ولا تكفي بطولات الأجداد من رجالنا الذين منهم من قضى نجه، ومنهم من ينتظر دوره لكي يؤدي واجبه نحو الله، ونحو الوطن الذي نحن فيه الآن.

﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ وهذه الآية تُخرج كل الإرهابيين من هذا الصنف، لأن

الإرهابيين بدّلوا دين الله، وبدّلوا شرع الله، وبدّلوا الوسطية التي جاء بها الله، وجعلوا أنفسهم القضاة وليس الدعاة، نحن دعاة ولكن هل فينا من عيّن الله قاضياً يحكم على الناس بأن هذا مسلم وهذا كافر؟! وهل يوجد أحد فينا يستطيع أن يحكم على نفسه؟! فبني الله يوسف كان يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١ يوسف) يطلب من الله أن يتوفاه مسلماً، فكيف أبيع لنفسي بأن أحكم على هذا بأنه مسلم وهذا كافر؟! وكيف أحكم على هذا بأن يقتل؟! وأن هذا يُعَذَّب؟! ومن أعطاني هذا؟!!

هذا ليعرفنا الله أن هؤلاء حادوا عن السبيل، وبعثوا عن منهج النبي الأستاذ النبيل، وقد تنبأ بهم ﷺ في أكثر من حديث، من جملتها قوله ﷺ:

{ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَخَذُوا الْأَسْنَانَ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ١٧

حُذُوثُ الْأَسْنَانِ يَعْنِي صِغَارُ فِي السِّنِّ ..

وَسُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَعْنِي عَقُولُهُمْ لَيْسَتْ مُوزَوْنَةٌ، غَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ !!!

فَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَتْرَكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَهَذَا مَا يَحْدُثُ الْآنَ !!.

هذا حديث الرسول ﷺ الذي بيّن السفهاء الذين ظهروا في هذا الزمان، والذين ليس لهم شأنٌ بما تحدّث الله عنه عن الصادقين في القرآن: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وكيف يكون عذاب المنافقين؟ أن يُنزع منهم الإيمان عند لقائهم لحضرة الديان، ولا يوجد عذاب أشد من ذلك، فليس العذاب بمنع الأكل والشراب، فهذا سهل، وليس العذاب بوضعه في السجن فهذا سهل، هذا ربما يكون تكفيراً للذنوب، لكن العذاب الأعظم أن لا يُختم للإنسان بالإيمان، فهل يوجد عذاب أشد من ذلك؟! ومن الذي قال ذلك؟ الله في سورة التوبة: ﴿فَأَعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (١٧٧ التوبة).

إذا وصل النفاق إلى القلب فسيموت الإنسان على غير الإسلام، ولا يستطيع أن ينطق بالشهادتين، ولا أن يثبت قلبه على منهج الله، ومنهج حبيب الله ومصطفاه.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ وهذا يحدث الآن، وسيحدث أكثر منه في المستقبل، فالحمد لله أن أهل الغيظ من الإسلام الذين كانوا يريدون القضاء عليه قضاءً تاماً، وأمرهم كان سيئاً - حاشا لله - لو تمكنوا من مصر، لكن بفضل الله وبركة

الكُفْرُ أَفْضَلُ مِنَ الصُّبُوحِ نَفْسِي أَيْتُهَا الْمَقْرَبِينَ السُّنْمُ فُزِّي بِحَمْدِ نُوْزِيرٍ

رسول الله حفظ الله الإسلام بمصر وأهلها، وهي التي أبطلت مخططهم، وهي التي أحبطت مؤامرتهم، وأصبحوا مع شدة غيظهم لم ينالوا خيراً.

الرجل الذي حكم أمريكا ثماني سنوات، كل ما غاظه في الثمان سنوات أنه لم يستطع أن يفعل مع مصر ما كان يريد فعله، فمخططه الذي أوقفه مصر، لماذا؟ لأن الذي يردُّ هو الله: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾.

وبعدها يُبشِّرنا الله ويقول لنا: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ القتال القادم إن شاء الله سيكون بأسلحة إلهية، وجنود ربانية لا تستطيع أي قوى كُفْرية أن تقف أمامهم إن شاء الله، وهذه ستكون الختام، كما فعل سيدنا رسول الله بعد غزوة الأحزاب وقف وقال:

{ الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَا } ١٨

إن شاء الله بعد المرحلة القادمة سيكون للإسلام اليد الطولى، وهو الذي سيُمِدُّ جناحه في العالم كله، قال ﷺ في آخر الزمان:

{ وَثُمَّلَا الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَّبُ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا

لِلْإِسْلَامِ } ١٩

وقال ﷺ فيما سيحدث بعد هلاك اليهود:

{ وَتَنْزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخَلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحِيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ، وَتُفَرِّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ الذُّئْبُ فِي الْعَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَثُمَّلَا الْأَرْضُ مِنَ السَّلَامِ كَمَا يُمَلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسَلَّبُ قُرَيْشٌ مُلْكُهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا يَعْهَدُ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّفَرُ عَلَى الْقُطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ، وَيَجْتَمَعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ } ٢٠

١٨ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن سليمان بن صرد

١٩ مسند الروياني عن أبي إمامة

٢٠ سنن ابن ماجه ومسلم أحمد عن أبي إمامة

الكتاب المنال المطبوع نفسي يا أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

السموم الموجودة في الحيات والعقارب ستُنزع، لأنها كانت موجودة من أجل الكافرين والجاحدين ويجتمع النفر على قُطف العنب فلا يستطيعون أكله من شدة البركة التي ستأتي، والتي بشرنا بها الله ﷻ، وبشرنا بها رسول الله ﷺ. وأين يذهبون؟

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾

وصياصيهم يعني الحصون التي صنعوها الآن، وكما قال الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه: من إعجاز القرآن أن الله ﷻ يقول عن اليهود: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ﴾ (١٤ الحشر) فهم لو أرادوا أن يُثبتوا أن هذا القرآن ليس بكلام الله فلا يبنون هذه القرى، ولكن سياستهم الآن هي بناء المستعمرات، وهي القرى المحصنة، وبينوها مع أنهم يعلمون أنها موجودة في القرآن، وهذا إعجازاً لكتاب الله ﷻ.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من أهل أمريكا وأوروبا وغيرهم: ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ كما حدث في الأول سيحدث في الآخر: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

وماذا أيضاً؟ ﴿وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا﴾ أرضاً لم تدخلوها قبل ذلك، الأرض التي لم يطئوها في عصر حضرة النبي كانت أرض الروم في بلاد الشام، وأرض الفرس، لكن الأرض التي لم نطأها في زماننا ستكون أرض أمريكا، وأرض أوروبا، لأن المسلمين سيكون لهم الطول، ولهم الصولجان في هذه الأماكن، بفضل رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

اللهم مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، اهزم اليهود والأحزاب، وفرحنا بالنصر المبين، وبشرنا بصلاة في بيت المقدس أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ
قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا
۝ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ حُبَّهُ وَمِنْهُمْ مَّن
يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ
إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ۝ ﴾ (٢١-٢٤ الأحزاب)

١٦. إشارات العارفين في آيات أهل الصدق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وأجلسنا على بساط وده وقربه، ونشر علينا خالص رحمته، والصلاة والسلام على خازن الحكمة الإلهية، والمنزل عليه لاختصاصه الشريعة الربانية؛ سيدنا محمد صاحب الحوض المورود، والكوثر المشهود، والقلب الممدود، سراج قلوب المؤمنين، ونعيم أرواح المجتبيين، وسر اجتباء واصطفاء المصطفين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

تجدد معاني القرآن

تحدثنا قبل ذلك في الآيات التي في سورة الأحزاب، وألهمنا الله بربطها بما يحدث في عصرنا الحديث، لأنه هكذا القرآن، فهو خطاب لأهل كل زمان، وأهل كل مكان، بما يناسب كل زمان وكل مكان، ولا ينافي معنى معنى، لأن كل المعاني تنزل من حضرة الرحمن عز وجل، يقول الله في هذا: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢ الإسراء).

لكن أليس القرآن نزل وانتهى تنزيله؟! نعم، إذاً لماذا يقول الله: "ونزل"؟ نزل من معاني القرآن، ومن أسرار القرآن في كل زمان ومكان ما به يعرف المؤمنون أهل القرآن فضل الله عليهم وإكرام الله تبارك وتعالى لهم في كل زمان ومكان.

فمعاني القرآن دائماً متجددة، ولذلك من الأشياء العجيبة والغريبة أن بعض المسلمين المعاصرين يسأل عن تفسير آية، فإذا فسرتها له بما يناسب العصر، تجده يقول: في أي كتاب هذا التفسير؟! هل في تفسير ابن كثير أم غيره؟! تفسير ابن كثير كان لأهل عصره، فإذا قلت له إن هذا التفسير جديد، فيقول لك لا يجوز!! لأنه لا يريد إلا تفسير قديم وارد عن السادة القدماء!!.

وابن كثير أو القرطبي أو الطبري وغيرهم من أين جاءوا بهذا التفسير؟ إلهام من الله،

هل هو قول فصل؟! هل هو قول نبوي لا بد أن نُصدق به؟! لا، فهذا تفسير، وكان خطابه مناسباً لعصره وزمانه، ولكل عصر دولة ورجال، وهذا من إعجاز القرآن وبيان القرآن لله عز وجل.

ولذلك عندما أراد النبي ﷺ أن يبين ويفسر القرآن لم يوافق الله عز وجل على ذلك وقال له: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩ القيامة) نحن سنبينه على حسب كل عصر، لأن حضرة النبي لو فسر لما جاز لأحد من الأولين ولا الآخرين أن يفسره، لكن حضرة النبي تركه حتى يكون التفسير الملائم لكل عصر وكل زمان يلهمه الله عز وجل كما قال في القرآن ومعاني القرآن: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٤٩ العنكبوت) فالقرآن هناء آيات مبينة - مفسرة - في صدور الرجال الذين ألهمهم الله سر قول الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢٨٢ البقرة).

ولذلك وجدنا في زماننا الشيخ الشعراوي له تفسير، ولما سُئل عن تفسيره قال: هذا ليس بتفسير، ولكنها خواطر خطرت لي من الله عن القرآن الكريم، وكل إنسان له خواطر، ولذلك سموها خواطر الشيخ الشعراوي.

هل هذه الخواطر للشعراوي فقط؟ لا، لأنه في نفس الوقت قام الشيخ محمد سيد طنطاوي بعمل تفسير للقرآن، والدكتور عبد الله شحاته كان له تفسير، والشيخ الطاهر بن عاشور في تونس كان له تفسير، وفي العصر الحالي الدكتور محمد راتب النابلسي له تفسير... فكل هذه خواطر تأتي من عند الله بما يلائم العصر الذي هو فيه.

فالشيخ الشعراوي رحمة الله عليه لو أمدَّ الله في عمره إلى أيامنا هذه لغير هذه الخواطر، لأن هذه الخواطر قالها في الوقت المناسبة له، لكن في هذه الأيام قد تكون هناك خواطر غيرها مناسبة لهذه العصر.

أيضاً كل مؤمن يقرأ كتاب الله بتدبر يلهمه الله عز وجل الخواطر في نفسه ولنفسه في كتاب الله، وليس مطالب بأن يُعلِّمها غيره، لكنه هو مطالب بها، لأن كل مؤمن له نصيب في ميراث كتاب الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٣٢ فاطر) من الذي سيرث الكتاب؟ المسلمون، فكل مسلم له نصيب في ميراث معاني القرآن الكريم، لكن

عندما يتلوه ويتدبر في معانيه، فيفيض الله عز وجل عليه من ميراثه الخاص به قبساً من معاني القرآن الكريم.

المعنى العام والمعنى الخاص

والسالك في طريق الله ﷻ يكون مشغولاً بجهد نفسه في ذات الله، ليصل إلى الصفاء والنقاء فيجتبيه مولاه، ويفتح عليه كما فتح على الصالحين والعارفين من عباد الله، فعندما يقرأ القرآن لا يأتيه معنى عام، ولكن يأتيه معنى خاص وهو المشغول به.

فالمعنى العام يأتي للمفسر والمؤول الذي يفسر للناس، إن كان في مسجد أو جامعة أو نادي، على مستوى الناس، لكن أنا أقرأ القرآن لنفسي، فيأتي معنى خاص لي أنا فقط، أستعين به على جهاد نفسي، وعلى تصفية قلبي، وعلى الوصول إلى فتح الله ﷻ.

هذا نسميه معنى خاص، أو إشارة، إشارات يرسلها الله عز وجل للسالكين الصادقين، هذه الإشارات لا تتعارض مع المعنى العام، ولكنها لي أنا فقط لأعمل بها، ولذلك لا يجب أن ألزم بها غيري، أو أقول أنها التفسير الوحيد للقرآن، لأنه تفسير لي أنا فقط، ولو ترقيت في المقامات سأجد إشارات أعلى، ولو صدقت أكثر ستأتي إشارات أرقى.

فالإنسان عندما يقرأ القرآن يقرأه على أنه هو بنفسه مملكة وليس واحد، فأنا معي ناس ظاهرين وهم الجوارح كالعين والأذن واللسان والأنف واليد والرجل والبطن والفرج، ومعني معاني باطنة كالقلب والفؤاد والسر والخفا والأخفى وروح القدس والعقل، ومعني بداخل المملكة النفس والشيطان، وهؤلاء هم الاعداء المتربصين بي في الجهاد، ويريدون أن يقطعوني عن طريق القرب من رب العباد عز وجل، فإذا انشغل الإنسان في الحياة بأموال الدنيا والتنافس في الفاني والملاهي فيصداً القلب، والنفس والهوى والشيطان يلعبون بهذا الإنسان.

فماذا يفعل الإنسان عند قراءة القرآن؟ يخاطب الحقائق التي فيه كلها، ويقول لهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إياك أن تنظر لفلان أو غيره، ولا الأشياء الدانية والفانية، لأن هذه نظرة توجب نار الأحقاد والأحساد في قلوب العباد.

الذي سينظر للناس، فلان أعطاه الله كذا من الأرض، وأصبح عنده كذا من المال، أو أصبح عنده كذا وكذا من الولد، أو لديه وظيفة صفتها كذا وكذا، بالله عليكم لو الإنسان شغل باله بمثل هذه الأشياء هل يسلم القلب؟! لا، لا بد أن يتحرك القلب.

حتى أن بعض الناس - وهؤلاء نلومهم ونقول لهم هذا لا يجوز مع رب الناس - يقولون يا رب لماذا لم تعطيني كذا وأعطيت فلان كذا وكذا؟! ما هذا؟! ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣ الأنبياء) هذه طامة كبرى ومصيبة عظيمة، أن تحاسب الله ﷻ.

حسن الناسي برسول الله

سلامة القلب تحتاج من الإنسان أن لا ينشغل بمن حوله من الناس بالحواس، بل يغض الحواس وينشغل بالناسي بسيد الناس ﷺ.

لكنه لو زعم أنه يتأسى برسول الله، ولم يغض الحواس، ودائماً ينظر للناس، فهذا لم يتأسى، لأن الذي يتأسى برسول الله فإن جميع الحواس لا تنظر إلا إلى حضرته، فيتأسى به في زهده، وفي ورعه، وفي وجده، وفي حبه، وفي حسن توكله على الله، وفي عبادته لله، وفي إقباله على مولاه ... وهذه الأشياء لا تصلح إن كان معها النظر إلى الناس، فلا بد كما قال الإمام أبو العزائم رحمه الله:

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صب أنوار القدير

فيكلم الحقائق التي بداخله، والتي أعطاها لنا الله وجعل بها القرب من حضرته؛ القلب والمواد والسر والروح، هذه الحقائق يقول لها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وعندما يقول الله في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنَيْنٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤ الصف) يقول الإنسان لحقائقه: لا تخذلوني، فلا يصح أن أكون في الصلاة أمام الله بالجسم والعقل سارح في مكان آخر، والقلب سارح في واد آخر، وإلا سيكون الصف غير مستقيم، فكما ورد في الأثر: (إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج).

وهذا معنى الاعوجاج، أن تكون كل حقيقة في مكان آخر، لكن يجب أن يكونوا كلهم في صف واحد مع حضرة الواحد عز وجل، فيقبل الإنسان على الله بكله، ظاهره وباطنه،

القلب مع الله، والعقل يتفكر في خلق الله، واللسان ينطق بما يحبه الله، واليد والرجل والأعضاء كلها في العبادة والطاعة والخدمة لله ... كل الإنسان بكل حقائقه الظاهرة والباطنة مع مولاه جل في علاه.

الذكر الكثير

ويطلب من حقائقه أن لا تكون وجهتهم الدنيا ولا الحظوظ ولا الأهواء ولا المناصب الفانية ولا الأشياء الدانية ... بل تكون وجهتهم الله والدار الآخرة:

﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ :

فهذه هي همتكم، وهي المطلب بالأسمى الذي تريدونه، ولذلك:

﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ والذكر الكثير لا بد أن يكون بكل حقائق الإنسان.

فلو ذكر الإنسان باللسان والقلب غافل فهذا ليس بالذكر الكثير، أو ذكر باللسان والعين تنظر هنا وهناك فهذا ليس بالذكر الكثير، أو ذكر باللسان والأذن تسمع القيل والقال والأحاديث الجانية فهذا ليس بالذكر الكثير، ولكن الذكر الكثير أو تلاوة القرآن أن كل أعضاء الإنسان تذكر الرحمن عز وجل، اللسان ينطق، والقلب يوافق معه، والأذن تسمع، والكيان كله مشغول بإرضاء حضرة الرحمن عز وجل.

أعداء المؤمن

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ :

مَنْ الأحزاب الذين يريدون أن يدمرونا؟

النفس والشيطان والهوى، وهذه هي الحرب: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (٦ فاطر) هذا كلام الله، والنفس؟

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (٥٣ يوسف) النفس لا تكف عن الأمر بالمعاصي، ولذلك هؤلاء هم الأحزاب الذين بداخلك، والذين يريدون أن يُعدوك عن مولاك، ويجعلوك في الدنيا في مقام إذا خرجت منها تتحسر على ما فاتك من القرب من الله عز وجل،

الكتاب: فضل المطبوع تفسير آية الكرسي الشيخ فوزي محمد فوزي
وكذلك الهوى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَىٰ ۖ فَإِنَّ أَجَلَ الْجَنَّةِ هِيَ الْأَمَّاوَىٰ﴾ (النازعات).

الأحزاب المجتمعون عليك بداخلك هم النفس والشیطان والهوى!!
وقد يضاف لهم أحزاب أخرى: ﴿شَیْطَانُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (١١٢ الأنعام) وشیطان
الإنس هو الجلیس السوء، الذي ليس عنده غیر القیل والقال والغیبة والنمیمة والسب
والشتم واللعن والمکر للمؤمنین، والحیل نحو المسلمین، فهذا من ضمن الأحزاب المجتمعین
حول الإنسان.

فعلى الإنسان أن يأخذ حرصه من المعركة التي تدور بداخله، فبداخلك معركة
للسيطرة على ساحة القلب، والقلب لا ينبغي أن يكون إلا لله جل في علاه: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى
اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء).

لذلك يجب أن تحرص جيداً من حيل النفس، حتى تُحبط دسائسها، ومن وساوس
الشیطان وخدعه، ومن الهوى الذي يجعلك تخرج من شرع الله جل في علاه، وتبوء بالخزي،
وتخرج من الدنيا متحسراً على ما فاتك من فضل الله وإكرام الله جل في علاه.
وتحرص أيضاً من قراء السوء، وتعمل بقول رب العزة: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨ الأنعام).

وهناك حزب خامس وهم الحاقدون والحاسدون، فلا يخلو أحد في الدنيا من حاقد أو
حاسد عليه!! قال ﷺ:

{ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْسُودٌ }^٢

قد ترى أنت النعمة بسيطة، لكن قد يكون جار لك أو قريب أو غيرهم يراها نعمة
كبيرة ويحسدك عليها: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٥ الفلق).

فأنت تحارب في خمس جهات، النفس والشیطان والهوى وشياطين الإنس والحسود
إن كان حاقد أو حاسد، فهؤلاء حول الإنسان يحاولون أن يدمروا سلوكه مع الله.

٢ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

وحق الأنبياء قال الله في حقهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان) لا يخلو نبي من الأعداء، حتى سيدنا رسول الله ﷺ مع أنه أعظمهم وأكرمهم قال كما ورد في بعض الأثر: { فرعوني أشد على من فرعون أخي موسى عليه }
يقصد أبو جهل، فوصفه بأنه أشد من فرعون موسى، لأن فرعون موسى كان ملك، ولذلك قد يكون مهذباً بعض الشيء، لكن أبو جهل لم يكن مهذباً، وكان يحاول بكل الوسائل كيف يدمر الحضرة المحمدية، ويقضي على الديانة الإسلامية.

المؤمنون يتوقعون هذه الحروب ويعرفونها، لذلك يقولون عندما يرونها:
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ :

فلا بد من الجهاد، وجهاد الأفراد غير جهاد الناس العاديين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٧٨ الحج) يحتاج إلى الجهاد الحق لينال مقام: ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ﴾ (٨٧ الحج) مقام الاجتباء. ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: التسليم لحضرة النبي: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَتُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥ النساء) لسيدنا رسول الله ﷺ.

مقام الرجال

الذي يفعل ذلك له عند الله ما في هذه الآية الكريمة:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ﴾ : ومقام الرجال مقام عالي عند الله عز وجل، وشهد الله بأنه صدق معه: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ :

صدق في اتباع الشريعة، والتأسي بالحييب، والعمل المصيب الذي له أجر غريب وعجيب عند الله ﷻ. ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ : يعني أَمَاتَ نفسه وحظه وهواه وشهوات دنياه وهو في الدنيا، كان سول الله ﷺ ينظر إلى سيدنا طلحة الخير بن عبد الله ويقول:

{ طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ }^٣

٣ جامع الترمذي وابن ماجه عن معاوية بن أبي سفيان

هو يعيش في الدنيا لكنه لم تعد عنده شهوات ولا أهواء ولا دنيا فانية، ولكن كل همه في الدار الباقية والمنازل الراقية، وقال ﷺ فيه:

{ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ }^٤

وورد في الأثر:

{ من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر }

وميت يعني:

لا غيبة، ولا غيمة، ولا كلمة جافية، ولا نابية، ولا سب، ولا شتم، ولا لعن، ولا نظرة إلى امرأة تغضب الله عز وجل، ولا يمد يده إلى ما لا يحبه الله، وإنما كله لله جل في علاه: ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (١٢٢ الأنعام).

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ :

أي ما زال يجاهد للوصول إلى هذا المقام:

فهما صنفان:

- إما جاهد وانتهى من الجهاد وماتت نفسه وهواه، وأصبح من أهل الفتح الإلهي عند الله.

- وإما ما زال يجاهد.

إذا كان لا يجاهد، ولم يجاهد فلا شأن له برجال الله، ولا شأن له بفتح الله جل في علاه، وهذا ليس له في هذا الباب طريق أبداً ما دام على هذا الحال.

﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ :

لم يبدلوا الأصول التي جاءت في كتاب الله، والتي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهوائهم وحظوظهم وشهواتهم.

﴿ لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ :

٤ معجم الطبراني عن طلحة بن عبيد الله ؓ

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

يجزيهم بالفتح الإلهي، والنور الرباني، والكشف القدسي، والمؤانسات، والملاطفات، والأسرار الراقيات، وأشياء لا نستطيع ذكرها في هذه الآتات، وإنما غاية ما يقال فيها للسالكين الصادقين: (ذق تعرف).
(وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ) :

الذين يندثون في وسط هؤلاء الرجال ويدعون أنهم منهم وهم ليسوا منهم، يعذبهم بالحرمان من القرب من حضرته، وبالصد عن طاعته، وبالبعد عن القلوب النيرة.
هذه إشارات تأتي للسالكين الصادقين إذا تلوا كتاب الله وتدبروا فيه، وكانوا مجموعين بالكلية على حضرة الله عز وجل:
وكما قلت:

هذه الإشارات لا تتعارض مع المعنى الظاهر العام، فالمعنى العام لجميع الأنام، لكن المعنى الخاص لي أنا فقط، لأي أجاهد نفسي في ذات الله ﷻ، وكما قال حضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه:

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، قَالُوا: وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ }^٥

هذا هو الجهاد الأكبر ...

الذي يحتاج من الإنسان أن يكون دائماً في صراع مع نفسه وهواه، حتى تستسلم النفس، وينتهي الهوى، ويكون إنساناً راقياً من هؤلاء الرجال الصادقين، نسأل الله عز وجل أن نكون منهم أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٥ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ
إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝۳۲
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ۝۳۳ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي
بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝﴾ (٣٢-٣٤ الأحزاب)

١٧. صفات النساء المطهرات في القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكرمنا وجعلنا من أمة خير نبيٍ أخرجته لبي الإنسان، سيدنا محمد؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الزكي الذي علمه الله ﷻ ما لم يكن يعلم، وأنزل عليه التشريعات الإلهية، والتعاليم الربانية، الصالحة إلى يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه.

النساء جعل الله ﷻ لهم مثل ما للرجال في الفضل والإكرام والمنازل العالية في الجنة والنعيم المقيم في جوار الله ﷻ، فقه نساء المسلمين هذه الحكمة، فكأن يتنافسن في عمل البر والمعروف والخير، حتى أن امرأة ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت يا رسول الله:

{ يَا أَيُّهَا أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي وَافِدَةٌ النَّسَاءِ إِلَيْكَ، وَأَعْلَمُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءَ أَمَا إِنَّهُ مَا مِنْ امْرَأَةٍ كَانَتْ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، أَنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَأَمَّا بِكَ وَبِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، وَإِنَّا مَغْشَرُ النِّسَاءِ مَخْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فَضَّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَاطَبًا حَفَظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا تُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ يُوْجِهُهُ كُلُّهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ظَنَّنَا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْصَرِفِي أَيُّهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلَفَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُلٍ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا،

وطلبها مَرْضَاتِهِ، وَاتَّبَاعَهَا مُوَافَقَتُهُ تُعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، قَالَ: فَأَذْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِنْشَارًا^٢

إذا قامت بالحقوق الواجبة عليها لزوجها فازت بكل هذا الفضل العظيم الذي خصَّ الله ﷻ به الرجال.

وبينَّ الله ﷻ للنساء اللاتي تريد أن تكون في الدرجات العالية عند الله الصفات التي تعملها وتلتزم بها لتنال هذه الدرجات العالية، وجعل الخطاب من الله لنساء النبي، والخطاب لنساء النبي خطاب للمؤمنات النقيات اللاتي يرن أن يكن في المنزل مع زوجات النبي ﷺ، فقال هن: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ (٣٢ الأحزاب).

فالتى تريد أن تكون في الدرجات العالية عند الله، وفي الدرجات العالية من الجنة، فلا تقيس نفسها بباقي النساء لأن هذا سيُحبط عزمها ولن تتفوق في طريق الله.

ووضع النبي ﷺ ميزاناً للمؤمنين والمؤمنات: ط

ربما الناس في زماننا قلبوا في زماننا هذا الميزان، لكن نحن إن شاء الله نسير عليه ونجعله كما بينه رسول الله، هذا الميزان قال فيه ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ }^٣

الإنسان ينظر لمن هو أعلى منه في طاعة الله والقرب من الله ليقلده ويتشبه به فينال ما ناله من فضل الله ورضوان الله، وينظر إلى من هو دونه في متع الدنيا والأموال والطعام والفراش والسكن وما شابه ذلك، فيستريح الإنسان ويعرف أنه في نعمة يحمد الله ويشكر الله سبحانه وتعالى عليها.

ما الذي غيرَّ الناس الآن؟ ينظر إلى من فوقه في الدنيا، وإلى من هو دونه في الدين، تقول له: يا فلان نريد أن نصوم بعض الأيام الفاضلة، فيرد: أنا أصوم شهر رمضان وأحافظ على الصلاة، وانظر إلى فلان وفلان لا يصلي ولا يصوم!! فأنا افضل منه!! ما شأني أنا

٢ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساكر عن أسماء بنت يزيد

٣ معجم الطبراني والأماشي الخميسية للشجري عن أبي ذر

بفلان وفلانة؟!؟

وما سبب معظم المشاكل في البيوت؟ تريد الزوجة أن تكون مثل فلانة، تقول أنا رأيتُ في بيتها من الداخل كذا وكذا وكذا، وهل أنا أقل منها؟! أنا أريد أن يكون لي مثلها!! وهذا ما يأتي بالمشاكل.

ونفرض أن الزوج ليس عنده امكانيات، ولكن مع الإلحاح ربما يلجأ إلى الطرق المحظورات، ويحاول أن يكتسب من طريق حرّمه الله، كأخذ رشوة، أو عن طريق غش، أو عن طريق خداع، ليُرْضي زوجته وأولاده، وهؤلاء حذّر منهم النبي ﷺ وقال:

{ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلُمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ، وَمَنْ شَاهَقَ إِلَى شَاهِقٍ، وَمَنْ جُحِرَ إِلَى جُحِرٍ كَالثَّغْلَبِ الَّذِي يَرُوعُ، قَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِمَعَاصِي اللَّهِ ﷻ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُرُوبَةُ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالتَّزْوُجِ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ }^٤

يحملونه ما لا يطيق، فلا يستطيع أن يوفر لهم الحلال، فيتجشّم الحرام ليُرْضيهم، ويدخل به النار!! لكن الميزان النبوي أن أنظر إلى من هو دوني في الدنيا

فنريد من نساتنا أن تكون مع أمهات المؤمنين، وفي المنزلة الكريمة مع: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢٩ الفتح) فماذا نفعل؟

أعطانا في الآيات التي معنا صفاتاً إلهية قرآنية، وهذه الصفات إذا مشينا عليها سنبلغ هذه المنزلة، والنساء مطالبات بقراءة آيات النساء الموجودة في سورة النور وفهمها جيداً، سيدنا عمر ﷺ كان يُرسل إلى الأقاليم ويقول لهم: (علموا نساءكم سورة النور) لا يقرأوها

٤ العزلة للخطابي، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فقط بل يقرأوا تفسيرها، ليعرفوا الأحكام التي فيها.

أحكام النساء التي في سورة النور، ومعها الأحكام التي في سورة الأحزاب، والأحكام التي في سورة الحجرات، إذا درسناهم وعرفناهم وعملنا بهم فسننال هذه المنازل الكريمة عند الله إن شاء الله.

تقوى الله

والآيات التي معنا من سورة الأحزاب فيها صفات يطالب الله بها النساء:
﴿يٰۤاَيُّهَا النِّسَاءُ اتَّقِيْنَ كَآحَدٍ مِّنْ اَلنِّسَاءِ﴾ :

لكنَّ منزلة خاصة، متى؟

الصفة الأولى:

﴿اِنْ اَتَّقَيْتُنَّ﴾ :

إذا كانت الواحدة مجملة بتقوى الله، والتقوى بعبارة بسيطة هي الخوف من الله ومراقبته ﷻ، تخاف أن تعمل أي شيء يُغضب الله، لأنها تعلم أن الله يطلع عليها ويراهها، حتى ولو كانت بمفردها، لأن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وكان على هذه الشاكلة الصحابة الأولين، والصحابيات، وحتى البنات اللاتي لم يذهبن إلى مدارس ولا جامعات ...

وأنتم تعرفون عندما كان سيدنا عمر يمر في الليل يتفقد الرعية فوجد امرأة تتكلم مع ابنتها، فقالت لها: يا بنية ضعي على اللبن ماء حتى يزيد حجمه ونكسب أكثر، فقالت البنت: يا أماه أما علمت أن أمير المؤمنين نهى عن غش اللبن بالماء؟ فقالت لها أمها: وهل يرانا أمير المؤمنين الآن؟ فقالت البنت: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله ﷻ يرانا.

سمع سيدنا عمر هذا الحوار فعرف أن هذه البنت عندها تقوى لله، فعلم البيت بحجر لأن الطريق مظلم، وذهب وجمع أولاده الذكور وقال لهم: لو كنتُ شاباً لتزوجتُ هذه البنت فمن منكم يتزوجها وأنا كفيلٌ بكل طلباتها؟ أحد أولاده وكان اسمه عاصم قال له: أنا

أتزوجها، فتزوجت هذه البنت بعاصم وأنجبت بنتاً، وهذه البنت أنجبت عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، لأنها كانت تقية نقية.

فأول شرط لمن تريد أن تلحق بالدرجات العلى هي تقوى الله، والتقوى - كما قلت - أن تراقب الله، وتعلم أن الله يطلع عليها في كل حركاتها وسكناتها، وهو أول من يسمع أقوالها، وينظر إلى أعمالها وأفعالها، فإذا كانت تستطيع أن تتخفى من زوجها فالحي القيوم يطلع عليها ويراه، ولا تخفى عليه خافية.

وإذا كانت تريد أن تعمل عملاً ولا يعرف به زوجها، كبعض النساء التي تريد أن تدخر جزءاً من المال لتعطيه لأهلها أو غير ذلك، وأين الله؟! فالله ﷻ يطلع عليها ويراه.

أدب الحديث مع الرجال

الصفة الثانية:

﴿ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾

إذا اتصل بها أحد بالتليفون، أو يكلمها رجل في العمل، أو يكلمها في أي زمان ومكان، فالإسلام أمر المسلمة عند الحديث مع الرجل، والرجل كذلك، لا تقع العين على العين، إما أن تنظر عن اليمين أو عن الشمال أو إلى أسفل، لأن النظر بالعين قد يحرك الغرائز الساكنة في الداخل.

وإذا كان رجلاً غريباً فلا بد وأن يكون الكلام كلاماً معروفاً، البعض يقول: سيقولون عليها أنها غير متحضرة ومتخلفة، دعهم يقولون لأننا نعمل الحضارة في كلام الله الذي أتى به لنا سيدنا رسول الله ﷺ.

ما السبب؟ هناك في المجتمع أناس مرضى، وليسوا مرضى بالأجسام، ولكنهم مصابون بمرض النفاق، وهو أخطر داء يُصاب به الإنسان في الدنيا، فهؤلاء عندهم داء النفاق، فعندما تكلمه امرأة بكلام لطيف يظن أنها تميل إليه وتريده، وإذا تبسمت له من باب اللطف والأدب يظن أنها تحبه!!

والله ﷻ - وهو الحكيم العليم - يريد أن يحميننا من هؤلاء الأوباش، ومن هؤلاء

الأصناف، فأمر الله النساء بأن تتكلم بالكلام المألوف المعروف، في العمل، أو في الكلية، إن كان في محاضرة، أو في درس، أو في شيء من العمل، لكن لا تتطرق إلى الأحاديث الخاصة، كأن يقول لها: ماذا تفعلي مع زوجك؟ أو زوجك ماذا يفعل معك؟ أو ماذا تفعلي مع أهل زوجك؟ هذه أمور خاصة ليس لأحد شأن بها، ولا أسمح لأحد أن يتدخل فيها، فهذه ما نهي عنها الله ﷻ، وبينها رسول الله ﷺ.

العامل مع مواقع التواصل الاجتماعي

وفي أي شيء نتكلم؟

كما قال الله: ﴿ وَقُلْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ :

في الأشياء المعروفة بيننا، لكن الأمور الأخرى لا نتكلم فيها.

هناك آفة ظهرت في هذه الأيام وهي آفة خطيرة، مع أنها مفيدة للإنسان، وهي مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك، فالكل له صفحة على الفيس بوك، وهناك من له أكثر من صفحة، ويدخل عليها كثير من الناس من كل مكان، لا مانع من عمل هذه الصفحات، ولكن للاستفادة والإفادة، إما أن أستفيد أو أفيد، ولكن ليس لإضاعة الوقت، ولا شغل النفس، ولا لتحريك السواكن، فهذا لا يجوز.

فأجد عندما أنظر إلى الفيس بوك أحوال غريبة، فالأشياء التي لا تستطيع البنت أن تعملها أمام أهلها تعملها في الفيس بوك، فتنشر لنفسها صوراً غير لائقة، يطلع عليها كل العالم، كالصور وهي في غرفة بمفردها، وتلبس ملابس غير لائقة وغير محجبة، لماذا؟! هذه أشياء نهي عنها الله، ونهي عنها كتاب الله ﷻ.

حتى ولو أعطت صداقة لأحد على الفيس، فتكون الصداقة في حدود، كما قلت أستفيد أو أفيد، يعني أستفيد منه معلومات في أي مجال من المجالات، مثل معلومات طبية، أو معلومات في الطهي في المنزل، أو معلومات في مجال العمل، أو معلومات في المشاكل الاجتماعية .. كل هذا لا مانع منه.

أو أفيد غيري بما يفيض الله عليّ به، فأنشر حكمة، أو أنشر معنى حديث، أو أنشر

قول لأحد من الحكماء أو الصالحين، فأكون قد أفدتُ من اطلع على صفحتي، وأنا أيضاً أستفيد من صفحات الآخرين.

لكن - كما هو في المجتمع - الفيس بوك مليء بالمرضى والمنافقين، وأنت لكي الخيار، وهذه ميزة، فليس هناك مانع في حذف أي إنسان لا يعجبني أمره في أي وقت، وينتهي الأمر، وقد أحظره، فلا يستطيع أن يدخل مرة ثانية ولو حاول المستحيل، والفيس بوك يساعدني على ذلك.

إذاً سواء في الحياة العملية، أو في الحياة الفيس بوكية، فنحن نلتزم بالآداب الشرعية: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ :

وفي أي شيء نتكلم؟

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ :

الكلام المتعارف في شئون العمل إذا كنا نعمل معاً، أو في شئون نحتاجها إن كانت طبية أو نفسية أو غيره، لكن الأمور الشخصية لا يطلع عليها أحدٌ إلا إذا كان ذا ثقة ومن المحارم ... وليس كل المحارم ذو ثقة، إذا كان ذا ثقة من المحارم فهذا الذي أحكي له إذا كانت هناك مشكلة شخصية أو عائلية أو ماشابهها، فهذا المبدأ الإسلامي.

أدب الخروج من المنزل

الصفة الثالثة:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ :

وقرن يعني الزمن، فهل لا نخرج؟ لا، بل نخرج، فالمرأة إذا كانت متزوجة لا تخرج إلا بإذن زوجها، ولا تدخل بيتها أحداً إلا بإذن زوجها.

وإذا كانت بنتاً لا تخرج إلا بإذن ولي أمرها، إذا كان الأب أو الأخ الأكبر ..

فالولاية دائماً تكون مع الرجل إما الأب أو الأخ فهذه الولاية الشرعية، لكن الأم دائماً متعاطفة مع البنت.

الكُفَيُّ أَفْزَلُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِي أَيْضًا بِالْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحَمْدِ نُوَيْرٍ

ولماذا تخرج؟ إذا كان للعمل فلا مانع، أو إذا كان لقضاء مصالح المنزل فتذهب للسوق لتقضي طلبات المنزل فلا مانع، وإذا خرجت لصلة رحم فلا مانع، وإذا خرجت لعمل برٍّ أو خير فلا مانع، ولكن كل هذه الأمور يكون معها موافقة ولو موافقة عامة مسبقة.

وإذا كانت المرأة موظفة، والزوج تزوجها وهي موظفة، ويعرف أنها موظفة فهي معها إذن من البداية أن تخرج للوظيفة.

وكل هذه الخروجات كيف تخرج فيها؟ ملتزمة بالزيِّ الشرعي الذي حدَّده الله، وبينه النبي ﷺ، حتى تدخل في قول الله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور ٣١) لا يظهر منها وهي خارجة إلا الوجه والكفين.

والوجه لا ينبغي أن تُغيّر فيه إذا كانت خارجة، بوضع أصباغ، أو ترقق الحاجبين وغير ذلك، كل ذلك يكون للزوج في المنزل فقط، لكن إذا خرجت لا تفعل شيئاً في وجهها التزاماً بشرع الله وهدى رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك إذا كان ليس لها مصلحة فلا داعي للخروج من المنزل، فأساس المرأة البقاء في المنزل، ولا تخرج إلا لضرورة شرعية، أو لمصلحة شرعية، ولذلك جئنا نساءً إلى رسول الله ﷺ فقلن:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِالْفَضْلِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا لَنَا عَمَلٌ تُذَرِّكُ بِهِ عَمَلُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَعَدَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، مِنْكُنَّ فِي بَيْتِهَا فَإِنَّهَا تُذَرِّكُ عَمَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }^٥

من تبقى في البيت وتصبر على هذا الأمر، أصبحت كأنها مجاهدة في سبيل الله ﷻ.

الصفة الرابعة:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ :

فالجاهلية الأولى قبل الإسلام، والجاهلية الثانية والتي فيها أمم الغرب، فتتظر

٥ مسند البزار ومعجم الطبراني بلفظ {مَهْنَةً إِخْدَانًا فِي بَيْتِهَا تُذَرِّكُ بِهِ عَمَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} عن أنس

للأوروبيين أو الأمريكان وغيرهم وتريد أن تتشبه بهم، فهؤلاء في جاهلية ولا ينبغي أن نقلدهم في شيء، لأنهم لا يتبعون ديننا، ولا يخضعون لهدى قرآننا، ولا لسنة نبينا ... لكننا نمشي بأمر الله، ولا نخرج إلا بعد كمال الاحتشام، والزى الشرعي - كما قلنا - لا يظهر منه إلا الوجه والكفين، وتكون الملابس فضفاضة واسعة، ولا تُظهر ملامح وتقاطيع الجسم، وتكون غير رقيقة وغير شفافة، والألوان غير لافتة للنظر.

ما هيئته؟ الإسلام ترك لنا هذا الأمر حتى لا يضيق علينا، فتلبس عباءة فلا مانع، تلبس بنطلون وفوقه بلوزة ولكن تحت الركبتين فلا مانع، لكن بنطلون وبلوزة إلى الوسط فتدخل في قول رسول الله ﷺ:

{ لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ }^٦

فسمح الله ﷻ لنا في الزي أن يطابق الوصف الشرعي، وننوع في هذا الأمر كما نريد، ولكن بشرط أن يكون في النهاية يطابق الزي الشرعي وأوصافه التي ذكرناها.

إقامة الصلاة

الصفة الخامسة:

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾:

وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، فأقمْنَ الصلاة يعني حاولن أن تحضر قلوبكن ويكون فيها خشوع لله وأنتن تؤدين الصلاة لله ﷻ.

كيف يكون ذلك؟ لا يجوز أن تكون المرأة في عمل وتذهب تؤدي الصلاة سريعاً وعقلها وقلبها مع المشاغل أو مع الأولاد، فالصلاة تحتاج إلى الإستعداد ولو لدقائق قبل الصلاة، أتوضأ وقبل الصلاة ولو خمس دقائق أستغفر الله، وأصلي على رسول الله، أو أقرأ ما تيسر من كتاب الله، فهذا أكون قد جهزت نفسي للدخول إلى الصلاة، فإذا دخلت في الصلاة أكون قد حضرت، ويأتي الخشوع من الله ﷻ.

وأضرب لكم مثلاً بسيطاً: الذين يلعبون كرة القدم هل يوجد فريق منهم ينزل الملعب

٦ مسند احمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّاتُ الْمُتَقَرَّبِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بدون تسخين؟ لا، فاللاعب الذي يلعب بدون تسخين يأتيه شدُّ عضلي، أو تأتيه أي مشكلة، ولن يستطيع أن يكمل.

كذلك الصلاة، فنحن نحتاج قبل الصلاة أن نُسخِّن أنفسنا، ونجهِّز قلوبنا، ونجهِّز أرواحنا، حتى إذا ناجينا الله تحضر الروح، والقلب يكون فيه حضور وخشوع، لأن الله عندما مدح المؤمنين قال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ ﴾ (المؤمنون) من كان في قلبه خشوع لله وهم يؤدون الصلاة.

وآفة السيدات والبنات التي تحدث دوماً أنها تأتيها الدورة الشهرية، وبعد انتهاء الدورة الشهرية تستريح يومين أو ثلاثة أو أكثر بدون صلاة، وهذا الأمر قد يجعلها تستريح إلى الدورة الثانية، وهذا ما يجعل كثير من النساء يتركن الصلاة.

لكن هي مطالبة فور انتهاء الدورة أن تؤدي ما عليها لله، وقبل الدورة هي تعرف ميعادها.

في الأوقات العادية الإسلام أباح للمرأة نظراً لظروفها أن تؤخر الظهر إلى ما قبل العصر، ولكن تصليه حاضراً قبل العصر بنصف أو ثلث ساعة وتظل على وضوئها إلى أن تصلي العصر، وكذا المغرب والعشاء.

أتى الله بهذه الآيات وهذه الأوصاف للنساء:

حتى يضعنها أمام أعينهن، ومن تطبقها فيها هناها، فستكون مع نساء النبي في الدار الآخرة في الدرجات العالية، وتدخل في قول الله:

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩ النساء).

أسأل الله ﷻ أن يفقهكن في الدين، وأن يزيدكن في العلم، وأن يعينكن على العمل بهذا العلم، وأن يبلغكن القصد والمراد

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ
إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ ﴿٣٢﴾
وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ۝ ﴿٣٣﴾
وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي
بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝﴾ (٣٢-٣٤ الأحزاب)

١٨. آداب المؤمنات القانات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أدب نساء الأمة بخير الآداب التي يحبها ويرضاها جل في علاه، وبدأ بنساء حضرة النبي ﷺ، والخطاب لمن وجميع نساء الأمة.

فما الآداب التي ينبغي على المسلمة أن تتأدب بها، والتي يحبها الله ﷻ بسببها، ويجعل لها عنده منزلة عظيمة، وأجرًا كريمًا، ويدخلها الجنة؟ وفي الحقيقة من حرص الله ﷻ على نساء المؤمنين، جاء بهذه الآداب الكريمة التي ينبغي أن لا نفرط فيها قط، ولا نحاول أن نخرج عنها، ونحاول أن نطبقها بحذافيرها، كما كان نساء سلفنا الصالح.

﴿يَلْبَسْنَ أَثَرِيَّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ :

لا شأن لكن بغيركن من النساء، وأنتم كذلك، الأمريكان عملوا بحثاً وقالوا في نتيجته: أن أظهر امرأة في الأرض المرأة المسلمة، فأنتن لستن كأحد، لستن كالأمريكيات ولا الإنجليزيات ولا غيرهن، نحن أظهر نساء الوجود لأننا نؤمن بالله ﷻ ورسوله، والإسلام ديننا، والقرآن كتابنا.

مراقبة الله

ما أول شي نحرص عليه؟

﴿إِنْ أَتَقَيْتُنَّ﴾ :

وتقوى الله يعني مراقبة الله، ولو تحققت التقوى استراح الكل، فمن تُراقب الله ستعرف أن أي كلمة تنطق بها أول من يسمعها هو الله، وأي عمل تعمله أول من يراه هو الله، والله ﷻ قال لنا: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ لماذا؟ ﴿وَسُتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥ التوبة).

لو كل واحدة علمت أن الله ﷻ يطلع عليها ويراه، هل ستعمل شيئاً يُغضب الله؟! لا، هل ستقع في محذور حرّمه كتاب الله؟! لا، هل ستخالف سنة واردة عن رسول الله؟! لا، لماذا؟ لأنها تعلم علم اليقين أن الله يطلع عليها ويراه.

الكُنُفُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ تَفْسِيرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الشَّيْخُ فُزَيْيْدُ مُحَمَّدٍ نُزَيْرُ

فتقوى الله هي أول صفة تتصف بها المؤمنات لكي ينلن رضا الله ﷻ، وما دامت التقوى موجودة فكل مؤمنة تحكّم نفسها في الأعمال والأقوال التي تصدر عنها، فلا يحتجن حكماً من غيرهن، فأى عمل عمله إذا كانت راضية عنه فيكون هذا العمل خيراً وليس فيه ضررٌ في العاجل أو في الآجل ..

وإذا كانت غير راضية عن هذا العمل وتعلم أنه غير منضبط، وتختار كيف تخرج منه، فهذا دليلٌ على أن هذا العمل غير سديد وغير موفق.
فلو حكمنا قلوبنا بعد تقوى الله في أعمالنا سننجح وسنكون من الفائزين يوم لقاء رب العالمين ﷻ.

وعلى سبيل المثال: البنت التي تُرسل لزميل لها أو صديق لها رسالة في الخفاء، ما الذي يجعلها تعمل ذلك في الخفاء، وتحرص أن لا يراها أحد؟ لأنها تعرف أن هذا العمل غير صحيح، فلو حكمت نفسها من البداية واقتنعت بأن هذا العمل غير صحيح، لن تفعله، لأنه لو كان صحيحاً ستعمله أمام الجميع، ولا تخاف من أحد.
ولذلك ديننا يلزمنا أننا نحكّم قلوبنا وإيماننا بعد تقوى الله في أي عملٍ نعمله حتى ننال رضا الله ﷻ، والمؤمنة لها منزلة عظيمة عند الله، والله ﷻ شارك المسلمات مع المسلمين في كل الأعمال التي طالبنا بها الله:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥ الأحزاب)

كلهم مع بعضهم في هذه الطاعات، فالنساء كلن بما كلف به الرجال من طاعة الله ﷻ.

الكتاب: فن الكلام تفسير آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي أدب الكلام مع الجنس الآخر

ربما يحدث بين النساء والرجال كلمات، فعلمنا الله أدب الكلام مع الجنس الآخر:

مع زميل في المدرسة، أو زميل في الكلية، أو زميل في العمل:

كيف تتكلم النساء مع الرجال؟

قال الله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾:

كيف لا تخضع بالقول؟

يعني تتكلم مع الرجال أو مع الشباب الكلام الذي ليس فيه خلاعة، وليس فيه إظهار مودة ولا محبة، ويكون الكلام الذي نسميه - الدغري - لماذا؟ لأنه لو كلم ولد في المدرسة بنتاً وضحكت، فيُخَيَّل إليه أنها تُحبه، فيبني على ذلك أشياء كثيرة، لذلك الإسلام يريد أن يتحاشى كل هذه الفتنة، فتكلمه بالكلام المعروف.

كيف يكون الكلام بين الرجل والمرأة؟

الإسلام يقول لنا العين لا تقع على العين، فلو تكلمت المرأة مع شخص إما أن تنظر في الأرض، أو تنظر على اليمين، أو تنظر على اليسار، بحيث أن عين الرجل لا تقع على عين الأنثى، لماذا؟ لأن التقاء العينين يُحرك المشاعر الداخلية، لذلك يجب أن يكون الكلام بالكيفية التي وصفها لنا الله، ووضَّحها لنا سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو استرسلت معه في الكلام، يكون الكلام في حدود الضرورات، مثلاً جاء رجل يسأل: هل فلان موجود؟ فتجيبه مثلاً: هو غير موجود، لكن إن استرسل في الحديث، ما اسمك؟ وكم سنك؟ وفي أي عام دراسي؟ وغير ذلك نُغلق عليه هذا الباب بالكلية، لأنه لم يأت لهذه الموضوعات، ولكنه جاء للرجل الذي في البيت، فإذا وجده يجلس معه ويتكلم كما يريد.

ولو اتصل رجل بالتليفون: تقول له: ماذا تريد؟ يقول: أريد فلاناً، فإذا كان موجوداً نعطيه له، وإن كان غير موجود تقول له هو غير موجود، وتغلق التليفون على الفور، قبل أن يسترسل في الحديث.

الكُتُبُ أَنْتِ الْمَطْبُوعُ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ الرَّسْمُ فَوْزِيَّ مُحَمَّدُ نُزَيْرُ الانترنت

الآفة العُظمى التي ظهرت في هذا الزمان:

ونسأل الله الحفظ والصيانة لشباب وبنات الإسلام - هو الإنترنت،
وهو ليس بلاء إذا استخدمناه كما ينبغي، وسيصبح منفعة..

لكن كثير من شبابنا يستخدمه فيما لا يفيد، يستخدمونه في تبادل الحوارات
والمحادثات، وزادت الآن المصيبة الكبرى أن كل تليفون أصبح فيه كاميرا، فهو يتكلم وهي
تتكلم ويرون بعضهما، وهذه هي المصائب الكبرى التي تحتاج لحرص شديد من بنات
الإسلام في هذا الزمان.

صُنِعَ الإنترنت لنستفيد منه بالمعلومات الجديدة، ونحصل منه على أخبار جديدة أولاً
بأول، لكن التعارف والتآلف لا يكون للبنات المسلمة إلا لمن يتقدم رسمياً إلى بيتها وإلى أهلها
ليطلب يدها، فهنا مسموح لها بالتعارف معه.

لكن لَنُكُونْ صدقات بين البنين والبنات، فهذا غير مسموح، وقد يقول البعض هذا
غير عصري وهذا تخلف!!، فلا شأن لنا بهذا الكلام، فذلك هو الدين، فكم من مآسي
وكوارث تحدث نتيجة الاسترسال في المحادثات، والاسترسال في العلاقات!! فهذه تُفسد
الحياة، وتُفسد الأمور، فلا بد أن يكون التعامل بالمعروف كما علَّمنا الله ﷻ

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ لماذا؟

﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ وما أكثر المرضى في هذا الزمان!!؟.

فالإنسان غير المريض هو التقى، والأتقياء الأنقياء قلة قليلة في هذا الزمان، فمعظم
الشباب تحللوا من التعاليم الدينية، وتركوا العمل بالأوامر الشرعية، فكيف لمؤمنة أن تثق في
واحد منهم؟

ولكي لا يطمع فيها أحد فيكون - كما قلنا - التعامل في الضرورات، وبمقتضى
الضرورات، كما علَّمنا الله، والكلام يكون كما قال الله: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ أي يكون
الكلام في المعروف.

مثلاً: أنت تحتاجين لمحاضرة، فتبحثي أولاً عن زميلات لك، فإذا لم تجدي إلا زميل، وأنت تحتاجين هذه المحاضرة، فلا مانع أن تطليبيها منه، لكن لا داعي للاسترسال في الحديث معه، كأن يسألك: من أين أنت؟ وأنت تسأليه: وأنت من أين؟ وماذا عن أهلك؟ وغير ذلك، فهذا الذي يزيد المشاكل، ويأتي بما لا يُحمد عُقباه بالنسبة لأسرنا، وبالنسبة لفتياتنا وشبابنا، فيكون: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

أدب الخروج من المنزل

الأمر الثالث في الآداب:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾:

وقرن يعني اسكنّ، فالمرأة لا تخرج من المنزل إلا لضرورة شرعية، وضرورة شرعية يعني تُبيحها لها الشريعة، وتخرج على هيئة شرعية، فإذا خرجت لطلب العلم فلا مانع لأنها أصبحت ضرورة، وطلب العلم فريضة، لكن تخرج على الهيئة الشرعية، فتستر جميع جسمها ما عدا الوجه والكفين، وهذا ما أباحه معظم العلماء الأجلاء.

ولا تضع على وجهها ولا على يديها شيئاً من المساحيق وأدوات التجميل، لأن هذا في عُرف الشريعة لا ينبغي إلا للزوج، وفي حجرة الزوجية إذا كان المنزل فيه شركاء، يعني معه أخوة آخرين، فهذا للزوج فقط.

فإذا كانت خارجة فلا بد أن تلتزم بالهيئة الشرعية، والملابس الشرعية كما قلت، فتغطي جميع الجسم ما عدا الوجه والكفين، ولا تظهر خُصلة من الشعر، وتكون الملابس واسعة حتى لا تبين تقاطيع الجسم، وغير شفافة، نفرض أنها لبست عباءة طويلة وفي وسطها لبست حزام، فهذا يُظهر تقاطيع الجسم، فالحزام جعل الزي غير شرعي، أو تلبس بنطلون فلا مانع، ولكن بشرط أن يكون ما فوق البنطلون يكون إلى أسفل الركبتين حتى لا تكون متشبهة بالرجال، لكن بنطلون وبلوزة قصيرة فهذا زي غير شرعي.

لماذا تخرج المرأة؟ تخرج لطلب العلم، أو تخرج للعلاج، أو تخرج للتسوق إذا كان لا يوجد من يتسوق لها بالآداب الإسلامية المرعية، أو تخرج لزيارة ذوي الأرحام، إذا كانوا من

الدرجة الأولى كالجدة والعمة والعم والخال والحالة، وغير ذلك فيجب أن يكون معها محرم كأبيها أو أخيها أو أختها أو أمها لتكون ملتزمة بالحدود الشرعية التي أباحها لنا الله ﷻ.

تذهب للطبيبة المسلمة، فإذا لم يكن هناك طبيبة مسلمة لا مانع أن تذهب للطبيب ولكن بشرط أن يكون معها محرم، ولا تختلي بالطبيب بمفردها في حجرة الكشف، فلا بد أن يكون معها المحرم في حجرة الكشف، والطبيب يكشف من فوق ملاءة أو غطاء ولا يضع يده مباشرة على جسمها.

فهذه قواعد الخروج الشرعية التي أباحها لنا الله ﷻ، وغير ذلك ما دام لم يطلب منها أي أمر من هذه الأمور فتسكن في بيتها كما قال الله:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ :

أصبح في زماننا الموضات التي جاءتنا من الغرب، والملابس التي جاءت من أوروبا أشد لعنة من الجاهلية الأولى، لأنها تخالف بالكلية صريح الآيات القرآنية، لكن هيئة المرأة المسلمة في اللباس عند الخروج من المنزل يجب أن تكون شرعية كما ذكرنا.

إقامة الصلاة

وماذا عليها بعد ذلك؟

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ :

المحافظة على إقامة الصلاة في وقتها حاضراً، وغير مسموح للمرأة أن تجمع بين الفرائض كما يظن البعض، فبعض النساء تفقي بنفسها وتقول: أنا طوال اليوم مشغولة فأصلي آخر النهار، وتُصلي الظهر مع العصر مع المغرب مع العشاء، فمن أين أتيت بهذا الكلام؟! كلام الله يقول:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

فُصلي في الوقت الذي حدده الله لنا في الصلاة:

- ومسموح لنا فقط أن تؤدي الصلاة في آخر الوقت، يعني مسموح لنا أن نصلي الظهر إلى قبل العصر بلحظات، لكن العصر أذن ولم تصل الظهر فهذه جريمة يحاسبها الله ﷻ عليها، إلا إذا كانت في السفر، وقانون السفر خاص بذاته.

- وتُصلي المغرب في وقته، ووقت المغرب يمتد إلى قبل أذان العشاء، والنساء لتواجهن في البيوت وانشغلن سمحت لهن الشريعة أن تؤجل صلاة الظهر إلى قبل العصر بثلاث ساعة فتتوضأ وتُصلي الظهر وتظل على وضوئها حتى يؤذن العصر وتُصلي العصر، ولكن بشرط أن لا تسهو ولا تنسى حتى يؤذن العصر وتؤدي صلاة الظهر قضاءً، لأنه ليس لها عُذرٌ عند الله في ذلك.

- فتحافظ على الصلاة في وقتها ما عدا الأيام التي تأتينا فيها الدورة الشهرية، فليس عليها فيها قضاء، وأثناء الدورة تكون ممنوعة من الصلاة، ومن الصيام إذا كانت في شهر رمضان، ومن تلاوة المصحف، ومن الإمساك به، ومن الطواف بالبيت الحرام إذا كانت في الأماكن المقدسة.

لكن من رحمة الله بنساء الأمة أوجب عليها أن تُعيد ما عليها من أيام أفطرت فيها في رمضان، ولم يُوجب عليها أن تُعيد الصلاة، رحمة من الله ﷻ بنساء هذه الأمة.

لكن يجب أن تلاحظ ما يلي، وهذه أمور في غاية الأهمية:

- فكل امرأة أو فتاة تعلم علماً يقينياً بميعاد الدورة، وهي تعرف أن الدورة تأتي في يوم محدد، وهي تكون بحسب الأشهر القمرية، وليس بحسب الأشهر الميلادية، فالأيام التي تتوقع فيها الدورة تؤدي الفريضة في وقتها، ولا تؤجلها كما قلنا إلى قبل الفريضة الأخرى، لماذا؟ نفرض أن الظهر أذن وجاءتها الدورة بعد الظهر بنصف ساعة، وهي لم تصل الظهر، فأصبح عليها دينٌ لله بصلاة الظهر، فإذا انتهت الدورة وتطهرت قد تنسى بطبيعة البشر أن عليها ظهر لله ﷻ.

ولذلك فالشارع الحكيم نبهها أن الأيام التي تتوقع فيها الدورة تحافظ فيها على الصلاة في وقتها حتى تكون جاهزة لأمر الله، وليس عليها ديونٌ يطالبها بها الله ﷻ.

الأمر الثاني: كذلك اليوم الذي تطهر فيه تلاحظ ما يلي: إذا طهرت في النهار ولو

قبل المغرب بلحظات فيكون عليها صلاة الظهر والعصر لهذا اليوم، وليس العصر فقط، وإذا طُهرت ولو قبل الفجر بلحظات فيكون عليها صلاة المغرب والعشاء، يعني إذا طُهرت في النهار يكون عليها صلاة النهار، وإذا طُهرت في الليل يكون عليها صلاة الليل، فهذا الحكم الشرعي الذي ننتبه إليه، لأن أي تقصير في أي صلاة يكون دين يحاسب الله عليه العبد يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

إخراج الزكاة

ومع الصلاة لا بد من إخراج الزكاة:

﴿وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾ :

إذا كان عندها ممتلكات، يعني عندها أرض وتزرعها فتخرج زكاة الزرع، وإذا كانت تتاجر فيكون عليها زكاة التجارة، وإذا كان معها مبلغاً من المال يساوي ثمن خمسة وثمانين جرام ذهب بحسب السعر الحاضر، ومرَّ عليهم سنة هجرية، فواجب عليها إخراج الزكاة، والزكاة تكون اثنين ونصف في المائة من جملة هذا المبلغ في كل عام.

متى تُخرجها؟ ليس لنا شأن بالأعوام الميلادية، حساب الشرع كله بالأعوام الهجرية، فتختار لنفسها شهراً كشهر رمضان أو شعبان أو أي شهر عربي، وبعد مرور سنة عربية تُخرج الزكاة.

ولم نجعله سنة ميلادية لأن السنة الميلادية أكثر من السنة الهجرية بإحدى عشر يوماً، فلو أخرجت على الميلادي فبعد فترة ينكسر عليها سنة لم تُخرج زكاتها ويُحاسبها الله ﷻ عليها، فيكون حساب الزكاة بحسب الشهور الهجرية.

وبالنسبة للذهب، إذا كان الذهب تلبسه للزينة فليس عليها زكاة بشرط أن يكون كالمعتاد كمثيلاتها في المجتمع، وإذا كان الذهب تدخره بدلاً من المال، فمثلاً: امرأة زوجها يعمل بالخارج وتريد أن تدخر لنفسها شيئاً، فكلما نزل أجازة يشتري لها قطعة من الذهب، وتأخذ الذهب ليس للزينة ولكن للادخار، إذا كان الذهب بهذه الكيفية كرأس مال لها، وبلغ مقداره خمسة وثمانين جراماً ذهباً، فتُخرج عنه زكاته بحسب السعر الحالي، فتُخرج اثنين

ونصف في المائة.

فمن امتنع عن أداء الزكاة يقول فيه الله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت) جعلهم الله كالمشركين تماماً، لأنهم امتنعوا عن إخراج حق الله ﷻ، وأنتم تعلمون أن سيدنا أبو بكر رضى الله عنه حارب المرتدين الذين امتنعوا عن إخراج الزكاة التي فرضها عليهم الله جل في علاه.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ :

الله اكتفى بهما لأهمهما، فالصلاة هي العبادة الجسمانية التي نقوم بها لله، والزكاة هي العبادة المالية التي أمرنا الله أن نقوم بها للفقراء من خلق الله.

طاعة الله ورسوله

وبعد ذلك عليها:

﴿وَأَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ :

فُتُحَاوَلُ أَنْ تَطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَأَيُّ أَمْرٍ تُقْبَلُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِيهِ أَمْرُ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّيْءِ، وَوَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ.

مثلاً: بنت مُقْبِلَةٌ عَلَى الزَّوْجِ فَلَا بَدَّ أَنْ تَسْتَشِيرَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، فَخَطِيبُهَا يَرِيدُ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَتَسْأَلُ الشَّرِيعَةَ مَاذَا قَرَّرْتَ؟ لَكِي تُنْفِذْ، هَلْ يَجُوزُ لَهَا أَنْ يَجْلِسَا مَعاً فِي غُرْفَةٍ وَيَغْلِقَا عَلَيْهِمَا الْبَابَ وَلَمْ يَعْقِدَا الْعَقْدَ بَعْدَ؟ الشَّرِيعَةُ تَقُولُ: لَا، فَيَجِبُ أَنْ تَطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

وَهَلْ يَجُوزُ لَهَا أَنْ يَخْرُجَا مَعاً لِلزَّهْوَةِ وَلَمْ يَتِمَّ عَقْدُ الْقِرَانِ؟ لَا، فَتَمَثِّلُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، هَلْ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَجَالِسَ خَطِيبُهَا قَبْلَ عَقْدِ الْقِرَانِ وَهِيَ كَاشِفَةٌ لَشَعْرِهَا أَوْ رَجْلَيْهَا، حَتَّى لَوْ كَانَتْ جَالِسَةً مَعَ أَهْلِهَا؟ الشَّرِيعَةُ تَقُولُ لَهَا: لَا، فَيَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

فَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ هِيَ مَصْلَحَةٌ لِلْفَتَاةِ الْمُسْلِمَةِ، لِأَنَّهَا تَجْعَلُهَا دَائِماً وَأَبَدًا فِي صَيَانَةِ اللَّهِ، وَفِي رِعَايَةِ اللَّهِ، وَفِي عَنَايَةِ اللَّهِ جَلَّ فِي عُلَاه.

إذا تزوجت فلا بد أن تعرف قبل الزواج حق الرجل على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وحق الحما والحماة إن كانت أم الزوج، أو أب الزوج، وحق ذوي الأرحام كإخوته وأعمامه وأولاد أعمامه، فتعرف هذه الحقوق حتى تقوم بالحقوق المرعية بحسب الشريعة الإلهية، طاعة لله ﷻ.

تعرف حقوقه الشرعية حتى إذا أمرها بأمر يخالف تقول له: لا، لان النبي ﷺ قال:

{ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ }^٢

مثلاً في رمضان:

قال لها: افطري، تقول له: لا، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

هناك احصائية عالمية عن نسبة الطلاق في دول العالم، وكانت الصدمة العظمى أن أول دولة في العالم فيها أكبر نسبة طلاق هي مصر، بلد العلم، وبلد الأزهر، وبلد الإسلام!!، وحلّلوا ذلك فوجدوا أن خمسين في المائة من المطلقات مطلّقين في السنة الأولى من الزواج!!، منهم من طلق بعد شهرين، ومنهم بعد ثلاثة، ومنهم بعد أربعة، لماذا؟ لأنهما لم يعرفا الحقوق الشرعية التي تجب للطرفين على بعضهما.

- فلو عرف الزوج حق الزوجة على الزوج.

- وهي عرفت حق الزوج على الزوجة ..

- ومشوا على شرع الله:

فلن يأتي خلاف أبداً.

لكنهما كل انشغالهما في فترة الخطوبة في النزعات والمرح، والبحث عن القاعة، والبحث عن الجهاز، ولم يكلف أحدهما خاطره أن ينظر إلى الآداب الإسلامية للزواج الإسلامي السعيد، وكذلك الالاهل نفس الأمر.

ما أصل الحنة، وهي اليوم الذي يسبق الزواج؟ أن الأم والأخوات والقريبات كانوا يجلسون مع البنت ليفهموها الواجب عليها نحو الزوج ونحو أهل الزوج، هل يحدث هذا

٢ مسند الشهاب ومسند أحمد بصيغة (لا طاعة في معصية الله) عن عمران بن حصين ؓ

الكُفَّاءُ أَفْزَلُ الْمَضْبُوعِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّحْمُ فَوْزِي بِحَمْدِ نُوْزَيْرٍ

الكلام الآن؟ لا، لا أحد يقول شيئاً، ولذلك ظهرت موجة غريبة عن بلادنا وعن إسلامنا، أن البنت تريد الزوج ولا تريد أحداً من أهلها نهائياً، تقول له: أريد شقة بعيدة عن أهلِكَ.

وقد دخلتُ في أكثر من موضوع، أهل الزوج معهم عمارة وكل ولد له شقة، فتقول له: ما دامت الشقة مع أبيك وأُمك وإخوتك، فهذه الشقة لا أريدها، وهذا معناه أنها لا تريد أهلها كلهم.

لماذا؟!!

أنت حريصة على أن تنالي رضا أبيك وأُمك لكي تدخل الجنة، لذلك يجب أن تحرصي أن يدخل زوجك الجنة مثلك، وأنت تعرفي أن زوجك لن يدخل الجنة نهائياً إلا برضاء الأب والأُم.

ويُحكى أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة، كان كثير الاجتهاد في طاعة الله، في الصلاة، والصوم، والصدقة، فمرض واشتدَّ مرضه:

{ فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: إن زوجي علقمة في النزع، فأردت أن أعلمك يا رسول الله، بحاله، فأرسل النبي ﷺ عمَّاراً، وصُهيباً، وبلالاً، وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة، فمضوا إليه، ودخلوا عليه، فوجدوه في النزع الأخير، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله، ولسانه لا ينطق بها، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أن لسانه لا ينطق بالشهادة، فقال النبي ﷺ: هل من أبويه أحد حي؟ قيل: يا رسول الله، له أم كبيرة السن، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: قل لها: إن قدرت على المسير إلى رسول الله، وإلَّا فقرِّي في المنزل حتى يأتيك، قال: فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت: نفسي لنفسه فداء، أنا أحقُّ بإتيانه، فتوكأت وقامت على عصا، وأتت رسول الله ﷺ، فسلمت، فردَّ عليها السلام، وقال: يا أمَّ علقمة، اصدقيني وإن كذبتيني جاء الوحي من الله تعالى: كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله، كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير الصدقة، قال رسول الله ﷺ: فما حالك؟ قالت: يا رسول الله، أنا عليه ساخطة، قال ولم؟

قالت: يا رسول الله، كان يؤثر على زوجته، ويعصيني، فقال: رسول الله ﷺ: إنَّ سُخْطَ أُمِّ عَلْقَمَةَ حَجَبَ لِسَانِ عَلْقَمَةَ عَنِ الشَّهَادَةِ، ثم قال: يا بلال، انطلق واجمع لي حطباً كثيراً، قالت: يا رسول الله، وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك، قالت: يا رسول الله، لا يحتمل قلبي أن تحرق ولدي بالنار بين يدي، قال: يا أُمِّ عَلْقَمَةَ، عذاب الله أشدُّ وأبقى، فإنَّ سرَّكَ أن يغفر الله له، فارضي عنه؛ فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته، ولا بصيامه، ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة، فقالت: يا رسول الله، إني أشهد الله تعالى، وملائكته، ومَن حضرني من المسلمين أنني قد رضيت عن ولدي علقمة، فقال رسولُ الله ﷺ: انطلق يا بلال، إليه انظر هل يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله أم لا؟ ففعل أُمُّ عَلْقَمَةَ تكلمت بما ليس في قلبها حياءً مني، فانطلق بلال، فسمع علقمة من داخل الدار يقول: لا إله إلا الله، فدخل بلال وقال: يا هؤلاء، إنَّ سُخْطَ أُمِّ عَلْقَمَةَ حَجَبَ لِسَانَهُ عَنِ الشَّهَادَةِ، وإنَّ رضاها أطلق لسانه {٣}.

فكل فتاة وكل امرأة يجب أن تعلم هذه الحقيقة ...

فكما تريد ارضاء أُمِّها وأبيها لتدخل الجنة، تحاول أيضاً مع زوجها ليُرضي أباه ويُرضي أُمِّه ليدخل الجنة.

لكن هذه ظاهرة جديدة ظهرت من عدم العلم بشريعة الله، وعدم العلم بالآداب التي جاء بها سيدنا رسول الله ﷺ، فطاعة الله ورسوله أننا لا نعمل أي عمل إلا إذا بحثنا عن حكم الإسلام فيه.

فإذا أكرمها الله ﷻ بالإنجاب فكيف تُربي الأولاد؟ تبحث عن الطريقة الإسلامية في تربية الأولاد، وتنفيذ الأحكام الإسلامية، والآداب الإسلامية لكي ينشأوا برة وأتقياء وأنقياء ... فنعلمهم العلوم الحديثة لكن لا بد معها من علوم الشريعة، لأن الولد لو تخرَّج وأصبح وزيراً أو رئيس جمهورية، لن ينفعني من ذلك شيء، إلا كما قال حضرة النبي:

٣ أوردتها بعض العلماء كالإمام أحمد والبيهقي وإن كان فيها ضعف

{ أو ولد صالح يدعو له }

ما يهمني هو الولد الصالح الذي يدعو لي، وإذا كان معه أموال قارون، فماذا آخذ منها؟ أو هو في وظيفة مرموقة، فماذا أفعل بها؟ لا أحتاج من ابني غير دعوة صالحة يدعوها لي على الدوام.

فنحرص من البداية أن نؤدبهم بالآداب الإسلامية، ونعلمهم ونربيهم على التربية الإسلامية.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ :

فيكون الأمر الهام في طاعة الله ورسوله يا نساء المؤمنين أن الواحدة منكن لا تعمل عملاً إلا إذا علمت حكم الشرع الشريف فيه، فإذا لم تدري ولم تسمع بذلك فتسأل، والله قال لنا: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣ النحل) .. فأى أمر تريد عمله لا بد أن تسأل فيه، فلو أن زميلة لها قالت: يا فلانة إن الرجال ليس لهم أمان، فلا بد أن تدخري لنفسك شيئاً من المال، فهل تسمع لكلامها، أم تسأل العالم الذي يقول لها هذه حلال أم حرام؟ تسأل العالم ليخبرها هل هو حلال أما حرام، العالم يقول لها: قال النبي ﷺ:

{ لَا تُعْطِي مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ }^٥

فما دام هذا ماله فلا يصح أن أخرجه بدون علمه، لأن هذه خيانة، وتذهب الثقة بين الزوجين.

إذاً لا بد في كل أمورنا أن نتحرى الأحكام الشرعية، ونسأل فيما لا علم لنا فيه حتى نكون على نور من كتاب الله.

مرغبة الله في تطهيرنا

لماذا جاءنا الله بهذه الأحكام؟

٤ تاريخ الإسلام الذهبي، وفي رواية مسلم والترمذي بصيغة: {إذا مات الإنسان} عن أبي هريرة ؓ
٥ السنن الكبرى للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾:

يريد الله أن يذهب عنا الذنوب والمعاصي والآثام وهذه الأرجاس كلها ...

ويطهرنا من المعاصي والسيئات ...

ونكون دائماً وأبداً في الطاعات والعبادات لله ﷻ.

حديث التذكرة

آخر صفة من هذه الصفات:

- أن المؤمنة ينبغي عليها أن يكون حديثها مع غيرها إن كانت الجارة، أو الزميلة في العمل، أو في زيارة لقريبة، فيكون الحديث دائماً في تذكرة في أمر من أمور الدين، لتكون قد أخذت أجراً وثواباً عند رب العالمين ﷻ، كأن تجلس مع جارة فتقول لها: أنا سمعتُ اليوم حديثاً طيباً عن كذا وكذا.

- نريد أن نلغي أحاديث القيل والقال، والغيبة، والنميمة لأن هذه الأحاديث هي التي تُفسد الناس، وتُفسد فيما بين الناس في الأرض، ونتكلم كما قال الله ﷻ: ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾:

إما أن نتكلم في آية قرآنية وتفسيرها، أو حكمها، أو حكمة، والحكمة يعني السنة التي وردت عن رسول الله ﷺ.

نسأل الله أن يُفقهنا في ديننا، وأن يرزقنا العلم بلا تعلم، وأن يُعيننا على العمل به

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ
وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
﴾ (الأحزاب ٣٥)

١٩. مراتب ومقامات المسلمين والمسلمات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا ويّن لنا في كتاب الله منازل القرب من حضرة الله جل في علاه، والصلاة والسلام على إمام المقربين، والأسوة الطيبة لجميع المؤمنين، والسراج المنير لقلوب الأتقياء والأنقياء والحسنين، والبهجة الإلهية والروح السرمدية للموقنين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، واجعلنا معهم ومنهم في الدنيا ويوم الدين .. آمين آمين يا رب العالمين.

حقوق النساء في دين الله

الإسلام دين الكمال، ودين التمام، ودين الوسعة الإلهية، ودين التساوي في العطاءات الربانية، ودين التيسير لا التعسير، فقد أكرم الله عز وجل المسلمين والمسلمات وجعلهم إخوة في جميع المقامات، ويرتفعون سويًا إلى أعلى الدرجات، حتى قال صلى الله عليه وسلم:

{ كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ }^٢

وفي رواية أخرى:

{ كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ، وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }^٣

فالنساء لا يفترقن على الرجال في طريق الله، إلا في أنهن ينبغي أن يتخفين ولا يظهرن كما يظهر الرجال في الأعمال التي كلفنا بها الله عز وجل، وكم من نساء كملت في طريق الله فبلغن مبلغ الرجال، واسمع إلى الله وهو يقول: ﴿ وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (١٢ التحريم) ثم ذكر الله أحوالها، وفي الختام قال: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَلِيلِينَ ﴾ (١٢ التحريم) لم

١ المنشأة - سوهاج ١٥ من شعبان ١٤٣٨ هـ ٢٠١٧/٥/١٢ م

٢ البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ؓ

٣ جامع البيان عن تأويل أي القرآن عن أبي موسى الأشعري ؓ

يُقَلُّ (من القانتات) مع أنها أنثى!! لئعلمنا أنها بلغت مبلغ الرجال في طاعة ذي الجلال والإكرام ﷺ.

وكان النسوة في عهد النبوة يطالبن بحقوقهن لأن النبي صلى الله عليه وسلم عودهن على ذلك، ومدحهن على ذلك، وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ نَعَمْ النِّسَاءُ، نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ }^٤

لأن طلب العلم فريضة للنساء، وورد أنه جاءت بعض النسوة إلى زوجات النبي وقلن: ذكرتم في القرآن ولم نذكر، يطالبن بحقوقهن عند من يقول للشيء كن فيكون!! فأنزل الله عز وجل هذه الآية الكريم إجابة للجميع.

وبين أن طريق الله ﷺ الموصل إلى رضاه يمر بدرجات أو مقامات، يرتفع فيها الطالبين والطالبات لرضوان الله تبارك وتعالى في هذه المقامات، لأن المسلم دائماً يطمع فيما عند الله.

أَهْلُ الْأَحْوَالِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ

صحيح أن المسلمين في زماننا أغلبهم انشغل بمُتَع الدنيا، فأصبح يبتغي بسعيه مُتَع الدنيا الفانية ونعيمها الزائل، ويكتفي بالقليل الذي يتوجه به إلى مولاه، ومع ذلك تجده يجادل معك في الحديث إذا تحدث معه، لأن الله قال في وصف الإنسان: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤ الكهف).

تجده متفوقاً في الجدل، فيقول لك على سبيل المثال:

إن رحمة الله واسعة، وكلنا سندخل فيها، وإن فضل الله كبير وسيُعمنا جميعاً، وأمثال هذه الأقوال التي لا تقارنها أفعال ولا أحوال، والله ﷻ يكافئنا على الأفعال والأحوال، ولا يقف عند الأقوال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠ الكهف) لم يُقَل (أحسن قولاً)، ولم يُقَل: (إننا لا نضيع أجر من عمل) ... ولكن من أحسن العمل لنزيد في الإحسان.

لأن العمل يحتاج أولاً إلى العلم بالكيفية الشرعية لهذا العمل، وبالإخلاص في أدائه لله، وبالتبري من الحول والطول والقوة أثناء العمل لله، وينسب الحول والطول والقوة لسيدته ومولاه تبارك وتعالى.

ماذا يكون حالنا لو سلب الله منا قوته وحوله وطوله!!؟

وكيف نعمل!!؟ ... ولذلك كان النبي ﷺ يَخُصُّ أصحابه بآذكار، فخصَّ أبو هريرة رضي الله عنه بذكر يبين هذا المقام الكريم، فقال له:

{ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ }^٥

ولذلك (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ذكّر الأفراد الذين علّوا في المقامات وارتقوا في الدرجات عند رفيع الدرجات ﷺ، لأنهم لا يقولونها باللسان، وإنما يُظهرونها في الحال والفعال، واللسان يُترجم عما في القلب وفي الجنان لله رب العالمين.

فلا يرى أحدهم لنفسه حولاً ولا طولاً، وإنما يرى مدد الله، ومعونة الله، وتوفيق الله، ورعاية الله هي التي تُسيّره في كل شأنٍ من شئون هذه الحياة.

فبين الله ﷺ للمؤمنين المقامات والدرجات حتى لا يقف المسلم عند مقام ويستسلم لنفسه في الدنيا، ويقول هذا يكفي، أو هذا المقام يُغني، ولكن دائماً يطلب المزيد من الحميد المجيد ﷺ:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَجْرٌ زَيْدٌ﴾ (٢٦ يونس)

فدائماً يطلب الزيادة.

كما أن الإنسان المنشغل بالأكوان يطلب الزيادة في مُتع الدنيا:

كذلك الإنسان المنشغل بالرحمن يطلب الزيادة في القرب من مولاه، وفي التمتع بحلاوة المناجاة، وأن يزيد في كل نفسٍ قرباً من مولاه، وأن ترتفع عنه كل الحُجب حتى لا يبقى على قلبه حجابٌ يمنعه من نور الله جل في علاه، فيطلب المزيد.

٥ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

الكتب: افضل المطبوع
نفسية آية الملقين
الشيخ فوزي محمد فوزي
الإسلام والإيمان

وبين الله ﷻ لأهل المزيد هذه الدرجات النورانية، ففي البداية كلنا مسلمون:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾:

والإسلام يختص بعمل الظواهر التي تعملها الأجسام والحواس الظاهرة كل شيء نعمله بالظاهر نسميه الإسلام!

والإيمان يختص بعمل القلوب والبواطن التي في باطن الإنسان.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾:

هل يجوز أن يكتفي الإنسان بالإسلام ولا يدخل إلى رحاب الإيمان؟ لا، فلا بد أن يتجاوز الإسلام إلى الإيمان، ولا يكتفي بمرتبة الإسلام، وإنما يطلب الله عز وجل ويأمر حقائقه الظاهرة والباطنة أن تعاونه حتى يبلغ مقام الإيمان، ومقام الإيمان هو عمل القلب وما يتبعه بإخلاص وصدق لله تبارك وتعالى.

وسأشرح باختصار شديد كيف يجتمعان وأنا في الصلاة؟ فالجسم وهو ظاهر الإنسان يقف بين يدي الله، واللسان ينطق بما وجَّهنا إليه رسول الله، والجسم يركع ويسجد ويجلس بين يدي مولاه، لكن لا بد أن يصحب هذا في باطنه بالخشوع والحضور والإخلاص والصدق والصفاء، حتى يكون هذا العمل كاملاً مقبولاً عند خالق الأرض والسماء ﷻ.

فلو صلَّى الإنسان بظاهره وباطنه مشغولاً بالدنيا الدنية، ولم يحضر مع الظاهر حتى في النية، فهل تُقبل هذه الصلاة؟ لا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿المؤمنون﴾ أين هذا الخشوع؟ هل في الظاهر أم في القلب؟ في القلب، لأنه لله، ولو كان في الظاهر لكان لخلق الله.

ولذلك عندما رأى سيدنا عمر رضي الله عنه رجلاً يقف وقد حنى رقبته وأظهر هيئة التواضع، فقال له: (يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب) اجعل هذا في قلبك وأظهر العزة بين خلق الله الله على ظاهرك وجسمك.

الله لا يريد الخشوع في الهيئة الظاهرة، وإنما يريد الخشوع في القلب لله ﷻ، والرجل

الذي صَلَّى صلاته الظاهرة حضرة النبي رَدَّه ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له:

{ اَرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ }^٦

يقول قائل: أنا أصوم رمضان إن شاء الله، وكلنا سنصوم بتوفيق الله، والأجر والثواب على النية، فكلنا سنصوم من مطلع الفجر إلى غروب الشمس، ونمتنع عن الطعام والشراب والنكاح، لكن هل كلنا سيستوفي الأجر؟ لا، فالأجر على قدر النية

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }^٧

والنية محلها القلب، فهناك من يصوم شهر رمضان ونيته من هذا الصيام أن يحظى بوجه الله، ويأخذ الحكمة من حديث رسول الله:

{ صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ }^٨

أي صوموا لرؤيته سبحانه وتعالى، وأفطروا لرؤيته عز وجل، يعني صوموا من أجل رؤيته، ومتى يفطر؟ إذا تمت الرؤيا، فإذا لم تتم الرؤيا عليك أن تعاود الصيام لأنك مريض، وتحتاج إلى شفاء النفس والقلب حتى تحظى بوجه الله، قال ﷺ:

{ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ }^٩

للصائم الذي تقبله الله فرحتان:

فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، فهذه درجة، ومن صام ليغفر الله له ما تقدم من ذنبه، فهذا أجره وهي درجة، ومن صام رغبةً في العتق من النيران، فهذه درجة وسيأخذ على قدر نيته، ومن صام حتى لا يعطش يوم القيامة، فهذه درجة وسيأخذ على قدر نيته.

إذاً فالأجر على قدر النية، مع أن العمل كله واحد، والنية محلها القلب، وهذا عمل الإيمان الذي أشار إليه الرحمن، ووضحه النبي العدنان ﷺ.

٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ؓ

٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٩ صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن أبي هريرة ؓ

الكتاب المنال المطبوع نفيس آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي القانون

بعد أن يرتقي الإنسان إلى درجة الإيمان، ويصبح عمل ظاهره يصحبه عمل قلبه في الخشوع والحضور والإخلاص والصدق لحضرة الرحمن، فعليه بعد ذلك أن يزيد من التبتل والتعبد بين يدي الله، حتى يرتفع إلى درجة ...

﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَنِيتَ﴾:

والقانت يعني المطيع شديد الطاعة لله ﷻ، في البداية كان يُطيع الله ﷻ فيما كلفه به الله، وبعدها ارتفع درجة يطيع الله في كل أنفاسه رغبةً في القرب من حضرة الله جل في علاه، ففي كل أحواله وفي كل أنفاسه يُراعي أن يكون كل عمله لله ﷻ.

كيف يكون هذا؟

قد يصل المرء منا إلى درجة يجعل الله كل أعماله حتى أكله وشربه ونومه وهواه ولعبه ونكاحه طاعات وعبادات لله ﷻ، وهذه الدرجة الأعلى !!!، كيف؟ بالنية.

فلو نوى الإنسان في كل عمل يعمل في دنياه وجه الله، والمتابعة في هذا العمل عند أدائه لحبيب الله ومصطفاه، فهذا العمل يكون له فيه أجرٌ عظيمٌ عند الله ﷻ.

فإذا نام، ينام على هيئة نوم الحبيب، فيتوضأ وينام على جنبه الأيمن ويذكر الأذكار الواردة عن رسول الله، ويستغفر الله، ويذكر الله حتى يقبض الله نفسه، قال في هذا ﷺ:

{ مَنْ نَامَ عَلَى تَسْنِيحٍ أَوْ تَهْلِيلٍ أَوْ تَحْمِيدٍ بُعِثَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَامَ عَلَى غَفْلَةٍ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعُودُوا أَنْفُسَكُمْ الذِّكْرَ عِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ } ١٠

فكونه اتبع الحبيب، ونام كما كان ينام الحبيب، ونام على ذكر الله، فنومه هذا عبارة عن عبادة لله ﷻ، ولذلك قال ﷺ في الصائم:

{ نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ، وَسُكُوتُهُ تَسْنِيحٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُتَقَبَّلٌ } ١١

١٠ الثاني من الفوائد المنتقاه لأبي القاسم الأزجي عن الحكم بن عمير ؓ

١١ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى ؓ

فإذا نام ليستعين بالنوم على السحور، أو على صلاة الفجر، أو على قيام الليل، فنومه هذا عبارة عن عبادة، حتى لا يخوض مع الخائضين ولو على غير ذكر، فيكتب عند الله من المسبحين، وقال ﷺ:

{ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ } ١٢

وهذه درجة القانتين الطائعين الذين يجعلون عملهم كله آناء الليل وأطراف النهار حتى السعي على المعاش عبادة، حتى لهوه مع ولده عبادة ومداعبته لزوجته عبادة، قال ﷺ:

{ وَلَسْتُ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلَهَا

فِي فِي امْرَأَتِكَ } ١٣

أي يداعبها ويطعمها، فهي أيضاً عبادة لله مادام قصده وجه الله، ويتابع حبيب الله ومصطفاه ... إذا القانتون هم الذين لا يغفلون عن الله طرفة عين ولا أقل، ويوجهون النوايا الصادقة لله ﷻ.

الصادقون

فإذا أدام في هذا المقام وواصل هذا الحال على الدوام، اختاره الله عز وجل من أحبته، وجعله في جملة الذين يقول فيهم في كتابه لبريته: ﴿يَتْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) فيرتفع إلى درجة ...

﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾:

والصادقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الأزل القديم، بأن يجعلوا حياتهم وأنفاسهم كلها لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا

١٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي ذر

١٣ البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص

الكتب انزل المطبوع نفسي ايتها الملقين الشتم فوزي محمد فوزي

شريك له. وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿ (الأنعام) فيكون من الصادقين الذين: ﴿ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣ الأحزاب).

الصبر الجميل

ودوام الحال من المحال، ولكي يستديم الإنسان على هذه الأحوال، ويدوم له الإقبال من الواحد المتعال يلزمه الصبر الجميل على أداء هذه الأعمال ...

﴿ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ ﴾:

ومن ظن أنه يصبر بنفسه لم يستطع الصبر على مدى الأوقات، لكن علمنا الله أن نفتدي بحبيبه، فنطلب من الله أن يعيننا أن نصبر به على الأعمال التي نرفعها لحضرة الله: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (١٢٧ النحل).

وعلى غيرنا من المسلمين والمؤمنين والأقارب والخيطين: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨ يوسف) لأنه لا تستوي الحسنة ولا السيئة، فلا يجوز أن أقابل الشر بالشر، ولا السوء بالسوء، لأن الله قال في قرآنه: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٤٠ الشورى) فالإثنان متساويان، وماذا نفعل؟ ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤ فصلت).

ولذلك لا يوجد بيننا أو في أحبابنا، أو فيمن ينتسب إلينا من يدفع السيئة بالسيئة، وإنما نحن أهل العفو والصفح لكل من حولنا، بل إن السادة الصالحين الكُمَّل كانوا يتجاوزون ذلك، فقد سئل سيدي محي الدين بن العربي رحمه الله وأرضاه في الفتوة، ف قيل له: ما الفتوة؟ قال: (الفتوة أن أشفع عند الله في كل من أذاني أو سبني أو حسدني في الدنيا يوم القيامة) ... لن يصفح فقط!!، ولكن سيشفع لهم!!، وهي الدرجة الأعظم والدرجة الأكمل، والتي هي درجة الحبيب ﷺ:

{ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَغْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ } ١٤

الخاشعون

فإذا جَمَّلَ الإنسان نفسه بالصبر الجميل، وطلب من الله أن يمُدَّهُ برتب الصبر العلية، بدأت تنزل عليه العطاءات الإلهية التي لا تَعْمَلُ فيها للإنسان، من مَنَّا يستطيع أن يجلب لنفسه الخشوع؟! ومن مَنَّا يستطيع أن يأتي لنفسه بالحضور؟! ومن مَنَّا يستطيع أن يُذيق قلبه حلاوة الإيمان؟! ومن مَنَّا يستطيع أن يُلذِّذ نفسه في طاعة حضرة الرحمن؟! فهذه الأمور منح إلهية، وعطاءات ربانية يُفيضها الله ﷻ على أهل الخصوصية، فينقله الله فضلاً منه ووهباً منه إلى مقام:...

﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾:

فيجعل الجوارح كلها، والنفس وما حولها تخشع للقلب، ولا تتحرك إلا بإذنه، والقلب يكون تحت هيمنة الرب، يتنزل له بالإلهام مباشرة، أو عن طريق ملك الإلهام، فيكون هذا العبد داخلاً على الدوام في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٤٢ الحجر) ... فلا يستطيع الشيطان أن يوسوس له، أو تُسَوَّلَ له نفسه، لأنه أصبح في حصن مكين من عناية الرب تبارك وتعالى، ونظرات الرؤوف الرحيم ﷻ.

المنفقون

فيشكر الله على عطاء الله، ويتصدق من كل صنف أعطاه له الله على المحتاجين لهذا العطاء من خلق الله، فينتقل إلى مقام الشكر ويدخل في قول الله ..
﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾:

فيُنْفِق من المال الذي أعطاه له الله ولو القليل، فكان سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رحمه يقول: (تصدق كل يوم ولو بنصف تمره ثكتب في ديوان المتصدقين، وصل في الليل ولو ركعتين ثكتب في ديوان القائمين، ... وأكثر من ذكر الله لثكتب في ديوان الذاكرين).

لا يوجد أحد له عُذْر في التصدق حتى ولو كان أفقر الفقراء، لأن الله عندما طلب الصدقات أمرنا أن نسارع إليها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ (آل عمران) وأول صفة من صفاتهم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (١٣٤ آل عمران) فهل هناك عُذْرٌ بعد ذلك؟ لا عُذْرُ لأنه قال: (في السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) وطالما قال في السراء والضراء فليس هناك عُذْرٌ في الإنفاق لأي أحد من المسلمين، ولأن الله لم يقيد نصاباً للإنفاق، فالنبي ﷺ قال:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } ١٥

فهل هناك من يعجز عن إنفاق نصف تمرة؟! لا، وفي زماننا يتصدق ولو بربع جنيه، فمن الذي لا يستطيع أن ينفق ربع جنيه في كل يوم لمسكين أو فقير أو محتاج؟! لا يوجد، ولكنها تحتاج إلى:

{ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَذْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّ } ١٦

لا نريد أن نكون موسمين، بل نريد أن نكون مستديمين في طاعاتنا عند رب العالمين، الصدقة يقول فيها ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } ١٧

وقال أيضاً:

{ تَصَدَّقُوا وَذَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَذْفَعُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْرَاضِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي أَعْمَالِكُمْ وَحَسَنَاتِكُمْ } ١٨

سبعين باباً تدفعهم الصدقة أقلهم الهم، والهم مصيبة المصائب، إذا أراد الله ﷻ أن يظهر غضبه على إنسان سلط عليه الهم، فالهم جُنْدٌ من جند الله، يُسلطه على من يشاء من عباده، فإذا سلطه على عبد فلن يستطيع النوم، ولن يتلذذ بطعام، وسيهده الفكر، وتنتابه الأمراض، وما الذي يدفع الهم وأمثاله؟ الصدقة.

ولذلك باب الصدقة هو الباب السريع الذي يدخل منه أهل القرب إلى حضرة الله

١٥ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم

١٦ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة

١٧ معجم الطبراني عن رافع بن خديج

١٨ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

تبارك وتعالى، لأنه الدليل على زكاة النفس، فقيام الليل يستطيعه البخیل، وصيام النهار يستطيعه الشحيح، لكن البخیل أو الشحيح لن يستطيع أن يقوم بهذه العبادة لله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٩ الحشر).

فالعبادة التي تُظهر الإنسان عند حضرة الرحمن بأنه أصبح ذا نفس زكية أو نفس تقية هي الإنفاق، ولذلك كانت عبادة الحبيب صلى الله عليه وسلم والأنبياء والمرسلين والصالحين من خلق الله أجمعين الإنفاق.

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه طواها لقبض لم تطعه أنامله

كان ﷺ دائماً يده مبسوطة بالعطاء، لماذا؟ لأن هذا الباب السريع الذي يقول فيه الله:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ } ١٩

إذا أنفقت على عباد الله يُنفق عليك الله من جواهر علمه، ومن مكنون حكمه، ومن إلهاماته العلية، ومن علومه الوهية، وغيرها من أحوال أهل الخصوصية، إذا تجملت بهذه المزية شكراً لرب البرية عز وجل، فيكون باب الشكر باب المزيد: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٧ إبراهيم).

فإذا تجمل الإنسان بالشكر لله، ومدّ يده بالعطاء لخلق الله، فإذا كان عنده علم يمد الناس المحتاجين لهذا العلم، وهذا إنفاق، وإذا كان صاحب جاه يقضي للفقراء حاجاتهم طلباً لمرضاة الله، وهذا أيضاً إنفاق، وإذا كان صاحب كلمة مسموعة، يحل المشاكل، ويعقد مجالس الصلح بين عباد الله، وعبادته هذه من أفضل العبادات وأفضل النوافل والقربات: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (٧ الطلاق).

فليس الإنفاق من المال فقط، بل كل شيء يعطيه له الله يُنفق منه على عباد الله، فإذا أعطاه الله ﷻ نوراً يُعطي هذا النور ويوزع من هذا النور لعباد الله الذين يطلبون القرب من حضرة الله، وهذه تكون النظرات النورانية التي ينظر بها الصالحون لأهل الخصوصية، ويقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله:

من نظرة يرتقي المطلوب مرتفعاً إلى قدس الجلالة في حال المناجاة
وقال ﷺ:

وإن نظرتُ بعيني للعبد قد صار مولى وإن فتحتُ كنوزي أغنيتُ قولاً وفعلًا

الحسد عبارة عن نظرة من العين من قلب مملوء بالحقد على الآخرين، هذه النظرة هل تؤثر أم لا تؤثر؟ تؤثر فوراً، فإذا كان القلب مملوء بالنور والهدى واليقين، فإذا نظر بحنان وعطف إلى المريدين فإن النظرة تحوّل المريدين إلى مقامات أعلى عند رب العالمين عز وجل، وهي النظرات التي نطلبها من الصالحين، والتي أمرنا الله أن نطلبها من سيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ (البقرة ١٠٤) انظر لنا يا رسول الله نظرة .. وعرفنا الله أنه عندما كان في رحلة الإسراء، كان الكل يطلب نظرةً من حضرته، قال ﷺ:

{ بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أَجِبْهُ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهِ، قَالَ جَبْرِيلُ: ذَاكَ دَاعِي الْيَهُودِ أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ أَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدْتَ أُمَّتُكَ، قَالَ: وَبَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: ذَاكَ دَاعِي النَّصَارَى، أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرْتَ أُمَّتُكَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ، تَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أَجِبْهَا، وَلَمْ أَقُمْ عَلَيْهَا، قَالَ: تِلْكَ الدُّنْيَا أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهَا لاختارت أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } ٢٠

حتى ذكرت بعض الروايات أن إبليس كان واقفاً يطلب نظرة، فالكل كانوا واقفين يقولون انظرونا يا رسول الله:

لو نظرةً منه لإبليس انمحت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

لو نظر له نظرة لانتهدت شقاوة إبليس، فنظرات الصالحين هي عطاءات، وصدقة جارية يجرونها على الطالبين الصادقين والمخلصين فضلاً من عند رب العالمين عز وجل.

الكتب: ابن المطبوع نفسي: أيها المقلدون الشيخ فوزي محمد فوزي الصائمون

إذا تجمل الإنسان بمقام الصدقة، ومقام الإنفاق، وأنفق من كل وسعته من وقت ومن مال ومن حال ومن علم ومن غيره، جمّله الله عز وجل بجمال عباده الصائمين ..

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾:

الذين صامت جوارحهم عن المعاصي .. وصامت أجسامهم عن الغفلة .. وصامت قلوبهم عما سوى الله، وصامت أرواحهم عن النظر إلى مُتَع الدنيا الفانية: ... فأصبحوا بالكلية لله جل في علاه، لأنهم أصبحوا خاشعين بالكلية لحضرة الله ﷻ .. فالصيام هنا ليس صيام الجسم فقط، ولكن صيام الحقائق كلها، وأعلاه صيام القلب عن كل ما سوى الله:

وما صام إلا عن سوى ما يحبه كذلك عبد الذات في القرب طامع

أن يصوم ويتجرد عن كل ما سوى الله عز وجل، فيحفظه الله بحفظه، ويجعله من أوليائه، والأولياء لهم مقام الحفظ، والأنبياء لهم مقام العصمة .. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ (٦٤ يوسف) وهذا مقام الأولياء: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٩٦ الأعراف).

دائرة الحفظ الإلهي

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾:

فيحفظه الله بحفظه ... ويحفظ جميع فروجه - أي فتحاته - فيحفظ العين، ويحفظ الأذن، ويحفظ اللسان، ويحفظ البطن، ويحفظ اليد، ويحفظ الرجل، ويحفظ جميع فُرج الإنسان عن معصية الله طرفة عين، ويكون في حفظ الرحمن على الدوام.

الدّكر الأكبر

ثم يتجلى الله عز وجل عليه فيجعل الله عز وجل منه على بال، فلا يغفل مع الغافلين، ولا يسهو مع الساهين، ولا ينسى مع الناسين، بل يكون حاضراً دوماً بقلبه وروحه مع رب العالمين، ويذكره في كل وقت وحين، فيدخل في أعلى مقامات القرب ..

هذا أعلى مقام.

وذكر الله الكثير لا يكون إلا إذا ذكر الإنسان الله بكل حقائقه، لأنه إذا ذكر باللسان فهذا ذكر قليل، لكن ذكر الله الكثير يكون باللسان وبالقلب وبالعين وبالأذن، وبكل الحقائق يذكر مولاه حتى يكون من الذاكرين الله كثيراً...

قال صلى الله عليه وسلم لصحبه يوماً:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ }^{٢١}

وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ
اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا }^{٢٢}

ولذلك جعل الصالحون الذكر الكثير دليل على أن الإنسان كتب في الملاء الأعلى من أولياء حضرة الرحمن، فقالوا: إن الله عز وجل يصطفي على الدوام، وتنزل المنشورات بمن اصطفاهم الله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: ١٧٥).

(يصطفي) بصيغة المضارع، فالإصطفاء مستمر إلى يوم القيامة، وعلامة الاصطفاء أن يلهمه الله ذكره، فلا يكل ولا يمل ولا يغفل عن ذكر الله ﷻ طرفه عين ولا أقل.

كل الذي ذكرناه سابقاً وسيلة إلى ذكر الله، والغاية العظمى أن يذكر الإنسان مولاه فيذكره الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (البقرة: ١٥٢).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٢١ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ؓ

٢٢ جامع الترمذي عن أبي هريرة ؓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

﴿ ٤١ ﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ ٤٢ ﴾ هُوَ الَّذِي

يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؕ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿ ٤٣ ﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ؕ

وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿ ٤٤ ﴾ ﴾ (الأحزاب)

٢٠. ذكر القلب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي جمعنا على أصفياه و خاصة أوليائه في هذه الحياة، ونسأله ﷻ أن يديم علينا هذا الفضل الإلهي، وهذا الكرم الرباني ويزيدنا من فضله، فيجمعنا ظاهراً وباطناً على حبيبه ومصطفاه، والصلاة والسلام على نور الله الدال بالله على الله، وشمس الحق المشرقة بنور هُده، سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه ومن والاه.

فضائل ذكر الله

إن أعظم طاعة يرجوها الله ﷻ منا ويرفع بها شأننا ويُعلي بها قدرنا ويُبلغنا بها مُرادنا هي المداومة على ذكر الله تبارك وتعالى.

ولذلك كان جُلُّ اهتمام الصالحين أجمعين وخاصة منهم الصادقين الإشتغال بذكر الله تبارك وتعالى في كل وقتٍ وحين، لأن الله ﷻ كرَّر هذا الأمر مراراً وتكراراً في كتاب الله، ولم يترك هيئة يكون عليها المرء إلا وذكرها مقتزناً بذكر الله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران) وهذه تشمل كل أحوال الإنسان في كل وقت وآن.

وكلما ذكر الإنسان ربه كلما دنا من حضرته، وأصبح من ذوي القُربى في منازل قُربه وعزته، يكفي في ذلك قوله ﷻ:

{ أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: ذَكِّرُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ } ٢

وقد قال بعض الصالحين مُعللاً ذلك: (إن ذكر الله تبارك وتعالى يحطم الذنوب حطماً) لا يخلو الإنسان من ذنوب، لكن أعظم طاعة تُزيل هذه الذنوب هي ذكر حضرة علام الغيوب ﷻ، ولقد قال في ذلك ﷻ مُوضحاً هذه الحقيقة:

١ المعادي ٢٥ من شوال ١٤٣٨ هـ / ١٩/٧/٢٠١٧ م

٢ جامع الترمذي وسنن ابن ماجه عن أبي الدرداء ؓ

{ مَا قَالَ عَبْدٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ }^٢

ولعل لأهل الإشارة رموزٌ في هذه العبارة، فقد قال بعضهم: لا إله إلا الله عدد حروفها اثني عشر حرفاً، ومحمدٌ رسول الله عدد حروفها اثني عشر حرفاً، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، محاً الله بها ذنوب اليوم والليلة، وعدد ساعاتهم أربعة وعشرون ساعة.

فذكر الله ﷻ يمحو الذنوب، وذكر الله تبارك يجعل الإنسان يعلو ذكره عند حضرة علام الغيوب، لقوله سبحانه وتعالى:

{ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ }^٤

﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢ البقرة) فإذا ذكر الإنسان ربه في أي موضع ذكره الله تعالى في ملأه الأعلى في قدس أقداس مناجاته، بين عظماء الملائكة ووُجُهائهم، وهذا يا هناء لذكر الله ﷻ له بهذه الهيئة وهذه الكيفية عند هؤلاء الملائكة المحظوظين بالقرب من الله تبارك وتعالى.

وذكر الله ﷻ هو الذي يهيئ القلوب لتشرق فيها معالم الغيوب، فإن الإنسان جعل الله ﷻ قلبه هو المركز الذي يظهر فيه نور العرفان، وأنوار ملكوت حضرة الرحمن، وهو الذي يكشف بنور النبي العدنان ﷺ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦ الحج).

وعماها، أو عدم رؤياها يرجع لرمض في السريرة، أو عمى في البصيرة، والعمى في البصيرة حفظنا الله ﷻ منه، لأنه للكافرين والمشركين الذين كُتب عليهم الكفر إلى أن يخرجوا من الدنيا لعنة الله عليهم أجمعين.

٣ مسند أبي يعلى الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس ؓ

٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

أما المسلم والمؤمن فقد يُصاب برمد بسبب الذنوب، أو بصدأ بسبب الهوى، وهو أبو العيوب التي تحجبه عن مطالعة الغيوب، وفيه يقول ﷺ:

{ لَوْ لَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاءِ }^٥

وفي رواية أخرى قال ﷺ:

{ فَلَمَّا نَزَلَتْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي، فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أُعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ }^٦

جلاء القلب

ما الذي يجلي الفؤاد ويرقيه ويصفيه ويُعلي شأنه حتى يُشرف على ملكوت خالقه وباريه؟ قال ﷺ:

{ الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلَاؤُهُ؟ قَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }^٧

وقلت أن الصدأ سببه الهوى، والصدأ الذي يصيب الحديد أو أي معدن سببه الهواء، وأيضاً الصدأ الذي يُصيب القلوب اتباع الهوى، ولذلك أهل الهوى الذين تعالجوا من هذا الداء ولا يحتاجون إلى دواء يقول فيهم ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }^٨

فبالله عليكم لو صرنا جميعاً على هذه الشاكلة هل يحدث بيننا خلاف؟! وهل يحدث بيننا خصومة؟! وهل يحدث بيننا لومٌ أو عتاب؟! أبداً، لأننا سنكون كلنا كالأجهزة التي توصّل الإذاعات أو التليفزيونات، التليفزيون الذي هنا، كالتليفزيون الذي في أقصى

٥ ورد في الإحياء، وفي التفسير الكبير للرازي

٦ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٧ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٨ معجم السقرو شرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الكُتُبُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحْمَدِ نُزَيْرٍ

الصعيد، كالتليفزيون الذي في أمريكا، كالتليفزيون الذي في اليابان، ما يُعرض فيه هنا كالذي يُعرض فيه هناك، مادام جهاز الإستقبال سليم، وجهاز الإرسال يوصِّل التيار بحال مستقيم، فالذي هنا هو نفسه الذي هناك، فلمَ نختلف؟!.

الخلاف يحدث إذا كان الإرسال مقطوعاً، وكل واحد يُحْمَن، وكل واحد يحكي على حسب هواه، أو على حسب مناه، وهذا الذي جعل أصحاب رسول الله ﷺ المباركين، ومن بعدهم من أتباع الصالحين الصادقين ليس بينهم خلافٌ ولا خصومة في نفسٍ ولا أقل في أي يوم من أيام الدنيا، لأنهم على الله مجتمعون، وبالحبيب ﷺ متأسسون، ولا يفعلون قليلاً ولا كثيراً، صغيراً ولا كبيراً إلا عن أمرٍ من الله، وعن إمداد من رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

هذا الأمر لمن أراد أن يكون من هؤلاء الأتقياء الأنقياء، ونحن والحمد لله جميعاً مؤهلين لهذه المقامات، ومعنا ما يُوصِّلنا لهذه الكمالات، بشرط أن لا ننشغل عن الله بالدنيا الدنية ولا بالأهواء المردية ولا بالشهوات النفسانية، فلو حافظنا على ذلك:

ما بين طرفة عين وانتباهتها يُبَيِّلُ الله من حال إلى حال

فلا نحتاج إلى أيام ولا شهور ولا سنين ولا دهور:

بين نفسٍ ونفسٍ شئونٌ تتجلى حتى تراها العيونُ

إذاً الذي يؤهِّل القلب لما أقامه فيه مولاه، ولما خلقه من أجله الله جل في علاه، وقال فيه في كتاب الله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧ هود).

هذا يحتاج منا إلى الذكر الصفي الخفي الذي يقضي على هذه الأغيار، ويفجر في القلب بأمر الله الأنوار، ويجعله محلاً لتلقي الأسرار، والفيوضات الإلهية من العزيز الغفار ﷻ، كل هذا يحتاج منا إلى ذكر الله، والإمام أبو العزائم ؑ وأرضاه يقول لمن يُشكك فيما قلناه:

أروني فتى ذكر الإله مصداقاً ولم ير نور الله في كل وجهة

هات لي إنساناً في الكون شرقاً أو غرباً ذكر الله بصدق وأخلص في الطلب ولم يتحقق

له مناه، ويشهد ما خصَّ به الله المقربين من عباد الله!! لا يكون أبداً، فما المانع؟ كما قال على لسان الحضرة الإلهية:

تريد أن ترى حسني وترقي بلا حربٍ شديدٍ لا يكون
فمن رام الوصال إلى جنابي أصفّيه وفي هذا فتون

فالذي يُريد أن يصل بدون أن يجاهد فهذا يريد أن يقطع سنة الله ﷻ في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٦٩ العنكبوت) وماذا نفعل يا رب؟ قال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (١٧٨ الحج) بعد ذلك يتحقق الاجتهاد ﴿هُوَ أَجْتَبَنَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١٧٨ الحج).

الولاية عناية ورعاية

وهنا أريد أن أكشف عن أمرٍ حتى لا يتوه الجميع: الولاية عناية، وبعد العناية تتحقق الرعاية، ليس - كما يظن البعض - الرعاية يعني عبادات ومجاهدات ثم تصير الولاية، لا، فالرعاية والعبادات والمجاهدات يكون لها أجرٌ كريمٌ في الجنات، لأن هذا عابد من عباد الله ﷻ، لكن ولاية الله خصوصية، والخصوصية لا تقتضي الأفضلية، وإنما جعلها الله ﷻ عطاءً منه، وكرماً منه فضلاً من حضرته: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٢١ الحديد) فهل هنا تحديد؟! لا، هل يؤتيه لمن يقوم الليل ويصوم النهار ويعمل كذا وكذا؟ لا: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١ الحديد).

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٤٦ فصلت) لأن هذا فضلٌ من عنده، والعدل لو حرم صاحب العمل من الأجر، لكن هل حرمك من الأجر؟ لا، فأنت أخذت أجرَك، لكن هذه هبات وعطاءات وتفضلات وخصوصيات.

وما ثمنها؟ لا شيء، كل ما في الأمر كما كان يقول الصالحون الصادقون: ابحث عن قلب قريبٍ من الله - ولم يقولوا: ابحث عن رجلٍ - ولكن عن قلبٍ قريبٍ من الله، فتحبب إليه وتقرب إليه لعله يُحبك، فإذا أحبك نظر الله إليك في قلبه فأحبك، وإذا أحبك إلى

الكتب المصنوعة نفسياً أيتها الملكة الشيخ فوزي محمد فوزي

حضرت هداك وأهلك واجتباك، ثم بعد ذلك يصدر لك قرار الإصطفاء: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج ١٧٥).

بعض المريدين يحاولون أن يحكموا في هذه الأحوال بعقولهم الكاسدة، أو بأفكارهم الفاسدة، فيقولون: فلان هذا لم يكن مع الشيخ فلان في الفترة الفلانية، ولم يمشي معه، ولم يذهب معه، كيف يكون صاحب أحواله؟! ﴿أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف ٣٢) هذا أمر لا يخصك.

لمن هذا الأمر؟! لله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام ١٢٤).

كان من الصالحين السابقين واللاحقين مريدين كُمل، والناس يرونهم أنهم الخلفاء والورثة، وعند انتقال الشيخ يظهر واحد لم يعرفوه ولم يشاهدوه، والشيخ يقول لهم: هذا هو خليفتي، فيقولون: لم نره ولم يحضر معنا حتى يوماً ولم نر منه شيئاً؟! لنعرف أن هذا اختصاص من الله ﷻ وفضل من الله سبحانه وتعالى.

لكن هنا الذي يحبه الله ماذا يفعل؟

يفوز بالتسليم للولي الذي أشار بذلك، لأنه لا يشير لهوى في نفسه ولا لشيء عنده وإنما تنفيذاً لمراد الله ﷻ.

أما المعارضين فيقولون: كيف يكون خليفة الشيخ ولم نره معه، ولم يذهب مع الشيخ؟! هذه أمور اختصاص:

قد أكرم الله أهل العجز علمهم أسرار توحيده بالحوال والقال
خل الملامة فإن الله مقتدر يعطي الولاية للساري وللقال

الولاية صُدف في خبايا الأيام، يخص الله ﷻ بها أقوام، قد يكونون غير ظاهرين في الدنيا، ولا بين الأنام، لكن تنزل عليهم الملائكة من الله ﷻ بالسلام، قال الله ﷻ في الحديث القدسي:

{ أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري }

وقال ﷺ:

{ كَمَ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ } ١٠

والناس لا تعرفه، يظنون أن الولي الذي يُشار إليه بالبنان، والذي حوله الجماهير، والذي معه ختم المشيخة، والذي له سجادة (شيخ السجادة)، وأمثال هذا الكلام الذي فُتن به العوام!!.

لكن أهل الخصوصية يعلمون أن هذا الأمر فضلٌ من الله وخصوصية من الله: ﴿تَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥ البقرة).

فذكر الله ﷻ هو المهر الذي يُقدمه الإنسان إلى مولاه، لعله تلحقه عناية الله، والذكر إذا كان باللسان فيكون حسنات، ويكون ظاهراً لكل الناس، لكن الذكر الذي ينال به فضل المذكور، الذي بدايته ذكر الحضور بالقلب مع حضرة من لا يغيب طرفة عين ولا أقل؛ ذكرٌ حضورٌ، فيكون حاضراً بجوانحه مع مولاه جل وعلا، ويتخيّل في سويداء قلبه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٤ الحديد).

وعندما تسوّل له نفسه أمراً، يأتيه العتاب:

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤ العلق) فحياته دائماً يعبد الله كأنه يراه، فإن لم تكن تراه

فإنه يراك، إلى (فإن لم تكن تراه) إذا فنى عن نفسه وكله تمتع بوجه الله جل في علاه.

ولذلك كان سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه يقول: (ذكر اللسان شقشقة) مع أن تلميذه سيدي عبد العال كان يقول: (صحبٌ سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما رأيته غفل عن ذكر الله طرفة عين ولا أقل) فماذا كان ذكره؟ بالقلب؟

وهل أحدٌ منا يرى ذكر القلب؟!

هل أحدٌ منا يطلع على ذكر العارفين بالقلب؟! لا يوجد أحد، فهذا بين العبد وربّه، والقلب إذا ذكر وحضر لا يغيب عن الله، ولا يغفل عن ذكر مولاه طرفة عين ولا أقل.

الكتب المنبسط نفسياً إلى المشرقين الشيخ فوزي محمد فوزي بداية المنح الإلهية

وهذه هي بداية المنح الإلهية، وبداية العطاءات الربانية، كيف أصل إليها؟ تحتاج إلى منحة، لا يوجد لها دواء في الصيدليات يوصل إلى هذه الرتبة العلية، فماذا تحتاج؟

منحة من الطبيب المقرب إلى الحبيب، في الحال يجد الإنسان نفسه في هذا الحال المهيّب، ومن حوله لا يرون ولا يعرفون، ويظنون أنه صامت وغافل ولا شيء، وهو مع الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (٣٠ فصلت)

هل يطرقون الباب؟! أو هل يستأذنون؟! وهل يراهم أحد؟! أو هل يسمعون أحد؟

لا!! ... ولم يقل تنزل، ولكن قال: (تنزل) أي دائماً: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠ فصلت) أعطانا مثلاً من الحديث الذي يُدار بينهم، يعني لا يتكلمون في الأمور الدنيوية، ولا في الأهواء ولا الشهوات ولا الحظوظ النفسانية، وإنما كلامهم دائماً في جمال رب البرية، وفي عشق الحضرة الحمديدية، وفي الحكم القدسية القرآنية، فكلامهم في مثل هذه الأمور.

لكن من الذي يراهم؟ ومن الذي يعرفهم؟

أحد الصالحين الكبار وهو الشيخ الجنيد رحمته الله وأرضاه، ذهب لشيخه السري السقطي، فقال له: أنا سمعتُ حكمة من أحد الصالحين تقول: إن كل بلدة فيها أولياء لله لا يُعدُّون، فطفت على بلدنا هذه بغداد فلم أعرف أي واحدٍ منهم، فقال له: وكيف تعرفهم؟! كن منهم تراهم وأنت في بيتك، لكن كيف نراهم؟! وكيف نعرف الولي من غيره؟! هل ستذهب إلى المسجد لترى من يقوم الليل؟! هؤلاء عبّاد، أو من يصوم النهار! هؤلاء عبّاد، وربما تكون العبادة معلولة!!، كما ورد في بعض الأثر:

﴿يؤتي بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول ربّ العزة جلّ وعزّ: صليت يوم كذا وكذا، ليقال: صلى فلان أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمت يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدّق فلان أنا الله لا إله

إلا أنا لي الدين الخالص فما يزال يمحو شيئاً بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، أغير الله كنت تعمل^{١١}؟

جبال من العبادة يعني مجتهد، لكن أنت عندما تمشي في بلدك وتتصفح وجوه الناس فهل تعرف الولي من غير الولي؟! تعرفه في حالة واحدة إذا وصلت إلى مقام الأعراف: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ (٤٦ الأعراف) فتكون قد أخذت دورة في علم السيميا، وهي أول علوم الكشف الإلهي الرباني؟ وأين دوراته؟ ليست في الأرض، ولكن دوراته في الملكوت الأعلى، فمن منا يذهب ليحضر دورات في الملكوت إلا وهو جالس هنا روحه تذهب للملكوت وتأخذ الدورة وتعود، لكن كيف يسافر؟! هل توجد سفينة فضاء توصله؟! أو وهو هنا يشاهد الدورة وينتهي الأمر، فمعه طريقين إما هذا وإما ذاك ... فعندما يأخذ هذه الدورة: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ (٢٧٣ البقرة) فعندما يرى أحدهم يعرف أن هذا وليّ الله ﷻ، وجائز يعرف رتبته، وجائز يعرف مقامه، وجائز يعرف منزلته، المهم أن يعرف أن هذا له قدم في ولاية الله سبحانه وتعالى.

وربما من يكون له قدم في هذه الولاية يكون ما زال في التجريد بعيد، لكن عندما يراه يعرف أنه من المرادين والمطلوبين لرب العالمين ﷻ، فيناديه ليدخله إلى حضرة خالقه وباريه ﷻ، كل هذا من ذكر القلب.

الذكر الكثير

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ :

الذكر باللسان: ... لا بد له من انقطاع، إذا أكلت، أو إذا شربت، أو إذا نمت، أو إذا تكلمت، إذا هل هذا الذكر يكون كثيراً؟ لا.

لكن الذكر بالقلب: ... ليس له انقطاع ولا انفصام، ينام وهو يذكر الله، وتتكلم والقلب يذكر الله، وتعمل أي عمل، أو تشغل بأي شغل، فتكون الجوارح مشغولة بالعمل والقلب مشغول بمولاه، لا يتخلى عن ذكره جل في علاه طرفة عين ولا أقل.

^{١١} تفسير الطبري

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

ومهما نوضح فلن نستطيع أن نصريح، لأن هذه علوم لا تُكفيها العبارات، ولا تلحقها الإشارات، وإنما هي من باب: ((ذُق تعرف)) واسمها علوم الأذواق، كل العلوم التي نأخذها علوم ومعارف تأهيلية .. لكن متى نأخذ الدورة من أجل الولاية والعناية الربانية؟ عندما تترقى الأذواق، وتتلقى بالأذواق شراب الحضرة الحمديدية، وشراب الحضرة الإلهية: ﴿ وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١ الإنسان) ثم تبدأ بعد ذلك دورات التلقي الروحانية ليدخل الإنسان في هذه الحضرات القدسية.

هذه الأمور التي ذكرناها كلها هل يراها أحد بالعين؟! أو هل يسمعها أحد بالأذن؟! لا، فلا تحكم بالظاهر ولا بالمظاهر، وإنما اخضع لما حكم به الظاهر الذي أظهره الله ﷻ، ونور المصطفى له غامر، فهذا الذي تخضع له، فإذا قال كلمة: تقول: سمعنا وأطعنا على الفور، لأنها غيوب وأنت لا تطلع على الغيوب، لكن تسلّم، لمن؟

فسلم لأهل الحال روحك واعتقد تفز بشارب الراح عند وروده

فالذكر الكثير هو ذكر القلب إذا احتيا، وما الذي يُحيي القلب؟ كما قال إمامنا أبو العزائم رحمه الله وأرضاه: ((نفس مع العارف حياة القلب، ونفس في حياة القلب خير من حياة الفردوس، ونفس في الفردوس خير من عمر الدنيا كلها من أولها لآخرها)).

نفس بقلب سليم رفعة ورضا وألف عام بلا قلب كالحظات
الجسم بالقلب يترقى إلى رتب والجسم من غير قلب في الضلالات

نفس بقلب سليم تتنفسه مع صاحب القلب السليم رفعة ورضا، وألف عام مع العبادات والمجاهدات والمكابدات بلا قلب كالحظات.

فالإنسان يحتاج - ليعرف الحقيقة واضحة جلية - للتعرض؛ التعرض لفضل الله، ولحملة الفضل الذين خصهم الله، وناولهم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ :

فالذكر الكثير هو الذكر بالقلب، لأنه الذكر الذي لا يتوقف ولا ينقطع ويظل دائماً مع الدائم ﷻ.

حقيقة التسبيح

ومن عجبٍ أن الآية قالت بعد هذه العبارة: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ :

ونحن جميعاً نعلم أن التسبيح ذكر، وأن التحميد ذكر، وأن (لا حول ولا قوة إلا بالله) ذكر، وأن تلاوة القرآن ذكر، وأن الصلاة على النبي ذكر، وأن الاستغفار ذكر، وأن درس العلم ذكر.

فلم خصَّ الله التسبيح وخصَّ فيه البُكرة، والبُكرة يعني الصباح المبكر، والأصيل وهو بعد العصر أو عند غروب الشمس؟

﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ :

كلمة (سبحوه) في اللغة يعني نزههوه، والتنزيه هنا في هذا المقام - وهو مقام عالي لمن بلغ هذا المرام - أنه يُنَزِّهَ الله ﷻ أن يكون - وهذا مشهد من المشاهد - هناك فعلٌ في كونه، أو بين خلقه بغير أمره أو إشارته تبارك وتعالى.

لأن الإنسان لا يفعل شيئاً قليلاً أو كثيراً، إن كان بجوارحه، أو كان بأجهزته الباطنية، أو كان بعقله، أو كان بفكره، أو بأي جارحة ظاهرة أو باطنة إلا بأمر ممن يقول للشيء كن فيكون.

فينبغي على الإنسان أن ينسب الأفعال كلها لله، وينسبها إلى توفيق الله، ولذلك قالوا في هذا المقام: ((من أراد بلوغ المرام فلا يقل مني ولا لي ولا علي)) لأن أول الذي قال (لي) فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (٥١ الزخرف) فماذا نقول؟ نقول من الله، وتوفيق الله، وبرعاية الله ﷻ.

مثلاً يقول له أحدهم: كيف وصلت مشوارك في ساعتين والإنسان لا يصله إلا في أربع ساعات؟ الغافل يقول: أنا أخذتُ سيارةً مخصوص، والسيارة كانت كذا، وأنا عملت كذا وكذا، أما الفاكر والذاكر والشاكر يقول: هذا بتوفيق الله، يسَّرَ لنا السفر، والسفر تساهيل، وحمانا من العقبات، وحمانا من النكبات، فأصبح الأمر كأننا نظير في السماوات، فوصلنا في طرفة عين.

أو أن ابنك حصل في الثانوية - ما شاء الله - على مجموع ٩٨ % فيقول: أحضرت له مدرس للإنجليزي بكذا، ومدرس لمادة كذا بكذا، ومدرس لمادة كذا بكذا، وأنا وأمه نتابعه إلى أن وصل لهذا المجموع، فماذا يكون هذا؟ غافل.

أما العاقل فيقول: هذا بتوفيق الله، فهو الذي رعاه، وحفظه من الأمراض ورزقه الفهم، وأعطاه شرح الصدر للاستذكار، وأبعد عنه حاشية السوء، وأهم من هذا وذاك أن وفقه في الإمتحان.

كثير من الناس يدخل الواحد منهم الإمتحان ويكون مذكراً مائة بالمائة، وعندما يدخل ينسى!!، وبمجرد أن ينتهي الزمن ويخرج يتذكر!!، فالأمر هنا يحتاج إلى التوفيق، والتوفيق لأنه من الله وعزيز لم يذكر في كتاب الله إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨ هود) ولذلك قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

{ قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ } ١٢

كما يحدث في الحياة الدنيا، فلان هذا من التجار أصبح غنياً في طرفة عين، فما الأمر؟ وفقه الله، وقد يكون ليختبره أو ليرفعه: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٤٠ النمل) عندما يدخل على أي سلعة يجد السوق موالية ويرتفع السعر أضعافاً مضاعفة، بماذا؟ بتوفيق الله ﷻ ... فحائز أن الإنسان يشتغل بالعبادة، ولكن نفسه تخدعه وتجعله يعجب بنفسه، فتضيع العبادة كلها، أو تدخل له هفوة رياء فتضيع العبادة كلها أيضاً، لكن يحتاج إلى توفيق الموفق ﷻ، فلو عبد الله ﷻ العبادات المفروضة وأخلاها الله من الشوائب، بلغ أعلى الرتب.

الخوارج - هدامهم الله - كانوا مجتهدين في الطاعات الظاهرة، فيكثرّون من الصلاة، ويكثرّون من تلاوة القرآن فيها، ومن الصيام، ومن الجهاد، فلما رأوا عبادة أصحاب رسول الله ﷺ تقالوها، يعني رأوها قليلة في نظرهم، ورأوا أنفسهم أنهم أفضل من هؤلاء لأنهم زادوا عنهم في العبادة .. فذهبوا إلى سيدنا أبي الدرداء ليسألوا عن عبادته، وكانت عبادة سيدنا أبو الدرداء عبادة الأنبياء وهي عبادة التفكير، فسألوا زوجته: ما عبادة أبو الدرداء؟ فقالت

لهم: كان يجلس يتفكر، وعبادة التفكير لا مثيل لها، قال ﷺ:

{ لا عبادة كالتفكير } ١٣

فلما جاء قالت له هؤلاء يقولون كذا واستقلوا عبادتك، فقال ﷺ:

(عجبت للحمقى كيف يعيبون على الأكياس - يعني العقلاء - نومهم وفطرمهم!!) ولذرة من تقوى من عمل القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين)

المهم عمل القلب وليست العبادات الظاهرة.

فالمسلم دائماً وأبداً إذا أراد التوفيق يسلك سبيل أهل التحقيق، فينسب الحول لله، والطول لله، والقوة لله، والفضل لله، ويتحقق بقول الله: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل ٥٣) فأَيُّ نعمة يُجريها الله عليك تكون من الله ﷻ، وهي تحتاج إلى تحقق.

سيدنا موسى مع علو شأنه ورفعة قدره، كما ورد في بعض الأثر قال الله تعالى له: { يا موسى أسألني كل شيء حتى ملح عجينك - وروي: في شسع نعلك وعلف دابتك، فقال يا رب إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا - يقصد قضاء حاجته - فأستحي أن أسألك! قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك } ١٤

إن لي حاجة أقضيها أستحي أن أسألك عليها، وهل تقضيها إلا بإذن الله!! لا تقل هذا شيء صغير وهذا شيء كبير، لأنها كلها لا تُقضى إلا بإذن الله ﷻ، .. وروي أن موسى رأسه أوجعته فقال: يا رب رأسي بها وجع، فقال له: اذهب إلى أرض كذا فإن فيها نبات صفته كذا، وخذ منه وضع منه وضع على أضراسك تُشفى منه بإذني، ذهب إلى المكان ووضع من هذا النبات على أضراسه فشفي بإذن الله.

وبعد بُرْهة من الزمن عاوده الألم، لكن طبيعة الإنسان النسيان، فقال: أنا عرفت النبات، فذهب إلى المكان ووضع من هذا النبات فزاد الألم!!، فرجع وقال: يا رب المرة السابقة شُفيت، وفي هذه المرة زاد الألم، قال: يا موسى في المرة الأولى رجعت إلينا فجعلنا الشفاء في النبات، وفي المرة الثانية رجعت إلى النبات فنزعنا الشفاء من النبات!!.

١٣ معجم الطبراني ومسنند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

١٤ جامع العلوم والحكم

الكَفَى فِي الْمَطْبُوعِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحْرُ الدُّنْيَا

فالتسبيح هنا هو أن ننزه الله ﷻ في كل أفعالنا وأحوالنا، يعني ننسب الفضل في كل حركاتنا وسكناتنا، في أنفسنا وفي أكواننا، وفيمن حولنا لله ﷻ إن كانت خيراً، وننسى لأنفسنا الشر والضّر والمكر والدهاء والذنب والغفلة: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (٧٩ النساء).

وهذا حال يحتاج إلى فعال ليتخلق الإنسان بهذا الخلق العظيم، فيصير من هؤلاء الرجال الذين مشوا على منهج الواحد ﷻ: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

كنوز فضل الله

فيدخل في فضل الله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾:

مشاهدات وتجليات وأنوار ساطعات، يكرمه الله ﷻ بهذه المنح الإلهية كما أكرم بالمنحة الأولية وهي ذكر القلب:

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾:

عندما نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦ الأحزاب) قال أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار: هذا لك يا رسول الله خاصة، وليس لنا نصيب في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال سيدنا أبو بكر، وكان أعظمهم علماً ونوراً وحكمة: (والله يا رسول الله ما خصك الله بشيء إلا وخصنا به).

انظر إلى الطمع في فضل الله وإكرام الله، فنزلت هذه الآية، كما أن الله وملائكته يصلون على النبي، فالله وملائكته يصلون على الولي الذي صدق في اتباع النبي وبلغ، هذا المقام الشهودي في ذكر الله ﷻ.

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾:

وهذا للأولياء، لكن كُمل الورثة لم تذكرهم الآية، وذكر الحبيب عنهم العناية، لأنهم في نفس الرتبة، وقال فيهم ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ، وَأَهْلَ الْأَرْضِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ }^{١٥}

بل في الرواية الأخرى:

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى الثَّمَلَةِ فِي جُحْرَهَا، وَحَتَّى الْخُوتِ فِي الْبَحْرِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ }^{١٦}

وهناك فارق كبير بين الصلاة بالاسم الذاتي (الله) والصلاة بإسم الهوية (هو): فهذه حضرة وهذه حضرة، قد يكون عند العوام كله مثل بعضه، لكن الحضرة الذاتية (الله) غير حضرة الهوية، لكن لهم نصيب في هذا التخصيص: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾

وصلاة الله ﷻ يعني صلات الله، وعطاءات الله التي لا تنتهي، وهي عطاءات معنوية ونورانية وروحانية وإلهامية وكشفية لهؤلاء الرجال، عطاءات لا تنتهي.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ يعني يصلحكم بعطاءاته التي لا حد لها، ولا عد لها، ولا انتهاء لها.. ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ أيضاً يأتوكم لأنكم أصحاب الخلافة، فيأخذون منكم حقهم الذي جعله الله ﷻ لهم على أيديكم.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ :

والظلمات كثيرة والنور واحد:

فالظلمات هنا ظلمات الأغيار، يعني أن كل شيء غير الله يكون ظلمة، ونور الله هو الذي يكنس ظلمات الأغيار من قلوب الأغيار حتى تنزل لهم فيها عطاءات الله ﷻ بالمدار.

ظلمت الأوهام إلى نور اليقين، وظلمات الأكوان إلى نور مكنون الأكوان، وظلمات الطباع إلى نور خير السمائل وخير الصفات، وهي الصفات الإلهية والسمائل المحمدية، والظلمات كثيرة، والنور واحد وهو نور الله الممتد، فالله نور، ورسوله نور، والقرآن نور، والإسلام نور، وكل هؤلاء: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور: ٣٥).

١٥ فوائد تمام الرازي وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي إمامة ﷺ

١٦ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ

رحمة الله بالمؤمنين

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ :

وكلمة (كان) في القرآن إذا ذكرت بالنسبة لحضرة الله، يكون معناها: (كان ولا يزال) وليس كان وانتهى، وإياك أن تقول أن (كان) هنا فعل ماضٍ ناقص، لا، ف (كان) إذا جاءت في القرآن مع اسم الله يكون معناها: (كان ولا يزال) ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (هود) وهل انتهى الآن؟ لا، بل كان ولا يزال.

وكان الله ولا يزال بالمؤمنين رحيمًا، ورحمة الله الواسعة خصَّ بها عباده المؤمنين، وهي رحمة يقول فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَرْحَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَحْمَةً حَتَّى يَتَطَاوَلَ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءً أَنْ يُصِيبَهُ } ١٧

إن الله يتجلى لعباده المؤمنين يوم القيامة برحمته، رحمةً يتطاول لها إبليس رجاءً أن تُصيبه عندما يرى رحمة الله الواسعة النازلة بالمؤمنين، فيطمع ويظهر نفسه لعل أن تصيبه شذرة من هذه الرحمة الإلهية!!.

وقد بين النبي ﷺ في مثال واضح جلّي في إحدى غزواته في هذه الرحمة، وكانت امرأة من الأعداء فقدت ابنها وحيدها، فأخذت تبحث عنه كالجنونة، فلما وجدته ارتقت عليه واحتضنته وأمسكت به بذراعيها بكل قوة خوفاً أن يتفلّت منها، فقال ﷺ لأصحابه:

{ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قَالُوا : لا، فَقَالَ : لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ

مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا } ١٨

ولذلك من يُتيسر المؤمنون، ويُغلقوا باب التوبة على المسلمين، فهؤلاء من المحبطين الذين حذرنا النبي ﷺ من الاستماع إليهم والجلوس معهم، لأن الله فتح أبواب التوبة للمؤمنين أجمعين .. إذا كان كما قيل في الأثر:

(إذا تاب العبد تقول السماوات، وتقول الأرض، وتقول كل عوالم الله، افتحوا

١٧ الأربعين في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون الصالح عن أبي هريرة ﷺ

١٨ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

أبواب السماوات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته

لأنهم يعلمون أن الله ﷻ لم يقل: (إن الله يحب العابدين) ولكن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة ٢٢٢) ولم يقل التائبين، فلو قال التائبين ستكون التوبة لمرة واحدة فقط، ولكن قال: (التَّوَّابِينَ) الذين يتوبون باستمرار، فكلما وقع المؤمن في الذنب علم أن له رباً يغفر الذنب فيتوب إلى الله، فيتوب الله ﷻ عليه ... حتى ورد في الخبر:

(أن رجلاً من بني اسرائيل قال لرجلٍ مُقْنِطاً عندما سأله: هل لي من توبة؟ قال: لا توبة لك، قال: فغضب الله ﷻ، وقيل: فيقول له الله تعالى يوم القيامة: اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها)

كيف تقنط العباد من رحمة الله ﷻ: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الزمر ٥٣) أسرفوا، وليس أطاعوا وتابوا وأنبأوا!! ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر ٥٣) يغفر الذنوب كلها ولذلك العالم هو الذي لا يقنط العصاة من رحمة الله ﷻ، بل يفتح لهم باب التوبة، ويأخذ بأيديهم دائماً إلى الأوبة، فإن الله قال لداود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام في الأثر الوارد:

(يا داود من رد إليّ هارباً كتبته جهبذاً، ومن كتبته جهبذاً لم أعذه أبداً) والجهبذ يعني العالم الكبير، وأوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام:

{ يَا دَاوُدُ أَنْيْنُ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رَجُلٍ الْمُسَبِّحِينَ } ١٩

أنا أحب هؤلاء الذين يئنّون، لأن الذنب يكسر القلب، والله ﷻ يريد المنكسرة قلوبهم: (رُبَّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَانْكَسَارًا، خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا).

يكسر الذنوب القلوب بوقعه كسره قرب إلى نور الكتاب

فيايك يا أخي أن تقنط أحداً من رحمة الله ﷻ، وافتح الباب، واعلم أن رحمة الله واسعة، ويكفي فيها قول الله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف ١٥٦) كل شيء في الأكوان وسعته رحمة الرحمن ﷻ.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الطَّبُوعِ نَفْسِيَّةُ آيَاتِ الْقُرْآنِ السُّمُومُ فُزِّي بِحُجْرَةِ نَزِيرٍ

ولذلك عندما جاء إبليس إلى إبراهيم بن آدم ﷺ وظهر له، وقال له إبليس: هل لي من توبة؟ قال: لا، قال إبليس: ألم يقل الله: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...؟﴾
قال: لقد قال الله عقبها: ﴿فَسَأْكُتِبُهَا لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١٥٦ الأعراف)!

قال: ما كنتُ أعلم أنك بهذا الجهل يا إبراهيم، التخصيص صفتك لا صفته، فإن الله وسَّع الرحمة، وأنت تُخصِّص؟! فبعد أن وسَّع الله فهل تُخصِّص أنت؟ وهذا مثل بعض الجهَّال في زماننا هذا، فإن الله وسَّع رحمته لكل شيء وهم يضيقونها، فما شأنكم أنتم بهذا؟ دعوا رحمة الله لعباد الله، ولا تتدخلوا بين الله وبين خلقه.
الحكيم :

هو الذي إذا تدخل يُصلح الخلق على الخالق، لكن لا يردُّ الخلق عن حضرة الخالق، مهما كانت أوزارهم، ومهما كانت ذنوبهم فهو يعلم ذلك، وهو أعلم بذلك، وإياك أنت تطرد أحداً يريد أن يتوب، أو تُبعد أحداً يريد أن يرجع إلى حضرة علام الغيوب.
قالوا لسيدنا أبي ذرٍّ ﷺ:

إن أخاك فلان - أخوه في الإسلام - أسرف على نفسه في الذنوب، فقال ﷺ: رأيتم لو أن أخاً لكم وقع في بئر ماذا كنتم فاعلين؟ قالوا: نأخذ بيده حتى يخرج، قال: كذلك أخاكم إذا وقع في الذنب.

هل تأخذ بيد أخيك أم تتركه لإبليس!!؟

كن أقرب لأخيك عندما يكون قريباً من إبليس لتنقذه منه، فنحن رحماء بخلق الله، ونريد أن نردُّهم جميعاً إلى حضرة الله بالحكمة والموعظة كما أمر الله، وبالهدي الطيب والسلوك القويم الذي نتأسى فيه بسيدنا رسول الله ﷺ.

هؤلاء الأقوام رحمهم في الدنيا، ورحمهم في الآخرة، رحم الله المؤمنين في الدنيا بالهداية وبالقرآن وبالإيمان وبالنبي العدنان، وبمراعاتهم وتوفيقهم في كل وقتٍ وآن، وبرحمهم في الآخرة فيُظلمهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ويُدخلهم الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، ويبلغهم المنازل والدرجات العليا بشفاعته إخوانهم وأحبهم وإن لم يكونوا مثلهم في

العمل، ويجعل الحبيب ﷺ يأخذهم بيده الشريفة فيسقيهم من كاسات كوثره، ويدخلهم إلى منازل الرضوان ليكونوا معه في الجنان، فضلاً من الله ونعمة ورحمة من الله ﷻ دائمة مستمرة لهؤلاء الصالحين، فما أعظم رحمة الله ﷻ بنا أجمعين.

النحية بالسلام

وأعظم منزلة في الجنة، وأعظم تكريم لأهل الجنة، وأعظم نعيم في الجنة لأهل الجنة:
﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾

إما أن تحييهم الملائكة في الدنيا:

﴿ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر) ﴿ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ (٣٠ فصلت)

وإما أن يكرمهم عند خروجهم من الدنيا:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢ النحل)

وتكرمهم الملائكة في الجنة بالمرور عليهم في كل وقتٍ وحين:

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٢٤ الرعد).

وإما أن يسمعون السلام من الحبيب الأعظم ﷺ، وإما أن يسمعون السلام من الله تبارك وتعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يخصنا بذلك، وأن يجعلنا أهلاً جميعاً لذلك، وأن يوفقنا أجمعين للحصول على ذلك

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا
مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ
وَجِيهًا ﴿٦٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٩﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٦٩-٧٣ الأَحْزَاب)

٢١. صلاح الأعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي تولانا بعنايته، ووالانا بنظرات حناته، وجعلنا على الدوام أهلاً لرعايته وحناته، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق، والداعي إلى الله بالله على هدىً وعلى طريق مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وورثته والقائمين بدعوته، وأحبته، والساكنين على سنته، والراجين شفاعته، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

خير مجالس في الأرض وفي البرزخ وفي الجنة هي مجالس القرآن، ونسأل الله ﷻ أن يديم علينا هذه المجالس في قبورنا، وفي حشرنا، وفي الجنة بجوار حبيبنا ﷺ أجمعين.

هذه مجالس الله التي جعلها الله ﷻ روحاً وربحان، ورضاً ورضوان لأهل الإيمان وأهل الإحسان وأهل الإيقان ... فإن كل آية فيها عناية يكشفها الله ﷻ لأهل الولاية، ولا يزال يظهر من جمال معاني القرآن، وأسرار الله الخاصة في القرآن لأهل القرآن، حتى ينتهي الزمان ويفنى المكان، ولا تنتهي معاني القرآن، كما ورد في الأثر: (يَأْتِي الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْرَأُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ).

والآية التي معنا اليوم تحكي حياة الأنبياء والمرسلين، وعلى أثرهم حياة الوارثين والصديقين والصالحين، ومن بعدهم حياة المؤمنين الصادقين التي اختارها الله لهم في الدنيا ليكونوا أهلاً للسعادة العظمى يوم الدين.

أذى موسى من قومه

مع أن الآية في بدايتها توجيه من الله لنا جماعة المؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لييك اللهم لييك: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ والذين آذوا موسى آذوه بما لم يخطر على البال، فقد آذوه أشد الإيذاء في العقيدة السمحاء التي نزل بها من عند الله، فبعد أن نجّاهم الله ﷻ من الغرق في اليم، وأغرق فرعون وقومه، وكانت فيها آيات لا تُعد ولا تُحُد.

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّاتُ الْمُتَقَرَّبِينَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ فُزَيْيْهِ مُحَمَّدُ نُزَيْرٌ

ضرب موسى البحر بعصاه، والبحر على أَصَحِّ الروايات هو خليج السويس وليس البحر الأحمر، لأنهم عبروا إلى سيناء، ومن يعبر إلى سيناء يكون في خليج السويس، لكن البحر الأحمر يعبر إلى السعودية.

وانشق البحر اثني عشر طريقاً، لأن أولاد سيدنا يعقوب إخوة يوسف كانوا اثني عشر، ولما جاءوا إلى مصر تناسلوا، فصارت كل قبيلة لرجلٍ منهم تعدادها خمسين ألفاً، فكانوا ستمائة ألفاً، وهم أولاد سيدنا يعقوب، وهم اليهود الذين قالوا: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (١٥٦ الأعراف) يعني رجعنا إليك، فهم الذين سُمُّوا أنفسهم باليهود ولم يُسمَّهم الله بذلك، وكذلك النصارى، هم أيضاً قالوا: ﴿ إِنَّا نَصَرِيُّ ﴾ (١٤ المائدة) والله لم يسمهم بالنصارى، ولكن نحن فقط الذين سَمَّانا الله: ﴿ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٧٨ الحج) من قبل وليس من الآن.

ولكن هم من سموا أنفسهم: ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ (٢٣ النجم) فليس لها تأييد في عالم النور والتأييد عند الحميد المجيد ﷻ.

والبحر قاعه طين، فسَلَطَ الله عليه الشمس، فجففت الطين، وأصبحت الطرق جافة يابسة في طرفة عين: ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ﴾ (٧٧ طه) يعني جاف، وبين كل طريق وطريق تماسك الماء حتى صار كألواح من الثلج تفصل بين الطريق والطريق، لأنه لو ظل ماءً لأغرقهم ... وعندما ساروا قالوا: يا موسى نريد أن نطمئن على إخواننا، فضرب البحر، فصارت جبال الماء فيها نوافذ - شبابيك - يروا بعضهم ويكلموا بعضهم أثناء سيرهم ... وخرج آخرهم، ووصل فرعون ومن معه، وعلم أن هذا أمرٌ إلهي، فأراد أن يحجم عن النزول، فأمر الله الأمين جبريل أن ينزل ركباً في هيئة بشرية على ظهر فرسة أنثى، وجاءت أمام فرس فرعون، وأخذت تداعبه ونزلت، فنزل الفرس وراءها، وتغطرس فرعون أن يرجع بعد أن نزل، مع أنه يعلم أن في ذلك حتفه!!.

ونزل فرعون ومن معه، وكان خروج آخر شخص ممن مع موسى مع نزول آخر رجل ممن مع فرعون، فضرب موسى البحر بعصاه فأغرقوا أجمعين، إلا فرعون نجَّاه الله ببدنه ليكون لمن خلفه آية.

وموجود الآن في المتحف المصري كما هو، كيوم غرقه، وأسلم بسببه كبير جراحى فرنسا، فعندما جاءوا في الستينيات لاحتياج جسمه لبعض الترميمات، أخذوه إلى فرنسا، فالرجل الجراح الفرنسى بعد أن كشف عليه قال لهم: أين كان جسم هذه المومياء؟ فإن جسمه مملوء بالملح البحرى، فذكروا له الآية، فأمن الرجل، وكان اسمه موريس بوكاي، وعمل كتاب بعد ذلك اسمه: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث) كتاب عظيم يبين فضل كتاب الله القرآن على هذه الكتب، لأنه الكتاب الوحيد الذي أخباره العلمية صادقة، أما الآخرين فليس لديهم أي خبر صادق لأنهم حرفوها وبدلوها.

بعد هذه المعجزة مشوا قليلاً، فوجدوا قوماً يعبدون آلهة، وهذا أول إيذاء، فقالوا: ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (١٣٨ الأعراف) ما هذا؟! لنعرف أنهم قومٌ ليس لهم في الإيمان والتقى والخير والهدى نصيب، فهل بعد هذه المعجزات يقولون نريد لنا إلهاً كهذه الحجارة ليعبدوه؟!، فهذا أول إيذاء.

وبعد أن ذهب سيدنا موسى ليناجي ربه على جبل الطور، فدخلوا سيناء وتاهوا فيها أربعين سنة، ومع أنهم كانوا تائهين لأنهم تاهوا عن الطريق السديد، لكن من أجل موسى فعناية الله كانت ترعاهم، فكان يُظلمهم بالغمام، وينزل لهم المن والسلوى، والسلوى هي السمان، فكان ينزل مشوياً جاهزاً فيأكلوه مباشرة، والمن نوع من أنواع الحلوى وهو عسل، ولكنه عسل يصنعه الشجر وليس النحل، ما زال موجود منه أثر بسيط ولكن في بلاد الشام ... فينزل السمان مشوياً فيأكلوه، ويحلون بالعسل، ومع ذلك لم يعجبهم، وقالوا: نريد أن نأكل عدس وبصل والفوم وهذه الأشياء التي عددوها: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ مُخْرِجًا لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْآرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (٦١ البقرة).

لم تعجبهم الجنة!، وكانوا في الصحراء وسيدنا موسى كان معه صخرة صغيرة، وكلما عطشوا يضرب الصخرة بالعصا فتخرج اثنتا عشرة عيناً، وكل عائلة من الستمائة ألف تشرب من عين، فمعهم المياه جاهزة، ومع ذلك كلما يريدوا أن يخرجوا من سيناء يتوهوا!!، لأنهم لا يريدون معرفة طريق الله ﷻ.

الكُتُبُ أَنْزِلُ الصُّبُوحَ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الرَّسْمُ فُزِّي بِحَمْدِ نُوْزِيرٍ

فذهب موسى ليناجي ربه ومعه هارون، وسيدنا هارون جاء أجله، فعاد موسى فسأله: أين هارون؟ فقال: مات، فقالوا له: أنت الذي أمته لأنه كان يُحبنا أكثر منك، وكان أكثر حنية بنا عنك، وأرادوا أن يقتلوه، لولا أن الله أوحى للملائكة أن انزلوا وخدوا هارون وأروه لهم، فعرفوا أنه مات، ووضعوه في قبر لا يعلمه إلا الله ﷻ لكي يراه من هذه التهمة.

كانوا معه بهذه الكيفية على الدوام، إلى أن تجلى الله جل في علاه على سيدنا موسى، وعاد من شدة ما غمره الله به من الأنوار كان لا يرى أحد وجهه إلا مات في الحال، من الأنوار التي فيه، فوضع لثام - يعني غطاء - على وجهه فلم يمنع النور، فوضع لثامين اثنين على وجهه حتى يمنع النور حتى لا تصيب النظرة منه، كما كان سيدي أحمد البدوي، فقد ورث هذا الحال، قوي نوره فوضع على وجهه لثامين.

وقال له سيدي عبد الرحمن أخو سيدي عبد العال: يا سيدي أريد أن أرى وجهك، قال: لن تستطيع، قال: ياسيدي أريد أن أرى وجهك، قال: النظرة برجل، فكشف اللثام الأول عن وجهه فكشف القناع عن قلبه ومات!، أحوالٌ عليّة يَجْمَلُ الله بها أهل الخصوصية ... فلما فعل ذلك سيدنا موسى قالوا: إنه يداري نفسه، فلا بد أن جسمه فيه عيبٌ ولا يريد أن يُظهره، أو عنده بُرص في جسمه - حاشا لله ﷻ - ولا يريد أن يُظهره، أو عنده الخصيتين منتفختين ولا يريد أن يرينا نفسه، فيغطي نفسه وهم أهل شائعات.

فأراد الله ﷻ أن يُظهر الحقيقة:

فكان يوم سوق عندهم - وهذا الكلام كان في مصر قبل أن يذهب إلى سيناء - وسيدنا موسى نزل نهر النيل ليغتسل، ووضع ثوبيه على حجر، وبعد أن اغتسل وخرج ليلبس ثوبيه جرى الحجر أمامه، فسيدنا موسى أخذ يجري خلفه، والحجر يجري أمامه حتى دخل السوق ومَرَّ في كل السوق، وسيدنا موسى غير منتبه، فأراد الله أن يريهم أنه بريء مما يقولون: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

ومرةً أخرى: قارون كان ابن خالة سيدنا موسى فقال له: يا موسى ادعُ لي بأن يوسّع الله عليّ وأنا سأكون عبداً شكوراً، فقال له: أخشى أن تطغىك النعمة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (العلق) قال له: لا تخشى وسأكون شكوراً إن

الكتاب: فضل المطبوع نفسية الشيخ الملقب بـ الشيخ فوزي محمد فوزي

شاء الله، فدعا له، وكما يحكي القرآن، كثرت الخيرات عنده حتى أن مخازنه مفاتيحها كان يحملها ثلاثون رجلاً: ﴿وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ (٧٦ القصص) يعني الجماعة الكبيرة الأشداء،

وسبحان الله!! ما كان يتباهى به قارون أعطاه الله لنا الآن في ورقة صغيرة (فيزا) تضع فيها أكثر من خزائن قارون، لتعرفوا فضلكم عند الله ﷻ.

فلما وُسِّع على قارون غار من سيدنا موسى، كالمعتاد في كل زمانٍ ومكان يغار أهل الدنيا - مع أن معهم الدنيا - من أهل الآخرة مع أنهم تركوا لهم الدنيا، لماذا؟

من حب الناس لهم، يريد أن يأخذ مع الدنيا حب الناس لهؤلاء الأقوام، فكيف تأخذ هذه مع هذه؟!!

وجاء في يوم العيد وصنع لنفسه كرسيّاً من ذهب، وعملوا احتفال كبير واتفق مع امرأة موسى من بني إسرائيل أن تحضر أمام القوم وتقول: أن موسى فعل معي كذا وكذا، وأخذ قارون يُحدِّث بني إسرائيل عن خبر سيأتي عن موسى وستعرفوا حقيقته يوم العيد، فاجتمع الناس ليعرفوا هذا الخبر، وعمل مسرحاً وجلس على الكرسي وجاءت المرأة.

وحق نعرف أن الذي بيده تقليب القلوب هو الله ﷻ، فإياك أن تخاف وأنت مُلجئٌ ظهرك إلى مولاك، فمهما تكاثر المتآمرون، ومهما تآلب المغترون، فإن الذي بيده تقليب القلوب قال في قرآنه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (٣٠ الأنفال) والمكر هنا معناه التدبير، وليس معناه هنا المكر السيئ، فالمكر السيئ ذكره الله باسمه، وبأهله: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٤٣ فاطر) لكن مكر الله معناه التدبير.

فغَيَّرَ الله ﷻ بعنايته قلب هذه المرأة وهي قادمة في الطريق، وقالت في نفسها: أنت لم تفعلني خيراً قط في حياتك، فحياتك كلها فُحشٌ وآثامٌ وذنوب، فهي اعلمي لنفسك خيراً اليوم لعل الله يتوب عليك وينجيك!!، من الذي يهمس في القلب بهذه الأمور؟ الله وليس أحدٌ سواه، فقدّمها قارون وقال: إن فلانة هذه تقول أن موسى فعل معها كذا، فقالت: لا، أنا لم أقل ذلك، وأنت الذي قلت لي أن أقول كذا وكذا، وموسى طاهرٌ وشريف، ولم يقترب مني ولم يفعل معي شيئاً قط!! ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾

ما ذكرناه هو بعض الإيذاء من قوم موسى لموسى.

أسباب نزول الآيات

ولماذا أنزل الله هذه الآية التي ذكرناها؟

لما بدأ المنافقون كهيتهم في كل زمانٍ ومكان يؤذون رسول الله، فمرة آذوه لما أمره الله ﷺ أن يتزوج ابنة عمته السيدة الزكية زينب بنت جحش، وألفوا روايات فقالوا: أنه رآها وهي واقفة على الباب والهواء رفع ثيابها فأعجب بها!!، وهي ابنة عمته ويعرفها وتعرفه، وهي التي تستشير في كل أمر، لكن هي روايات لكي يُشِينوا الحبيب ﷺ.

ومرة يهينوه في زوجته النقية السيدة عائشة، ومرة يهينوه فيقولون: إنه أبت، يعني ليس له عقب، وكل أولاده بنات وليس له نسل، ... فقال له الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣ الكوثر) يعني مبغضك هو الأبتَر، وكثير من مثل ذلك.

ثم جاءت الإساءة من الأحبة، وهي المشكلة الكبيرة التي بسببها نزلت الآية، فسيدنا رسول الله جاءته غنيمة وكان يوزعها، فأحد الحاضرين من الجفافة الغلاظ قال له: يَا مُحَمَّدُ اغْدِلْ، قَالَ:

{وَيْلَكَ وَمَنْ يَغْدِلْ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَغْدِلْ لَقَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَغْدِلْ} ٢

وجاء رجل آخر حدث مشكلة بينه وبين سيدنا الزبير بن العوام:

كانت أرضهما متجاورتان، ولكن أرض الزبير بعده ولكي يروي الزبير لا بد وأن تمر المياه عند هذا الرجل أولاً، فقال له الزبير: أنا سأقتطع قطعة أرض أحفر فيها قناة، فقال له الرجل: لا، فاختلفا، واحتكما عند رسول الله، وسيدنا الزبير كان ابن عمه النبي، فقال الرجل للنبي: أتحكم له لأنه ابن عمك؟! فالإيذاء عندما يأتي من حبيب يكون شديداً.

فعاتبهم الله ﷻ لأنه يُحب المؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى﴾

هل ستفعلون مثلما كان يفعل قوم موسى معه؟! التزموا بالآداب التي علمكم الله إياها في الكتاب، وقد علمنا الله الأدب الجم مع سيدنا رسول الله في آيات كتاب الله، وقد قمنا بعمل كتاب في هذه الآداب.

الوجهة عند الله

﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾:

كان وجيهاً عند الله، وما وجهته؟ كان لا يسأل الله شيئاً إلا ولّاه، ولا يدعو الله إلا أجاب نداه، ولا يخطر على باله شيء - وإن لم ينطق لسانه - إلا وحقق الله له مناه، فهذه هي الوجهة، فوجيه يعني مجاب ومحقق الرجاء من الله.

وفي قراءة أخرى لسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "وَكَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَجِيهًا".

والوجهة هنا غير المقام الآخر: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٤٥ آل عمران) وهذا لسيدنا عيسى، فهذا مقام، لكن المقام الأعلى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (١٦٩ الأحزاب).

لماذا ساق الله لنا هذه الآيات؟ لكي نعرف أن كل من يتعرض لدعوة الله، ويختاره الله لإمامة الخلق في طريق الله لا بد أن يكون له نصيباً في هذه الإيذات كأنباء الله ورسول الله، وخاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم.

الذي يريد أن يكون في مقامهم ويرث أحوالهم ولا يتعرض لمثل ما تعرضوا له، فهذا يطلب المحال، لأنها سنة الله: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣ فاطر) وها هو خيارهم الكريم الحبيب صلى الله عليه وسلم.

القول السديد

فماذا نفعل بعد هذا يا رب؟ وجه لنا رسالة، وهذه الرسالة ليتنا نعمل بها، حتى نُحْشِر في الرتب العليا مع أهلها، الذي يريد ورّد واحد يوصله إلى أعلى الدرجات عند حضرة الواحد، ما هذا الورد؟ ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾:

قبل أن تبحث عن تلاوة القرآن، أو ذكر الله، أو الاستغفار، أو الصلاة على حضرة

النبي، أو النصيح للناس، أو الخطب المنبرية، أو الدروس المسجدية .. أهم شيء لك قبل هذا كله:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }^٣

اتقَ الله أولاً، يعني خاف الله، واعلم أن الله يطلع عليك ويراك، نَزَّهَ اللهُ عَنْكَ أَنْ يَرَاكَ حيث نْهَاكَ، أو يفتقدك حيث أَمَرَكَ.

تعامل مع الله إن أردتَ أن تكون من عباد الله الأخيار الأطهار مع الحبيب وأصحابه الأبرار وآله الأطهار.

لا تنظر إلى الخلق، واجعل نظر قلبك موجةً إلى الحق، الكلمة التي ستقولها إلى أي إنسان، من أول من يسمعها من لسانك؟ حضرة الرحمن، والنية التي تصحبها في قلبك ولا ينطق بها لسانك من الذي يعلمها ويحاسبك عليها؟ ﴿وَلِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ (٢٨٤ البقرة) ... الناس يظنون أن الله يحاسبهم على ما قالوه فقط، لكن النوايا والطوايا من الذي يطلع عليها؟ علام الغيوب.

فإذا راقب الإنسان هذا الحال تخطى كل المنازل والأحوال وأصبح وجهاً لوجه في مواجهة الواحد المتعال عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الورد الأول، وهو:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }^٤

أمسكت لسانك، لا سبَّ، ولا شتم، ولا لعنَ، ولا غيبةً، ولا نَمِيمةً، ولا شيء من هذا القبيل، فأنت في سلام، وأي ذكر تذكره سيكون في صحيفة حسناتك على التمام.

لكن لو لم تُمسك لسانك فكأنك تعمل لغيرك، كيف؟

كل ما تعمله من الحسنات سيتحوَّل لمن تتكلم في حقه، والآخر تتحوَّل له حسناتك، فتكون قد عملت لغيرك على الدوام.

لكن أنت تريد أن تصل إلى مبتغاك، فأغلق لسانك عن السوء لكل عباد الله ظاهراً

٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد

٤ جامع الترمذي ومسنَد أحمد

وباطناً، تنل المني بفضل الله وبركة رسول الله ﷺ.

والقول السديد يعني القول الصائب، فالكلمة هي الكلمة، لكن كلمة إذا قُلتها ملكتك، وتعرضك للمحاكمة إن في الدنيا أو في الآخرة، وتعرضك للحياء وللغم والهم وللندم، فكيف تخرج منها؟!.... وكلمة إذا قُلتها رُفعت بها إلى أعلى الدرجات عند الله ﷻ، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }^٥
وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا ، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا }^٦

وسبعين خريفاً يعني سبعين سنة، ولذلك المؤمن يجاهد ويجاهد حتى يدخل في قول الحبيب ﷺ:

{ اخْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ }^٧

كل كلمة ينطقها بها يكون معه فيها توفيق الله، وهي ترجمة للآية القرآنية: ﴿ وَهَدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (٢٤ الحج) هداهم الله إلى هذا القول الطيب: ﴿ وَهَدُّوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢٤ الحج).

الذي يهديه الله يهديه للقول الطيب خلق الله، فكلمة تنطق بها قد تجعل العبد الذي يسمعها أمامك يدخل في دوامة من الأمراض لا ينتهي منها!!، وكلمة تقولها قد تكون لمريض يعاني من جم غفير من الأمراض تنتفض عنه الأمراض كلها ويقوم سليماً معافى، كل هذا من الكلمة.

٥ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٦ سنن ابن ماجه ومسلم أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٧ جامع البيان للطبري عن ثوبان ﷺ

فالكلمة هي الجهاد الأعظم لمن أراد أن يكرم، وهي الباب لمن ترك حظه وحبله لهواه ونفسه فيحرم والعياذ بالله ﷻ ... ولذلك عندما ذهب رجلٌ إلى سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه وأرضاه، فقال له: أريد ورداً، فقال له: ((الورد عندنا شيئان اثنان، إذا عملتهما نعطيك الأوراد بعدها: الورد عند المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى)) كأنك تعمل عملية جراحية، وتستأصل الهوى من داخلك، فتكون كما قال الحبيب:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }^٨

وتكون قد فُزت وفُزت، ولن تفعل ذلك إلا ومعك المحبة لله ﷻ، وبعد ذلك أي ذكر سيوصل، وكلها وسائل، وبعدها تتوالى عليك الرسائل من الله ﷻ تعينك على تحقيق هذه الوسائل لما تريد، ولما تبغيه من الحميد المجيد ﷻ.

قيمة الصمت

ولذلك علامة أهل الإيمان في هذا الزمان (الصمت) والذي لا يستطيع علاج مرض الكلام وشهوة الكلام عنده، فكيف يعالج شهوات النفوس الخفية؟ أول شيء تعالج منه داء الكلام، لأن الكلام شهوة، ففي أي شيء أتكلم يا رب؟ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ (النساء ١١٤) ما المسموح به؟ ﴿إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء ١١٤) ولخصها لنا رسول الله ﷺ في عبارة على قدرنا، لأن عبارات القرآن قد تكون غير واضحة لنا، فقال:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَقَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }^٩

احسب لنفسك وليس لغيرك، فالكلمة التي تقولها أنت تعلم ما في باطنك، والله يحاسبك على ما في باطنك، وليس على ما ينطقه فاك، كان الرسل يذهبون لرسول الله ولا يعرفون كيفية الكلام، فيدعون له ويخطئون في الكلام، فسيدنا رسول الله يرى سلامة نيتهم فيقول ما معناه: (اللهم تقبل منه بما في قلبه ولا تؤاخذ به بفلتات لسانه) ..

٨ معجم السقرو شرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٩ شعب الإيمان للبيهقي ومسنند الشهاب

لأن قلبه سليم، ويأتي أناس آخرون فصحاء في الخطابة ويدعون بأدعية فيها سجع، ولكنه لا يريد ذلك، فرسول الله يقول: (اللهم استجب بما نطق به لسانه ولا تؤاخذ به بما في فؤاده وقلبه) فأنت الحسيب على نفسك، حاسب نفسك:

حاسب ضميرك والحظن أسراري واعكف على باب الصفا يا ساري

انظر هذه الكلمة ماذا تقصد منها؟ وما نيتك منها؟

إن كانت لك ومنفعة لمن حولك، فأخرجها، وإن كانت ليست لك فلماذا تنطق بها؟ لا تخرجها حتى تكون قد استرحت من همها وغمها وحسابها، إن كان لمن قيلت له، أو عند الله ﷻ، وهذا الأساس الأول.

منح القول السديد

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ : من يصلح قوله فما النتيجة؟ انظروا إلى المنح الإلهية: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ : ويصلحها يعني يتقبلها بقبول حسن، فقبول الأعمال رهن بسداد القول وصدق القول ... وماذا أيضاً؟ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ستكون سبباً لمغفرة الذنوب، وكل هذا من القول السديد.

وماذا أيضاً؟ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : دخلت في طاعة الله ورسوله، وما دُمت دخلت في طاعة الله ورسوله، ستصل إلى المرحلة الأعظم الرابعة وهي الفوز العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ كل هذا ثمار ونتائج القول السديد.

ولذلك أول مجاهدة للعبد الرشيد في سداد القول، ألا يقول إلا ما يحببه الله ويرضاه، ويفرح به الخلق ويشكروه عليه إن عاجلاً أو آجلاً على قوله الذي هو كبلسم للشفاء لهم في هذه الحياة من كل الأدواء، فهذا الجهاد الأعظم ... بعد ذلك أذكر الله، وأقرأ كتاب الله، وأكثر من النوافل، وأنصدق وغير ذلك، كل هذا سهل بعد سداد القول.

أحياناً الواحد منا يحسن إلى إنسان وربما يكون أقرب الناس إليه كزوجته دهرًا طويلاً، فيقول كلمة واحدة تُعكّر كل ما فات!!، فيقول في نفسه: لا أعلم كيف قتلها؟! كيف لا تعرف؟! وهل أنت من العجزة؟! أنت من الأكياس الذين قال فيهم حضرة النبي:

{ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا
وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ } ١٠

عملت جميلاً في أي إنسان فلا تضعيه بكلمة، واجعل هذا الجميل في صحيفة أعمالك، لأن الكلمة ستُضَيِّعُه وستُشَيِّعُه، لكن الكلام الطيب فهذا الذي أمرنا به الله.

الأمانة التي حملها الإنسان

ثم لفت الله ﷻ نظرنا إلى المهمة العظيمة التي من أجلها اختارنا لخلافته في الأرض، فقال عز شأنه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

أين الأمانة التي عرضها الله على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال؟

الحقيقة المفسرون السابقون والمعاصرون لهم أقوال كثيرة في هذا الباب، وكلها نتيجة فكر، فمنهم من قال أن الأمانة هي التكاليف الشرعية التي كلّفنا بها الله، لكن بالله عليك هل الله كلّف السماوات والأرض والجبال بهذه التكاليف الشرعية؟!.

ومنهم من قال أن الأمانة هي الفرائض التي فرضها علينا الله، وهل فرض الله على هذه الأشياء الصلاة والصوم والزكاة والحج؟! لا ... ومنهم من قال أن الأمانة هي العقل لأنه هو الذي اختص به الله الإنسان، ولكن عندما ننظر في ميدان العلم نجد أن لكل كائن أيّاً كان نصيبٌ من العقل، وليس الإنسان وحده الذي له عقل!! أقوال كثيرة لا نريد أن نخوض فيها لكي لا نشغل البال بها، لكن ما الأمانة التي اختصنا بها الله وعجزت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها؟ الإمام أبو العزائم رحمه الله قال لنا:

(الأمانة هي ما فيك من أوصاف خالقك وباريك).

الأوصاف الإلهية التي اختصك بها الله ولم يختص بها أحداً سواك، وهي في الحقيقة أوصاف العلي القدير ﷻ، مثلاً: هو السميع فجعل لك سمعاً، وهو البصير فجعل لك بصراً، وهو الحيّ فجعل لك حياة، وهو العالم فجعل لك علماً، وهو المريد فجعل لك إرادة،

الْكُنْهِ انْزِلِ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَا اَيْتِ الْاَلْقَرَيْنِ اِسْمُ فُزِّي بِحُرْدُ نُوْزِيْرُ

وهو القدير فجعل لك قدرة ... كل هذه الأوصاف ليست ملكك، ولكنها لله ﷻ.

أما أنت فأصلك: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (١٢ المؤمنون) إما من تراب وإما من طين، وإما من ماء مهين: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠ المرسلات).

وقبل ذلك: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٩ مريم) وبعد ذلك التسلسل، من التراب، والتراب نزل عليه الماء فأصبح طيناً: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (١٢ المؤمنون) والطين خرج منه النبات: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (١٧ نوح) والرجل والزوجة تغدّيا بالنبات، فخلق الله من هذا النبات الماء المهين: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠ المرسلات).

كل هذه الأطوار لو نظرنا إليها كما أمر الله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٥ الطارق) لو نظرنا في أي طور من هذه الأطوار، هل التراب يسمع؟! وهل التراب يُبصر؟! وهل التراب يتحرك؟! وهل الطين كذلك يسمع أو يُبصر أو يتحرك؟! وهل الماء المهين يسمع أو يُبصر أو يتحرك؟! وأنت: أكنت سمياً أو بصيراً وعالمياً؟! فمن أين جاء السمع والبصر والفؤاد؟ تجلّى بهم الله في علاه ليجملك بأوصاف الله التي لم تقبل منها السماوات والأرض والجبال إلا أوصافاً محدودة ومعدودة، وأنت الذي جُمعت فيك أوصاف الألوهية، ولذلك استحققت الخلافة عن الحضرة الربانية: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠ البقرة) خليفة في أي شيء؟ خليفة عن الله في أوصاف الله ﷻ ...!!.. فكل ما فيك من أوصاف عليّة فهي أوصاف الحضرة الربانية، وهي الخصوصية التي جعل الله ﷻ لك بها الأفضلية، فلا تنسبها لنفسك، ولا تعصى بها ربك، بل اجعلها باباً تصل به إلى رتبة الأحباب، وتدخل في قول الله: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ (٥٠ ص).

هذه الأمانة الأرض أخذت منها اسم واحد وهو اسم الباسط، والجبال أخذت القوي المتين، والماء أخذ اسم الحي: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٣٠ الأنبياء) والسماء أخذت اسم الرافع: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ (٧ الرحمن) كل شيء أخذ اسم واحد على قدره، لكن الذي أخذ كل الأسماء والأوصاف الإلهية أنت:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ﴾ يعني عرضها عليهم ﴿ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

الكُفَّاءُ أَفْضَلُ مِنَ الصُّبُوحِ نَفْسِي أَيْضًا لِلْمُقَرَّبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

فَأَبَيْتُ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقَنْ مِنْهَا ﴿١٧٢ الأحراب﴾ إشفافاً وخوفاً من الله ﷻ، خوفاً أن لا يقوموا بحفظها وأداء حدودها التي جعلها الله ﷻ مرتبطة بها.

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: أنت الذي حملتها، ولم يقل (وحملناها الإنسان) فلو قال ذلك يُعينك عليها، ولكن أنت الذي حملت باختيارك.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾: إنه قبل حمل هذه الأمانة ظلوماً وجهولاً، ولكن بعد حمل الأمانة صار عليمًا بعلم الله، وصار عادلاً بشرع الله، وصار في الكون خليفة عن الله إذا طبق شرع الله ﷻ في كل أنفاسه وفي كل أحواله في هذه الحياة.

هذه الأمانة عندما حملها الإنسان باختياره تعهد الله ﷻ أن يُعينه عليها، فأعانه الله ﷻ عليها فضلاً من الله ونعمة، أعان عليها المؤمنين، ووكل المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات إلى أنفسهم!، فأنت إذا أعنت على حمل الأمانة وعلى خير الذكر والشكر والعبادة لله، فاعلم أنه بتوفيق الله ومعوته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥ الفاتحة).

وانظر إلى من حولك الذين وكلهم الله إلى أنفسهم وخزلمهم:

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ أوكلمهم إلى أنفسهم فلم يستمعوا إلى نداء الإيمان، ولم يستجيبوا لحضرة الرحمن، وكذلك: ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، وجعل عليهم من ناحية الإيمان والهداية غشاوة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨ البقرة) لا يرجعون إلى الحق.

﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وهذا هو الفضل، يتوب على من أخطأ منهم، ومن تحوّل قليلاً، ومن وقف مع شهوة نفسه، ومن مال مع حظه، لأن الله تعهد بإعانتة فيفتح له باب التوبة والأوبة ... وبشرهم وقال لهم: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ما دمت تسعى بجد لحمل الأمانة.

نسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يكمل علينا تمام المنة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٥﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ
أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ
الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَصَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ
فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ
عَنَّا الْحَزْنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾
الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَا
يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

﴿ فاطر ﴾

٢٢. مراثية الكتاب ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أثلج صدورنا بسماع كلامه، وفتح قلوبنا ليملاها بما أفاض به علينا من الفهم في كلامه، والشكر لله على عظيم إكرامه وإنعامه، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين في الدنيا، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين، سيدنا محمد وآله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

بداية ذي بدء أنا فرح بكم وبوجودي في هذا المسجد بينكم، فهو أول مسجد نزلت فيه في (مغاغة) منذ أربعين عاماً لتبليغ دعوة الله ﷻ، وكان درس بين المغرب والعشاء، والحضور أصرُّوا على استكمال الدرس بعد العشاء إلى وقت طويل، وكان فضل الله علينا وعليكم عظيماً والحمد لله.

لا يوجد أفضل في دروس المسلمين من مائدة رب العالمين، التي يقول فيها إمام الأنبياء والمرسلين:

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادُّةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَادُّتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ } ٢

فالقرآن وليمة الله ﷻ، ولكن من يأكل منها؟ الأرواح والقلوب التي ترتوي بفضل علام الغيوب، وليس غذاء الأجسام ولا غذاء النفوس، ولكنه غذاء الأرواح وطعام القلوب من الكريم الفتح ﷻ.

النجاسة الراحنة

والآيات التي معنا اليوم أثارت اهتمامي، فالمسلمين - والحمد لله - الآن معظمهم يبحث عن مشاريع لزيادة دخله، فيسأل التجار، ويسأل أصحاب المصانع، ويسأل المتخصصين: أريد أن أفتح مشروعاً بشرط أن لا يكون فيه خسارة، ولكن يكون فيه ربح فقط!!، وهل يوجد مشروع فيه ربح فقط وليس فيه خسارة في الدنيا كلها؟! لا.

١ المنيا - مغاغة - مسجد تاج الدين ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ١٩/٨/٢٠١٧ م

٢ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ؓ

وعندما سألنا الناس سهونا أن نسأل رب الناس!!

لكن رب العزة سبحانه قدّم الإجابة من قبل القبل، فقال: هل تريدون تجارة ليس فيها خسارة، وما هي يا رب؟ قال: التجارة الوحيدة التي ليس فيها خسارة هي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ وهذه أول تجارة، والثانية: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ والثالثة: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ هؤلاء الثلاثة: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

ليت المسلمون ينتبهوا كلهم لهذه الآية وما فيها من العناية، تجارة ليس فيها بوار، ولا كساد، ولا خسارة، وليس فيها مباحث، ولا تفتيش تموين، وليس فيها فض رخص، ولا سحب رخص، ولا ضرائب ... ليس فيها شيء أبداً إلا فضل الله، وإكرام الله، وإنعام الله، لمن يقوم بهذه التجارة ابتغاء وجه الله ﷻ.

فنحن كلنا يجب أن نعقد العزم، لا بد أن يكون لنا شيء في سوق الآخرة، فسوق الدنيا مملوء، لكن لا بد أن يكون لنا شيء في سوق الآخرة.

تلاوة كتاب الله

فلو لنا في الثلاثه، فها هنا من يكون صاحب هذا المقام، الذي يشترك في هذه التجارات الثلاثة، ولم يقل لكي لا يُشدد: الذين يحفظون كتاب الله، أو حتى الذين يعملون بكتاب الله، فستكون شديدة علينا، وماذا يريد منا؟ التلاوة فقط:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾

والتلاوة كما نعلم يكفي فيها حديث المصطفى ﷺ للذين ينافسون في العبادات النفلية زيادة في القرب من رب البرية:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }^٣

وما أحب النوافل إلى الله؟ نسأل حضرة النبي ﷺ؟ قال ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }^٤

٣ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

لا عبادة أفضل من ذلك أبداً، والصلاة؟ لأن الصلاة فيها تلاوة القرآن، ولذلك كان سيدنا الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه، عندما قال حبيبنا ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَكَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ }^٥

فسيدنا الإمام علي عليه السلام بين هذا الأمر وقال:

{ من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات }^٦

فالدراجات على حسب الأعمال التي يرتقي فيها الإنسان في أحوال تلاوته لكتاب الله تبارك وتعالى ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ :

ماذا نقرأ كل يوم لكي ندخل في هذه التجارة؟ وما قدر السهم الذي يكون لنا فيه نصيب من أرباح هذه التجارة؟ قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطَرِينَ }^٧

يعني من يقرأ كل يوم على الأقل عشر آيات لا يكتب غافلاً عن الله ﷻ، وعن كتاب الله، وعن طاعة الله جل في علاه في هذا اليوم ..

ومن قرأ في كل يوم مائة آية كُتب من القائمين، والقائمين يعني الطائعين العابدين، ومن قرأ في كل يوم ألف آية كُتب من المقنطرين أي أن حسناته تكون بالمقنطار.

٤ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير

٥ جامع الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن مسعود

٦ روح البيان وتفسير نور الأذهان لإسماعيل اليربوعي

٧ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها المقلدون الشيخ فوزي محمد فوزي إقامة الصلاة

ولذلك على الفور أتبع الله بعد التلاوة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ لماذا؟

لأنه جعل ركن من أركان الصلاة قراءة ما تيسر من آيات كتاب الله، فلا بد أن يكون لي سهم في هذه التجارة، لا بد أن أقرأ في كل ركعة الفاتحة، والفاتحة سبع آيات، وعندما نحسبها في الفرائض والنوافل قد تصل إلى مائة آية، ونضيف لها أيضاً في الركعات الجهرية التلاوة البعدية، وبذلك سنحصل على هذه السهم، ونكون قد دخلنا في التجارة مع الله في الصلاة وفي تلاوة كتاب الله... لكن قد لا نقرأ الفاتحة خلف الإمام، نحن لا نريد أن نختلف مع الأئمة الفقهاء رحمهم الله، فكل واحد منهم كان له رأيه بما فقهه من سنة رسول الله ﷺ، الإمام الشافعي رحمه الله فرح بالحديث الذي يقول:

{ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب }^٨

والحديث الآخر:

{ كل صلاة لا يقرأ بها بفاتحة الكتاب فهي خداج }^٩

وخداج يعني ناقصة، فقال: لا بد لكل إمام أو مأموم أن يقرأ الفاتحة، وفي الصلوات الجهرية كصلاة العشاء قال: الإمام ينتظر بعد قراءة الفاتحة قليلاً ليقرأها المأمومون، حتى يكون كلهم قد نالوا الأجر والثواب.

والإمام مالك قال: قراءة الإمام قراءة للمأمومين، وطالما قالوا: آمين فقد أصبحوا مثله في التلاوة، فكله تيسير في دين الله ﷻ.

لكن في الركعتين الثالثة والرابعة لا بد أن أقرأ الفاتحة، وهل تُغني فيهما قراءة الإمام؟ لا، أو إذا صليت السنة فلا بد وأن أقرأ الفاتحة في كل ركعة من ركعات النوافل والسُنن.

أصلي الظهر أو العصر وهذه صلوات سرية، فهل أسمع الإمام؟ لا، فيجب أن أقرأ فاتحة الكتاب حتى أدخل في هذا الفضل الكبير، وأكون من الذين يتاجرون مع الله ﷻ.

٨ مسند أبي حنيفة ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة رحمه الله

٩ معجم الطبراني ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

الكتاب المنال المطبوع نفسي يا أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي الإنفاق سرا وعلاية

التجارة الثالثة يكاد يكون كثير من الناس قد نسوها في هذا الزمان:

﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾

لم يجعل حداً للإنفاق، (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) لو أن رزقك محدود فأنفق منه على قدرك، لأن الله لم يجعل لفقر عُذر في ترك الإنفاق: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (آل عمران ١٣٤) هل لأحد عُذر بعد ذلك؟ ... لا.

فكل يوم أو يوم بعد يوم تشتري دواء من الصيدلية، أو تشتري علبة سجائر، فاجعل منها ثمن علبة دواء وأعطه لأحد الفقراء إلى الله، وضع هذا الأمر في بالك لتتاجر مع الله، ولن تدفع شيئاً، فما تنفقه سيُعطيه لك الله أضعافاً مضاعفة: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٣٩ سبأ).

فلا يجازي الله بنفس القدر، يعني تُخرج عشرة جنيهاً فيُعطيك عشرة جنيهاً، لا، ولكن العشرة جنيهاً يجعلها لك ألف جنيه، وإذا كانت بالحد الأدنى فتكون مائة جنيه، لأنه خير الرازقين، ولذلك قال لنا في الحديث القدسي:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ } ١٠

اجعل عندك جزءاً من السخاء، لأن الله يُحب السخاء والأسخياء، ولا يُوجد شيء يدفع الأمراض والبلاء كالصدقة، قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ السُّوءِ } ١١

كم باب؟ سبعين باباً، وقيل أن أدناهم المهم، فلو أُصيب أحدٌ بالهم سيقضي عليه، فلا يستطيع النوم ولا يأكل ولا يشرب، فإذا كانت ستدفع سبعين باباً من البلاء، فهل نترك الصدقة؟! ولذلك الجماعة الأولين الذين فازوا بإكرام رب العالمين قال فيهم الله: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الحشر) قد يقول قائل: كانوا أغنياء ومعهم أموال كثيرة، لكن

١٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ

الله قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر) كانوا فقراء وليس معهم شيء، والأمور بالكاد تسير بستر الله، ولكنهم دخلوا في هذا الباب ليتاجروا مع الله ﷻ.

الأرباح المضاعفة

فمن يتاجر في هذه التجارات الثلاثة ماذا له عند الله؟ ﴿يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (٢٩ فاطر) أرباحهم أضعافاً مضاعفة، فمن يُسَبِّح الله منهم، أو يحمّد الله، أو يُكَبِّر الله، فحضره النبي قال:

{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيّ النَّحْلِ، يُذَكَّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ } ١٢

إن التسبيحة تصعد حتى تصل إلى عرش الرحمن، فتطوف حول العرش، وتسبح الله إلى يوم القيامة، وهذا كله يُكتب في صحيفة من قالها لله ﷻ!!، هل يستطيع أحد أن يحسب هذه الحسبة!! إن ما تسبحون الله تعالى به من التهليلات والتحميدات والتكبيرات والتي نقولها في ختام الصلاة يُخرجن وهن دويٍّ - يعني صوت - كدويّ النحل حتى يصلن إلى العرش، فيطفن حوله يُذكرن بصاحبهن إلى يوم القيامة ... وكذلك من يقرأ القرآن يأتي يوم القيامة عندما يدخل الجنة يُقال له:

{ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا } ١٣

كلما قرأت كلما علت في المقام وفي الدرجات، ومنزلتك تكون عند آخر آية قرأتها في الدنيا، وتكون منزلتك في المقام الكريم عند الله ﷻ.

ولذلك كان كثير من الصالحين يحافظون على الورد القرآني، فلا بد أن يكون له مع الله كل يوم ورداً قرآنياً يقرأه الله، وأغلبهم كان يكرمه الله في ساعة خروج الروح يكون عند آية كريمة من آيات كتاب الله ﷻ.

١٢ مسند أحمد والحاكم عن النعمان بن بشير ﷺ

١٣ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

السيدة نفيسة ؓ حفرت قبرها في بيتها، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل، وتقرأ كتاب الله في قبرها الذي حفرته بنفسها - وهي مدفونة فيه الآن - فجاء ميعة موته في رمضان فمرضت، فقالوا: لها أفطري، فالطبيب يقول لا بد من ذلك، قالت: لقد تمنيتُ أن ألقى الله ﷻ وأنا صائمة، وأنتم تريدونني أن أفطر!! فأخذت تقرأ في وردها من القرآن إلى أن وصلت إلى سورة الأنعام وقرأت: ﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام ١٢٧) وخرج السر الإلهي!!، لرى أين تكون المنزل؟!.. سيدنا عمر بن عبد العزيز ؓ عند موته أخذ يقرأ القرآن، وبعد قليل كُشف القناع عن قلبه، ورأى منزلته في دار النعيم، لأن المؤمن في اللحظات الأخيرة يرى ما أعدّه له الله في جنة النعيم، فقرأ: ﴿ لِمَثَلٍ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴾ (٦١ الصافات) وخرجت روحه!!، والنماذج كثيرة في هذا الباب، فيقولون له:

{ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا }^{١٤}

فضل الصدقة

والذي يُنفق قال فيه حضرة النبي:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعُ فِي يَدِ الْمُصَدِّقِ عَلَيْهِ }^{١٥}

الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير)، يأخذها هو أولاً منك، فماذا يفعل بها؟ يُربّيها ويُنميها إلى يوم القيامة، قال ﷺ:

{ مَنْ تُصَدَّقَ يَعْدِلْ ثَمَرَهُ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا يَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }^{١٦}
وفي رواية: { حَتَّى تُكُونَ مِثْلَ أَحَدٍ، فَتَصَدَّقُوا }^{١٧}

١٤ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٥ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة ؓ

١٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

١٧ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ؓ

الكتب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين! الشيخ فوزي محمد فوزي

والفلو هو المهر الصغير ابن الحصان، فالعبد قد يتصدق بالشيء البسيط لا يلقي له بالاً فيجده يوم القيامة كجبل أحد، فيقال له: خذ هذه صدقتك، فيقول: يا رب ومن أين لي؟! ومتى تصدقتُ بها؟! فيقال له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا أخذناها وربيناها فصارت كما ترى؛ كجبل أحد، ولذلك حضرة النبي قال لنا:

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } ١٨

لا تستصغر شيئاً من الصدقات لأن الله ﷻ يأخذها وينميها ويؤريها، ويوم القيامة تجدها كجبل أحد، المهم أن تتصدق وأنت صحيح صحيح، وإياك أن تعمل كمن حذر منه حضرة النبي عندما يأتيه الموت يقول: ﴿ رَبِّ أَرْجِعُونِي ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون)

{ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْثَرُ أَجْراً؟ قَالَ: أَنْ تُصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تُخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُثْمِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْخُلُقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ } ١٩

يقال له: هلاً كنت تصدقت وأنت صحيح صحيح؟

الصدقة التي يريدونها منك، لكن عند الموت لم يعد لك شيء! بل إنك تجور على من حولك لأنها أصبحت لهم، فتركها لهم، لكن يجب أن تنقذ نفسك وهي لا تزال ملكك، ولا بد أن يكون لك نصيب من الصدقات، فباب الصدقات مفتوح دائماً وأبداً، لكي تكون من الذين أكرمهم الله بالتجارة معه.

توفية الأجور

هؤلاء ماذا لهم أيضاً عند ربهم؟ ﴿ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ ﴾ سيوفيتهم حسناتهم، ويوفيتهم أجر طاعتهم كاملة تامة، لأن الله ﷻ وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد.

١٨ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ؓ

١٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

فضل الله

وهل يعطيهم أجورهم فقط؟ لا، ولكن: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ وإذا تكلمت عن فضل الله فحدِّث ولا حرج، فما يُعطيهم ﷻ من فضله لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين التعبير عنه، أو الإتيان على ما فيه، لأن فضل الله عظيم وكبير كما وصفه في القرآن، ومن ذا الذي يصف الفضل الكبير، والفضل العظيم للكبير العظيم ﷻ؟!!

ومع ذلك وعدهم بوعد آخر كلنا نتمناه: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الذي يتاجر مع الله بهذه التجارات لو أخطأ وهفا ووقع في ذنب سيغفره له الغفار: ﴿إِنَّ أَحْسَنَ لِّذِهِنَّ الْآسِفَاتِ﴾ (١١٤ هود) ولو وقع في كربٍ سيُفرجه الله، ولو وقع في شدة سيزيلها عنه الله جل في علاه، لأنه تولاه بمغفرته، وسيشكره على هذا العطاء، وهذا الشكر كنز المزيد: ﴿لِّئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٧ إبراهيم) سيزيده ويوفقه أكثر للقيام بالطاعات، ولعمل السنن والنوافل والقربات، ويعرف له أكثر من كنوز الخيرات الإلهية إذا كان من أهل الصدقات، فضلاً من الله ﷻ، والله غفورٌ رحيم.

هذا الكلام المسلمون كلهم في احتياج أن يعرفوه، لكي لا يكون هنالك في تجارة الدنيا، ونترك التجارة مع الله ﷻ، والتي هي الأساس لنا في الدنيا والآخرة.

ولذلك قال الله لحضرة النبي: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ هذا الكلام هو الحق الذي لا يقبل النقص، ولا يقبل الشك، ولا يقبل التجربة: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١٢٢ النساء) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧ النساء).

لا يجوز للإنسان أن يقول: أجرب مع الله، لا!!، بل تُجرب في الدنيا، !! أو تُجرب في أسواق الدنيا، وفي تجارات الدنيا، لكن مع الله يكون حق اليقين ... لا تنفع التجربة مع الله ﷻ.

﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ لأن الله هو الذي يعلم سرنا وجهرنا، ويعلم ما كان، وما هو كائنٌ، وما هو يكون، ويُبصر خفايا الصدور، ويُبصر حنايا القلوب، ويُبصر كل شيء لنا أو فينا أو حولنا، فلا بد أن نكون مصدقين بكلام الله ولا نشك ولا نرتاب لحظة فيما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله.

الكتاب انزل المطبوع نفسنا ايضاً الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي مراثية الكتاب

وبعد ذلك بشر الله الأمة المحمدية ببشرى عظيمة، فلنا كلنا نصيب في هذه البشري والحمد لله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ نحن ورثنا هؤلاء القوم - لأننا اصطفييناهم على بقية الأمم - الكتاب الحق وهو القرآن الكريم، وهذا الكتاب مهيمن على كل الكتب السماوية الأخرى، فهذا الكتاب يحتوي على كل ما جاء به النبيين والمرسلين السابقين، والزيادة التي جاء بها أكرم الناس على الله، وهو سيدنا محمد ﷺ.

وهؤلاء القوم ذكر الله أنه سيورثهم الكتاب، يعني نور الكتاب، وعلوم الكتاب، وثواب الله العظيم الذي أعدّه لأهل هذا الكتاب، وفضل الله الكريم الذي جهّزه لمن يعمل بهذا الكتاب، جعله الله هؤلاء القوم وراثته.

والوراثه يعني فلان ورث فلان، يعني ظهرت له تركه بدون تعب ولا عناء ولا عمل، وأحلّ المال مال الوراثة، فالله سبحانه وتعالى تفضّل علينا جماعة المؤمنين فجعل لنا وراثته هذا الكتاب المبين.

مع أننا كما ذكر أن هؤلاء القوم ليسوا صنفاً واحداً، ولكنهم ثلاثة أصناف: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ ولكنهم كلهم ورثة للكتاب، وكلهم لهم نصيب من ميراث هذا الكتاب، فلا يجوز لمسلم مهما كان شأنه، ولا لعالم مهما كان قدره، أن يُخرج فرداً من الأمة من ميراث هذا الكتاب بعد أن أعطاه الله ﷻ - وهو منزل الكتاب - حقاً في ميراث هذا الكتاب.

وحتى أن الله بدأ بالظالم لنفسه، والظالم لنفسه هو الذي وقع في الذنوب، أو وقع في المعاصي، أو وقع في الآثام، لماذا؟ ليعطيه أملاً في طاعة الله، والتوبة إلى الله، والرجوع إلى الله ﷻ.

وأخّر الصنف الثالث وهم الجماعة السابقون بالخيرات، لماذا؟

حتى لا يغتروا، فيقولون: نحن أحسن من هؤلاء، فنحن نعبد الله، ونعمل لله، ونطيع الله، لا تغترّ لأنهم جاءوا قبلهم، جاءوا أولاً ليرغبهم في التوبة، ولكي لا ييأسوا من فضل الله

ﷺ، فيعرفوا أن فضل الله ﷻ واسع، وكان الله تعالى يقول لداود:

{ يَا دَاوُدُ أَنْيْنُ الْمَذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رَجُلٍ الْمُسَبِّحِينَ } ٢٠

لماذا؟ لأن المذنب عندما يرجع إلى الله قلبه ينكسر، والله يريد القلوب المنكسرة إلى الله ﷻ، غير العابد الذي يغتر، ومن يغتر جائر يحبط عمله، ولا يتقبله الله ﷻ منه:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي } ٢١

فالمقصد غير السابق بالخيرات غير الظالم لنفسه، والظالم لنفسه جائز أنه المشغل بالدنيا، والمقصد المشغل بالدنيا ومعها الآخرة، فأخذ من هذه ومن هذه، والسابق بالخيرات الذي انشغل بالله عما سواه، فهم درجات عند الله ﷻ.

أو تقول: الظالم لنفسه الذي له سيئات وليس له حسنات، والمقصد الذي له حسنات وله سيئات مثل بعضهما، والسابق بالخيرات الذي له حسنات وحفظه الله ﷻ من الوقوع في السيئات.

كل هذه معاني تتحملها الآيات، وفيها معاني لا نستطيع أن نوفيها لضيق الوقت حتى لا نطيل عليكم، والمهم أن الثلاثة كلهم ورثة في الكتاب.

سيدنا عمر ؓ صعد يوماً المنبر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ سَابِقْنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ " وَقَرَأَ عُمَرُ: " فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ " } ٢٢

وهذا كلام سيدنا عمر رضي الله عنه .. الذي ينقله عن رسول الله ﷺ، سابقنا سابق: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ١ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿الواقعة﴾

ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، لأنه وارث الكتاب، وما دام له نصيب في ميراث الكتاب فلا بد أن يحظى بمغفرة الرؤوف الرحيم ﷻ.

٢٠ كشف الخفا للعجلوني

٢١ ذكره الغزالي في البداية

٢٢ الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، والبعث والنشور للبيهقي عن عمر بن الخطاب ؓ

وكيف يكون وارثاً للكتاب ولا ينال المغفرة؟! ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هناك اصطفاء، فحتى إذا وقع في الذنب فلا بد أن يقدر الله له توبة وأوبة، وربما يدخل في قول الله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (٧٠ الفرقان) مكان كل سيئة حسنة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠ الفرقان) فهؤلاء كلهم ورثة الكتاب الذين أكرمهم الله والذين نحن منهم أجمعين.

وهذا كله لماذا؟ لنعرفنا ان هذا بعيد عن دائرة الجهاد والعمل: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فضل الله ﷻ، ... ولذلك قال ﷺ:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَمَلِّ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }^{٢٣}

جزء ورثة الكتاب

هؤلاء القوم ورثة الكتاب أين يذهبون؟ ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ ... وكلمة (عدن) يعني الإقامة، يعني يقيمون في جنات، وإن كانت تُسمى جنات عدن، لكن جنات الإقامة التي يقيمون فيها، وماذا يكون فيها؟ فيها كما قال حضرة النبي:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ }^{٢٤}

إياكم أن يسمع أحدٌ عن وصف من أوصاف نعيم الجنة في القرآن ويسبق إلى ذهنه شيء حسي، فيشبهه بنعيم حسي، فهذا تقريبٌ للحقيقة فقط، لكن نعيم الجنة كما ذكر النبي، لا العين رآته، ولا خطر على البال، ولا الأذن سمعته، ولا الأعضاء لمسته، فهذا نعيم لن نراه إلا يوم التكريم في جوار العزيز الرحيم ﷻ.

لم يأتي لنا بهذه الأوصاف؟ للتحبيب وللتغريب، لكن حقيقة نعيم الجنة لا أحد من الأولين ولا الآخرين يستطيع وصفه، ولا نعته أبداً، وكل ما في الأمر كما قال الله: ﴿هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ (٣٥ ق) كل ما يريدونه، وهذا ما يعرفوه، لكن الذي لا يعرفوه؟ قال:

٢٣ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

٢٤ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥ق) المزيد الذي عنده هل يستطيع أحد أن يعرفه؟! أو يتكهن به؟! أو يتنبأ به؟! حاشا لله ﷻ، فهذا نعيم الجنة.

فلما يقول: ﴿تُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ إياك أن تظن أن هذا الذهب كذهب الدنيا، أو الأساور كالتى نراها عند تجار الذهب عندنا، لا، فهذا شيء مختلف تماماً. ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾:

وإياك أن تظن أنه حرير كحرير الدنيا الذي نلبسه هنا، والذي حرّمه النبي على الرجال وأحلّه للنساء، فهو شيء مختلف تماماً، ولكنه تقريبٌ للفهم ...

لكن نعيم الجنان لا يستطيع أحد نعتة ولا وصفه إلا إذا أكرمنا الله ﷻ عند خروج الروح، فيظهر للمؤمن النقيّ بعض أنواع النعيم التي جهّزت له في الجنة ويراهها لكي يُحب لقاء الله ويقول: هيا عجلوا بي لهذه الأماكن وأخرجوني من الدنيا وما فيها، يُحب لقاء الله فيُحب الله ﷻ لقاءه.

إذهاب الحزن

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾:

الذي يتاجر مع الله بهذه التجارة، والذي يرث ويكون له نصيبٌ في إرث الكتاب، فأول أجر يُعجله له الله أن يُذهب عنه الحزن، وأي همٍ يحلُّ به يُزيله الله، وأي نكبة تنزل به يُزيلها الله بفضله ومنّه وكرمه.

- ويُذهب عنه الحزن من خوف سوء الخاتمة، ويُذهب عنه الحزن لحظة قبض الروح، ويُذهب عنه الحزن عند دخوله إلى عالم البرزخ وسؤال الملكين، ويُذهب عنه الحزن يوم الفرع الأكبر فيدخل الجنة بغير حساب، أو يتلقّى كتابه باليمين، ويكون من الذين يستظلون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ويُذهب الله حزنه في هذا اليوم من خوف دخول جهنّم لأنه أخذ الأمان من الرحمن: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١٨٢الأنعام).

- فيُذهب الله عنه كل أحزان الدنيا، وأحزان البرزخ، وأحزان الآخرة، وإذا دخل

الجنة يقول: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ كل حُزْنٍ يتعرض له المرء في مسيرته مع مولاه.

رحمة الرحيم

﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

غفور يغفر الذنب العظيم، ومهما أذنب الإنسان وقال: يارب، يقول له: لبيك عبادي تعالى أنا أريدك، يقول العبد: أنا تُبْتُ، فيقول الرب: وأنا قبلْتُ ... فلماذا نبعد عن الباب؟! ونبعد أنفسنا عن هذا الرحاب؟! فلا يوجد أحدٌ يعاملنا بهذه المعاملة أبداً، مهما أسأنا ومهما أجرمنا ومهما فعلنا، وبمجرد أن نقول له: يا رب أنا تبت، يقول: وأنا قبلْتُ، إنه فاتح يديه، وليس لله ﷻ أيدي كأيدينا، لكن فاتح لأيدي العناية لنا بالليل والنهار، فالله ﷻ يقول لنا:

{ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأُثَوِّبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَجِيبَهُ؟ } ٢٥

يدعوننا إلى المسجد خمس مرات: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (١٠ إبراهيم) يأمرنا بصيام شهر رمضان لماذا؟ لأنه يقول لنا:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ } ٢٦

لماذا يطالبنا بأن نذهب إلى الأماكن المقدسة؟

لنرجع كيوم ولدتنا أمهاتنا، أليست كل هذه توبة، ومن تُحِبُّ يا رب أكثر؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ (٢٢٢ البقرة) .. لذلك المؤمن دائماً يدخل في هذه التوبة، وإياك أن تترك التوبة لحظة من ليلٍ أو نهار، فكن دائماً التوبة إلى الله على الدوام، واستغفر الله على كل الأنفاس في مدى الأيام، لتدخل في محبة الله.

الشيء البسيط الذي نعمله يُعطينا عليه أضعافاً مضاعفة، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٦١) أضعافاً مضاعفة يُعطيها لنا على الأعمال القليلة والأعمال اليسيرة، ويُعطينا فيها أجور كثيرة ومغانم وفيرة لأنه رب العالمين، وأكرم الأكرمين ﷻ.

إكرام الله للمؤمنين في الجنة

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ اعترفوا، فدخلنا هذه الدار ليس بعملنا، ولا بحسناتنا، ولكن بفضلِهِ وإكرامِهِ وإنعامِهِ وعطفِهِ وحنانه وشفقته ﷻ علينا.
﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ليس فيها تعب ولا عناء، وليس فيها كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ } ٢٧

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يهرمون، بل يظل الإنسان فيها شباباً دائماً، ولا يسقمون، فلا يوجد هناك أمراض، ولا يوجد هناك دورات للمياه، ولا يوجد هناك تعبٍ وعناء، ولا يوجد هناك حتى عبادة تكليفية، فماذا تكون العبادة هناك؟ تلذذ وتفكُّه، في جوار حضرة الله ﷻ، وهناك سناكل فأين تخرج الفضلات؟ أكل الجنة ليس له فضلات كطعام الأرض ولكن تخرج رشحات رائحتها كرائحة المسك، وليس فيها همٌّ ولا غمٌّ ولا مشاكل ولا أي شيء من هذا أبداً، وهذا لأنهم تاجروا مع الله، فأورثهم الله ﷻ كتاب الله ... نسأل الله ﷻ أن يجعل لنا هذه العناية، وأن يجعلنا بما في هذه الآية، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ بإِذْنِ اللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فاطر)

٢٣. إشارات العارفين في وراثته الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

دائماً العارفين بالله، والوارثين للمعاني العلية في آيات كتاب الله يلهمهم الله عَظَائِكَ إشارات تكون لأهل الخصوصيات، غير الحديث العام الذي يكون لجميع الأنام.

مثلاً تكلمنا من قبل في الحديث العام عن: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ :

وقرَّبنا المعاني لأننا نريد أن ندخل المسلمين كلهم في دائرة التواب، فنريد أن نفتح الباب للمذنب، ونفتح الباب للعاصي ليدخل على حضرة الله، فنقول لهم: أنتم لكم نصيبٌ في الميراث، وأنتم الذين ذُكرتم أولاً وهما هو الباب مفتوح.

لكن عندما نتكلم مع الخواص نقول لهم: انتبهوا فالأمر غير ذلك، لأنها وراثته كتاب، ووراثته الكتاب لا بد للوارث أن يكون صورة مورثه، ابنك لماذا يرثك؟ لأنه كما قيل: (الولد صورة أبيه) فهو صورة منك، حتى لو حللنا دمك ودمه نجدهما فصيلة واحدة، مشتركين في الخصائص والصفات، فهذه وراثته نورانية؛ وراثته نبوية؛ وراثته اصطفاية.

الظالم لنفسه

وأولهم: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهذا لا بد أن يكون أكرمهم في المقام، وأعلامهم في الدرجة عند الملك العلام، فكيف يكون الأول ظالماً لنفسه؟! قالوا: ظالم لنفسه لأنه تجاوز الحدود في الجهاد الموصل إلى رضوان الله الذي أمره به كتاب الله، والذي وسَّطه لنا سيدنا رسول الله.

فجاء على نفسه وهضمها حقوقها الدنيوية في الأكل والشرب والملبس والنكاح والنوم، وزاد عليها في الحقوق التعبدية لرب البرية عَظَائِكَ.

الكتاب أنزل المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

وعندما نتفحص سير الكَمَل من الصالحين نجدهم كانوا على هذا المنوال، فمثلاً الصيام يبدأ من الفجر إلى غروب الشمس، لكن الإمام الجليل كان يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يوم مرة، ويفطر على قمر!!، فهل هذا أعطى نفسه حقها الديني أم هضمها وظلمها؟! ظلم نفسه.

وعندما يكون كثير من الأئمة يصلي الفجر بوضوء العشاء، وهذا معناه أنه لم ينم، لكن كيف يصلي الفجر وهو يجب أن يأخذ بالسنة؟! والسنة تُكره الذي يصلي وهو حابس للبول، أو الريح، أو وهو جائع أو عطشان، لأنه لا بد أن يكون الإنسان متفرغ لمناجاة الرحمن ﷻ، لكن هذا معناه أنه ظلم نفسه في الأكل!!.

نحن لو أكلنا، من منا يستطيع أن يتوضأ ويمكث متوضئاً إلى الفجر بدون قلق؟! أظنها صعبة، وخاصة أن البطون متعبة، لأننا غير ملتزمين بالمنهج والهدي النبوي: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (٣١ الأعراف) لا نفعلها حتى في رمضان!، ونقول: كلوا واشربوا وأسرفوا.

لكنهم كانوا يصلون الفجر بوضوء العشاء، فمنهم من كان يصليها أربعين سنة كالإمام أبو حنيفة، وغيره وغيره، كيف؟ هذا قد ظلم نفسه في حقوقها الشرعية الآدمية.

وعندما يأتي الشيخ أحمد البدوي رحمه الله وأرضاه: وكان يتعبد في غار حراء، وغار حراء بينه وبين مكة حوالي من خمسة إلى سبعة كيلو متر، وكان في كل فريضة لا بد أن ينزل للحرم ليصلي ويرجع، فهل يستطيع أحد منا أن يفعل ذلك حتى ولو معه سيارة؟! وكان يذهب ماشياً، وكان أحياناً تحدث له حالة جذب إلهية فيقف أمام الغار وينظر إلى السماء ويتفكر، فكان أحياناً يخصى عليه فيقف أربعين يوماً لا يجلس ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام، بالطبع لا يستطيع أحد أن يفعل ذلك، ولكنه كان مأخوذاً، فهل ظلم نفسه أم لا؟ ظلمها... فالظالم لنفسه هنا عند هؤلاء القوم له معنى آخر، هضم حقوقها الآدمية والتي هي الوسطية الحمادية، وجار عليها بعض الشيء في سبيل القرب من رب البرية ﷻ.

السيدة رابعة العدوية رحمه الله، كانت في أيام الصيف تتعبد في حُجرة مغلقة في الأسفل وليس لها فتحات ولا نوافذ، وفي أيام الشتاء تصعد وتتعب على السطح، ما هذا؟!.

ولو طالعت دواوين الصالحين تجد عجباً في هذا الباب، ولا عجب، لأن هذه الأمور لا يجوز فيها التقليد، فلا يستطيع أحد أن يقلدهم فيها، لأنه حال تفضل به عليه الله، وإذا حاولت أن تقلدهم بنفسك فلن تستطيع أن تقوم به، لكن هو مُعان، وإذا أقامك أعانك. فهؤلاء القوم كلهم ظلموا أنفسهم، لأنهم تجاوزوا الحد في طاعة الله، هؤلاء الأولياء، ولكن هل الصحابة كانوا كذلك؟ نعم، الرجل الذي جاء بماله كله ووضع بين يدي حضرة النبي ولم يترك في بيته ديناراً واحداً، فقال له ﷺ:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }^٢

وحضرة النبي أقره، ولكن غيره لم يرض أن يُقره، وغيره قال:

{ أوصي بمالي كله، قال: لا، قلت: فالنصف، قال: لا، فقلت: أيا الثلث، فقال: نعم والثلث كثير }^٣

لكن وافق لأبي بكر، وماذا ترك في بيته؟ لا شيء، وقبل ذلك ماذا كان يصنع بماله؟ كان أبوه يقول له: يا أبا بكر بدلاً من أن تشتري العبيد وتعتقهم اشترى عبيداً أقوياء تنتفع بهم ويدافعوا عنك، وأبوه لم يكن قد دخل في الإسلام بعد، وحزين أن ابنه مرة يشتري بلال، ومرة يشتري غيره من الضعفاء، ويأخذهم ويعتقهم لوجه الله، وهذه كانت تجارته!!

سيدنا عمر خليفة المسلمين حدثت المجاعة في عهده: فعمل موائد يُطعم منها الفقراء، وهذه الموائد عليها لحمٌ وثريد، والثريد مصنوع بزيد أو بمرقٍ حتى يكون سمين بعض الشيء، وهو لا يأكل منها، فماذا يأكل؟ يُسخن بعض الزيت ويضع فيه الخبز ويأكل، هل يستطيع أحدٌ منكم أن يفعل ذلك؟! إلى أن تغير وجهه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين كُل حتى مما يأكل منه الناس، قال: والله لا أطعم اللحم والشحم (السمن) حتى يشبع منه كل المسلمين!! أليس الذي يُطعم جماعة أفلا يأكل معهم ليشجعهم على الأكل؟! لكنه هنا أيضاً قد ظلم نفسه ... وكان لا ينام بالنهار، ولا ينام بالليل، فسأله: لم لا تنام يا أمير المؤمنين؟ فيقول:

(إن نمتُ نهاراً ضيعتُ رِعيتي، وإن نمتُ ليلاً ضيعتُ نفسي، فجعلتُ النهار

٢ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

٣ البخاري ومسلم عن أبي وقاص ﷺ

لرعتي، والليل لربي ﷻ) الليل في طاعة الله والنهار يتفقد الرعية ليعدل بينهم، فلا نوم، فهل هذا ظلم أم لا؟ ظلم، وغيره من أصحاب رسول الله ..

والكلام في هذا الباب لا ينتهي.

المقصد والسابق بالخيرات

﴿ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ : يعني قائم بأعمال الدنيا، ومسخرها للآخرة، فأصبح كل همه في الدنيا أن يسعى بها لإرضاء الله جل في علاه.

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ :

يعني بالطاعات، فاتح لنفسه أبواب الطاعات، ويريد أن يكون له في كل باب من أبواب الخير نصيب، فله نصيب من قيام الليل، وله نصيب من صلاة الضحى، وله نصيب من قراءة القرآن، وله نصيب من ذكر الله، وله نصيب من الصلاة على حضرة رسول الله ﷺ، وله نصيب من الصدقات، وله نصيب من إكرام الضيف، وله نصيب من الإحسان إلى الجار، وله نصيب من صلة الأرحام، وله نصيب من عيادة المرضى، وله نصيب من تشييع الجنازات ... فلا يترك عملاً من أعمال الخير إلا ويكون له منه نصيب، حتى الصلح بين المسلمين يكون له منه نصيب:

﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.

هذه إشارات، وكما قلنا أن هذه الإشارات خاصة بالصالحين، لكن لا تتعارض مع المعنى العام الذي نقوله للناس أجمعين، فهذه الإشارات نقولها للخاصة في مجالسهم الخاصة، ونقولها لأهل القرب في مجالس القرب، ولكن في المجالس العامة كما قال ﷺ:

{ أَمَرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ }

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

٤ رواه الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن عباس وهناك رواية أخرى: "أَمَرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَقُولُونَ مَا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا ۗ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ
الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ
لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٤٨-٥٤ يس)

٢٤. النشأة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب الهمام، صاحب القلب الكبير، والنور المبهر، والسراج المنير، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الآيات التي معنا اليوم يسبقها حوارٌ يحتاج أن نتلوه بتدبرٍ وخشوع، حوار بين المؤمنين وبين المنكرين المعترضين على رسول الله ﷺ، وعلى أصحاب الإيمان في كل زمان ومكان.

يعترضون على أمور كثيرة، ومن جملتها يقولون: لا يوجد شيء اسمه بعث ولا نشور ولا حياة أخرى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ (٢٩ الأنعام) لا يوجد غير هذه، فكيف يحيينا الله مرة ثانية بعد أن يدخل الناس القبور ويتحولون إلى تراب.

حتى أن واحد من الكفار، أتى بعظمة بالية وقال له: يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذه العظمة بعدما صارت رميماً؟! فنزلت هذه الآيات الكريمات: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨ يس) والله هو الذي أجاب وقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩ يس).

منى الساعة؟

فلما أراد المؤمنون إقناعهم، ظنوا أنهم سيضعونهم في موقف حرج، فسألوهم: متى هذا الميعاد الذي تدعونه؟ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ متى هذا الميعاد الذي سيُفني الله فيه الدنيا، ويهلك فيه كل من عليها، وتأتي بعد ذلك الآخرة والحياة الثانية والبعث والنشور؟ أجاب عليهم الله في هذه الآيات لكي نستعد كمؤمنين لأمر الله في أي وقت وحين: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (٧٧ النحل) وإياك أن تقول لا يزال على قيامها خمسين ألف سنة، أو خمسين سنة، أو خمسين ساعة، لا، فهي أقرب إليك من لمح البصر!!، حضرة النبي ﷺ يوضح كيفية قيام الساعة فيقول ﷺ:

{ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَتُؤْتِيهِمَا بَيْنَهُمَا لَا يَطْوِيَانِهِ وَلَا يَتَّبَاعَانِهِ }^٢

الرجل ينشر ثوبه ليعرضه على المشتري لبيعه فلا يستطيع أن يطويه، وتقوم الساعة، لأن الساعة تأتي بغتة يعني فجأة، فمن الذي يستعد لها؟ المؤمن والمسلم التقى الجاهل للقاء الله ﷻ.

وأنا أقول: أليس لكل واحد فينا ساعة؟ متى تكون هذه الساعة؟ ...
{ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } (٣٤ لقمان) في لحظة!!، سيدنا رسول الله ﷺ ذهب ليزور البقيع مدافن أهل المدينة فوجد جماعة يدفنون رجلاً، فقال:

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانُ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّقْ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى ثَرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }^٣
وقال في الحديث الآخر:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ ثَرَابِ حُفْرَتِهِ }^٤

حُفْرَتِهِ جاهزة، وفيها ترابه، وهي التي ستناديه، فكيف يذهب إليها يا رسول الله؟ نفرض أنني هنا، وأن العمر سينتهي في أمريكا، فقال ﷺ:

{ إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً }^٥

شخص جالس معنا، ومكتوب له أن يموت غداً في القاهرة، سيحدث أي شيء يدعوه للذهاب إلى القاهرة لأن أمر الله النافذ، تقريره أنه يحدث في هذا المكان وفي هذا الزمان ... فساعتي وساعتك لا نعرفها، ومتى تأتي؟! هل سترك لنا الله قبلها وقتاً لنكتب وصية، ونُعطي تعليمات، ونتوب إلى الله ﷻ من الذنوب والزللَات لنخرج تائبين إلى الله ﷻ؟! لا يوجد ذلك: { فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ } (١٣٤ الأعراف) والساعة هنا يعني لحظة، فلم يكن عند حضرة النبي ساعة كساعتنا هذه، والتي هي ستون دقيقة والتي

٢ صحيح ابن حبان ومسنند أحمد عن أبي أي هريرة ﷺ

٣ الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم، وتاريخ دمشق لابن عساکر عن أبي هريرة ﷺ

٥ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن مطر بن عکامس ﷺ

نستخدمها في زماننا هذا، ولذلك فهذه الساعة اسمها القيامة الصغرى، والتي هي موتنا، غير القيامة الكبرى التي تحدث مع الجميع:

﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ الملائكة الذين أكرمهم الله وعظمهم، جبريل اختصَّ بالنزول على الأنبياء والمرسلين وهو مكلف بالوحي، وميكائيل مُوكل بالإشراف على ملائكة الأرزاق، وعزرائيل مُكلف بالإشراف على ملائكة قبض الأرواح، وليس هو من يقبض الناس كلهم: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ (١١ السجدة) كل واحد له ملكٌ مُوكلٌ به، وليس كلهم مُوكلٌ بهم عزرائيل.

وهناك أناس ليس مكلف بهم عزرائيل ولا هذه الملائكة، فمن سيقبض أرواحهم؟ رب العزة ﷻ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ (٤٢ الزمر) والأنفس جمع قلة، أي الناس الأقلّة الأقطاب، وكُمّل الأولياء والصالحين والأنبياء والمرسلين، كان أحدهم يقول: (وتولّ قبض رُوحى يُميناك مع شدة الشوق إلى لقاءك يا رحمن) عزرائيل ليس له شأن، ولا الملائكة الذين يعملون تحت إمرته لهم شأن بذلك.

النفخ في الصور

وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور، وما الصور؟ هو العالم الرباني الذي بداخله السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما، كلهم في عالم واحد اسمه عالم الصور، ولذلك: ﴿ وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦٨ الزمر) كلهم لأنهم داخلين في عالم الصور.

هذا الرجل مستعد من زمان وجاهز للنفخة الأخيرة، نفخة الفزع ونفخة الصعق اللذان بهم فناء الدنيا، ولذلك سيدنا عمر دخل على حضرة النبي ﷺ وكان نائماً على حصيرة، والحصير علم في جنبه الشريف، فسيدنا عمر قال له:

﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَرَى وَقَيْصَرُ عَدُوًّا لِلَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَيْبُهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَرْضِ إِلَّا الْحَصِيرُ وَوَسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لَيْفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبَةٌ

فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أُولَئِكَ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {٦}

حتى لا يكون لهم شيءٌ يطالبون به الله بعد ذلك، ثم قال ﷺ:

{ كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ اتَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَنَبَتَهُ وَأَصْعَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ } ٧

ينتظر أن يؤمر بالنفخ فينفخ، فكيف أتنعم!! وهذا كلام رسول الله ﷺ!!.

وهم ثلاث نفحات بإجماع السادة العلماء الأجلاء الفقهاء، آيات سورة الزمر ذكرت نفختان فقط، لكن عندما نجمع معهما الآيات الأخرى من آيات القرآن نجد عددهم ثلاث نفحات.

النفخة الأولى اسمها نفخة الفزع: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النمل ٨٧) وهناك قراءة قرآنية أخرى تُعطي معنى لطيف فتقول: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ وليس الصور، ولكن صورنا الموجودة عند رب العزة ﷻ، لأن كل واحدٍ منا له صورة في كل عالم من العوالم العلوية، كما لك صورة في الأرض لك صورة روحانية في السماء الأولى، ومثلها في السماء الثانية، ومثلها إلى السماء السابعة، في كل عالم من العوالم العلوية لك هناك صورة تُشبهك وفي هيتتك، ولكنها صورة روحانية نورانية جعلها لك رب البرية ﷻ.

فساعة النفخة الأولى كل من في الأرض سيُصعق، والصعق يعني يُغمى عليه، فيحدث انتباه وتوقُّع، وتعرف الناس أن القيامة على وشك، ولكن لا يستطيعون عمل شيء، لماذا؟ حضرة النبي ذكر أنه قبل القيامة بمائة سنة لن يكون على وجه الأرض مؤمن، قال ﷺ:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ } ٨

وقال في الحديث الآخر:

٦ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة ؓ

٧ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ؓ

٨ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ؓ

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَ لُكْعِ ابْنِ لُكْعٍ }^٩

يعني كافر بن كافر، ولكن المؤمنين حفظهم الله سبحانه وتعالى من أن يحضروا هذا المشهد الأليم، ويتعرضوا لهذا العذاب العظيم.

قبل الساعة بمدة، يبعث الله رجلاً من تحت العرش، تقبض أرواح المؤمنين، ثم تنزل الملائكة تُغسلهم وتكفّنهم وتدفنهم، وتستعد الأرض للقيامة، والقيامة لا تكون إلا على الكافرين والعياذ بالله ﷻ.

فالنفخة الأولى نفخة الفزع، والمؤمنون ليس لهم شأن بالفزع، ولن يسمعوا: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ (٧٠يس) الكافرين ليس لهم أي حياة إيمانية في القلوب، لا يوجد إلا المعيشة الجسمانية التي في الأجسام.

ثم تأتي بعد ذلك نفخة الصعق: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (٦٨الزمر) من الذي يشاء له الله سبحانه وتعالى أن لا يمر بهذا الصعق؟ الشهداء لأنهم عند ربهم يرزقون، وأمير الشهداء والرسول والأنبياء سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك سيدنا رسول الله قال:

{ النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ }^{١٠}

فتقوم الساعة والناس مشغولون في الأسواق في البيع والشراء، وفي المزارع، وفي المصانع، وفي الشوارع، ليسوا مستعدين ولا متأهبين ولا جاهزين، فلا يجد فرصة ليكتب وصية، ولا يراجع نفسه:

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ :

حتى لا يستطيع إن كان في السوق أن يرجع لبيته، أو في مكان عمله أن يرجع لمنزله، لأن الساعة تقوم فجأة ويؤخذ، كما قال ﷺ:

٩ المطالب العالية لابن حجر عن عمير بن نيار ﷺ

١٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ } ١١

النشأة الأخرى

بعد أن تأتي نفخة الصعق وكل الناس يموتون، فلن يكون على الأرض شيء، والناس الذين ماتوا بعضهم في القبور، وبعد فترة يتحول إلى تراب، وبعضهم غرق في البحر وأكله السمك، وبعضهم تعرض لحريق والنار لم تترك فيه شيء إلا وأكلته ... هؤلاء الناس كيف يجمعهم الله مرة أخرى؟ هذه قدرة القادر ﷻ.

حضرة النبي ﷺ بين لنا أن كل إنسان منا ليس له شبيه ولا مثيل، لا في شكله، ولا في صوته، ولا في عقله، ولا في بصماته، ولا حتى في ذرات أعضائه الأساسية، وهذا ليس له علاقة باللحم والشحم، فهذا أحياناً يزيد وأحياناً يقل، ولكنني أتكلم عن الذرات الأصلية والتي هي أصل الإنسان، ومن جملة الذرات الأصلية جزء بسيط وصغير في نهاية العامود الفقري قال فيه حضرة النبي ﷺ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُ التُّرَابَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ } ١٢

عجب الذنب هو الجزء الأخير في العامود الفقري، والذي نسميه باللغة العامية (العصعص)، وهولا يفنى أبداً، فلو أكله الحوت لا يهضم، ولو النار حرقت الإنسان لا يحترق، لأنه محفوظٌ بحفظ الحفيظ ﷻ،

كل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب، ومنه يتجمّع الخلق يوم القيامة، شأنه كشأن المغناطيس الذي نجمع به المسامير والبرادة والحديد، فهذا المغناطيس الذي سيجمع كل ذرات الإنسان التي كانت فيه في هذه الأكوان.

بعض الناس كالهنود من يمت منهم يأتون به هو وزوجته، وهي ما زالت حية، ويوقدوا ناراً ويجرقوها الاثنين، وهذه دياتهم، وبعد أن تنتهي النار يأخذون ترابهما ويلقون به في نهر عندهم اسمه النهر المقدس حتى لا يتجمّع بعد ذلك، لكن الله ﷻ سيجمع هذه الأشياء!!،

١١ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن جابر ﷺ

١٢ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

كيف يتم هذا الأمر؟ الإمام عليّ ؑ كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم، قال فيه حضرة النبي:

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا } ١٢

ماذا قال ؑ وأرضاه؟ قال: المنى ثلاث: عندما ينام الرجل مع زوجته ويقدر الله من هذه النومة نطفة، ينزل ملكٌ يقسمها إلى ثلاث: ثلثٌ يذهب إلى الرحم، وثلثٌ يذهب للموضع الذي سيُدفن فيه ليناديه كما قلنا، وثلثٌ يصعد إلى صحائف المُرُن عند رب العزة في السماوات السبع، تعالى الله ﷻ عن الزمان والمكان.

إعادة الخلق

إذا إراد الله إعادة الخلق: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (١٠٤ الأنبياء) بنفس الكيفية قال: ((فَيُسَلِّطُ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْأَرْضِ رِيحاً شَدِيدَةً تُهْبُ عَلَيْهَا مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ)) هذه الرياح من شدتها ستصنع زلازل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١ الزلزلة) وستقوم بتحريك كل ما على الأرض، والجبال العالية ستنزل في البحار، والأماكن المتوسطة ستستوي، وفي أثناء هبوب هذه الرياح ذرات كل إنسان سيجمعها الرحمن على عجب ذنبه في المكان الذي دُفن فيه ... بعد أن تشتد صدمات الرياح، ويتجمع الناس في الأماكن التي دُفِنوا فيها، تسكن الرياح، وكم تأخذ هذه الفترة؟ ستمكث أربعين سنة كما أخبر سيدنا رسول الله ﷺ، لماذا؟ حتى يكون آخر إنسان مات له قبر وبرزخ وحساب كبقية السابقين.

وبعد أن تسكن الرياح، وقد تجهزت الذرات، قال ؑ:

{ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرَّجَالِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا يَنْبُثُ الْبَقْلُ } ١٤

ينزل المنى الذي تكون منه الإنسان في البداية مرة ثانية، كل ماء يذهب إلى صاحبه، ولا يحتاج لدليل ولا مُشير ولا إشارات ولا توجيهات، لأنه معه توجيه من خالق البرايا والبريات ﷻ.

١٣ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٤ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ؓ

وعندما ينزل عليه ماء الحياة يتكوّن الجسم، والجسم الذي سيتكون هو نفس الصورة، ونفس الهيئة، ولكن ليس بنفس الكيفية، لكن على حسب حالته وخاتمته عند رب البرية.

الأجسام في الآخرة

إذا كان من الداخلين الجنة فيكون جسمه كأجسام أهل الجنة، وإذا كان من الداخلين - والعياذ بالله جهنم - فيكون جسمه كأجسام الداخلين جهنم، والداخلين جهنم - والعياذ بالله - كيف تكون أجسامهم؟ حضرة النبي ذكر بعض صفاتهم لعرفهم:

{ غَلَطُ جُلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثِ ١٥ }

ما بين جلد الكافر وعظمه كمسيرة ثلاثة أيام، ليكون جلده تخين، لأن العذاب للجلد: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٥٦ النساء) فيكون الجلد قدّر سفر ثلاثة أيام مشي، وليس كسفر طائرة أو سفينة فضاء! ومقعده التي يجلس عليها قال عنها ﷺ:

{ مَقْعَدَةُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ١٦ }

انظروا إلى حجمه كم يكون، وضرسه كم يبلغ؟ قال:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أَحَدٍ ١٧ }

فهذه كيفية مختلفة تماماً كالتى نعرفها، ولكن صورته عندما نراها نعرفه ونعرف هيئته لأنه يُجَهَّزُ للنار ... وماذا ستكون كيفيتنا إن شاء الله؟ قال ﷺ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سِتُّونَ ذِرَاعًا ١٨ }

يكون طول الواحد ستون ذراعاً، وبعد ذلك، هذا الجسم قال فيه:

١٥ صحيح مسلم والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١٦ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري ﷺ

١٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٨ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْقُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ } ١٩

لا يوجد جهاز بولي، ولا يوجد غائط ولا فضلات لأهل الجنة، ولا يسقمون، فليس هناك أمراض، ولا يتمخضون، فلا يُصاب أحد بانفلونزا ولا شيء من هذا القبيل، وبالنسبة للنساء لا تأتيهن الدورة الشهرية فهي غير موجودة هناك، وسيكون هذا الجسم مكيف: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١٣ الإنسان) فلا يحتاج أن يلبس بالطو صوف ولا عباية صوف، ولا يحتاج إلى مروحة أو تكييف، لأنه سيكون مجهزاً تجهيزاً ربانياً لهذا النعيم الإلهي في هذا المقام الكريم، وهذا ما كشفه حضرة النبي، ولا نستطيع أن نكشف أكثر من ذلك، لأن العقول لا تتحمل فضل الله ﷻ على المؤمنين.

نفخة القيام

بعد أن تتجهَّز الأجسام فإن الله يُحيي اسرافيل لكي ينفخ النفخة الثالثة: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨ الزمر).

وكما ذكرها في الآيات التي معنا:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ والأجداث هي القبور: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون ذاهبين إلى وجه الحنان المنان ﷻ.

وهذه النفخة الثالثة، عندما ينفخ تخرج الأرواح من مستقرها، فتكون هيئتها كما قال الله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (٧ القمر) أسراب الجراد تأتي لنا من جهة السودان وجهة ليبيا ولكننا نمنعه من هناك، فسرب الجراد عندما يأتي يغطي السماء كلها، ولو نزل على بلد كمحافظة المنيا مثلاً في خلال نصف ساعة لا يُبقي فيها ورقة شجر!!.

فالأرواح ستخرج مرة واحدة، وكل روح تعرف سكنها الذي كانت تسكنه فتذهب إليه، وبمجرد أن تدخل فيه الروح تدب فيه الحياة، وهذا ما نسميه النشأة الثانية، والتي بها نسعد أو نُعَذِّب، نسأل الله ﷻ الحفظ والسلامة أجمعين.

عندما تأتي هذه النفخة سنفرح لكن الآخرين يقولون كما قال الله: ﴿قَالُوا يَبُولُوكُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ما الذي أيقظنا؟! فقد كنا نظن أنها حياة واحدة فقط: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (١٢٤ الجاثية) فتقول لهم الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

العرض والحساب

ستكون صيحة واحدة، كلهم يتجمعون بعدها: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ جاهزين، ويبدأ بعد ذلك العرض والحساب.

وفي هذه اللحظات: ﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (٤٨ إبراهيم) وتظهر أرض الموقف العظيم التي عليها الحساب، وهي أرض من فضة، فمن الناس من يقف على الأرض، ومنهم من يقف تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم من يكون لهم منبر من نور قدام عرش الرحمن، ومنهم من يكون معه تصريح يشتغل به في مكتب الشفاعة للنبي العدنان، ويكون له شفاعة يشفع فيها في أهله ومن يحب من بني الإنسان، وكل واحد على حسب مقامه، وعلى حسب عمله، وعلى حسب ما جهّزه له مولاه نظير عمله الذي عمله من صالح أو طالح في هذه الحياة.

لكن المهم: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ولذلك العاقل الكيس الفطن الذي يتخلص في الدنيا من حقوق العباد، يخرج من هنا وليس وراءه أو تسبقه شكاوي إلى الله، لأن المظلوم عندما يشتكي إلى الله، يقول له الله:

{ وَعِزَّتِي لِأَنْصُرُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ } ٢٠

لا بد وأن يأخذ حق المظلوم من الظالم، لذلك في الدنيا قد أستطيع أن أذهب إليه ومعني رجلين طيبين ويسامحين، لكن هناك فلن يقبل، وكل واحد هناك يفتش في حسابه، يا ترى سأؤتي الميزان أم سأحتاج؟! هل سأؤتي دخول الجنة أم سأذهب إلى النار؟! فحتى الإنسان الذي هو أرحم الناس بالإنسان في حياته وهما الأب والأم فهناك أيضاً كل واحد ينشغل بنفسه.

وإن كانت الآية: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَدِّجَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس) فهذه ليست لنا نحن، فالله قال فيها: (المرء) يعني غير المسلم، وهذا الذي يقر، ولكن بالنسبة لنا: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧ الزخرف) لن نترك بعض أبداً إن شاء الله، ولذلك شعارنا وشعار الصالحين كلهم: ((الناجي يأخذ بيد أخيه)).

فمن الذي يقر؟ المرء، والمرء يعني غير المسلم، أي الكافر والمشرک والجاحد، فهذا اسمه (المرء في القرآن) لكن نحن اسمنا (المؤمن) ولم يقل: يوم يقر المؤمن: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٧٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (المدر) أنتم مُستثنين من هذا الأمر: ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (المدر) هؤلاء يأخذون بأيدي بعضهم ويدخلون معاً الجنة.

هل سيدخلون الجنة كل واحد بمفرده؟ لا، لكن كل مجرم يدخل النار بمفرده: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَاكُمْ فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (١٩٤ الأنعام) ولكن المؤمنين: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (٧٣ الزمر) وزُمرا يعني كل جماعة كانوا يعرفون بعضهم في الدنيا ويجلسون مع بعضهم، سيدخلون الجنة مع بعضهم.

قد يكون رجل كان يجلس معنا ويحضر معنا، ولكن نفسه ضحكت عليه وتركنا فترة، فيأتي الرجل منا ويؤمر به إلى الجنة، فيقول: يا رب أين أخي فلان؟ فيقال له: إنه لم يعمل مثل عملك، فيقول: يا رب إني كنتُ أعمل لي وله، فيأمره الله أن يأخذ بيد أخيه ويدخله معه الجنة^{٢١} ... ادخلا معاً الجنة ...!! لذلك نحن ننفع بعضنا!

لكن الذين لا ينفعون بعضهم من هم؟ الكافرون!

فلا نسمع غير الفقهاء الذين يقولون: أن كل واحد سيكون بمفرده، لا، فهذا للكافرين وللمشركين، لكن المؤمنون سنكون كلنا مع بعضنا، وربنا قال لنا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥ مريم) سنذهب وفداً معاً، وليس كل واحد بمفرده! كل وفد في أي زمن يكونون مع بعضهم، لذلك قال (وفد)، لأننا نعرف بعضنا، والذين من قبلنا يذهبوا مع بعضهم، وهكذا.

٢١ شارة إلى الآثار الواردة ومنها عن سعيد ابن جبير يقول: يدخل المؤمن الجنة فيقول ابن ابي أبن ولدى ابن زوجي فيقال لهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي وهم فيقال ادخلوهم الجنة، تفسير تنوير الأذهان وغيره.

الكتب المصنوعة نفسي أيها المظلمين الشيخ فوزي محمد فوزي

مظالم العباد

فهذا ما يحدث للمؤمنين، ولكن المؤمن العاقل الكيس الفطن الذي يخرج من الدنيا وليس عليه مظلمة لأي أحد من المؤمنين، لماذا؟ قال حضرة النبي ﷺ:

{ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ } ٢٢

لأنه ورد أنه إذا انتهى العبد من الحساب، وأمر به إلى الجنة، وفُتحت له أبواب الجنة، وأوشك على دخول الجنة، فينادي منادي الله ﷻ: (من كانت له مظلمة عند فلان فليخرج، ليقتص من المظالم، فيقوم بعض الناس وكل واحد واحد معه مظلمته التي جهّزتها له النيابة الإلهية، فمنهم من يقول: شتمني، ومنهم من يقول: سرقني، ومنهم من يقول: قتلني، ومنهم من يقول غشني. وكل واحد معه مظلمته، فيقول رب العزة: وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خصماءك).

اجلس مع هؤلاء وتراضي معهم، أين هذا الموضع؟

هو بين الجنة والنار واسمه (الأعراف) نتعرف فيه على هذه المظالم

﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَنَّهُمْ ﴾ (٤٦ الأعراف) فيجلس نتصالح، ونعقد محاضر صلح، لكن لن يصطالح معه أحد مجاناً، ولا لوجه الله، فكم تدفع؟ فيقول: وكيف أدفع؟! ليس هناك دولار ولا ريال ولا استرليني ولا يورو ولا جنييه، ليس هناك غير الحسنات والسيئات.

وكم أدفع؟ يقولون: نأخذ من الحسنات، فيأخذ هذا من حسناته لِيُسامحه، والثاني يأخذ من حسناته، والثالث يأخذ من حسنات ...!!! فإذا انتهى الرصيد ولا يزال هناك مطالبين، فيقول: أنا أعلنت الإفلاس، فيقولون له: احمل عنا من السيئات، وهذا ما يقول فيه الرسول ﷺ:

الْكُفْلُ الْفُلُ الْمَطْبُوعُ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الرَّسْمُ فُزِّي بِحُجْرَتِي

{ أَتَذَرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ وَلَا مَتَاعٌ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ أَمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عَرَضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ { ٢٣

ما الذي يُضَيِّعُهُ؟ حقوق العباد ومظالم العباد!!

والله ﷻ آلى على نفسه أن يقتصَّ للمظلوم من الظالم، فلا يعفو ولا يصفح، لأن صاحب الحق هو الذي يعفو ويصفح.

من الرجل العاقل في الدنيا الذي يخرج وليس عليه مطالبين؟! ولا عليه حقوق للناس أجمعين؟! لأن الله سبحانه وتعالى غفور ورحيم وتواب وكريم، ولكن هذا فيما بيننا وبينه، ولذلك يأتي يوم القيامة فينادي مناد الله كما ورد في الأثر: (يا عبادي قد استمعت إليكم طويلاً فاستمعوا إلي اليوم: أما ما كان بيني وبينكم فقد وهبته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

قد تكون أنت من العباد والزهاد ولك أعمالاً أمثال الجبال، وآخر مسكين ظلمته ظملاً يوقفك ويمنعك من دخول الجنة، لأن الله ﷻ قال:

{ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا { ٢٤

أوصانا بذلك ..

إياك ثم إياك أن تظلم أحداً من خلق الله، حتى ولو كانت زوجتك، ولو كان أحداً من أولادك، فهل يُمكن لأحد أن يظلم أحداً من أولاده؟! نعم، مثلاً يقول: أنا سأوزع تركتي وأنا حيٌّ، وهذا الولد لا يُطيعني ولا يسمع كلامي فليس له نصيبٌ في التركة ... أنت لا شأن لك بالتركة، فأنت مجرد حارس للتركة، وعندما تسافر إلى الله سيتم توزيعها على حسب

٢٣ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي ذر ﷺ

اللوائح الإلهية الثابتة في الآيات القرآنية، قال ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثُهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ } ٢٥

يقول: إنه ولدٌ عاق، لكنه ابنك، وأنت أيضاً في الإسلام ابن لرسول الله، ونفرض أنك عاق وظالم، لكن سيدنا رسول الله سيشفع لمن؟ هؤلاء الظلمة، فقال:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَارِ مِنْ أُمَّتِي } ٢٦

وهم أولاده، فيجب على الإنسان أن لا يظلم أحداً، ويخرج من الدنيا وإن كان ليس له إلا الفرائض فقط، وليس عليه ظلمٌ لأحدٍ من خلق الله سيكون من الناجين، ويكون من الذين يدخلون الجنة، ويكون في جوار رسول الله ﷺ.

أثر العمل الصالح

{ وَلَا تَحْزَنْ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } :

لذلك نحن يجب أن نكثر من الأعمال الصالحة، ما الذي تأخذه من الدنيا عندما نسافر؟ لو جمعت مال الدنيا كله سيقول لك عند موتك: مع السلامة يا فلان، أنا أصبحت لفلان ولفلان، ولم يعد لك شيء، والعيال سيوصلوك إلى باب القبر، لكن هل سيدخل معك أحدٌ منهم لبيت معك ولو ليلة؟! أبداً، إلى هنا وينتهي الأمر.

من الذي يظل معك إلى يوم القيامة؟ العمل الصالح، فعندما يدخل الإنسان القبر ويمشي الناس كما قال ﷺ:

{ وَإِذَا بَرَجْلٌ رَجُلٍ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِيرُ بِالَّذِي يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ وَجْهٌ يَحْيِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ } ٢٧

٢٥ سنن ابن ماجة عن أنس ﷺ

٢٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

٢٧ مسند أحمد والحاكم عن البراء بن عازب ﷺ

من الذي يُؤنسك إلى يوم القيامة؟ ومن الذي يُنير لك القبر؟

العمل الصالح!

وأيضاً في القيامة الشمس يُلقى بها في جهنم، والأرض تتبدل، ويوم القيامة سيكون يوماً شديداً الظلمة: ﴿إِذَا أُخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرَهَا﴾ (٤٠ النور) وبماذا أرى؟

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠ النور) نور العمل الصالح، فهناك أناس عملهم الصالح يُضيء لهم على قدر ما يمشي تحت قدميه، والنبى يقول فيه:

{ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورُهُ إِلَّا مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ } ٢٨

أقل المؤمنين إيماناً من يُضيء له نوره تحت قدميه، ككشاف صغير ... وهناك أناس يقول فيهم:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعُمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا } ٢٩

كل واحد على حسب عمله الصالح، فنحن هنا في الدنيا ماذا نحتاج؟

الاستكثار من الأعمال الصالحة، والبضاعة الراجعة، وهي طاعة الله ﷻ، وخير الأعمال الصالحة والتي ليس للإنسان عُذرٌ في تركها، لأنها لا تحتاج إلى وضوء، ولا تحتاج إلى مسجد، ولا تحتاج إلى الاتجاه إلى القبلة، ويستطيع الإنسان أن يؤديها في أي زمان ومكان، ذكر الله ﷻ.

ما الذي يمنع الإنسان من ذكر مولاه في كل خطواته وحركاته وسكناته، ونومه وقعوده وهو في هذه الحياة؟! وهو في هذه الحياة؟!!

﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ

هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِ ۝

مُتَّكِونَ ۝ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ

سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ۝ (يس)

٢٥. شغل أصحاب الجنة

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾:

من هم أصحاب الجنة؟

نحن إن شاء الله، والله ﷻ لئبين فضله وكرمه علينا بين أننا لنلنا الجنة لا بعمل ولا بمال ولا بحال، وإنما ميراث: ﴿تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ (٤٣ الأعراف) ...

ولكي يكون هناك شيء من التكريم قال: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣ الأعراف) ..

لأنه هل يوجد أحدٌ منا يرث أباه نتيجة العمل الذي يعمله مع أبيه؟!

لا!!، فنحن أصحاب الجنة.

شغل أصحاب الجنة

﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾:

فإذا قلت اليوم الذي نحن فيه الآن، فيكون أصحاب الجنة الذين قدّر الله لهم ميراث الجنة، لا بد وأن يكونوا الآن في شغل شاغل يؤهلهم للجنة، في شغل بفكر، وفي شغل بذكر، وفي شغل بالصلاة على النبي العدنان، وفي شغل بالاستغفار، وفي شغل بمجالس العلم، وفي شغل بمجالس تلاوة القرآن، وفي شغل بمجالس الصلح، وفي شغل بعيادة مريض، وبتشجيع جنازة، وبر الوالدين، وبصلة الأرحام، المهم كل هذا لله، ولوجه الله لا يرجو من وراء هذا العمل إلا وجه مولاه:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَيشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف).

لا يريدون حتى الجنة، ولا يخافون من النار، وحتى بعد أن يدخلوا الجنة يأمر الله ﷻ الملائكة أن يعطوهم ما يريدون:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (٧١ الزخرف).

الكتب: فضل الصلوة نفسنا في الجنة الشيخ فوزي محمد فوزي ألوان نعيم الجنة

ولذلك أهل الجنة أنواع، منهم من يشتهي الأكل والشرب والنساء، فهذا يعطوه ما يريد، لأنها شهوته، ومنهم من يأتونهم بمثل هذه الأمور فيقولون لهم: لا نريدها، تركناها أحوج ما نكون إليها في الدنيا، لكن كما قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }^٢

لا يريدون إلا جمال وجه الله، إذا كان الأمر أكل وشرب لكننا أخذناها في الدنيا وانتهى الأمر!!.

فالذي يُريد جنة النعيم، وينعم ويتنعم فيها بما تشتهيه الأنفس عليه أن يشتغل بالطاعات لكي يحسبون له حسنات، ويخرجوا له من رصيده ما يغنيه بهذه المشتريات.

والذي يريد وجه الكريم، وهذا غاية أمنيته في جنة النعيم، فهذا بماذا يشتغل؟ هذا يشتغل بذكر الله، والإقبال الشديد على سيدنا رسول الله، ومعاونة الصالحين الذين أقامهم الله على تبليغ رسالة الله طلباً لمرضاة الله، لكي يحظى بوجه الله جل في علاه.

فعندنا شغل أهل الجنة في الدنيا - كما قلت - الفريق الذي يبغى النعيم، والفريق الذي يبغى وجه الكريم، لكن الإثنين في شغل في الدنيا لكي يفوزوا ويجوزوا.

ولو قلنا أن هذا اليوم في الجنة، فهل في الجنة شغل؟! ليس فيها عبادة تكليفية، فلا هناك تكليف بصلاة، ولا بصيام، ولا بحج، ولا بصدقة، فماذا تكون العبادة فيها؟ قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ وَيُلْهَمُونَ التَّسْنِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا ثُلْهَمُونَ النَّفْسَ }^٣

ويذكرون الله ﷻ تليذاً وتفكهاً، يتلذذون بعبادة الله ويتفكحون، ما فاكهتهم؟ ترطيب

٢ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

٣ مسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

الجوارح كلها بذكر الله، فنحن هنا لا يمكننا أن نذكر الله إلا باللسان، ومن يكرمه يُشغَل معه الجنان، وإذا زاد في الإكرام فيشتغل اللسان مع الجنان.

نعيم أهل العيان

لكن أهل الجنة؛ أهل العيان يذكرون الله بكل أعضائهم، كل الأعضاء تشتغل بذكر الله ﷻ، وإن من شيء في الإنسان في الجنان إلا ويُسَبِّح بحمده، شغلهم بالتسبيح بحمد الله. فهؤلاء يكون لهم في الجنان نعيم رباني، ومشاهدات، ومكاشفات ومنازلات إلهية، وإطلاالات ربانية يقول في بعضها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: " سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ " قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ }؛

إذا دخل أهل الجنة الجنة سطع نورٌ في أعلى الجنة فينظرون إليه فيتمتعون بوجه الله ﷻ، فما تَلَذُّذُوا بنعيمٍ أعلى ولا أعلى ولا أبهى من النظر إلى وجه الله ﷻ. ولذلك هؤلاء القوم يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسناتها بالزهد همتهما

لا يريدونها، الشيخ ابن الفارض ﷺ وهو خارج من الدنيا، وأهل الصفاء والنقاء لا بد أن يعرف مرتبته ومنزلته قبل أن يرحل من الدنيا: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ (٦ محمد) يعرفها، حتى لا يسأل هناك، أو يأتي بدليل ليدله، لكن لا بد أن يعرفها من هنا، فعندما رأى الشيخ ابن الفارض منزلته في الجنة قال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيَّعت أيامي

ماذا أفعل بهذا؟! وهل كان حيي ومناجاتي من أجل هذا؟! وماذا أصنع بهذا؟! إذا ماذا

تريد؟ قال:

أمنية ظفرت روعي بها زمناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام
أمنيتي كلها: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة) هذا ما أريد، لا أريد
نعيم الجنة، فهذا للعوام، لكن أهل خاصة الخاصة: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ
مُتَّكِئُونَ﴾ أول ما يوحى الفهم في أذهان السامعين عن الأرائك يعني أنها الكراسي الجميلة
التي تكون في قصور الجنة، وماذا أفعل بها؟! وماذا نريد؟ أريد أن أكون في مكان في الجنة،
هناك حي من أحياء الجنة اسمه حي عدن، لأن الجنة أحياء، وكل واحد يكون في الحي الذي
يليق به، فالذي يكون في حي رسول الله غير الذي يكون في الأحياء الأخرى، وهناك حي
آخر موجود في آخر الجنان فيه كلب أهل الكهف، وفيه ناقة سيدنا صالح، وفيه كبش سيدنا
إسماعيل، فيه هذه الكائنات العظيمة لكي يشاهدها الناس وتذكروا.

لكن هل هذا الحي ينفع معنا؟! لا، فماذا نصنع بهم؟! نحن نقول: الجار قبل الدار،
فإذا أدخلتني في هذا الحي فمن يكون جاري؟!.

فإن كان جاري الحبيب فيا هنائي على هذا النصيب، لكن تبعدني عن الحبيب فلو
كنت في أعلى الجنة فكأنني في لبيب.

الشيخ أبو اليزيد البسطامي رحمه الله يقول عن هؤلاء الذين لم يلحقوا بهذا النعيم:
(إن في الجنة لأقوام يستغيثون من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار) لماذا؟ لأنه في
الجنة ولكن لا يرى شيئاً، يأكل ويشرب ويتمتع ولكن لا شيء يراه، وهل يجوز ذلك؟!.

أنا جئت لأزورك في بيتك، والأولاد قابلوني وقدموا لي أفخم أنواع الطعام والشراب،
فأسألكم: أين فلان؟ يقولون: موجود ولكن لن يستطع مقابلتك، فهل يكون لي قابلية أن
أكل أو أشرب؟! أنا لم آتي للأكل والشراب، فهل تُزار البيوت لسكانها، أم لخيراتها
وحيطاتها؟! نحن نريد الجنة لأنها موضع تجلي الله، وموضع النظر إلى وجه الله، ومرافقة
حبيب الله ومصطفاه ﷺ، أريد قبل أن يقول: ادخلوا الجنة، نكون مع:
﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٦٩ النساء).

أريد أن أدخل في هذه، فلو قيل: ادخلوا الجنة، فجائز أدخل في مكان آخر، لكني

الكتب أنزل المطبوع نفسي أيتها المقربين اللهم فزني محمد ونزيري

أريد: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦٩ النساء) أو أريد أعلى من ذلك: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح) أريد أن أكون في هذا الحي العظيم لرسول الله ﷺ، هذا النعيم اسمه نعيم العيان لأهل الإيقان، الذين سيتمتعون به في الجنان، بجوار النبي العدنان ﷺ.

وفي الجنة كتيب - يعني كوم عالي - ولكنه من المسك، وليس هذا المسك كالمسك الذي نعرفه، فأي شيء في الجنة تسمع اسمه لا تأخذ الأمر على أنه كالذي في الدنيا، فهذا شيء، وهذا شيء آخر.

المقربون

هؤلاء هم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (١) ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة)

أين؟ ﴿ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ (١٢ الواقعة) منهم من سيتمتع بالنظر إلى وجه الله على الدوام، ومنهم من يتمتع بالنظر إلى وجه الله على قدر كل أسبوع مرة، ومنهم من يتمتع بالنظر إلى وجه الله على قدر كل شهر مرة، ومنهم على قدر كل سنة مرة، على حسب مقامه ومنزلته عند الله ﷻ.

وعندما يطلبه مولاه، يجد الطلب فوري فيقول له: (من الحي الذي لا يموت، إلى الحي الذي لا يموت، عبيد اشتقت لرؤياك فتعالى لتزورني) أين تكون هذه الزيارة؟ على الكتيب الأحمر في جنة عدن، كما أنبأ الحبيب المصطفى ﷺ.

ومن فضل الله علينا أن المؤمنين الصادقين سيرفع الله أزواجهم وأولادهم في الجنة، وإن كانوا دونهم في العمل، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَيَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " ٥ }

إن الله يرفع أهل الرجل الصالح إلى درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل إكراماً لصلاحه وتقواه، ولذلك عندما يدخلون الجنة وهؤلاء أناسٌ مخصوصون - يسمعون النداء .

٥ القضاء والقدر للبيهقي، ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فيقول الله: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ أَذْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ مُخْبِرُونَ ﴿الزخرف﴾ كل واحد يأخذ زوجته في يده ويدخل، والأولاد؟ سيتبعوكم: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ﴿٢١ الطور﴾ سيلحقون بكم، حتى لا تخافوا عليهم، وهذا إكراماً من الله ﷻ للمؤمن.

لأن الجنة ليس فيها حزن، فيكيف أكون في الجنة وأعرف أن زوجتي التي تعبت معي في الدنيا أنها في النار وأفرح؟! هل سأفرح أم أحزن؟! والجنة ليس فيها حُزن.

وكيف أكون في الجنة وابني الذي ربيته على يدي وكان تقياً ونقياً ليس معي في درجتي في الجنة؟! وأنا أريد أن أراه وأطمئن عليه على الدوام، لذلك سيلحقك إلى الجنة إكراماً من الله، وشفاعة من رسول الله ﷺ.

وهذه شفاعاة النبي التي ستكون في الجنة، لأن النبي له شفاعات كثيرة في القيامة، من ضمنها شفاعاة في الجنة؛ أن يجمع الأهل على أهلها، حتى لا يكون هناك حُزن أبداً، فيقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ ﴿٣٤ فاطر﴾ فلا يوجد حُزن هناك نهائياً.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ﴾ وفي قراءة أخرى ﴿فِي ظِلِّ﴾ وكل قراءة تُعطي معنى من المعاني العظيمة، ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ يعني في ظلال أشجار الجنة، وأشجار الجنة حضرة النبي يقول فيها:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا }^٦

تمشي في ظل هذه الشجرة مائة سنة، أو ﴿فِي ظِلِّ﴾ يعني خيام، وتكون على أنهار الجنة، لنُصَيِّفَ ونتمتع بأنهار الجنة، والتي يجري فيها الماء والعسل والخمر واللبن في وقت واحد، في النهر الواحد، ولا يختلط نوع بالآخر، وهذه قدرة القادر ﷻ.

﴿عَلَى الْأَرَابِكِ مُتَكِبُونَ﴾ كما قلت التي في جنة عدن على الكثيب الأحمر، الذي يتمتعون فيه بالنظر إلى وجه الله، وبالفضلات التي تنزل عليهم من المولى جل في علاه.

فاكهة الجنة

٦ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري

والفاكهة أيضاً المعنى الذي يسبق إلينا جميعاً كفاكهة الدنيا التي نأكلها، مع أنها موجودة في الجنة أيضاً للقوم الذين تحدثنا عنهم والذين يريدون النعيم: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا ﴾ (٢٥ البقرة).

كل شيء في الجنة يفهم وله بصيرة، يعرف ماذا تريد ولا ينتظر حتى تطلب، فأنت تشتهي أن تأكل تفاح، فتجد الشجرة أتت بالتفاح حتى إذا وصلت إليك أنزلته في حرك، ستأخذ التفاحة، فتنبت واحدة أخرى مكانها وبنفس شكلها ولونها، لكن الطعم يختلف عن الأولى والثانية والثالثة بالكلية، لماذا؟ لسعة إكرام الله وعظيم إنعام الله وفضل الله جل في علاه.

أحببت أن تزور أخاك فلان، فالسرير الذي تجلس عليه، وهذا سرير كسريير الملوك في الدنيا، فبمجرد أن يخطر ببالك أن تزور فلان فالسرير يتحرك من تلقاء نفسه ويأخذك إليه، وهذا نظام الجنة، فكل ما تتمناه تجده محققاً بأمر الله، لأن كل ما في الجنة على بصيرة بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فهذه فاكهة أهل جنة النعيم.

فما فاكهة أهل جنة التكريم؟ الفاكهة هنا معناها في اللغة الحياة الطيبة، والحياة الطيبة لدى هؤلاء لا تكون إلا بما أشرنا إليه من المواجهات الإلهية، والنظر إلى وجه الله، ومجالسة حبيب الله ومصطفاه، وغيرها من الأسرار التي لا تُباح في هذه الدار ..

وإنما كما قال فيها النبي المختار:

﴿ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴾^٧

لأنها حياة أخرى، حياة تجليات، وحياة تنزلات، وحياة ملاطفات، وحياة مؤانسات، لهؤلاء القوم.

﴿ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ لم يقل: ما يشاءون، ولكن (مَا يَدْعُونَ) وهي أعلى في المقام، ويدعون يعني أن كل ما يتعهد به يُعطيه له الله، يعني مثلاً واحد من هؤلاء في الدنيا وقال: يا فلان إن شاء الله لو عملت كذا أنا أضمن لك الجنة، فيدخله الله الجنة، لأنها دعوة، أو

٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد

يقول: يا فلان لو تنازلت عن هذه القضية أضمن لك قصراً في الجنة العلية، فيجيبه الله، فكل ما دعوت به في الدنيا مُجَاب بأمر الكريم الوهاب ﷻ.

كل دعوة ادَّعُوها في الدنيا - ولا يدَّعون إلا لوجه الله، وطلباً لرضاه- فلهم ذلك إن شاء الله.

حتى أهل الجنة

وأعلى من ذلك النعيم كله: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ سيسمعون كلام الحق ﷻ الذي لا تسمعه الأذان، ولا تعيه القلوب إلا بفضل من حضرة الرحمن ﷻ.

سيدنا موسى كان كليماً لله، ورد في بعض الآثار أنهم سألوه: كيف تسمع كلام الله يا موسى؟ قال: (كأنما أسمع عشرة آلاف لسان، وكل لسان يتكلم بعشرة آلاف صوت، وكل صوت يتكلم بعشرة آلاف لغة، وأسمعه كله في وقت واحد، وكلي مسامع) يعني لا يسمع بالأذن فقط، فقد أصبح فيه شفافية، فاليد تسمع، والرأس تسمع، والأنف يسمع، وكل جارحة من الجوارح تسمع بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذا المقام الكريم هو أعلى درجات النعيم التي نسمع: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب) يكررها الله لنعرف، اجعل عين الفؤاد دائماً على هذا الموضع الإلهي العظيم، ماذا تشتهي؟ النظر إلى وجه الله، وسماع السلام من السلام جل في علاه، إذا وصل الإنسان إلى هذا النعيم فهي أرقى درجات التكريم، وهي والحمد لله ربنا - وهو كريم - وعدنا بها أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يدخلنا هذه الجنة في الدنيا، ويجعلنا من أهلها في الدار الآخرة، وأن يُمتنعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، وسماع السلام من لدنه، ويرزقنا مرافقة الحبيب المختار، ويجعلنا حوله مُزَيَّنِينَ منه بالأنوار، ويتجلى علينا ليل نهار حتى نخطى بهذا الجوار .. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ٤٠ أُولَئِكَ هُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿ ٤١ ﴾ فَوَكَهٗ ۖ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿ ٤٢ ﴾ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿ ٤٣ ﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿ ٤٤ ﴾
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿ ٤٥ ﴾ بَيَضَاءَ
لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿ ٤٦ ﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنْزَفُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِطْرَفِ عِينٌ
﴿ ٤٨ ﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿ ٤٩ ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي
كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿ ٥١ ﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ

الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ
﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ
﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتْنَا آلَ أُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾
إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا
فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ (الصفات)

٢٦. المخلصون ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنعم علينا بهداه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأهلنا في الدنيا لدخول الجنة، وأكمل علينا المنة، فجعلنا ورثة جنة النعيم فضلاً من الله ومنه، والله عزيز حكيم والصلاة والسلام على مفتاح دار النعيم الذي أخبر عن ربه الكريم فقال:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمَرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^٢

صلِّ وسلم وبارك اللهم على هذا النبي، واجعلنا من أهل شفاعته، واحشرنا إلى الجنة في زمرته، واجعلنا من أهل جواره ومن خيار أحبته أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.
نريد أن نتعرف على بعض ما جهَّزه الله لنا في الجنة، لأنه لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين أن يصف الجنة إلا الله، أو حبيب الله ومصطفاه.

الأدب في الحديث عن الغيوب

الله ﷻ هو الذي خلق الجنة وهو الذي أبدعها وأنشأها، قال في كتابه لحبيبة ﷺ: ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ﴾ (٦٦) هو الذي تكفل بتعريفنا للجنة، لأن الجنة غيب: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿ (٢٦-٢٧ الجن).

لكن هل يوجد أحد منا يستطيع أن يخمن ما هذا الغيب؟! حتى لو صدق يكون كذب على الله ﷻ، فلا يجوز التخمين، ولكن الحديث عن الجنة إما أن يكون من كتاب الله أو من صحيح الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ.

أنا أقول هذا الكلام لأنه أنتشر في الأزمنة الماضية كتيبات صغيرة كانت تباع أمام مقام سيدنا الحسين والسيدة زينب وهذه المكتبات، ويكتبون فيها أشياء ينقلونها عن

١ المنيا العدد - ٢٩ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ ٢١/٨/٢٠١٧ م

٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ؓ

الروايات الإسرائيلية اليهودية التي منع عنها خير البرية ﷺ ..

ويأتي بعض العلماء يريدون أن يكلمون الناس عن الجنة، ويريدون أن يقولون شيء جديد، فيأتي بالكلام الذي نهي عنه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، منها كتاب له شهرة كبيرة في الآفاق اسمه (دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار) وهو ليس له شأن بالصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ !!.

الغيوب بالذات لا نتحدث عنها إلا بما ورد في كتاب الله، أو بما صحَّ من حديث رسول الله ﷺ، لكن الذي ورد عن اليهود أو ما نسميه بالروايات الإسرائيلية معظمها مكذوب، ونحن أمة الحبيب عندنا الصدق والصحيح في كلام حضرة الحبيب، وفي توضيح الحبيب ﷺ.

والذي نستطيع أن نستوعبه من المصدرين الأساسيين على بركة الله، وما لا نستطيع نقف عنده، لأن الرسول ﷺ ذات يوم أخذ يشرح الجنة وفي نهاية شرحه قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }^٢

فلا أحد يخرع، ولا يخمن، ولا يقول رواية عن الجنة ويقول أنا أعتقد أن الجنة ستكون هكذا، أو أتصور أن الجنة ستكون هكذا! ..

نحن لا نريد تصورك هذا، فتصورك هذا اجعله لنفسك، لأننا نريد الصحيح الوارد عن الله، أو الوارد عن رسول الله ﷺ.

وسيدنا رسول الله ﷺ استشهد بالآية الموجودة في سورة السجدة:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧ السجدة)

فماذا بعد ذلك؟!

لكن التوضيح يكون تلميح من الله ﷻ تشويقاً لنا وترغيباً لنا في النعيم الذي جهَّزه الله لنا في دار التكريم، نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها أجمعين.

النَّشِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ

فبعد أن تحدث الله عن الصنف الذي سيذهب إلى جهنم وأنواعهم وعذابهم، بدأ الكلام عن المخلصين: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾:

ولذلك نحن نستحسن أننا دائماً نشرح ونقرأ في الصلاة للمؤمنين الآيات التي تتكلم عن الجنة لكي تنشرح صدورهم، وتقبل نفوسهم على الله ﷻ.

أنا كنت أصلي المغرب في أحد المساجد ففوجئت أن الإمام قرأ في الركعتين آيات تتحدث كلها عن الكافرين!! ما شأننا بالكافرين!!

لماذا لا تبدأ بآية تقول (يا أيها الذين آمنوا) يوجد حوالي اثنين وثمانين آية تبدأ بقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) فأنظر في رسائلهم، أو اقرأ آيات عباد الرحمن، أو يوجد آيات كثيرة تبدأ (يا عبادي) والتي تخصهم وتهمهم.

فبعد أن شرح الله ﷻ ما يتعلق بالكافرين والمبغدين، وهي آيات لا تخصنا، لأننا لنا الجنة إن شاء الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (المؤمنون) فهؤلاء الذين يرثون الجنة إن شاء الله، ويكون خلود، وينادي المناد بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، وبعد أن يدخل أهل النار النار:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ }٤

العقد الذي تعاقدا به مع رب العزة على الجنة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْكَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة) أليس هذا عقداً؟ ولا يوجد مكان آخر لنا، فعقدنا الجنة.

فالله ﷻ وضح لنا: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: وهناك قراءة: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ فتقرأ المخلصين أو المخلصين، وهذان مقامان ودرجتان، وهذا من عظمة القرآن وإعجاز القرآن وعظمة كلام الرحمن ﷻ، يخاطب المقامين الاثنين في خطاب واحد، ويبين لنا المحك الذي ينبغي أن يحرس عليه كل مؤمن لكي يتحقق رجاءه وينال مناه.

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّاتُ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَى اللَّهِ الشَّيْخُ فُزَيْيْهِ مُحَمَّدُ نُزَيْرِي

الإخلاص

أنت تطمع في أشياء كثيرة عند الله، وفي الآخرة، وفي الجنة، فما المفتاح الذي يسهل لك الحصول على كل ذلك؟ الإخلاص، والإخلاص أن يجعل الإنسان عمله لوجه الله، لا لدنيا، ولا لمنفعة، ولا لشهرة، ولا لرياسة، ولا لفخر ولا لأي أمر آخر لأننا نقصد بعملنا وجه الله تبارك وتعالى.

ولذلك يذكرنا الله في القرآن في مواضع كثيرة بهذا الأمر: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤١ غافر) قبل أن تعمل أي عمل تحرى فيه أولاً الإخلاص، أي تحترس من نفسك لكي لا تضحك عليك فتعمل هذا العمل لكي يحبك الناس، أو لتنال شهرة عندهم، أو لتعجب بنفسك، أو لمصلحة دنيوية، لكن اجعل عملك دائماً رغبة في إرضاء رب البرية ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٥ البينة) فالله لا يريد إلا الأعمال التي بها إخلاص.

فالذي يريد أن يتحقق له كل الآمال عند الله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠ الكهف) أي يجعل عبادته لله خالصة لله تبارك وتعالى.

والإخلاص أصعب المجاهدات للنفس، لأنه توحيد القصد لرب البرية، والإخلاص من كل الشهوات والنوازع الدنيوية، والشهوانية، والنفسانية، وهذا هو الجهاد الأعظم.

والذي وصل لرتبة الإخلاص فيها هناء، فهذا الذي يرضى عنه الله ويبلغه مناه، لذلك الإمام الغزالي رحمه الله وهو في سكرات الموت اجتمع حوله تلاميذه الصادقين فأرادوا منه توصية مودع، فقالوا له: أوصنا، فظل يقول: الإخلاص الإخلاص الإخلاص وظل يكررها حتى خرج النفس الأخير.

وإمامنا الإمام أبو العزائم رحمه الله قالوا له: نحن نريد أن نتخلص من الدنيا، ومن حظوظ النفس، ومن الهوى، وننال المني، فقال: إنما الخلاص بالإخلاص.

لأن الذي لم يصل إلي رتبة الإخلاص يكون كما ورد في بعض الأثر:

{ يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول رب العزة جلّ وعزّ: صليت يوم كذا وكذا، ليقال: صلى فلان أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمت يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص، تصدقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص فما يزال يمحو شيئاً بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، أغير الله كنت تعمل؟^٥

يأتي أناس يوم القيامة بأعمال أمثال الجبال لأنهم مهرة في العمل، من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة، فيضرب الله تعالى كل هذا العمل بوجه صاحبه:

لأنه لم يرد بذلك وجه الله والدار الآخرة، بل كان يفعله من أجل الناس، ليقال أن فلان هذا رجل صالح، أو فلان هذا رجل طيب، أو فلان هذا رجل محسن، أو فلان هذا رجل تقي وقد قيل، قال ﷺ:

{ أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ فَلَانًا جَرِيئًا، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ، لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَلَمْ أَفْهَمْ ثُجْبٌ كَمَا أَرَدْتُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ

الثَّانِيَّةُ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلَانِيَةِ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً ٨

لا يزال الشيطان بالبعد حتى يحدث بما عمل، فيحبط الله ﷻ عمله، لذلك إذا عملت عمل ضعه خلف ظهرك ولا تذكره: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١٠ فاطر) لا تجعله أمام عينك، بل ارفعه لله ولا تذكره: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٦٤ مريم) فلن يضيع: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠ الكهف) لم يقل (من عمل) لكن (من أحسن).

توقُّ الإخلاص في عملك، ولا تجعله أمام عينيك، حتى لا تضع الأعمال كلها، وتأتي يوم القيامة وتظن أن لك رصيد كبير من الأعمال ثم تجد أنك مفلس أو معك أشياء بسيطة ويسيره لا تفي ما كنت تبغيه وما كنت تتمناه من الله ﷻ.

ولذلك حذرنا الله ﷻ من هذه الأشياء، ما أكثر شيء يُبطل الصدقة؟
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (٢٦٤ البقرة):

والمُنُّ هو المعايرة، أن أقول لمن أعطيته يا فلان أنا أعطيتك كذا، أو أنا فعلت لك خدمة كذا ... فتنمحي من ديوان رب العباد، وتنقل إلى الطريق الآخر، لأنني قصدت بها هذا الإنسان، وأعايره وأمن عليه بها.

والأذى أن أخرجهم أمام الناس لكي يعرفون أنني أعطيت فلان، أو أناادي عليه أمام الناس وأعطيه نقوداً لكي يراني الناس ويعرفون أنني منفق!!.

فالإخلاص هو عماد الأعمال التي بها بلوغ الدرجات، وبه نيل الكرامات، وبه تحقيق الآمال عند المتعال ﷻ:

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ :

إذا أخلص الإنسان وصدق يرقيه الله إلى مقام المخلصين، وهم الذين استخلصهم الله ﷻ لنفسه، واجتباهم واصطفاهم وحباهم وأدناهم ورقاهم وجعلهم من خاصة عباده المقربين، وهؤلاء يأخذهم من المخلصين، فكلما يزيد الإخلاص كلما يقترب الإنسان من رتبة الخواص عند الله ﷻ.

الكفاية في المطبوع نفسية آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي أمزاق المخلصين

هؤلاء أهل الجنة، ماذا يكون لهم فيها؟

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾:

والرزق - كما ذكرنا قبل ذلك - رزق للأجسام، وهو النعيم الذي تحتاجه الأجسام إن كان لذة الطعوم، أو لذة النظر إلى الأصناف والأنواع، أو لذة المتعة، لأن الإنسان في الآخرة لا يحتاج إلى الطعام لكي يقيم به الجسم، نحن في الدنيا نحتاج الطعام لأنه قوت للجسم، فإذا ترك الإنسان الطعام يضعف ويهزل، وقد لا يستطيع أن يتحرك.

القوة من الله، ولكن الله جعلها في هذه الأسباب وهو الطعام الذي تأكله، ولذلك المؤمن دائماً حريص أن ينوع ويجعل أكله يكفي كل ما يحتاج إليه الجسم من أنواع الغذاء، وهكذا كان العارفون، فالإمام أبوالعزائم كانت سفرته يوجد بها كل ما يحتاجه الجسم من فيتامينات ومن أملاح ومن كربوهيدرات ومن بروتينات .. كل ما يحتاجه الجسم، لأن هذا هو الذي تقيم به أودك، كما قال ﷺ:

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيَمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }^٩

فيحتاج الذي يريده الجسم، لكن تهتم بصنف وترك الباقي سيأتي لك مرض، لأنه لا بد أن يوجد توازن، من الذي يصنع التوازن؟ أنت بعلمك وبفكرك وبفقهك وبحرصك على ما كلفك الله به، وأول من كلفك الله به هو بدنك:

{ إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا }^{١٠}

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }^{١١}

٩ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدم بن معدي ﷺ

١٠ سير السلف الصالحين للأصبهاني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١١ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ﷺ

وحق الجسم أن تُعطيه الجسم كل ما يحتاجه، ولا تزيد أو تقل:
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٣١ الأعراف).

أول كتاب في الوجود في العصور الإسلامية في علم الطب، وأوربا سارت عليه حوالي سبعة قرون إلى العصر الحديث اسمه كتاب (القانون) لابن سينا، هذا الكتاب كله شرح لهذه الآية: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٣١ الأعراف) فهذه الآية حوت طب الأجسام كله، والحبیب ذكرها في الحديث فقال:

{ كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرْفٍ } ١٢

فلا يكون فيها مباحة أو خيلاء أو فخر على الآخرين، ولكن الضرورات التي يحتاجها الإنسان.

فهؤلاء في الآخرة يكون للجسم للخلود، فلا يحتاج للنمو، ولا يحتاج للقوة، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه في الدنيا، فلماذا يوجد الأكل هناك؟ للتلذذ وللتفكه، ولكنه لا يحتاج لذاته مثل ما يحتاجه في الدنيا لأن الجسم أخذ صفة الخلود: ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٨ البينة).

﴿ أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ رزق للأجسام، ورزق للقلوب، ورزق للأرواح، وكل حقيقة من الحقائق لها رزقها الذي يتنزل من عند الله تبارك وتعالى.

ومعلوم أي محدد حدده الحي القيوم ﷻ على حسب مقامك ودرجتك ومنزلتك عند الله ﷻ.

ما طعام أكل الجنة الأساسي؟ ليس الفول ولا العدس ولا مشتقاته، ولا القمح، فماذا يكون؟ الفواكه ﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ الإمام أبو العزائم رحمه الله رأى بعض الأحاب المستجدين حريصين جدًا على أكل اللحم والفراخ، فقال: يا أبنائي الفاكهة طعام العارفين.

أغلب طعام العارفين الصادقين الفاكهة، لأنها خفيفة ولا تسبب انتفاخات ولا غازات، وفيها كل العناصر التي يحتاج إليها الإنسان بدون تعب في الهضم، ولا ازدحام في الطعام ولا غيره، ولذلك المريض عندما يبدأ في الطعام يأتونه بالفاكهة.

وبعد ذلك ضرب لهم مثل، فأتى بفاكهة ورمائها للكلاب، فتركوها، فقالوا هل الكلاب تأكل الفواكه؟ قالوا: لا، فقال: فماذا تأكل؟ قالوا: تأكل اللحم!! لكي يُعرِّفنا أن الفاكهة طعام العارفين.

فالذي يريد أن يتعبد لله، ويظل دائماً محافظاً على وضوءه، ولا يجوز أن يصلي الفرد منا وهو حازق أو حابس للريح أو حاقن، لكن لا بد أن يكون مرتاح، فمن أين تأتي الراحة؟ من الغذاء على الفاكهة، وستظل فيه الحيوية والنشاط، ولذلك غذاء أهل الجنة في الدنيا والآخرة الأساسي هو الفاكهة.

﴿ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾ :

التكريم هنا لأني أشتغل في الدنيا لكي أحصل على ثمن الفاكهة وأشتريها أو أزرعها، لكن في الجنة لن أزرع ولن أشتغل ولن أشتري، والفاكهة التي أريدها فإن شجرتها تأتي بجواري، والفاكهة التي خطرت على بالي تنزل لي بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الشجر الذي في الجنة يفهم فيعرف ما الذي بداخلي من غير أن أطلب، وهذا غاية التكريم، فأنت عندما تكون ضيفاً عند شخص، وتريد أن تشرب ماء، فتقول له: أريد بعض الماء فيذهب يأتيك بالماء، لكن هل هذا أفضل أم عندما يحس هو أنك تريد ماء فيأتي لك به بدون طلب منك؟! عندما يأتيك به بدون طلب يكون التكريم الأكثر.

فلا تحتاج إلى عمل، ولا تعب، ولا عناء، وكل ما في الأمر - كما قلنا - للتلذذ والتفكه بالفاكهة، وفاكهة الجنة ليس بها فضلات، فعندما يأكلها الإنسان لا يحتاج إلى إخراج ولا بول ولا غائط ولا شيء من ذلك أبداً، والنبی ﷺ أعطانا نموذجاً منها، عندما أُتي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَبَقٍ فِيهِ تَيْنٌ فَأَطْلَ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

{ كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُ أَنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ بِلا عَجْمٍ، لَقُلْتُ: هَذَا التَّيْنُ } ١٣

التين يشبه فاكهة الجنة لأنها فاكهة عجماء ولا نواة فيها، وتؤكل كلها على بعضها، عكس فاكهة المانجو مثلاً، فبداخلها بذرة كبيرة، لا تستطيع أكلها!!...

لذلك فأكفه الجنة فيها تكريم.

تكرير أهل الجنة

أين ذلك؟ ﴿ فِي جَنَّاتٍ أَلْنَعِيمِ ﴾ :

التي يتنعمون فيها بالنعيم الحسي، أو النعيم الجسماني، ومنهم من يجمع الله له الحسي والروحاني وهذا أكمل وأعظم عند الله ﷻ.

على ماذا يجلسون في الجنة؟

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ الشباب مغرم الآن بالهواتف الذكية الحديثة على أساس أنه يرى الذي يتحدث معه والذي يتحدث معه يراه!.

لكن هذا الكلام سيكون في الجنة بلا حواجز وبلا هواجس، فبمجرد أن يخطر في بالك أخوك في الله تجده أمامك وجهًا لوجه، وهو في مكانه وأنت في مكانك!، لكن الله يزيل الحواجز بينكما، لأن الجنة كلها شفافة بلورية، لكن لا يري الغير ما عندك إلا إذا أردت وإذا شئت، فليس معنى أنها بلورية أنك ستكشف وتنفضح!، لكن حتى يكونوا على سرر متقابلين، فيرون بعضهم على الدوام أولاً بأول، بلا حواجز ولا حصون ... ولا غيره.

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴾ :

الكأس الذي سيُطاف به على أهل الجنة:

هناك جماعة سيُسقيهم الملائكة المقربون، وهناك جماعة سيُسقيهم سيد الأولين والآخرين، وهناك جماعة: ﴿ وَسَقْنَهُمْ رَحْمَةً شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١ الإنسان)

وقبل أن ندخل الجنة يوجد على بابها عينين اثنتين: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ (٦٦ الرحمن) لا تُخرج الماء إلا إذا كنت واقفاً عندها، التكنولوجيا الربانية هكذا، تشرب من العين الأولى فيذهب كل الهم والغم والحزن الذي كان عندك في الحياة الدنيا أو في الموقف، فعندما يشرب الإنسان منها يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر)

الكُنْكَ أَنْزِلِ الصُّبُوحَ نَفْسِي أَيْهَا الْمَقْرَبِينَ السُّحْرُ فُزِّي بِحُجْرٍ نَزِيرٍ

ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾^(١٥) خَتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ (المطففين) هذه الكاسات هيئتها لم يحن الوقت لكشفها، لكن الله أعطانا مثل لكي نحاول أن نستدرك بعضاً من معانيها، لكن ما شكلها؟ هذا علم غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب ﷻ.

﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾::

فكلما تشرب مرة تجدها غير المرة الأولى وغير الثانية مع أنها كأساً واحدة، فتشعر بنشوة لا يعلم مداها إلا الله، وهذه هي الكاسات التي جهَّزها الله ﷻ لعباده المنعمين في الجنة.

ولكي لا يختلط الأمر، لأن العرب كانوا يعرفون أن كلمة (كأس) ما يشرب به الخمر، والذي يستعمل في شرب الماء كانوا يسمونه كوب أو قدح، وكانوا مدمنين للخمر، فكانوا يشربون الخمر من البلح، ومن العنب، فكان الخمر عندهم شيء أساسي، وسبحان من فطمهم عن ذلك في طرفة عين وأقل.

فالشراب الذي في هذه الكاسات: ﴿فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي لا تغتال العقول ولا تغييها مثل الخمرة.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾:

لا يحدث لهم بسببها ضعف أو هوان أو خروج عن الوعي، لا يوجد هذا الكلام في كاسات الله ﷻ في الجنة.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾^(١٦) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾:

عندهم النساء قاصرات الطرف، أي لا تنظر لغير زوجها حياءً من ربها، أدبها به الله تبارك وتعالى ... وهنا أوضح أمر هام يقع فيه كثير ممن ينتسب إلى العلم بغير دراية، فعندما يسمعون أن الرجال سيكون لهم حورٌ عِينٌ في الجنة، وأن هؤلاء الحور العين صفاتهم كذا وكذا، ويذكرون الأوصاف الحسية المذكورة، فتحزن النساء ويقولن: كيف سينظر لنا الأزواج وعندهم الحور العين الذين صفاتهم كذا وكذا، ومن ضمنهم من تحجل الشمس من وجهها، ومنهم من يكون نورها أضوء من نور الشمس، والتي كذا وكذا من الأوصاف الحسية،

لكن نقول لهم: الأمر ليس كذلك:

فالخور العين مهما كثر عددهن فهن خدم، لكن سيدة القصر الزوجة الصالحة، وهذه يكسوها الله ﷻ من نور جماله وبهاء بحيث لا يكون لها مثيل في عالم الخور أجمعين، وليس كما تراها الآن، سيكون غير ذلك تمامًا، وأنت أيضًا ستكون في عينها غير ذلك تمامًا لكي نعلم أن الخور العين مهما بلغوا من المنزلة فهن خدم: ﴿وَأَمَلَيْتُكَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣ الرعد) يدخلون عليهم ماذا يصنعون؟ يخدمونهم، فخدمنا في القصور الملائكة: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ (٢٤ الرعد) ... يقولون لنا: ما الذي تطلبونه؟ وما الذي تريدونه؟.

وأنت سيد القصور، والزوجة الصالحة الصابرة مع زوجها هي سيدة القصر، والخور العين الذين حولها يتحركون بطرف أصبعها، أو برمش عينها، لأنهن تحت أمرها، ولسن ينافسنها على الرجل، فهو له زوجة واحدة، والخور خدم وحشم، ولكنها الجنة، والخدم التي فيها على قدر عظيم من البهاء والجمال والكمال، لأنها كلها جمال في جمال في بهاء في كمال.

أحاديث أهل الجنة

بعد ذلك يذكر لنا الله ﷻ مشهد من مشاهد الأحاديث التي تحدث في الجنة:

فالجنة يكون فيها أحاديث ممتعة، وجلسات مثل التي نحن فيها الآن، وتكون متعة الجنة العظمى الجلسات مع الصالحين، والجلسات مع الصحابة المباركين، والجلسات مع النبيين والمرسلين، والجلسات مع سيد النبيين والمرسلين.

فمتعة الجنة كلها في هذه الجلسات، لأنها ستكون جلسات روحانية عالية: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (الغاشية) ... بالبيان الإلهي، والعلم اللدني الوهبي، فهذه العين إما رجلٌ صالح، أو واحد من الصحابة، أو واحد من الأنبياء، هذه هي الجلسات التي يكون فيها نعيم لا يعدله نعيم في جنة التكريم إن شاء الله.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

الاطلاع على أحوال أهل النار

وكذلك الأصحاب يكون لهم جلسات خاصة مع بعضهم، فنجلس نتذكر الذي كنا فيه في الدنيا، لكي نحمد الله ونشكر الله على عطاياه، فإله أعطانا محادثة بين اثنين:

﴿ فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ :

فقال له: إني كان لي صديق عزيز عليّ: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِيبٌ ﴾ أي صديق ملازم لا يتركني أبداً، لكنه كان عنيد لا يريد أن يؤمن بالله، وكان يقول لي: ﴿ يَقُولُ أَأَرَأَيْتَ لِمَنِ الْمَصَدِّقِينَ ﴾ أأنت تصدق؟!!

﴿ أَوَدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي هل تصدق أننا سنخرج بعد الموت ونحاسب على الديون التي كنا نفعلها والأعمال التي ارتكبتها في الدنيا؟! فصاحبه يقول له: أتريد أن ترى؟ فيقول نعم: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴾ .

كل إنسان في الجنة عنده عين يرى بها كل من في النار إذا أراد، لكي يعرف فضل الله عليه، فعندما يطالع في النار، ويرى الذين في العذاب، والذين هم في السجون الانفرادية بأنواعها، وكل سجن من سجون جهنم له عذاب مخصوص، فالذين في سقر، غير الذين في الحطمة، غير الذين في القارعة، غير الذين في لظى، فكل فرد من هؤلاء له عذاب مخصوص، والله ﷻ ذكرها في كتاب الله مثل: ﴿ إِنَّمَا لَظَىٰ ۖ ﴾ ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوٰى ﴾ (المعارج) تنزع كل أحشاء الإنسان وتشويهه، وهكذا.

﴿ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴾ :

أي في وسط الجحيم، فيتحدث معه، وفي الآية الأخرى بعد أن ينتهي الكلام يطلب منه أن يرسل له شربة ماء: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٠ الأعراف) لا أستطيع أن أفعل مثل ذلك فإنه ممنوع.

فيقول له عندما يراه: أنت كنت ستأخذني معك!!

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴾ :

أي والله، يعني قسمًا بالله أنت كنت ستأخذني معك لو سرت خلفك، لكني لم أسير

الكُفَى أَنْفَالِ الصُّبُوحِ نَفْسِي أَيْهَا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحْمَدِ نُوَيْرٍ

معك بسبب فضل الله وإكرام الله: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ أي لولا أنعم الله عليَّ بنعمة الهداية، ووفَّقني للعمل الصالح، وحفظني من قرناء السوء الذين هم أمثالك لكنك كنت معك: ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

ثم يقول له: ما رأيك الآن؟! ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هل لا يوجد حياة بعد الموت؟! هل لا يوجد عذاب؟! ما الذي أنت فيه الآن؟

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ.

هذا حوار أعطاه الله لنا من جملة حوارات ستحدث بين أهل الجنة وأهل الجحيم، ولذلك ورد فيما معناه: (إذا أراد الله ﷻ أن يزيد نعيم أهل الجنة يكشف لهم عن دركات النار، فيطلعوا على ما فيها ومن فيها، فيحمدون الله على ما أتاهم الله، ويزيدون شكرًا لله ﷻ على ما خصَّهم به الله تبارك وتعالى)

وبعد ذلك يقول: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ وهذه الآية تحدث مع أهل القرب، وأهل الود، عند خروجهم من الدنيا، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا يُغْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ } ١٤

ما من ميت يموت إلا أطلعه الله عند موته على درجته في الجنة، أو منزلته في جهنم.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ؓ في هذه اللحظة وكانوا يتحدثون معه، فسكت، ونظر ثم أطل النظر وقال: إني أرى حضرة ما هم بجن ولا إنس - هم ملائكة - ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ وخرجت روحه إلى الله ﷻ.

يري منزلته، وقصوره وحواره ومقامه في جنة النعيم، لكي يفرح بفضل الله، وعندما يفرح بفضل الله يفرح به مولاه تبارك وتعالى، ويخرج من الدنيا وهو مجمل بفضل الله وبرحمة الله ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا بهذا الجمال، وأن يجعلنا من أهل هذا الكمال، وأن يخلقنا بهذه الخصال، وأن يجعل لنا هذا الفضل العظيم في الدنيا ويوم المآل، وأن يوفقنا على الدوام

تعقيب الرفيق الصالح

دائمًا المؤمن عند سماع القرآن يكون له فيه عظة وعبرة وحكمة يأخذها مما استمع إليه من كلام الرحمن، ولذلك سنأخذ عظة واحدة من الآيات التي فسرناها الآن.

رأينا قرين السوء الذي إذا الإنسان تخلت عنه عناية الرحمن من الممكن أن يضيعه في الدنيا، ويجعله في الدركات في جهنم والعياذ بالله في الدار الآخرة.

فأهم شيء لا بد أن نحذر منه في التعامل به مع الخلق هو القرين، وهو الأخ الملازم لي، سواء كان في العمل، أو في البلد، أو في الشارع، أو المجلس الذي نجلس فيه دومًا، والملازم والمصاحب لي في الغدوات والروحوات.

هذا لا بد أن تنتقيه وتصطفيه وتختبره لكي تتأكد أنك إذا مشيت معه فإلى الطريق القويم وإلى المنهج المستقيم.

وكثير من الأحاب يقول لي: إن ابني ظروفه كذا وكذا ولا أدري ماذا أفعل معه، فأقول له، أنت الذي تركته، لكن انظر إلى أصدقائه، فكما تنتقي لنفسك انتق لابنك، وإياك أن تتركه، فهو لا يدري هذا من ذاك، ومن الجائز أن بعض قرناء السوء يضيعوه وأنت لا تدري، وتظن أنك غير مسئول، فكيف ذلك؟! لكن:.....
﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٦ التحريم) أنت مسئول أن تقي نفسك وأهلك من النار.

فأنا أريد الخليل والصديق الذي أبقى معه هنا وهناك، وهذا ما شرطه؟ نسأل الله؟
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧ الزخرف)....
نسأل حضرة النبي ﷺ: من ناصح يا رسول الله؟ قال:

{ لَا نَصَاحَةَ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ } ١٥

وقال:

{ لَا يَدْخُلُ بَيْتَكَ إِلَّا تَقِي } ١٦

لو تهاونت في هذه الأمور فستأتي الطامة الكبرى عليك أو على ابنك أو على ابنتك لأنك تركتهم على هواهم وبصاحبون الذين هم يريدونه، لكن لا بد أن يكون لي دور في هذا الأمر.

من صاحب يا رسول الله الذي أعرف أنه تقي؟ كيف أعرف تقواه وهي بينه وبين الله؟ فقد قالوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ؟ قَالَ: صَاحِبٌ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَانَكَ، وَإِذَا نَسِيْتَهُ ذَكَرَكَ } ١٧

هذا الذي تصاحبه، لكن الذي يجعلني في الغفلة، وأنسى الصلاة، وأنسى طاعة الله، وأنسى ما كلفني به الله فهذا يكون صديق السوء، وهذا أبتعد عنه بعد المشرقين فهو ظالم، هو لم يظلم أحداً لكنه يكفي أنه ظلم نفسه: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦٨ الأنعام) لا تجلس معه طالما أنك تأكدت أنه ظالم لنفسه.

جائز شخص يقول أنا أريد أن أجلس معه لأهديه ... فأقول له: أنا خائف أن يأخذك أنت معه!! لكن إذا كنت أنت واثقاً من نفسك، وأنت لك إشارة إلهية أن تذهب إليه، فهذا يكون بأمر الله، لكن ليس من نفسك: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ (٥٦ القصص) ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ (٩٧ الإسراء).

فأهم شيء نركز عليه أن الإنسان دائماً لنفسه، ولزوجته ولبناته ولأولاده يكون حارس أمين لا يصحب ولا يجعلهم يصحبوا إلا المتقين.

أنا مشغول في العمل ليل نهار وزوجتي تجلس مع هذه الجارة وهذه الجارة وأنا لا أعرفهم، ثم أفاجأ أن البيت تغير أربعاً وعشرين درجة، من أين؟

١٦ معجم الطبراني عن عائشة ؓ

١٧ الإخوان لابن أبي الدنيا

من قراء السوء، فهؤلاء قال الله فيهم في القرآن: ﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ (١١٢ الأنعام) فمن الأخطر؟ الإنسان، لأنه ذكرهم أولاً، لماذا؟ لأنه كما قيل (الزنّ على الودان يقلب الكيان) فيقلن لها مثلاً: زوجك يتركك ولا يسأل فيك، ولا يدخل البيت إلا ساعة النوم، فيجب عليك أن تفعلي كذا وكذا!!! والمصائب هذه أكثر بين السيدات العاملات، وخاصة إذا كانت في وظيفة روتينية ليس فيها عمل كثير، فيتكلمن مع بعضهن في أمور البيوت، ويغيرن بعضهن على أزواجهن!!.

فلا بد أن نأخذ بالناس من هذه الأمور جيداً، فابني أنا أكون أول صديق له من البداية، فكما قيل: (لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً) فتقول له هيا يا صاحبي نخضر هذا الفرح مثلاً، أو تقول له هيا يا صاحبي لنصلي مع بعض، أو تقول له: عند سماع الأذان قد أكون مشغولاً فعليك أن تُذكرني، فستجده عند الأذان يُذكرك ويقول لك هيا نصلي سوياً!.

ولا أقول له أنا ذاهب لأصلي والحق بي، فلن يلحق بي لو تركته، لأن إبليس سيجد له تصرفاً لإبعاده عن ذلك الطريق، والأعذار بابها مفتوح إلى ما لا نهاية لها.

لكن أقول له يا صاحبي ماذا فعلت اليوم في المدرسة مثلاً؟ أو ماذا فعلت اليوم في الدرس؟ وأطلب منه أن يصارحني، وأخذه باللطف واللين، وأصاحب زوجتي، وأجعلها تصاحب بناتي، لكي تدير الأسرار من وراء ستار، لأنه يوجد حياء بيني وبينهم، وهكذا، لأن:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } ١٨

لكن لا بد أن أبدأ بنفسي أولاً، فلو أنا طوال اليوم جالس في المقهى أشرب الشيشة وألعب الطاولة، فهل أنتظر أن أولادي يكون لهم أصدقاء صالحين؟! أو أسمع الأذان ونحن نجلس نلعب الطاولة، فنقول حتى ننتهي من هذا الدور، ثم نصلي، ويستمر في اللعب حتى تفوت صلاة الظهر مثلاً، ويستمروا حتى صلاة العصر!! هل ابني سيقلدي أم يقلد غيري؟! لذلك لا بد أن أكون أنا القدوة أمامه في اختيار الأصدقاء الصالحين.

الذي يدخل البيت منهم عندي يدخل عنده حياء، ولا ينظر في البيت إلى كل شيء، ولا يسأل بكم اشتريت هذا؟! ومتى اشتريته؟! فما شأنك بذلك؟! لكن يدخل كما قال الصالحون: (إذا دخلت بيتاً فادخل أعمى، وإذا خرجت منه فأخرج أصم) وأعمى يعني لا تنظر لأي شيء فيه، وإذا خرجت منه فأخرج أصم لم تسمع شيء... لا بد أن أكون أنا أمام أبي على هذه الكيفية، فعندما يري رجلاً محترماً ينظر إلي الأرض أكثر من نظره إلى ما حوله، ولا يجلس في مواجهة غرفة من غرف البيت، أو الباب لينظر للداخل والخارج، لكن يجلس في ركن من الغرفة ويجلس، ويستحي أن يمد يده إلى الطعام إلا بلطف وأدب وحياء، وهكذا، فأجد ابني يتابعني ويفعل نفس الكيفية.

بعد ذلك هل سيجد ولد سليط ويتكلم بما لا يليق ويصاحبه؟! لا، لأنه لم يرى هذا من أبيه، ولا من أصحاب أبيه، ولا من أمه، ولا من صاحبات أمه، فيسير على هذا المنهاج هذا عصب التربية الإسلامية التي بها نستريح أجمعين في الدنيا، ونكون بها مع بعضنا أجمعين يوم الدين إن شاء الله، وهو الرفيق الصالح، كما قيل: (خذ الرفيق قبل الطريق) أي رفيق؟ الرفيق الذي إذا نسيت ذكرك وإذا ذكرت أعانك.

هذا الذي نأخذه من العبرة، فلا يجب أن أكون أنا في الجنة وهو في مكان آخر، هل تصلح هذه الصداقة؟ لا، فالذي نجا نجا بفضل الله، وأنا لا أريد أن أعرض نفسي بما لا قبل لي به، فلا أصحاب إلا الأتقياء، ولا أجالس إلا الأنقياء، ولا يدخل بيتي إلا الصلحاء، لكي أكون سائراً على هدي سيدنا رسول الله ﷺ.

سيدنا الإمام عمر بن الخطاب ؓ أعطانا مؤشراً عظيماً في هذا الباب زيادة للأحباب، فقال ﷺ: (لا تصاحب إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ﷻ).

لكن الذي لا يخاف من الله هل يجوز لي أن أصاحبه؟! لا، لأني لو صاحبت إنساناً خمسين سنة وهو ليس بأمين، فلو وجد فرصة يستحل أي شيء مني فلن يتورع!!.

هذه عظة بسيطة نأخذها من الآيات، والآيات مليئة بالعظات والعبر، نسأل الله ﷻ أن يعلمنا بما ينفعنا أجمعين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي
مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ
بِرَجْلِكَ ۖ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا
وَذَكَرْنِي لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَاصْرُبْ بِهِ وَلَا تُحْنُتْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ
صَابِرًا ۚ نِعَمَ الْعَبْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ
عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى
الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ

مَخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا
لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرُ
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ
وَذَا الْكِفْلِ ط وَكُلٌّ مِّنَ
الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
لَحُسْنَ مَّغَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمْ
الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
بِفَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ
قَصِيرَاتُ الْإِبْرَةِ أَرْتَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا
مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ (٤١-٤٤ ص)

٢٧. نعيم المُنْتَقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا خير البيان، على قلب النبي العدنان، وأطلق لسانه صلوات ربي وتسليماته عليه بالبيان، وأيده بمدد من عنده، وعلم من علمه وقال له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣ النساء) اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الذي جمع الله له في ذاته أخلاق النبيين، وفي كتابه المبارك كل ما جاء في كتب الأنبياء والمرسلين، وضمَّ له كل عطاء أنزله إلى السابقين، وجعله في الدنيا باب الفتح المبين، وفي الآخرة سرُّ الشفاعة للخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

العبرة في قصص الأنبياء

لماذا ساق الله ﷻ إلينا قصص الأنبياء في القرآن؟ أو إن شئت قلت: لماذا أشار الله تبارك وتعالى إلى بعض قصص الأنبياء؟ لأنه لم يذكرها كلها باستيعاب، وإنما ذكر ما نحن في أمسِّ الحاجة إليه فقط.

أجاب الله ﷻ علينا أجمعين هذا السؤال فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١١ يوسف) قصص الأنبياء فيها العبرة، وفيها العظة البالغة، وفيها الحكم التي لا تُعد، والتي نحن أحوج ما نكون إليها في مسيرتنا الدنيوية.

نحن نحتاج كلنا أن نتعلم ونستفيد من تجارب الحكماء، فما بالك إذا كان الحكماء هم المرسلين والأنبياء، فهم أصحاب الحكمة العالية والأسرار الراقية الغالية، التي وهبها لهم الله ﷻ من باب الإيتاء ... وعندنا في هذه السورة التي معنا بعض من آياتها اليوم، سورة (ص) وقبل هذه الآيات التي أثلج الله صدورنا بسماعها، أفاض الله في ذكر قصة داود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ومن دواعي العجب، وإن تعجب فعجب، أن الله ذكر قصة داود وسليمان وهما من الملوك، لكن كانا من النبيين والمرسلين، فمعهما الملك والنبوة، والوسعة اللانهاية في المعاش والأحوال الدنيوية.... غير الخصوصية التي خصَّ الله بها سليمان؛ أن آتاه الله ما لم يُؤتِ أحداً قبله من النبيين ولا الملوك ولا غيرهم، من تسخير الجن والحيوانات والطيور، وسماع أصواتهم، وفقه لغتهم، وتسخير الرياح.

أمورٌ عندما نُفكر فيها نعلم أن التكنولوجيا الإلهية الراقية مع النبيين لم يبلغها من يدعوا الحضارة من المعاصرين مهما استكثروا من التقدم والرفاهية وغير ذلك.

لأنهم ليس معهم هذه الأمور، قد يكون معهم جهاز صنعوه الآن عندما يكونوا في مؤتمر يترجم الكلمة التي يقولها إنسان للحاضرين على حسب لغاتهم، لكن هذه الكلمة لا بد أن تكون قد دخلت الجهاز قبل الاجتماع، وهي تمشي معه فقط في وقتها.

لكن هل هناك جهاز يترجم لي أو لك ماذا تقول الحيوانات؟! ماذا تقول الطيور في تسبيحها؟! هل هناك جهاز يستطيع الآن أن يرى الجن ويُسخِّرهم كما يُريد ليفعلوا له كل ما يبغيه في هذه الحياة الدنيا؟! لا يوجد، فكل التكنولوجيا حتى البالغة الرُقي الآن لا تزال لم تبلغ التكنولوجيا الربانية التي أعطاها الله ﷻ للأنبياء والمرسلين.

ابتلاء الله لنبيه أيوب

وبعد أن ذكر الله ﷻ النعم الوارفة التي خصَّ بها سليمان وداود مباشرة، أتى لنا بقصة نبي الله أيوب في نفس السورة، لكي نرى ابتلاء الله ﷻ لأنبيائه ورسله، وامتحان الله ﷻ لأحبابه، ونتعلم الصبر من هؤلاء ..

فمع شدة ما فيه، ومكث ثمانية عشر سنة يتألم، وليس لنا شأن بما يخوض فيه أهل التفسير من الروايات الإسرائيلية التي لا تليق بالأنبياء، فدائماً عندك ميزان تزن به أحوال الأنبياء، فلا يسمح الله ﷻ بأن يحدث للأنبياء شيئاً يقدر في عصمة نبوتهم، مستحيل!! لا يكون هذا! فشرط النبي الأملية والذكاء، أو ما يسمونها بالفطنة، فلا يوجد ذكاء كذكاء الأنبياء والمرسلين، وعلى نسقهم الأولياء والصالحين، وراءهم على الدوام في الخط.

فصاحة موسى

فإذا كان هناك شيء ذكرته بعض الكتب، وتقده في ذكاء الأنبياء والمرسلين تعرف أنها موضوعة، فالنبي يُبلغ رسالة، لذلك شرطه أن يكون فصيح، فإذا كانت رواية تقده في فصاحته وتقول: أنه عيٌّ عن الكلام، أو ألغ لا يستطيع أن يتكلم، تعرف أنها رواية موضوعة، لأنه إذا كان هذا الرجل لا يعرف كيف يتكلم فيكف يبلغ الرسالة؟! لكن إذا كان الله قد اختاره لإبلاغ رسالته فلا بد أن يتمتع بالفصاحة في إبلاغ رسالة الله ﷻ.

وأظن أنني ذكرتُ مثل هذا الكلام من قبل، فبعض الروايات الإسرائيلية تقول أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، كان فرعون يُريد قتله عندما أخذوه من اليم، لأن أمه وضعته في صندوق وربطته بحبل، وكلما أرادت أن ترضعه تشد الصندوق بالحبل فترضعه ثم تردّه للصندوق مرة ثانية، لماذا؟ لأن أعوان الملك كانوا يبحثون في البيوت، وكل طفل يجدونه يقتلوه، فإذا دخلوا بيتها لا يجدوا شيئاً، وكان بيتها على النيل.

وجاء موجٌ شديد فقطع الحبل، وهذه إرادة الله، فمشى الصندوق ولم يستطيعوا الإمساك به، فمشت أخته على الشاطئ خلفه لتتظر أين يذهب، وعلى شاطئ قصر فرعون توقف الصندوق، فأخذه.

وكانت زوجة فرعون السيدة آسية لا تُنجب، فقالت: نريه ويكون ابناً لي، فقال فرعون: إنه من بني إسرائيل وإلا من الذي وضعه في البحر بهذا الوضع؟!

وكان فرعون قد رأى رؤيا بأن من سيقضي عليه غلامٌ يُولد لبني إسرائيل، ولذلك أصدر القرار بأن كل مولود ولد يُقتل، والبنت يتركوها.

فالرواية الإسرائيلية تقول: أن آسية قالت لفرعون: لماذا تقتله؟! إنه لا يعرف النمرة من الجمرة، وهذا موجود وللأسف في كثير من الكتب التفسيرية.

فأحضروا التمر وأحضروا الجمر، والجمر هو النار التي هدأت واستوت، فأمسك موسى بالجمرة ووضعها في فمه ليأكل، فلسعت لسانه فأصبح ألدغاً.

لكن هذا الكلام نعرضه على ميزان العقل: لو أمسك الجمرة بيده أفلا تلسعه في

الكلمة الفصل السابع نفسياً أيتها الملكة الشيخ فوزي محمد فوزي

يده؟! فهل يرفعها بعد ذلك لفمه؟! وإذا كان الله حفظ يده من لسعة الجمرة فجدير به أن يحفظ لسانه!!، لكن كيف لا تؤذي الجمرة يده وتؤذي لسانه!!؟

فهذا كلام يقدح في نبوة هذا الكليم، هو اسمه الكليم، والكليم لا بد أن يكون فصيح وبلغ، وكذلك أي نبي.

حتى أننا نضعها ميزان في أي زمان ومكان في ورثة الأنبياء والمرسلين، من الوارث مقام سيدنا رسول الله؟ العالم العابد الفصيح والبلغ الذي يُبين كما كان يُبين سيدنا رسول الله.

فإذا كان هناك رجل ولي ومستجاب الدعاء ولكنه لا يستطيع أن يُعطي درساً، فيكون على قدم نبي من الأنبياء الآخرين، لكن لا يكون من أهل الكمال على قدم سيد الأولين والآخرين ﷺ، لأن هؤلاء لا بد للوارث الكامل منهم أن يكون كاملاً.

فما العقدة التي كانت عنده والتي قال فيها: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿طه﴾ هو وضوحها، بعد ولادة موسى بقليل قالوا لفرعون أنه سيفني بني إسرائيل كلهم، فاجعلها سنة وسنة، يعني اذبح الذكور في سنة، واتركهم سنة، فالسنة التي لم يذبح فيها وُلد هارون أخو سيدنا موسى، لذلك لم يكن له نصيبٌ في الذبح.

وموسى تربى في بيت فرعون:

فعندما ذهب إليه ليواجهه بالرسالة فقال له فرعون: أنت الذي جئت لتقضي على ألوهيتي وأنا الذي ربيتك؟! ﴿أَلَمْ تُرَبِّكْ فَيْتَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فَيْتَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء) فاستحى سيدنا موسى، فطلب من الله وقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤ القصص) ... يا رب أرسل معي هارون فهو أفصح مني لساناً في مخاطبة فرعون، لأنه ليس له جميلٌ عليه، ولا تربى عنده، فله أن يتكلم كما يريد.

فهو أفصح مني لساناً في مخاطبة فرعون، لأنه خجلان لأن فرعون عايره بأنه رباه وغداه ونمّاه، فكيف يهدُّ عرشه والألوهية التي يدّعيها فرعون!!؟

أنا أضرب مثلاً لنعرف أن النبيين منزّهين عما يقوله المغرضون والمذلسون واليهود الغادرين الذين يتهمون الأنبياء فيما يتنافى مع عصمة الأنبياء.

الكَلِمَاتُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّاتُ الْمُتَقَرَّبِينَ الرَّسْمُ فَرْزِيٌّ مُحَمَّدٌ نُزِيرٌ

لا بد أن يكون النبي بليغ وفصيح، ولا بد أن يكون النبي ذكي وألمعي، ولا بد أن يكون النبي عنده أمانة تساوي أمانة الخلق أجمعين، أمين في كل شيء ... فالنبي ﷺ كانوا يقولون عنه الصادق الأمين حتى قبل الرسالة.

وأقول هذا الكلام لأن هؤلاء المخرفين ذكروا في بلاء أيوب أشياء تقشعر منها الأبدان، ولا يستطيع أن يقولها الإنسان بلسانه، فمنهم من يقول: أن مرضه كان كذا، ومنهم من يقول - حاشا لله - أن جسمه كان مملوءاً بالدود، وكلما سقطت دودة من جسمه يعيدها لجسمه مرة ثانية، هل يكون نبي الله هكذا!!؟

لكن هو مرض وابتلاه الله به، ما هذا المرض؟! مادام لم يذكره الله فلم نتعرض له؟! المهم أنه ابتلاه في نفسه وفي ماله وفي أهله.
وماذا نتعلم منه؟

رغم شدة هذا البلاء كله إلا أنه كان صابراً، فزوجته قالت له: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة! ^٢ وقل ابتلى سبع سنوات وقل سبع أو ثمان عشرة سنة ... انظر أدب الأنبياء!!
وعندما دعا الله قال: ﴿أَيُّ مَسْنَى الضُّرِّ﴾ (٨٣ الأنبياء) ولم يقل حتى: أصابي، ولكنه مسٌّ خفيف، متى قال هذا؟ عندما سمع بعض من حوله يقولون: كيف يكون نبياً ويحدث له ما حدث؟! فخاف عليهم أن يرتدوا أو يرجع بعضهم، فقال: ﴿أَيُّ مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣ الأنبياء). ... أرايتم الدعاء!!

لم يطلب حتى الشفاء وقال: اشفني أو عافني، لكن سلم الأمر لله وقال: إنه مسني مساً خفيفاً، لماذا؟ لأنه خائف على من حوله، ولكن هو: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ رَأَوْبٌ﴾ :
ويكفي هذا الوسام: (نَعَمْ الْعَبْدُ) إلى الله ﷻ.

الأنبياء حجع الله على خلقه

فذكر الله ﷻ الأنبياء الذين كانوا أغنياء وملوك، والنبي الذي قد مسّه الضر وأصيب

الكتاب: انزل المطبوع نفسي: ايها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

في نفسه وأهله وماله، ثم ذكر أي الأنبياء إبراهيم ومن توالى من ذريته، لماذا؟ لأن الله أقام الأنبياء والمرسلين حُججاً لله ﷻ على عباده.

فلو أن ملكاً من الملوك قد انشغل بالملك عن طاعة الله، وقصّر فيما كلفه به مولاه، فسيُحاسبه عن التقصير: لماذا قصرت؟ فيقول: أنا كنت مشغولاً بالملك يا رب، فيقول له: أنت أم سليمان؟! فلقد أعطينا سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد قبله ولا بعده، ومع ذلك لم ينشغل عن طاعة الله طرفة عين ولا أقل.

أو واحداً منا ينشغل بالعبادة ويُقصّر فيما عليه من حقوق وواجبات، فالذي يُريد منا أن ينشغل بالعبادة ويقول مثلاً سأصعد الجبل وأبحث لي عن خلوة، ولا أريد نساء ولا أولاد ولا زرع ولا صنعة ولا مهنة ولا شيء لأعبد الله، فهل أنت يا أخي تستطيع أن تعبد الله مثل داود؟! فداود عندما كان يناجي الله بما أنزله عليه في الزبور، كانت الجبال والطيور والوحوش تأتي كلها وتلتف من حوله وتسمعه وهو يناجي الله وتُردّد معه: ﴿يَجِبَالُ أُوبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ (١٠س)

فهل شغلته العبادة عن مسئولية البيت والأولاد؟! لا.

وكان ملكاً، ولكنه رفض أن يكون له مرتب من بيت المال، وجعل هذا الملك لوجه الله، وجعل لنفسه صنعة، يصنع ويبيع، وما يبيعه يُقسمه إلى ثلاثة: الثلث الأول يشتري به حديداً مرة ثانية ليُصنع منه، والثلث الثاني يتصدق به على الفقراء والمساكين، والثلث الثالث يُنفقه على أولاده وأهله حتى لا يمدّوا أيديهم إلى غيرهم من الخلق أجمعين! فهذا مثل العباد

فجعل الله ﷻ الأنبياء والمرسلين أمثلة لنا في كل حياتنا الدنيا، ولذلك تجد كل أحوال النبيين تجمع أحوال الخلق أجمعين على اختلاف أطوارهم، فلا يوجد شيء يتعرّض له الخلق إلا وتجدّه في أنبياء الحق ﷻ.

الرجل الذي تكون ذريته كلها بنات، تكون أسوته سيدنا رسول الله ﷺ، والرجل الذي تزوّج إثنين كيف يعدل بينهما؟ مثل سيدنا إبراهيم عندما عدل بين سارة وهاجر، وهكذا كل أمر يتعرّض له المرء في هذه الحياة فالحجة قائمة عليه في أنبياء الله ورسُل

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّةُ آيَاتِ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ بِحْرُ الدُّنْيَا

الله، وجعل الله الأولياء حُججاً قائمةً للأحياء في عصورهم وأزمانهم، لتكون لله الحُجة البالغة: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ الخطاب هنا من الله لسيدنا رسول الله، فمن الذي معه سجل التشريعات الإلهية التي يُسجَل فيه من يشرفه بالأوسمة والنياشين من رب البرية؟ سيدنا النبي ﷺ.

فيقول له: سجّل عندك واكتب واذكر، مَنْ؟ ﴿عَبْدَنَا﴾ وهناك قراءة أخرى ﴿عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ كن (عبادنا) أشمل لمن يأتي بعدها، إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

هؤلاء ما لهم؟ تكتب هؤلاء في تشريفهم وتكرمهم: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أولي الأيدي يعني أصحاب القوة في إبلاغ رسالة الله، وفي عبادة الله، وفي طاعة الله، وفي تحمّل أذى الخلق أثناء الدعوة إلى حضرة الله، وفي تحمّل كل أمر يكلفهم به الله، ومعهم بصيرة نافذة فينبطرون في الأشياء إلى ما يُحبه الله، فيختارون ما فيه رضاؤه تبارك وتعالى.

تَذَكُّرُ الْآخِرَةِ

وماذا بعد ذلك يا رب؟

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ :

نحن خصّصناهم بصفة معينة من يُخَصُّ بها الله فتكون علامة حب الله له، وما هذه العلامة؟ ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ كانوا دائماً يتذكرون الدار الآخرة، وأنهم مسافرون، وأنهم لن يمكثوا إلى ما شاء الله، وإنما الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر.

ولذلك كيف تعرف أن الله يُحب هذا الإنسان؟ إذا وجدته دائماً فاكراً للآخرة، ودائماً يتذكّر الآخرة، ومن يتذكر الآخرة فهل هذا يقع في ذنب؟! أو هل سيقع في أمر يُغضب الله؟! وهل يفعل معصية تخالف هدي حبيب الله ومصطفاه؟!.

ما الذي جعل كثير من الخلق في زماننا وغير زماننا يُخالف؟ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (١٩ الحشر) نسي أنه مسافر، ونسي أنه ذاهب للآخرة، ونسي أن لحظة الخروج لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون لكن الإنسان الذي يتذكّر دائماً الآخرة فهذا

على الفور سيكون في رعاية الله، وعناية الله، وحفظ الله، وصيانتها على الدوام.

ملك من ملوك بني أمية اسمه سليمان بن عبد الملك ذهب لرجل من الصالحين الصادقين في المدينة المنورة، وكان اسمه أبو حازم، فقال له: لماذا نكره الموت؟ فقال له: لأنكم عمّرتُم دُنياكم وخربتُم آخرتكم، فتكرهون أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب، وبعد حوار طويل قال له: أريد وصية قيمة وتوجز فيها - وهي وصية عظيمة ليتنا نكتبها في قلوبنا ونطالع فيها على الدوام - فقال له:

(نزه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك)

انتبه دائماً، إياك أن تجعل الله يطلع عليك في موضع تعصاه فيه، لأنه جائز أن يغضب عليك، وإذا غضب الله على العبد خسر دنياه وأخراه، والعياذ بالله ﷻ.

ولذلك كان الصالحون يقولون: (إياك أن تستصغر ذنباً فرما يكون غضب الله ﷻ فيه) إياك أن تستصغر ذنباً وتقول إنه شيء بسيط، لأنك غير منتبه: ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨ الحجرات) من أول من يراك عند كل حركة وكل سكون؟ الله، وحتى لا يراك من ظاهرك فقط، بل: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١٩ غافر).

وهل يوجد مكان نذهب إليه ولا يرانا فيه؟ حاشا لله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (٤ الحديد) في أي زمان وفي أي مكان يراك ويطلع على عملك البصير ﷻ، وكل حرف ينطق به اللسان، من أول من يسمعه؟ الرحمن: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ ق) وهو الله ﷻ، لأنه رقيب وعتيد يعني شديد ولا تفوته فائتة.

فلو أن الإنسان اعتقد دوماً، ووضع نفسه وأحيا قلبه وعاش في هذا الحال؛ أنه يرى أن الله مطلع عليه ويراه، فهل ينطق لسانه بكلمة تُغضب الله؟ لا، وهل تنظر عينه إلى ما حرم الله؟ لا، وهل تمتد يده إلى ما لا يحلُّ له بشرع الله؟ لا، وهل يفعل أي عمل لنفسه أو لغيره يعلم أن به غضب الله؟ لا...!!

وهذا كله من:

(نزه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك)

الكُفَّاءُ أَفْزَلُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحَمْدِ نُوَيْرٍ

إياك أن تكون غير مشغول بشيء والأذان يؤذن وتقول: ما زال الوقت مُتَمَسِّعاً
سأصلي فيما بعد!!، ألم تسمع النبي وهو يقول في الأثر الوارد: (إن الله لا ينظر إلى الصف
الأعوج) يعني هؤلاء المصلين ينظر لهم الله، فيكيف ينظر إليهم وأنت غير موجود بينهم!!
فأين تكون؟ مشغولٌ باللهو أو باللعب أو بغيره، فأيضاً هذا يستوجب غضب الله، ومقت الله
تبارك وتعالى.

انظر إلى كلام الصالحين، حكمٌ تُفاض من لدن الحكيم العليم ﷻ، فمن أحبه الله
فلهذين الأمرين، فدائماً على بالي أنني مسافرٌ آجلاً أو عاجلاً، سأموت وأذهب للحي الذي
لا يموت، وهو يرى ويسمع ويطلع على كل حركاتي وسكناتي الظاهرة والباطنة .. بالله عليكم
لو وصلنا نحن في مجتمعنا الإسلامي إلى هذا الحال وهو حال المراقبة لله ﷻ، فهل تحدث أي
مشكلة ولو صغيرة؟! مستحيل، هل يسبُّ أحدٌ أحداً أو يشتمه أو يضربه؟ لن يحدث، فما
هذا الذي يحدث؟ لأننا كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَاذْسَلُّهُمْ أُنَفْسُهُمْ﴾ (١٩ الحشر).

فالله يُعْرِفُنَا أن أكبر عظة وعبرة نأخذها من هؤلاء الأنبياء الصادقين السابقين أن الله
يكرمنا ويحبنا ويجعل الدار الآخرة على بالنا على الدوام:

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ والدار هي الدار الآخرة.

اصطفاء الأخيار

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عِنْدَنَا لَمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾:

من الذي يريد أن يكون من الذين يصطفاهم الله ويجعلهم من الأخيار والأطهار؟ هذا
هو الطريق، فمن وصل إلى هذا الحال فقد وصل، نريد دليلاً في كتاب الله؟
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨ النحل) ... وهي السياسة التي مشى
عليها حضرة النبي، وأصحاب حضرة النبي، والصالحون من بعد النبي إلى يوم الدين.

ثم قال له: أيضاً سَجَلٌ عندك في التشريفات الإلهية الذين سيُشَرَّفُوا ويكرموا يوم
الدين: ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ﴾: وإسماعيل بن إبراهيم فلم لم يذكره مع الجماعة الآخرين، وخصه
وحده؟ من أجل رسول الله، لأن هذا صاحب الفرع الذي جاء منه رسول الله ﷺ، ولذلك

الكفْلُ أَفْزَلُ الْمَصْبُوحِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُورِزِيدَرُ

أفرد الله بالذكر في هذه الآية تعظيماً لقدره، لأنه كان في ظهره نور النبي الخاتم صلوات ربي وتسليماته عليه، ﴿وَالْيَسَعَ﴾ وهذا نبي من الأنبياء كان يعاون نبي الله ذا الكفل، وبعد أن انتقل ذو الكفل إلى جوار الله كانت النبوة لليسع لأنه أصبح ورثته، ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ هو ابن أيوب نبي الله الذي كلّفه الله بالنبوة بعد انتقال أيوب إلى الرفيق الأعلى ... وبعد ذلك وضعهم الله جميعاً في قرار واحد: ﴿وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ هؤلاء جميعاً من الأخيار.

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾: يعني شرف، يُعرِّفنا الله أن كل من يمشي على هذا الهدى سيكون له ذكر، أي شرف في الدنيا، فتذكره الناس بالخير، ويذكرونه بالبر، ويذكرونه بالحسنى، وسيكون له شرف يوم لقاء الله في الدار الآخرة.

حسن الخاتمة

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ يكفي المتقين أن الله يُحسن ختامهم في الدنيا، ويُحسن مكافأته في الدار الآخرة، فهل يوجد مآب أوجوع أحسن من ذلك؟! نحن ماذا نتمنى كلنا في الدنيا؟ حُسن الختام، فلا يوجد أعظم منه في الدنيا، وفي الآخرة؟ حُسن المكافأة وأحسن مكافأة أن نكون مع هؤلاء: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (٦٩ النساء) هل كل جماعة من هؤلاء وحدهم؟ لا، لأنه قال بعدها: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩ النساء).

منازل أهل الجنة

يا هناء السعداء يوم العرض واللقاء، فمنهم من هم على الأرائك ينظرون، لأن الناس يوم القيامة منهم جماعة سيقومون من القبور إلى القصور، نسال الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، قال ﷻ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَثَبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِّنْ أُمَّتِي أَجْنَحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ يَسْرَحُونَ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: هَلْ رَأَيْتُمُ الْحِسَابَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا حِسَابًا، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُرْتُمُ الصِّرَاطَ؟

الكتاب أنزل المطبوع نفسي أيها المظفرين الشيخ فوزي محمد فوزي

فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا صِرَاطًا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : مِنْ أُمَّةٍ مَنَ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ { ٣ }

هؤلاء من القبور إلى القصور، فيجدوا والقصور كما قال الله: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمَفَّتحةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ الأبواب مفتوحة والخور في الشرفات تستقبلهم بأحلى زينة، ويغنين ويقلن:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُؤُسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامِ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا { ٤ }

والأرض ستكون قد فنت، ولم يبق إلا الجنة، فيكونون في الجنة على الدوام، هذه الجنة منذ متى يدخلونها؟ من الدنيا، كيف؟ عند لحظة الموت نُعَسِّلُ الميت ونكفنه ونصلي عليه وندفنه، فتكون روحه قد دخلت الجنة، وهذا كلام الله:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل ٣٢) هل يدخلون القبر؟ لا، بل يدخلون الجنة فوراً.

وهؤلاء بعد نفخة القيام، وعندما يتوجّه الناس إلى أرض الموقف، أين يكونون؟ كل واحد منهم في قصر من القصور، وفي شرفة من الشرفات جالس يشاهد من في العرض والحساب، وانظروا إلى الإله العظيم كيف يصفهم؟ ﴿ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (المطففين ٢٣) جالسين ليشاهدوا: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (المطففين ٢٤) لا يظهر عليهم كرب ولا هم ولا حزن، غير أهل الموقف الذين يكونون في الكرب والحزن العظيم.

وهؤلاء خدامهم الملائكة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد ٢٣) ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴾ (المطففين ٢٥) مختوم بخاتم الحضرة الإلهية، بعد توقيع الحضرة الحمديّة: ﴿ خَتَمَهُ مُسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين ٢٦).

فهؤلاء جالسين في الجنة يشاهدون أهل الموقف، وليس لهم شأن بهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ (الأنبياء) وأين يكونون؟ ﴿ وَهُمْ فِي مَا آسَتْهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٢)

٣ أخرجه الحافظ العراقي في الاحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ؓ

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر ؓ

وليس لهم شأن بالفرع والجزع والهم: ﴿لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣ الأنبياء) ..

تتلقاهم ملائكة الجنة ويقولون لهم هذا يومكم الذي يُرَدُّ لكم فيه الكيان والهناء لتفرحوا بفضل الله وبإكرام الله جل في علاه، وهذا صنف.

وصنف آخر سيكونون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومن أراد أن يكون منهم فليحجز مقعد من مقاعد تحت العرش من مكاتب الحجز وهو في الدنيا، وما الثمن الذي أحجز به؟ عمل من حوالي تسعة وسبعين عمل من أعمال البر والخير، ذكرها الحبيب ﷺ في أحاديثه المتعددة.

فحديث { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ } فهذا حديث واحد، ولكن الإمام السيوطي جمع هذه الأحاديث فوجدها سبعين صفة، منها:

{ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي صَبَرِهِ فَهُوَ يَثْلُوهُ فِي كِبَرِهِ }^٥

فقارئ القرآن تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، وغيره، فهم حوالي سبعين صفة جمعهم الإمام السيوطي في كتاب اسمه (تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش) والكتاب متوفر بالمكتبات، فالإنسان لا بد أن يكون فيه صفة من هذه الصفات ليكون تحت ظل العرش.

وهناك صنف أعلى من هؤلاء، سيكون لكل واحد منهم منبر من نور قدام عرش الرحمن، فهؤلاء أعلى من الذين تحت ظل العرش لأن هؤلاء قدام العرش مباشرة، وفي مواجهة الوجه الجميل، ونحن كلنا نستطيع أن نكون منهم لأن النبي قال لنا:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيظُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَتُورُّ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ،

٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ؓ

وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" ٦

وفي رواية أخرى:

{ يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدَامَ الرَّحْمَنِ، يَفْرَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ } ٧

إذاً من هؤلاء؟ الذين يحبون بعضهم لله، لا لمصلحة، ولا لمنفعة دنيوية زائلة، لكن الذين يحبون بعضهم لمصلحة عاجلة، أو للذة دنيوية زائلة، فانظر إلى الوصف القبيح الذي يصفهم به الله: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢٥ العنكبوت) كأننا لو أحببنا بعضنا لمصلحة فهذا عبادة الأوثان، والمصلحة لن تدوم لأن: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

فالشي الذي يدوم هو ما كان لله، وابتغاء وجه الله، وطلباً لمرضاة الله، فهؤلاء سيكونون قدام عرش الرحمن على منابر من نور، والواحد منهم يقول فيه حضرة النبي في الحديث الآخر:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءٍ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا } ٨

وهناك صنف آخر سيعملون في مكتب الشفاعة المحمدية، حجزوا من الدنيا هذه الوظيفة، والوظيفة في كتاب الله: ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣ البقرة) سيعملون مع حضرة النبي ﷺ ... منهم من معه كشف بعشرة أسماء، فينهي أوراقهم ويدخلهم الجنة !!

ومنهم من معه كشف بسبعين اسماً ... ومنهم من معه كشف بأمة ...، وهذا يكون محامياً كبيراً يُنهي قضاياهم في المحكمة الإلهية ويدخلهم الجنة، مع أنهم جميعاً عليهم أحكام!!، لأن الشفاعة هكذا، قال ﷺ:

٦ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ

٧ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

٨ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَحَفِظَهُ أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }^٩ ، وقال :

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }^{١٠} ، وقال :

{ لَيَشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لِأَكْثَرِ مِنْ بَنِي ثَمِيمٍ ، وَمِنْ مُضَرَ }^{١١}

وهما من أكبر العائلات في الجزيرة العربية، فهؤلاء الرجال يشتغلون في الشفاعة مع سيدنا رسول الله ﷺ، وهؤلاء أصحاب مقام عظيم، ومقام كريم، ومقام التكریم لأنهم سيكونوا الأجنحة لسيدنا رسول الله ﷺ.

من ألوان النعيم

هؤلاء كيف يدخلون الجنة؟ قال ﷺ:

{ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَذْرِ وَالَّذِينَ عَلَى أَثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ ذُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تَحَاسَدُ }^{١٢}

فهذه أول زُمرة، لأننا سندخل هناك زُمرًا: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣ الزمر) يعني جماعة خلف جماعة، والتقديم والتأخير بحسب التكریم من العزيز الكريم ﷻ، فمن يدخل أولاً غير الذي يدخل آخرًا.

وآخر رجل يخرج من جهنم بعد شفاعة الشفعاء ويدخل الجنة، يقولون له: تمّنى، فيسكت لأنه لا يعرف ماذا يتمنى!! لأنه لم ير شيئاً ولم يعرف شيئاً، لا يعرف غير البضاعة التي رآها في أسواق الدنيا، وهذه البضاعة ليست هناك، لكن بضاعة الجنة الذي رآها هو الذي يعرفها، ولذلك قال ﷺ:

٩ سنن ابن ماجه وأحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ

١٠ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ

١١ كرامات أولياء الله عز وجل للألكاني عن أبي هريرة ﷺ

١٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَمَنُّوا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا تَتَمَنَّى؟ فَيَقُولُونَ: تَمَنُّوا عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا } ١٣

فأول فوج سيدخل الجنة ستكون وجوههم كالقمر ليلة التمام: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (٧٣ الزمر) الأبواب مفتوحة وجاهزة ومستعدة من قبل، وكما قلت من هنا من الدنيا، غير الكافرين فلن تفتح لهم الأبواب إلا إذا وصلوا إليها وهي أبواب جهنم.

رجلٌ من الصالحين في مصر وكان اسمه الشيخ علي الروزباري ؒ:

وكان يعالج سكرات الموت، وأخته جالسة بجواره تبكي، فقال لها: لِمَ تبكي يا أختاه؟! فإني أرى أبواب السماوات وقد فُتِحَتْ، وأرى الجنات وقد زُيِّنَتْ، وأسمع قائلاً يقول: يا أبا عليّ لقد بلغناك الدرجة القصوى في الجنة وإن لم تكن تُردّها ... متى رأى هذا الكلام؟ وهو خارج من الدنيا: ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣ الزمر) ١٠٠

ليس لهم شأنٌ بسؤال الملكين، ولا بالحساب، ولا بالصراف، ولا بالميزان، لأن كل هذه الأمور تجاوزوها بشفاعَةِ النبي العدنان، ويفتح من حضرة الرحمن ﷻ.

﴿ مُتَكَبِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَيْكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ كما تحدثنا من قبل أن الطعام الأساسي في الجنة الفاكهة، وفيها أيضاً: ﴿ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢١ الواقعة) كل شيء موجود، أحد السُرَجِ البسطاء كان يُحب المحشي جداً، فقال: هل الجنة فيها محشي؟! نعم فيها كل شيء: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧١ الزخرف) ولكن مختلفٌ تماماً عن الذي في الدنيا.

إذا كان الطعام في الدنيا درجات!!، فهل من يأكل في فندق خمس نجوم كمن يأكل في مطعم فول وطعمية؟! لذلك فالجنة شيء مختلف تماماً كما قلت قبل ذلك: (كل ما خطر ببالك فالجنة بخلاف ذلك) لكن هذه أمثلة يُقرب الله لنا بها حقائق ونعيم الجنة لنحنُ

ونشتاق إلى الله أولاً، وإلى جواره في الجنة، لنتمتع بالمشاهدات والمؤانسات والملاطفات على الدوام.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ وقاصرات الطرف هنَّ النساء اللاتي مُلِّنَ بالحياء، فلا يستطعن أن يُثَبَّتْنَ أبصارهنَّ في وجه أحد حياءاً من الواحد الأحد ﷻ.

وأتراب يعني مثل بعضهن كلهن في السن وفي الشكل وفي الجسم، لأن أهل الجنة جميعاً سيكونوا في سنِّ ثلاثة وثلاثين، كما أخبر حضرة النبي، فلا يصل أحد إلى سن أربعة وثلاثين، بل سيظلُّ في سن ثلاثة وثلاثين على الدوام، فلا يهرمون لأنه ليس هناك شيخوخة، ولذلك قال النبي:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } ١٤

يعني يظل شباباً دائماً في سن الثلاثة والثلاثين، وسيكونو كلهم في نفس الجمال، وفي نفس المواصفات، وفي نفس الشكل والجسم، ولذلك قال (أتراب) يعني مثل بعض، كالأولاد الذين هم في سن واحد، وفي جسم واحد، وفي شكل واحد، وفي لون واحد:

﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ :

وانتبه للآية فلم يقل: (هذا ما تواعدون بعد الحساب) لأن هؤلاء كلهم ليس لهم شأن بالحساب جماعة من أمة حضرة النبي سيدخلون الجنة بغير حساب، وجماعة منهم سيُحاسبون حساباً يسيراً، وجماعة سيحاسبون حساباً عسيراً، نسأل الله الحفظ والسلامة.

أما الكافرين والمشركين فليس لهم حساب، بل سيخرجون من القبور إلى النار ويئس القرار، فلماذا يُحاسب؟! ليس بعد الكفر ذنب، ولذلك يقول فيهم الله:

﴿ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ (١٠٥ الكهف).

لكن الحساب لمن؟ كما قلنا الحساب اليسير للمؤمنين الذين كانت تحذعهم الدنيا أحياناً، وتحذعهم الآمال والخطوظ والأهواء أحياناً: ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (١٠٢ التوبة) هو الذي يضع نفسه في هذا الهم، وهذا الغم، وهذا الحساب.

والحساب العسير - والعباذ بالله - فهذا للذين ارتكبوا الكبائر، ويتباهون ويفتخرون بها، ولا يتوبون إلى الله ﷻ منها، وهؤلاء حضرة النبي قال فيهم:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }^{١٥}

لماذا؟ لأن الله أسبل عليك ستره فلماذا تفضح نفسك!! تجلس مع جماعة وتقول: أنا فعلت كذا وفعلت كذا!! لماذا!! لكن تُب إلى الله، وارجع إلى الله ﷻ، واسأله الستر ليسترك ويتوب عليك.

لذلك نحن نريد أن نكون من الجماعة الأولين الذين سيدخلون الجنة بلا سابقة سؤال ولا حساب: ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّ الْأَصْبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر).

هؤلاء بعد أن يدخلوا الجنة يشاهدون أهل الحساب، وبعد أن يتنعموا، وحتى لا يظنوا أن هذا النعيم لمدة محددة، وبعد ذلك يخرجون، فيريد الله أن يطمئنهم فيقول لهم: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ :

ليس له نهاية، بل خالدين فيها أبداً، فبعد ذلك يطمئنوا أنهم دخلوا الحياة الأبدية في الجنة، في جوار سيدنا رسول الله، وفي جوار الأنبياء والمرسلين، وفي جوار الأخيار، وفي جوار الأطهار.

نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذا المقام، وأن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، وأن يجعلنا من المشتغلين بذكره ﷻ في الدنيا والآخرة، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ
وَسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوقِ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا
لَهُ دِينِي ﴿٥﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ
تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ؕ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ؕ
يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ
أَن يَّعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ؕ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ أَفَمَن حَقَّ
عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَن تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ
﴿٥٤﴾ لِّكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٥٥﴾ (الزمر)

٢٨. فبش عباد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن على قلب حبيبه ومصطفاه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمحسنين، والصلاة والسلام على من كان خُلُقُهُ القرآن، وحاله بالقرآن، وعمله بالقرآن، واحتكامه للقرآن، سيدنا مُحَمَّد الذي كان قرآناً يمشي بين الناس، وآله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، واجعلنا من جملتهم أجمعين، واحشرنا في زمرة يوم الدين، واجعلنا من أهل جوارهم في جنة النعيم أجمعين، أمين يارب العالمين.

لا بدّ للمسلم من وقفة، ولو كل يوم مرة مع بعض آيات كتاب الله ﷻ:

حتى يعرف أين هو؟ وإلى أين ذاهب؟ وما حقيقته؟ فلا يتوه عن أصله وفصله الذي سَوَّاهُ عليه ربه ﷻ.

ونحن نرى الدنيا، وإن حَلَّتْ أَوْحَلَتْ، وإن أقبلت أدبرت، لا تدوم لحي لأن الإنسان مهما عاش فيها، ومهما عمّر لا بد في يوم من الأيام أن يرجع إلى الله ﷻ.

بماذا سيرجع؟ وماذا سيكون حاله عند الله؟

الذي بنى عليه أعماله، والذي أسَّس عليه أفعاله، والذي كان عليه حاله في الحياة الدنيا، هو الذي سيراه هناك: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿فَرَوْحٌ وَرَحْمَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿فَسَلَمْتُ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة) وإن كان من الثالين، نسأل الحفظ والسلامة من مقامهم أجمعين.

فعندما ننظر في آيات القرآن التي معنا اليوم، وانظر معي إلى جمال خطاب الله ﷻ لنا، وننتبه لألفاظ القرآن الدقيقة، يقول الله لحبيبه ﷺ:...

﴿قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ :

لم يقل: (قل لعباد الذين آمنوا) لكن ﴿قُلْ يَبْعَادِ﴾ فمع أنه قال لحبيبه (قل) إلا أنه نادى علينا، وينادي علينا بلسان يدعو إلى الإقبال الدائم على المنادي ﷻ.

الكتب: ابن المطبوع نفسية آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي أثر التقوى

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ ﴾:

نحن عباد الله ﷻ، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لكننا آمنّا يارب، ماذا يريد الله؟

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ لماذا يارب؟ لأن المقامات كلها عند الله في الدنيا والآخرة على تقوى الله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ (الحجرات) ولذلك يقول رسول الله ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا، وَجَعَلْتُ نَسَبًا، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ أَيْنَ الْمُتَّقُونَ }^٢

فينصب هؤلاء القوم لواء، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، من الذي سيدخل الجنة؟ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر) الشرط هو التقوى.

من أصحاب المقامات العلا في الدار الآخرة؟ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢ يونس) من هؤلاء؟ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣ يونس) إذاً التقوى هي الحبل الأقوى الذي ينبغي أن يتمسك به العبد ليكون له منزلة كريمة عند الله ﷻ.

والتقوى باختصار شديد هي الخوف من الله، أي أن الإنسان يكون عنده وجل، وعنده خشية، وعنده خوف من لقاء الله ﷻ، وهي إن وجدت في القلب، هل سيقع صاحبها في معصية تغضب الله؟! لا، هل سيتلفظ لسانه بقول يغضب مولاه؟! لا، ما دام وصلت التقوى إلى القلب سيستقيم على طاعة الله، ويوفق للعمل بما يرضي الله ﷻ.

والإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه قسمها إلى أربع منازل فقال:

(التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)

^٢ معجم الطبراني عن أبي هريرة عليه السلام

لا بد من هذه الأوصاف أن تكون في الإنسان ليكون من الأصفياء الأتقياء.

فطلب الله ﷻ منا بذاته أن نحرص على تقوى الله، وخشية الله، والخوف من جلال الله في كل حركاتنا وسكناتنا في هذه الحياة، لماذا يارب؟
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾:

الذي يحسن القيام بالتقوى، والتمسك بالتقوى، والعمل بما يرضي الله، سيكون له في الدار الآخرة حسنات وقربات ومنازل ودرجات لا يعلم قدرها إلا الله جل في علاه.

نفترض أيّ أوجدت في مكان، وضيق عليّ في العمل بما يرضي الرحمن، فطلب الله منا أن لا نستسلم، وانظر إلى أصحاب رسول الله ماذا عملوا واعمل مثلهم، لما ضيق عليهم في طاعة الله وعبادة الله ماذا عملوا؟ هاجروا ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ الذي يهاجر سيجد في أرض الله سعة، وسيجد في أرض الله مُرَاغماً وخيراً كثيراً إن شاء الله.

الصبر وفضله

وإذا صبر في الدنيا على طاعة الله، أو صبر نفسه عن الوقوع في معصية الله، أو صبر نفسه ورضاها على مُرّ القضاء الذي نزل به في هذه الحياة، وهذه أنواع الصبر، صبر على الطاعة، وصبر عن الوقوع في المعصية، وصبر على الرضا بالقضاء الذي قضاه الله، إذا صبر يكفيه قول الله ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

وبغير حساب يعني أجر مفتوح ليس له حد ولا عد ولا نهاية، وهذا أجر الصابرين.

ولذلك كثير من المسلمين في هذا الزمان وغيره، يريد نظير أنه مؤمن، وأنه يقوم بالطاعات، أن يعيش في الجنة وهو في الدنيا، فيريد أن لا يشعر بهم ولا غم، ولا يأتيه مرض ولا حزن، وإذا جاءه شيء من ذلك يعاتب الله ﷻ!! فيقول يارب لماذا فعلت معي ذلك؟! إن فلان لا يصلي وحالته كذا وكذا!! سبحان الله!!

أنت تقيس نفسك بجماعة عَجَلت لهم طياتهم في حياتهم الدنيا، تأتيهم طياتهم في الدنيا حتى يخرج من الدنيا وليس له شيء عند الله ﷻ، كما ورد في الأثر:

{ إذا أحببت عبدي المؤمن أسقمت جسمه وضيقته عليه في معيشته، وأحاسبه }

الْكَلْبُكُ أَفْزَلُ الْمِطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الطَّاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخُ فُزْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا تبقى عليه سيئة واحدة أطلبه بها ، فإذا بقي عليه شيء ، أنقلت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس عليه سيئة واحدة أطلبه بها ، وإذا أبغضت عبدي أصححت جسمه ، ووسّعت عليه في معيشته ، وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر ، حتى لا تبقى له حسنة واحدة يطالبني بها ، فإن بقي له شيء خففت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس له حسنة واحدة يطالبني بها {

إذا أحب الله العبد المؤمن أسقم جسمه وضيق عليه في معيشته ، لماذا؟

حتى يقول يا رب ، لأن الإنسان كما قال الله فيه ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاغِي ۚ ﴾ أن رآه أستغنى ﴿ ٧ ﴾ (العلق) وقد ورد أن فرعون موسى عاش أربعمئة عام لم يشعر بوجع في رأسه قط ، قيل : لأن الله لا يحب أن يسمع صوته ، لأنه لو جاءه وجع سيقول يا رب ، والله لا يريد أن يسمع صوته .

إذا الصبر الذي يعيننا عليه الله ويقوينا عليه نعمة من الله ﷻ ، ولذلك قال ﷺ :

{ الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ }^٣

وورد عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ : (وَأَعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ لَهُ)؛

هل هناك أحد يستطيع أن يعيش ويتحرك بدون روح؟! لا ، كذلك ليس هناك مؤمن يستطيع أن يعمل ما يرضي الله ، ويمتنع عن معاصي الله ، ويرضى ويسلم لقضاء الله ، إلا إذا أعانه الله عليه ، ولذلك قال لنا مخاطباً حبيبه ومصطفاه :

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (النحل ١٢٧) قال ﷺ :

{ يَوْمَ أَهْلُ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرُصَاتٍ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ }^٥

وفي رواية أخرى :

٣ مسند الشهاب والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٤ الإلماع إلى علم أصول الرواية للقاضي عياض

٥ جامع الترمذي والبيهقي عن جابر ﷺ

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا وَأَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِ صَبًّا ، وَتَجَّهُ عَلَيْهِ تَجًّا ، قَالَ : وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلَاةِ فَيُوقَى أَهْلُ الصَّلَاةِ أَجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْحَجِّ ، فَيُوقُونَ أَجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ ، فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : " إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " ، حَتَّى يَتِمَّنَى أَهْلُ الْعَافِيَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ أَجْسَادُهُمْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَذْهَبُ أَهْلُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَضْلِ { ٦

والبلاء:

أى شيء يتعرض له الإنسان في الدنيا ولو قليل، ولو شوكة في رجله، هؤلاء يؤمر بهم إلى الجنة، فيتمنى أهل الموقف أن لو كانوا قرضوا بالمقاريض وكانوا من أهل البلاء لما رأوا من حسن حالهم عند الله ﷻ

إذا لا بد للمؤمن الذي يريد أن يجوز ويفوز، أن يوطن نفسه مع تقوى الله على الصبر الجميل، وخاصة في هذه الأيام:

الصبر على خلق الله، والذي لا يستطيع أن يصبر على خلق الله فقد يضيع حسناته التي عملها لمولاه جل في علاه، لذلك لا بد للإنسان أن يكون عنده الصبر العظيم، وهذه هي الوصية الأولى لنا مع تقوى الله سبحانه وتعالى.

إدراك معية النبي

من الذي يريد أن يكون مع رسول الله في درجته في الجنة يوم القيامة؟ كلنا، ماذا نعمل لكي نصل إلى هذه الدرجة؟ أمره الله أن يبين لنا، النبي سيكون في المقام المحمود، والذي يريد أن يكون معه ماذا يفعل؟.

الإخلاص:

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّيْخُ فُزْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ :

أهم شيء الإخلاص، والإخلاص أن يقصد الإنسان بعمله وجه الله لا يرجو بالعمل شيء سواه.

إذا قصدَ بالعمل رضا الخلق فقد ضيَّع عمله عند الحق، وإذا قصد بالعمل الرياء أو السمعة أو الشهرة فقد حبط عمله ولا ينفعه هذا العمل يوم يلقى الله ﷻ، ولذلك الإخلاص لأنه عزيز قال الله تعالى:

{ الإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي }^٧

هذا السر لا يطلع عليه شيطان فيفسده، ولا ملك فيكتبه، لأنه يكون بين الإنسان وبين الله في قلبه، ويوم القيامة سيكون هناك أناس أعمالهم كثيرة ولكن ليس فيها إخلاص، فكما ورد في الحديث الشريف بقوله ﷺ:

{ يُجَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُخْفٍ مَخْثُومَةٍ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَلْقُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا، فَيَقُولُ: وَهُوَ أَعْلَمُ. إِنَّ هَذَا كَانَ لِعَيْرِي، وَلَا أَقْبَلُ الْيَوْمَ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ ابْتِغَاءً بِهِ }^٨

هذا العمل كان يؤدِّيه للسمعة وللشهرة بين للناس، أو أعجب بنفسه، لكن الذي يريد المنزلة العظيمة: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ وشرط العمل: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف) وهذا هو الإخلاص، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ أوصى سيدنا معاذ بن جبل ﷺ فقال له:

{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }^٩

ليس المهم كثرة الأعمال، المهم الإخلاص في هذه الأعمال، وهذا الذي ينبغي أن

٧ أحاديث مسلسلات، والرسالة القشيرية عن حذيفة بن اليمان ﷺ

٨ جامع المسانيد والمراسيل عن أنس رضي الله عنه

٩ الحاكم في المستدرک وحلية الأولياء عن معاذ بن جبل ﷺ

يكون جلُّ اهتمام المؤمن؛ أن يكون حريصاً على أن يعمل هذا العمل طلباً لمرضاة الله ﷻ.

انظروا للسيدة عائشة زوجة النبي، والسيدة فاطمة بنت النبي رضى الله عنهما، كانت الواحدة منهما عندما تتصدق تشتري أولاً عطراً وتعطر المال، لماذا؟ فتقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنْ الصَّدَقَةَ تَقَعَ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدِّقِ عَلَيْهِ } ١٠

وشيء سيقع في يد الله يجب أن أطيئه، قال ﷺ:

{ إِنْ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا } ١١

سترسل هذه الصدقة مع خادم أو خادمة، فتقول له: احفظ ما سيقول أو ما ستقول ثم أخبرني ماذا قال، لأن الفقير عندما يأخذ صدقة من شخص يدعو له، ثم يأتيها الخادم ويقول لها: لقد دعا هذا الفقير بكذا، فتدعو له بما قد دعا وزيادة، فيسألها الخادم لم هذا؟ فتقول: دعاء بدعاء حتى تَسَلَّمَ لَنَا صَدَقَاتِنَا، أي لا يكون أجرنا هو دعوة هذا الفقير.

الأجرة سيأخذها من الذي يقول ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠ الكهف) لم يقل الله (إنا لا نضيع أجر من عمل) لأنه قد يعمل ولا يأخذ أجراً، لكن الذي أحسن العمل هو الذي وافق في أداء العمل التشبه برسول الله، وكانت نية العمل فيها إخلاص لوجه الله جل في علاه، لأن أى عمل على غير هدى رسول الله غير مقبول، وأى عمل غير خالص غير مقبول، فإحسان العمل أن الإنسان يعمل كما كان يعمل رسول الله، قال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } ١٢، وقال:

{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ } ١٣

ومثله تماماً: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١ الأحزاب) في كل أعماله وأحواله وأقواله، ومعها النية الخالصة لوجه الله ﷻ، وهذا يحتاج إلى تدريب، والإنسان هو

١٠ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة ﷺ

١١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١٢ الباري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

١٣ سنن البيهقي عن جابر ﷺ

الذي يدرّب نفسه عليها ويواظب على هذا التدريب العملي حتى يصل إلى حال لا يتنفس نفساً إلا يبغي به وجه الله ويطلب به رضاه جل في علاه، إذا وصل إلى هذا الحال نبشّره بأنه سيكون مع رسول الله ﷺ.

الحرص على العمل بشرع الله

الأمر الثاني الذي طلب منا سيدنا رسول الله أن نفتدى به كما أمره مولاه: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو أول المسلمين كلهم، لكن كيف نكون نحن أول المسلمين؟! يعني ليس لي شأن بمن حولي، فأكون أنا أول المستمسكين بالعمل بكتاب الله بمن أوجد بينهم، وأكون أنا أول الحريصين على سنة رسول الله ﷺ.

الذي ضيّع معظم الناس هذه الأيام قول أحدهم أنا مثلي مثل الناس، لكن اجعل نفسك مثل سيد الناس ﷺ، لأنك لو قلت أنك مثل الناس، فالناس إن ضاعوا، ستضيع مثلهم!! لكن مثلك مثل سيد الناس الذي قال:

{أَنَا سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ وَلَا فَحْرٌ} ١٤

رفض أهل مكة أن يتبعوه، وذهبوا إلى عمه ...

وعرضوا عليه وقالوا: إن كنت تريد ملكاً جعلناك ملكاً علينا، وإن كنت تريد المال جمعنا لك المال حتى تكون أغنانا، ولو كان يعتربك تعب أو مرض أتيناك بأكبر الأطباء حتى تُشفى من هذا الداء، فقال له عمّه: يا ابن أخي لا تحمّلني فوق طاقتي فأنا لا أستطيع أن أعارض أهل مكة جميعهم، ونحن كما ترى قلة - عدد رجال بني هاشم كانوا حوالي أربعين رجلاً، وأهل مكة حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف - فقال ﷺ:

{يا عماء، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ} ١٥

الذي ضيّع الناس عندما يقول الرجل منهم أنا مثلي مثل الناس، مع أن النبي نبّه

وحذر وأندر وقال:

{ لَا تَكُونُوا إِمَّةً، تَقُولُونَ: إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَاءًا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلَا تَظْلِمُوا } ١٦

هذا الذي يريد أن يكون مع سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كان سيدنا رسول الله يعلمنا في افتتاحية كل صلاة بعد أن نكبر تكبيرة الإحرام ندعوا أدعية الافتتاح، والأدعية الواردة في افتتاح الصلاة عن رسول الله كثيرة، ومن جملتها: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام)، لكن نحن نقول: (وأنا من المسلمين) لأن هذه خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ.

فأنا أريد أن أكون مع أول المسلمين وهو سيدنا ﷺ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، ومن والاهم من التابعين، والأولياء والصالحين، فعلي أن أوطن نفسي على الدوام على الأخذ بالأحسن، وليس لي شأن بغيري.

غيري لديه وقت وغير مشغول ولا يقوم لصلاة الفجر!، وأنا عندي مشاغل وأعمال كثيرة، فيأتي لنفسه بعذر ويقول: فلان ليس عنده مشاغل ولا يصلي الفجر، لذلك أنا لي عذر أن أصلي الصبح بعد طلوع الشمس!!، لا يجوز أن أقيس نفسي بهذا، ولكن أقيس نفسي بما قاله الحبيب ﷺ:

{ انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ } ١٧

لكن انظر إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ في الدين، وإلى مَنْ هُوَ دُونَكَ في الدنيا، ولكننا غيرنا مقياس رسول الله، فلنكي ترتاح نفسك، ماذا تصنع؟ انظر لمن هو أعلى منك في الدين وامشي مثله، وانظر لمن هو دونك في الدنيا حتى تعتبر وتشكر الله ﷻ على نعمه.

فنحن مطالبون إذا أردنا أن نكون في درجة حضرة النبي، ونكون معه في الدار الآخرة وفي الجنة، أن نأخذ دائماً بسنته وأفعاله وأحواله وهيئته، ولا نلتمس لأنفسنا أعذار لأنها ربما تكون أوزار.

١٦ مسند البزار وجامع الترمذي عن حذيفة بن اليمان ﷺ

١٧ معجم الطبراني والأماشي الحميسية للشجري عن أبي ذر ﷺ

الخوف من الله:

أهل مكة كان من ضمن مشاكستهم لحضرة النبي ﷺ يقولون له: هل هان عليك أن تترك الآلهة التي كان يعبدها آبائك وأجدادك وأهل مكة كلهم؟! ولا ترضى أن تأتي معنا وتتوجه إلى هذا الآلهة بالعبادة!!

فأنزل الله على حضرة النبي الرد، لأن الله كان يرّد عن حبيبه على الدوام:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ :

إذا كان حضرة النبي خائف من العذاب، فأين نذهب نحن!!؟ حتى نأخذ بالناس، إذا كان الذي غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، والذي وعده بأنه سيبعثه المقام المحمود، والذي وعده بأن سيُعطيهِ كل ما يريد حتى يَرْضَى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الصحى) ومع ذلك يخاف ﷺ من عذاب عظيم، وعظيم يعنى عذاب شديد!! فماذا نفعل نحن يا أحباب النبي ويا أمة النبي!!؟.

لذلك يجب على المؤمن أن يجمّل نفسه دوماً بالخوف من الوقوع فيما يُغضب الله عندما تُهَيَّئ له المعاصي، لأن الله ﷻ لو نظر إليه وهو على معصية - ولو صغيرة - غضب عليه، وإذا غَضِبَ الله عليه لم يُفلح بعد لك أبداً.

ولذلك كان العلماء العاملون يقولون:

(لا تُصَغِّرْ ذَنْباً فَعَسَى أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ ﷻ وَأَنْتَ تَفْعَلُهُ فَتَقَعُ فِي سَخَطِ اللَّهِ ﷻ وَغَضَبِهِ)

إياك أن تستصغر ذنب فتقول: هذا ذنب هين، وهذا ذنب بسيط، حتى أننا في الزمن الذي نعيش فيه هناك ذنوب من الكبائر والناس لا تعتبرها ذنوب!!.

وصلنا إلى حالة في عصرنا هذا أن كثير من المسلمين لا يعتبر الكذب ذنب!! هل يحاسب نفسه على أن الكذب ذنب ويريد أن يتوب إلى الله ﷻ منه!!؟ لا، مع أن أصحاب رسول الله بيّن لهم النبي ذلك فقد سألوا النبي ﷺ:

{ هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَاكَ، قَالَ: هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ

ذَٰكَ، قَالَ: هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ اللَّهُ: "إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" {١٨}

فالمؤمن قد يقتل ثم يتوب فيتوب الله ﷻ عليه، وقد يسرق ثم يتوب فيتوب الله ﷻ عليه، لكن المؤمن ليس بكذاب، هذا الذنب لا يحاسب أحد نفسه عليه إلا ما ندر من المؤمنين على أنه ذنب!!، وحتى في اللهو واللعب قال ﷻ:

{ إِنِّي لَأَمْرَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا } {١٩}

حتى في المزاح ليس فيه كذب أبداً! لكن هذا ذنب من الذنوب الذي استهانته به الناس ولا تعتبره ذنباً بالمرّة!!، من الذي يتوب من ذنب الكذب!! لو أردنا في يوم من الأيام وعملنا فيش وتشبيهه لجماعة من المسلمين عن يوم، هل سنجد خالي من الكذب؟ نادر، وربما نجد فيه كذبات معدودة، لأننا استهنا بالذنوب، ولم نعدّها ذنوب، وهذه استهانة بحضرة علام الغيوب ﷻ، لأن الذي يُصغّر الذنب جاهل بمقام الله سبحانه وتعالى الذي سيحاسبه على هذا الذنب.

الخلاص بالإخلاص

{ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } : عاد الله مرة أخرى يكرر الإخلاص، حتى نتأكد أن الخلاص بالإخلاص، والإخلاص يعني أن يكون العمل خالصاً لوجه الله، أنا ذاهب لأزور مريض، ليس لأجل أن يأتيني إذا مرض شخص عندي، لكن أنا أزوره لله، فإذا مرض أحد عندي، ولم يأت هذا الشخص الذي زرته لزيارتي، هل سأحزن؟ لا، لأني عملت ذلك العمل لله، وسأخذ أجرى من الله، ولو هو أتاني سيأخذ أجره من الله، وإذا لم يأتي فأنا لم أخسر شيء، لأني أعمل العمل لله ﷻ، لأن المؤمن يتعامل مع الله.

سأقوم بتشييع جنازة، ليس لأجل أن يراني صاحب الجنازة ويعلم أنني أعزّيه!! لكن لله، حتى آخذ الأجر موفوراً كاملاً من عند الله تبارك وتعالى.

الكفكف انزل المطبوع نفسي يا ايها المظربين الشيخ فوزي محمد فوزي

أي عمل أعمله ولو قليل أعمله لله، أتبسم في وجه أخي لله، أقول كلمة طيبة أرجو بها وجه الله .. كل عمل أعمله لله، وهذا هو العمل الخالص الذي سآخذ به الأجر العظيم يوم لقاء الله ﷻ.

وبعد ذلك قال لهم ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾ وبين أحوال الناس في زمانه وفي زماننا إلى يوم القيامة، من سيخرج من سوق الدنيا خسران؟

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ :

الذي سيخرج من الدنيا مهما كان عنده من الدنيا من غنى ومن مال ومن عقار ومن عيال ومن وظائف، سيأتي في الآخرة ليس معه شيء من الحسنات ولا من الصالحات، وهذا هو الخسران المبين:

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الخسران الشديد، لأن كل الذي تركه في الدنيا لن ينفعه يوم لقاء الله ﷻ. ...

هَبْ أنك ملكت الدنيا بأجمعها، ما الذي يكون معك منها عند الموت؟! رجل من الأغنياء، وكان عمدة بلدة نابلس في فلسطين، وكان من أغنى أغنياء البلد، وصى أولاده وصية غريبة وهو يعالج سكرات الموت، قال لهم: عندما تكفنونني بعد تغسيلي وتضعونني في النعش، أخرجوا يدي واجعلوها خارج النعش، وطوفوا بي شوارع المدينة كلها، فقال له أبنائه: لماذا؟ قال: حتى يعرف الناس أن أغنى أغنياء نابلس خرج من الدنيا ومن أملاكه، ويده فارغة ليس فيها شيء!!.

الباقيات الصالحات

من الذي يستطيع أن يحول رصيد إلى هناك غير الحسنات!!؟

إذاً الإنسان التقى النقي الذي يُجهَّز:

﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦ الكهف)

الأشياء التي نستعين بها في الدنيا !!!!، هي التي بها المقام العظيم هناك .. يقول فيها النبي ﷺ:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَتُحْبَنُ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ } ٢٠

كلمات نستهنون بها، ولا نختتم بها الصلاة بحجة أننا مشغولين!!، لكنها تملأ ما بين السماء والأرض طاعة وعبادة لله ﷻ.

هذه الأشياء التي نستهن بها هي الباقيات الصالحات، وسيكون بها التقييم والمنازل والدرجات يوم الميقات، وبها ننال جوار سيد السادات ﷺ.

سيدنا سليمان بن داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم السلام، سخر له الله الجن والطير والهواء والوحوش وعلمه كل لغات هؤلاء، وهو أول من اخترع الطائرة، ولم تكن تطير بينزين ولا سولار، ولا فيها ميكانيكا، لكنه كان يجلس على سجادة مثل سجادة الصلاة، وكلما أتى أحد يجلس بجواره تتسع السجادة، حتى أنه في يوم من الأيام كان على السجادة خمسمائة ألف من الإنس، وخمسمائة ألف من الجن، بخلاف الطيور والوحوش والأمراء والوجهاء والوزراء، ثم أمر الهواء أن يحمل هذه السجادة ويطير بها، فطارت في الهواء وهي تحمل كل ذلك!!، هل هناك طائرة تحمل كل ذلك اليوم!! لا يوجد أبداً.

وكانت السجادة تمشي قريبة من الأرض، ويأمر الهواء أن يكون هواء طري ورخي حتى لا يؤذيهم: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءٌ حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦ص) هواء هين ولين، فرأى ذلك رجل فلاح بجوار بيت المقدس، وكانت عاصمة مملكة سيدنا سليمان، فنظر هذا الرجل وقال: سبحان الله!! ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، فحملت الريح الصوت وأوصلته لأذن سيدنا سليمان، فسيدنا سليمان أراد أن يعطى درس لمن حوله، فأمر البساط أن ينزل، فنزل بمن معه، ثم قال للرجل: لا تخف، ماذا قلت آنفاً؟ قال: قلت ما أعظم ما أوتي سليمان بن داود، فقال سيدنا سليمان: وعزة ربي لتسيحة واحدة في صحيفة مؤمن خير وأعظم عند الله ﷻ مما أوتي سليمان بن داود.

الذي سيدخل منا الجنة سيندم، والذي قال ذلك الذي لا ينطق عن الهوى، لماذا سيندم؟ لأنه عندما يخرج من الدنيا يقول لماذا كنت أضيع الوقت في القيل والقال، وهنا

الكتاب المنال المطبوع نفسي يا أيها المقلدون اللهم فزني بحمدك وزير

وهناك، ولم أستغله في ذكر الله، وفي تلاوة كتابه، والأعمال الصالحة المقربة لحضرة الله!!.

الذين شيعناهم إلى الدار الآخرة، الواحد منهم يتمي تسبيحة، ويتمنون أن نفعل لهم شيء ونرسله لهم، لأنهم لا يستطيعون عمل شيء!!.

لكن نحن والحمد لله معنا الآن الفرصة، فماذا نفعل؟ الماهر في الدنيا الذي يعمل كما قال الله لحضرة النبي: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۖ ﴾ (الانشراح).

أنت تمشي في طريق، لماذا تمشي ساكتاً؟! اذكر الله، أو استغفر الله، أو صل على رسول الله، حتى لا تكون من الغافلين، وإذا كنت تستعد للنوم، اذكر الله حتى يأتيك النوم، ويكفيك قول الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ } ٢١

من نام على ذكر الله كتب طوال ليلته قائماً ذاكراً، فإذا استيقظ كان له دعوة لا ترد، لكن الذي ينام على أغنية، أين هو وأين أصحاب هذا الطريق!! وإذا جاءه الموت في النوم ستكون مصيبة من المصائب الكبيرة!، والذي ينام على الفيس بوك، نفس الأمر، وخاصة إذا نام على مناظر مؤذية ومُحزنة والعياذ بالله:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ } ٢٢

فما الذي يمنعنا من ذكر الله على الدوام!! حتى نكون من أهل النجاة يوم القيامة إن شاء الله.

أهل الخسارة هؤلاء يبين لنا الله حالهم، نسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين فيقول:

﴿ هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ :

السقف من فوقهم نار، والأرض من تحتهم نار، لأنهم في جهنم، فيكون كله في النار: ﴿ ذَٰلِكَ تُخَوِّفُ إِلَهُهُ بِهٖ عِبَادَهُ يَنْعِبَادُوا فَاتَّقُونَ ﴾ يعني دوما حافظوا على تقوى الله ع.

٢١ سنن النسائي والطبراني عن عمرو بن عبسة ؓ

٢٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن جابر ؓ

المبشرون من المقربين

عندما ننظر إلى مراتب أهل الإيمان التي خصَّهم بها الرحمن ﷻ، نجد أن هناك جماعة جعل الله ﷻ لهم البُشرى في الدنيا والآخرة، وهناك جماعة أعلَى منهم أمر الله الحبيب بذاته ﷻ أن يُبشِّرهم: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧ الأحزاب) ولم يقل المؤمنين في زمانك، ولكن المؤمنين إلى يوم القيامة؛ يُبشِّرهم رسول الله ﷺ بالفضل الكبير الذي جهَّزه لهم الله ﷻ.

عندنا في الآيات صنف من هؤلاء الذين يبشِّرهم رسول الله، مَنْ هم؟

﴿وَالَّذِينَ آجَتَنبُوا الطَّيْغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ :

هؤلاء: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾

من الذي يبشِّرهم؟ رسول الله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

بم استوجبوا هذه البُشرى؟

﴿آجَتَنبُوا الطَّيْغُوتَ﴾ :

والطاغوت كل شيء يُعبد دون الله ﷻ، وبعض العلماء قال أنه الشيطان، ومنهم من قال أنه الدنيا، ومنهم من قال أنه الهوى، ولكننا نَجْمِلُها مرة واحدة، فكل شيء يُعبد دون الله نسميه طاغوت.

ولذلك هناك قراءة أخرى: ﴿وَالَّذِينَ آجَتَنبُوا الطَّيْغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ يعني جمع، وأكبر الطواغيت التي تمنع الإنسان عن طاعة الله والتأسي برسول الله هي الهوى.

فلو أن الإنسان اجتاز عقبة هواه فيا هنا:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات).

آفة الآفات التي تضيّع السابقين والمعاصرين واللاحقين الهوى، وماذا أفعل؟

أعمل بوصية الحبيب التي يقول فيها:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ } ٢٣

إياك أن تجعل هواك يتحكم فيك، فمعظم مشاكل الخلق حالياً سببها الهوى، مثلاً: يريد أحدهم أن يخص هذا الولد من أولاده بجزء من الميراث أكبر من إخوته، لماذا؟ لهوى في نفسه، فتحدث المشاكل بينه وبين الأولاد، وبين الأولاد وبين بعضهم وليس لها حل، وقس على ذلك، معظم المشاكل التي تحدث في مجتمعنا سببها الأساسي الهوى.

اتباع الأحسن

فمن يجتنب كل الطواغيت، أي كل ما دون الله، ويُسيطر على هواه، ويُنبى ويرجع إلى الله: ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ :

من يمشي على هذه الروشته البسيطة:

﴿لَهُمُ الْبَشَرَى﴾ :

ولم يذكر البشرى، لأن البشرى من الله ومن رسول الله لا يستطيع أحد أن يحوي معناها، أو يستوعب فحواها إلا إذا ذاقها وتَمَلَّى بها ورعاها، وهي أمور خاصة كيف يعرفها؟

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ :

هؤلاء الذين خصهم الله سبحانه وتعالى بهذه البشرى أول علامة من علاماتهم تظهر لهم ولغيرهم:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ :

بعض السادة المفسرين على قدرهم يقول: أي يترك الكفر ويتبع الإيمان، لكن الله يقول: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي يتركون الحسن ويتبعون الأحسن، وهل الكفر حسن؟! لا، فيتبعون أحسنه يعني يتركون الحسن ويمشون خلف الأحسن، ولا أحسن من كلام الله تبارك وتعالى وهو القرآن الكريم، فهم يتبعون القرآن في كل أحوالهم.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّةُ آيَاتِ الْمُقَرَّبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْيْ بِحْرُودُ نُزَيْرُ

معظم المشاكل في عصرنا هذا أن الناس تترك القرآن ويقولون: الشيخ فلان قال، والشيخ فلان أفتى، والشيخ فلان رأيه كذا .. أفلا نترك المشايخ ونجعل أنفسنا مع القرآن ومع رسول الله؟! لو بقينا مع القرآن ومع رسول الله ﷺ ستنتهي كل هذه المشاكل، ولن يكون بيننا خلاف ولا اختلاف ولا إتلاف ولا شيء من هذا القبيل.

فيتبعون أحسنه يعني يترك الحسن ويتبع الأحسن، مثلاً جماعة يدعوه إلى الجنة فهذا حسن، وجماعة يدعوه إلى النظر إلى وجه الله في الجنة وهذا أحسن، فيمشي مع من؟ مع الأحسن، وهكذا فكلما يستمع لقول يمشي خلف الأحسن، أو جماعة يدعوه إلى أن يعمل بالدين للدنيا، وجماعة يدعوه إلى أن يعمل بالدين لرضا رب العالمين، فيأخذ بالأحسن على الفور، وهؤلاء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾:

ونأخذ منها إشارة صغيرة سلوكية صغيرة نحن في حاجة إليها كلنا في المجتمع: جلستُ مع شخص أو اثنين أو أي جماعة، وتكلموا في أي موضوع، فأنا آخذ أحسن ما عندهم، وهذا الذي أستمع إليه، وهذا الذي إذا أردت أن أنقله لينتفع به غيري ... لكن مشاكل الناس أنه يأخذ أسوأ الكلام وينقله للأنام، فيعمل فتن ويعمل مشاكل لا حدَّ لها ولا عدَّ لها، لكن أصحاب رسول الله ﷺ كما قال ﷺ في شأنهم:

{ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي أَكْلُ الثَّمَرِ أَطَايِبَهُ }^{٢٤}

ينتقون الكلمات والعبارات والألفاظ التي لا تجرح المشاعر، ولا تُصيب أي إنسان بأذى في نفسه، أو بامتعاض في قلبه، وإنما يختارون الألفاظ الحسان عملاً بقول الرحمن ﷻ ليكونوا كما قال الله:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾:

إذاً الذي يُريد حضرة النبي ﷺ يُبشره يعمل كما وضح وبين الله في الآيات الكريمة التي أشرنا إليها.

٢٤ والحديث بتمامه كما رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة ؓ: { عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى وَكَلَّمَا يَدِيهِ إِلَى يَمِينٍ، رَجُلًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْشَى بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النَّاطِرِينَ، يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَفَرْجِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، هُمْ جَمَاعٌ مِنْ نَوَازِعِ الْقَبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي أَكْلُ الثَّمَرِ أَطَايِبَهُ } (طب)، جامع المسانيد والمراسيل.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِيمَانِ الشُّعْرُ فَرْزِي مُحَمَّدٌ نُزِيرٌ

والله ﷻ في هذه الآيات عقد مقارنة بين المؤمنين وغير المؤمنين، فبعد أن ذكر المؤمنين الذين لهم البشرى، فعاد ليعرفنا فضل الله لشكره على عطاياه فقال:

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ :

يعني من كتب الله عليه الكُفر والضلال والعذاب، هل تستطيع أن تنقذه؟! **﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾** (٥٦ القصص).

لنعرف أن أكبر نعمة نشكر الله ﷻ عليها هي نعمة الهداية، والتي تفضل علينا بها الله فضلاً وكرماً من عنده ﷻ، لا بعمل ولا بنسب ولا بجمال ولا بشيء أبداً، ولكنه تفضل منه تبارك وتعالى علينا: **﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾** (١٧ الحجرات) ... لكنه لو لم يُحبب إلينا الإيمان وزينه في القلوب، هل نستطيع أن نفعل شيئاً؟! لا.

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ :

ما دام سبقت له من الله السوء فمن ذا الذي يُنقذه أو يُخرجه؟!
فقد كان رسول الله يقول لعمه:

{ قُلْ كَلِمَةٌ تُجِبُ لَكَ عَلَيَّ بِهَا الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ٢٥

فدخل عليه الشيطان الإنسي أبو جهل وقال له: يا أبا طالب أترغب عن مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ أتريد أن تترك دينك ودين آبائك؟ وهذه هي المصيبة لنعرف أن العناية من الله:

لما اهتدينا ولا أرواحنا عشقت	لولا العناية من أزل لنا سبقت
وهب النفوس الضيا حتى له طلبت	من جمّل القلب منا بالهداية من
والروح قد ولّته فيها وقد ألّهت	عناية سبقت "وألسث" مصدرها

هي عناية من الله لنا، ولو الواحد منا سجد ولم يُقم من سجوده، وأطال الله في عمره إلى يوم القيامة يشكر الله على نعمة الهداية والإيمان، ما استطاع أن يوفّ بشكر هذه النعمة أبداً!! لذلك لا بد أن نستحضر فضل الله علينا بهذه النعمة الإلهية والتي هي نعمة الإيمان.

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخِ فُزَيْيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

أهل الغرف

لكن الذين ارتقوا في مقام الإيمان، وزادوا في التقوى لحضرة لهم الدرجات العُلا:
﴿ لَيْكُنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾:

هذا المقام الذي نسأل الله أن نكون من أهله أجمعين، يقول فيه سيدنا رسول الله ﷺ:
{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعْدَهَا اللَّهُ لِمَنْ
أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ } ٢٦
ما الروشته لمن يريد هذه الغرف؟

أول شيء:

﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (٢٤ الحج) لا يخرج منه إلا الكلام الهين اللين
الطيب الذي يحب أن يسمعه الناس ويستأنسون به، فلا يخرج منه كلمة لاغية، ولا كلمة
نايبة، ولا كلمة شاذة تؤذي الآخرين، وإنما كلامه دائماً بلسم وشفاء إن كان لمن يعيشون
معه، أو لجيرانه، أو لزملائه في العمل، أو للناس أجمعين، وهذا خلق المسلم، هل يُباح
للمسلم يا رسول الله أن يسبُّ أحداً أو يشتم أحداً؟ قال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَانِ وَلَا الطَّعَانِ ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ } ٢٧

لا يسبُّ أحداً أبداً حتى ولو كان من الكائنات الحية التي جعل الله فيها روح، لأن
فيها روحٌ أحيها بها الله تبارك وتعالى، وكلمة اللعن لا تجري على لسانه أبداً.

وسبحان الله كلمة اللعن انتشرت بين الناس الآن، فأجد الشباب يمزحون مع بعضهم
ولا يتكلمون مع بعضهم إلا بهذا الكلام، يقول له: تعال يا ابن كذا!!، أو الله يلعن كذا!!،
لماذا!!؟ كأنهم يُصِرُّون على العمل بما نهى عنه الله ورسوله!!..

وهذا من غضب الله ﷻ!!، فالنبي قال لنا:

٢٦ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

٢٧ مسند أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ } ٢٨

فأنا عندما ألعن شخص بمن مات عنده، إن كان أبوه أو أمه أو غيره، فأنا أقع بذلك في إثمين، أرتكب انتهاك حُرمة الميت، واللعن، ولا ينبغي أن يكون اللعن للمؤمن، لأن اللعن في كتاب الله على الكافرين وعلى المشركين وعلى اليهود، ولا يوجد من المؤمنين ملعون في كتاب الله إلا الكاذبين: ﴿ فَتَجْعَلْ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٦١ آل عمران) أو الظالمين، وحضرة النبي ﷺ حذرنا تحذيراً شديداً، فقال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعَدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا } ٢٩

إن لعنت أحداً تصعد اللعنة، فإذا كان يستحقها تنزل عليه، وإن لم يكن يستحقها ترجع مرة ثانية عليك!، فأنت هنا تلعن نفسك، وكونك تلعن نفسك يعني تبعد عن رحمة الله، لأنك ملعون.

سيدنا رسول الله ﷺ كان في إحدى الغزوات وواحدة من الصحابييات الجليلات كانت راكبة ناقة، وهذه الناقة أسرعت قليلاً فلعننها، فقال ﷺ:

{ خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ } ٣٠

كفارة هذا الذنب أن تتركها حرة تمشي كما تشاء، لكن الآن اللعن أصبح الكلمة الدارجة التي تمشي على لسان المسلمين كلهم، واللعن إما للأب، أو للأم، وقد يجمع من ماتوا كلهم، فيقول: ميتينك، وميتينك يعني أمواتك كلهم، وهذه مصيبة كبرى، فلماذا أسبهم وقد أفضوا إلى رحمة الله وإلى رضوان الله وإلى جنة الله!؟. فالمسلم لا ينبغي أن يسب ولا يلعن ولا يشتم أحداً أبداً، ولكن كما يقول الله إذا كان يتكلم مع غير المسلمين: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣ البقرة) ليعرفوا أن ديننا هو دين الأخلاق الكريمة.

٢٨ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٩ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي الدرداء ؓ

٣٠ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن عمران بن حصين ؓ

الْكُنْزُ الْفِي الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الرَّسْمُ الْفُزْنِيُّ بِحَمْدِ نُوَيْرِ

وإذا كان مع المؤمنين: ﴿ وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (٢٤ الحج) فأقول له كلمة طيبة، فإذا كان عنده مصاب أخفّ مصابه، وإذا كان مريضاً أشجعه لتحمل الألم، وإذا كان عنده مشكلة أو معضلة أيسر عنه لأفرج عنه الهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين مع بعضهم.

فالطيب من القول الذي يداوي جراح المؤمنين، ويحسن أحوال المؤمنين، فكأننا جميعاً أطباء نفسانيين، ونعالج إخواننا المسلمين، فلا نحتاج إلى طبيب نفساني معنا لأننا كلنا أطباء نفسانيين، وهذا ما كان عليه سيدنا رسول الله والصحابة المباركين والتابعين والصالحين أجمعين إلى يوم الدين.

الأمر الثاني:

(أطعم الطعام) هل أطعم الطعام وأنا ليس معي شيء؟ الجماعة الذين أخذوا الوسام العظيم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١٩ الحشر).

ونحن نعرف أن سيدنا الإمام عليّ والسيدة فاطمة أنزل الله فيهما مدحاً في سورة كاملة في القرآن، لماذا؟

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان).

لا يُطعم الطعام للمباهاة ولا للفخر، ولا ليقولوا أن فلان هذا صفته كذا وكذا، وماذا اشتري بهذا الكلام؟ لن أشتري به شيئاً في الدنيا ولا الآخرة بل سيسعد الناس فقط!

لكنني أريد أن ما أفعله أجد له ثمناً عند من يقول للشيء كن فيكون.

الأمر الثالث:

(وصلوا بالليل والناس نيام) المؤمن أمره الله ﷻ أن يكون له نصيباً من قيام الليل:

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ﴿ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات)

كم نُصلي؟ ولو ركعتين، قال ﷺ:

{ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } ٣١

ركعتين اثنتين فقط، ولكن المهم المداومة على هذا الحال.

هذه العُرف في الجنة، وأهل هذه العُرف أكبر مُتعة لهم النظر إلى وجه الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٧٥ الفرقان) دائماً يسمعون فيها السلام من السلام، ويتمتعون بالنظر إلى وجه الله ﷻ على الدوام، وهؤلاء يقول فيهم سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ } ٣٢

الكوكب البعيد جداً، بيننا وبينه الملبارات من السنين الضوئية، ولذلك يكون ضوءه خافت وليس كالشمس والقمر، لماذا؟ لعلو المنزلة ولعلو الدرجة التي أصابوها بهذه الأعمال الطيبة التي بيننا وفصلها الرسول الكريم. ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلَفُ ۚ وَاللَّهُ أَكْمِلُ عَمَلِهِ﴾ :

الله سبحانه وتعالى يُخلف الوعيد من كرمه ومن حلمه، ولكنه لا يُخلف الوعد، فما وعد به لا بد أن ينفذه، لكن الوعيد يرجع فيه لأنه غفورٌ ورحيمٌ وتوابٌ وكريمٌ وعظيمٌ، ويُحبنا جماعة المؤمنين، ويريد دائماً أن نكون في الدرجات العلى عنده لأنه هو الذي أحبنا قبل خلقنا ووهب لنا الإيمان تبارك وتعالى.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لعمل الخيرات، واستباق الطاعات، والمداومة على النوافل والقربات، وحُسن المتابعة لسيد السادات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

٣١ سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣٢ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ١٢ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿١٣﴾ * فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ
إِذْ جَاءَهُ^١ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾
وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ^٢ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٥﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ^٣
ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ
أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ^٤ وَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ^٥ وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٨﴾ (الزمر)

٢٩. الصادقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي خصَّنا بخير نبي اختاره بين الأنبياء والمرسلين، وزاد في تفضيلنا فاختر لنا خير كلام أنزله للأولين والآخرين؛ كتاب الله تعالى القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، والصلاة والسلام على من كان خُلِّقه القرآن، وعمله القرآن، وحياته القرآن، بل وأكله ونومه وشربه بالقرآن؛ سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

القرآن وحل مشاكل المسلمين

حلّ مشاكل المسلمين أجمعين بالرجوع إلى كتاب الله، فكل واحد منا يجب أن يكون له كل يوم وقفة مع بعض آيات كتاب الله، يقرأ ويعي ويتدبّر، ثم يعمل بتوفيق الله بما فتح الله به عليه من آيات كتاب الله تبارك وتعالى.

لماذا ساد أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم؟ ولماذا سادوا العباد والبلاد؟ يقال أن المدينة كنت إذا مشيت في طرقاتها بالليل تسمع للبيوت دويًا كدوي النحل، من تلاوة كتاب الله ﷻ، ولم يكن عندهم إنارة ولا حتى مصابيح غاز، ولم يكن عندهم غير الشمع، لكن نور القرآن مع نور الإيمان يكشف لهم ملامح وحقائق حضرة الرحمن ﷻ، فكان لا بد وأن يقرأوا القرآن.

وسيدنا عبد الله بن مسعود ؓ يقول لنا في ذلك: (جعلنا القرآن رسائل ربنا تبارك وتعالى إلينا - خطابات أرسلها لنا فننظر ماذا في هذا الخطاب - فنقرأه ونتدبره بالليل، ثم ننفذه بالنهار)

فعندما ينادي الله عليّ وعليك ويقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أقول له: لبيك يا رب، فأقرأ وأفقه وأنقذ ما يريد مني، وهذا كان منهج أصحاب رسول الله ﷺ،

وهو منهج كل الصالحين الذين كانوا على قدم الورثة المحمدية لسيد الأولين والآخريين ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٣٢ فاطر).

القرآن عبادة الأصفياء

ما علامة الاصطفاء من الله؟

أن يكون العبد قائماً بكتاب الله تبارك وتعالى، وهذا الوحيد الذي يجمع شمل المسلمين، ويوحد صفوف الموحدين، ويُنهي المشاكل والخلافات التي انتشرت بالبلدان بين المسلمين، لأن كتاب الله فيه كل شيء أنزله الله تبارك وتعالى، فكانوا على هذه الشاكلة.

سيدي أحمد بن إدريس ؑ يقول:

{ احترتُ، هل أسلك طريق الذكر، أم طريق القرآن في الوصول إلى الله ﷻ؟
فرايتُ النبي ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله أيهما أسلك: الذكر أم القرآن؟
قال: القرآن القرآن يا أحمد، فاشتغل بتلاوة القرآن }

وسيدي أحمد البدوي ؑ وأرضاه :

كان إذا انتصف الليل يقوم بين يدي مولاه يقرأ القرآن حتى صلاة الفجر، وكانت هذه عبادته مع أنه كما يحكي خادمه سيدي عبد العال ؑ فيقول: خدمتُ سيدي أحمد البدوي أربعين عاماً فما وجدته غفل عن ذكر الله طرفة عين: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣٧ النور).

كل السلف الصالح الوارثين المصطفين ما عبادتهم الأصلية؟

ما قال فيه أمير الأنبياء والمرسلين ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمِّي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } ٢

ولكن مع التدبر والتمعن، وليست قراءة سريعة، وعد ختمات!!، هل تُعَدُّ على الذي عليك نعمه لا تُعَدُّ؟! إذا كان صاحب النعم وهو المنعم لا يُعَدُّ عليك نعمه، فكيف تُعَدُّ ما

٢ شعب الإيمان للبيهقي ومُسند الشهاب عن النعمان بن بشير ؑ

هو واصل منك إليه؟! ولا يصل إلا بمعونته وحوله وطوله وفضله ﷻ!!.

تحتاج كما قال الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١٧ القمر) لم يقل: (هل من قارئ) ولكن قارئ يتدبر ويتفهم ويتبحر في معاني القرآن.

وإذا طهر القلب - وهذا ما يحتاجه ليتدبر - فتفاض عليه معاني القرآن من لدن حضرة الرحمن، لم يقرأها في كتاب، ولم يسمعها من عالم، ولكنها تحتاج أولاً طهارة القلوب التي يقول فيها سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا حذيفة رضى الله عنهما:

(لو طهرت القلوب لم تشعب من قراءة القرآن) ٣

القلوب تحتاج أن تتطهر من الدنيا والغموم والهموم والمشاكل، ويرمي الإنسان حموله على الله، ويقبل بالكلية على مولاه، فيتولى الله تعليمه كما قال في كتاب الله: ﴿ الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ (الرحمن).

من الذي يعلم الإنسان معاني القرآن؟

الرحمن تبارك وتعالى، لأنه أعلم بكتابه، وهو الذي يعلم المراد من الآيات التي أجراها في كتابه، لأنه رب العباد تبارك وتعالى .. وكان ولا يزال.

السلف الصالح، والصالحون الأفذاذ كانت دروسهم عبارة عن أنهم يعملون بحديث حضرة النبي الذي قال فيه:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ } ٤

هل توجد مجالس أبهى من هذه المجالس؟ أبداً!!!

وكان على هذه الشاكلة أصحاب رسول الله والصالحين في كل زمان ومكان.

سيدي عبد الرحيم القنائي ﷺ وأرضاه :

٣ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ﷺ.

٤ سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

وُلِدَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَأَبُوهُ مَاتَ وَكَانَ عِنْدَهُ إِثْنَا عَشَرَ عَامًا، فَتَأَثَّرَ تَأَثَّرًا شَدِيدًا لِأَنَّ أَبُوهُ كَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَأُمُّهُ كَانَتْ مِنْ دِمَشْقَ، لَكِنْ الْأَوْلِيَاءُ لَا تَشْغَلُهُمُ الْمَسَافَاتُ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَوَاصِلَاتُ، وَلَكِنْ اللَّهُ قَرَّبَ لَهُمُ الْمَسَافَاتُ.

فَأَرَادَتْ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ هَذَا الْجَوِّ فَأَرْسَلَتْهُ إِلَى أَخُوهِ فِي دِمَشْقَ، يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَسْتَزِيدُ مِنْهُ، وَيَخْرُجُ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَمَكَثَ هُنَاكَ حَتَّى سَنَ الْعِشْرِينَ ..

فَعَادَ عَالِمًا، فَوَجَدَهُمْ مُحَافِظِينَ عَلَى كُرْسِيِّ أَبِيهِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ، وَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ عَلَى كُرْسِيِّ أَبِيكَ، بَعْدَهَا تُوُفِّتَ أُمُّهُ، فَقَالَ: أَذْهَبُ لِلْحَجِّ، فَمَكَثَ ثَمَانِي سَنَوَاتٍ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، مَدَّةً فِي مَكَّةَ، وَمَدَّةً فِي الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ لِأَحَدٍ فَكَانَ يَتَاجَرُ لِیَأْكُلَ مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ وَيَتَصَدَّقُ، وَكُلَّ هَذَا وَلَمْ يَتَزَوَّجْ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَهْبِطَ إِلَى قَنَا، لِيُبْلِغَ رَسُولَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَمَّا نَزَلَ قَنَا مَاذَا فَعَلَ لِتُبْلِغَ رَسُولَ اللَّهِ؟ كَانَ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ دَرَسٌ إِمَّا بَعْدَ الْعَصْرِ أَوْ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَالدَّرْسُ يَكُونُ بِأَنْ يَتْلُو آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَيُفَسِّرُهَا لِلْحَاضِرِينَ، وَهَذَا نَحْجُ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ الْوَارِثِينَ لِمَقَامِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ.

وَكَانَ لَهُ إِكْرَامٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ: لِي لَيْلَتَانِ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ أَجْتَمَعُ فِيهِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْرَضَ عَلَيْهِ مَا اسْتَشْكَلَ عَلَيَّ، فَيُجِيبُنِي عَنْهَا جَمِيعًا، لَيْلَةً الْإِثْنَيْنِ وَلَيْلَةً الْجُمُعَةِ، يَأْتِيهِ سَيِّدِنَا رَسُولُ اللَّهِ وَكُلُّ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي سَأَلَهَا الْحَيِّينَ وَالسَّالِكِينَ وَالْمُرِيدِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَتَوَقِّفٌ عِنْدَهَا، فَيَجِدُ الْإِجَابَةَ الْمُوَافِقَةَ مِنْ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﷺ.

فَذَاتَ مَرَّةٍ يَحْكِي وَهُوَ فِي قَنَا فَقَالَ:

عِنْدَمَا كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ مَقِيمًا فِيهَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَامًا فِي رُؤْيَا ذَاتِ لَيْلَةٍ، فَسَأَلْتُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ: كَيْفَ حَدَثَ شَقُّ الصَّدْرِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَقَدْ شَقَّ صَدْرِي وَأَنَا فِي الْيَقِظَةِ مَا شَعَرْتُ فِيهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَلَمٍ، وَأَتَانِي اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، لِيَتَحَمَلَ نَزُولَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ، لِأَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ طِفْلًا لَا يَتَحَمَّلُ هَذَا النُّزُولَ، وَأَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٢١ الحاشية—)**

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء) فمن رحمة الله بي أن هذا القلب الذي ارتضاه ربي فيه قوة ونورانية ونقاء وصفاء، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعثراتها، تجري فيه آيات الرحمن التي نزلت عليه، لم يخالطها شيء من قوة أخرى، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة، وقد حفظه الله من الزيف والنسيان، وليس للشيطان سلطان عليه، ومتى جرى قول الله في مكان أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى، وهذا معنى قوله تعالى عني: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْنَضُوكَ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) وهذا هو المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢ الشورى) ولقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي وعلى قلبي، وكان قلبي نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده، وأرسلني جل شأنه لهدي الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم.

ثم بعد أن روى سيدي عبد الرحيم ذلك يقول لمستمعيه:

يا عباد الله هذا هو ما وصل إليّ في وصف قلب رسول الله ﷺ من رسول الله نفسه، وأنا هناك بالأرض الطيبة بالمدينة المنورة، أنعم برضاء الله وحب رسوله العظيم.

فهذا منهج الصالحين أهل الوراثة الكاملة لسيد الأولين والآخرين ...

آيات كتاب الله، ونعيش فيها، سواء الإنسان بمفرده، أو سواءً كنا في جماعة، وهل هناك أحلى من مائدة كتاب الله؟! وهل هناك أعلى من كلام الله؟! وهل هناك أنقى من هذه الألفاظ؟! هذه الألفاظ؟!!

فهذا ديدن الصادقين نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين في كل زمان ومكان.

وهذا ما جعلنا نختار في كل جلسة من هذه الجلسات المباركة:

أن نأخذ بعض آيات القرآن ونتحدث فيها بالمعاني التي يُلهمنا الرحمن على حسب حال السامعين، أما معاني كلام الله تبارك وتعالى فلا يُحيط بها الأولون والآخرون ولو اجتمعوا!!.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ

نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الْقُرْآنِيَّةِ

الدِّسْتَمُورِيَّةُ مُحَمَّدُ نُزَيْرُ

الموت والحياة

بدأ الله ﷻ هذه الآيات التي بين أيدينا بخطاب من الذات العلية للحضرة الحمدية:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾:

ومعناها الظاهر الذي ورد في أسباب النزول أن الجماعة الكافرين أيام حضرة النبي كانوا يتمنون موته، حتى يرتاحوا منه في ظنهم، فأخبره الله وقال: إذا كانوا يتمنون موتك فهم أيضاً سيموتون: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

والصالحون استشفوا معاني راقية عالية لا تتعارض مع المعنى الظاهر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾:

في حينا وهوانا، لأنه لا يوجد في الخلق أجمعين من كان قلبه مملوءاً بالحب لربه كسيد الأولين والآخرين ﷺ، ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾:

ميتون بالجهل، وميتون بالكفر، وميتون بالظلمات التي يعيشون فيها، وشتان بين هذا وذاك، لكن حبيب الله كان ميتاً في ذات الله تبارك وتعالى.

وفتح الله الباب للمؤمنين:

فمن يدخل في هذا الباب وينشغل بحب الله حتى يُفني هواه، ولا يكون له هوى إلا في مولاه، يدخل في قول الله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (١٢٢ الأنعام) احتيا بالله ..

وهي حياة ليست كحياتنا هذه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢ الأنعام) وليس هذا النور الذي معنا، لماذا؟

لأنه ألمات حظه وهواه، واحتيا بمولاه تبارك وتعالى.

وهل نحن لسنا أحياء؟! نسأل القرآن، فالقرآن يذكر أن هناك أناس عائشة، وهناك أناس أحياء، فمن العائش ومن الحي؟

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (١٢٤ طه) له معيشة ...

ونادى على المؤمنين أمثالنا فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مؤمنين بنص كلام الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١٢٤ الأنفال)؟

فمن الحي في نظر الله؟

الذي استجاب لرسول الله، ترك حظه وهواه ومشى خلف رسول الله مستجيباً لكلام الله، فهذا هو العبد الحي في نظر الله!!

وهذا حتى لو جاءته الموتة القهريّة العزرائيلية فيكون قد دخل في الحياة الربانية الشهودية: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩ آل عمران) ...

دخل في الحياة الربانية الإلهية العالية.

حقوق العباد

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾:

الخصام في ظاهر الآية بين حضرة النبي ﷺ والمؤمنين والكافرين، لكن الجماعة العارفون والعلماء العاملون قالوا:

هذه الآية تجر كل المسلمين في كل زمان ومكان، وماذا يعني ذلك؟

المسلم والمؤمن الحريص على النجاة، وأن يخرج من الدنيا مع السعداء بجوار حبيب الله ومصطفاه، فعليه في الدنيا أن يخلي طرفه من حقوق عباد الله أجمعين، إياك أن تبقي عليك حقاً لعبد من عباد الله، لماذا؟ لأنه كما ورد في الأثر أن الله يوم القيامة ينادي فيقول:

(يا عبادي لقد استمعت إليكم كثيراً، فاستمعوا إليّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم؛

فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم !!)

ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

العبد ينتهي من الحساب ويجوز الصراط، والملائكة تزفّه إلى باب الجنة، وعند القنطرة على أول الجنة ينادي مناد الله في خلق الله في الجمع: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فتخرج الخلائق!!!!

والنيابة الإلهية أرسلت أخطاراً لكل واحد منهم بما على هذا الرجل لهم، فمنهم من يتعلق برقبتة، ومنهم من يتعلق بيديه، ومنهم من يتعلق بوسطه، والكل يقول:

يا رب خذ لي بحقي من هذا، ما حقك؟ ... منهم من يقول: إنه اغتابني مرة، ومنهم من يقول: سرقني مرة، ومنهم من يقول: ظلمني مرة، ومنهم من يقول: غشني مرة، ومنهم من يقول: كذب عليّ مرة، ومنهم من يقول: طغف الكيل أو الميزان عليّ مرة، فيقول رب العزة تبارك وتعالى كما ورد في الأثر:

(وعزتي وجلالي لا تدخل الجنة حتى تُرضي خُصَماءك)

اجلس مع هؤلاء وهات لي محاضر صلح منهم.
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٦ الأعراف—راف)
لا أعرف اسم الذي ظلمني، لكنهم يعرفوني سيمته وشكله، مع أنه نشأ نشأة أخرى في الدار الآخرة لكن: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ (٤٤ الكهف) ...

والمسلم الحكيم الذي يذهب إلى هناك وليس له مطالبين، والنبي ﷺ نصحننا فقال:

{ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تُكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ }^٥

يطلب السماح منه والعفو قبل أن لا يكون دينار ولا درهم!!!

فليس هناك لا دينار ولا درهم، لكن يجلسوا معه ليعملوا محاضر صلح، فيقول: يا فلان سامعني، فيقول له: وماذا تدفع لي؟ فيقول: وماذا أدفع؟ يقول: له من حسناتك، فإذا نفذت الحسنات، ولا يزال هناك مطالبين، فيقولون له: احمل عنا من سيئاتنا.

فلا أحد هناك تأخذه الشفقة أو الحنان أو العطف ...

فكل واحد يبحث عن الدرهم التائه، أو الحسنة التائهة، لأنه الأعمال قد انتهت وأصبحوا في دار الجزاء أمام الواحد المتعال ﷻ.

كلمة يقوها أحد الشباب لمن حوله ولا يلقي لها بالاً عن واحدة مرت أمامهم في

٥ صحيح البخاري ومسلم أحمد عن أبي هريرة ؓ

الطريق، فيقول: فلانة هذه عملت كذا وكذا، وفلان عمل فيها كذا، فهل رأيت ذلك؟! وحتى لو أنك رأيت فلا تصحّ الشهادة إلا إذا كان معك ثلاثة، والأربعة يكونوا قد رأوا الحالة تماماً بتمام، ولو واحد من الأربعة رجع في كلامه فالثلاثة الآخرين يُجلدوا،.. لأن هذا قذف المحصنة، ماذا قال حضرة النبي في هذا الأمر؟ قال:

{ إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لِيَهْدُمَ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ }^٦

كم مائة عندي؟! أنا خائف أن يكون أهل هذا الزمان هم المعنيون بقول النبي العدنان:

{ أَذْهَبُوا مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ وَلَا مَتَاعٌ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ }^٧

آفة الكلام

هذه آفة العصر، الصديق الذي بشّره النبي ووضع يده اليمين على كتفه ويده اليسار على كتف عمر وقال:

{ هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^٨

وانظر إلى آيات القرآن التي ذكرته وماذا قالت فيه؟ فيقول الله لحضرة النبي: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الشرح) ويقول للصديق: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢١ الليل)، وفي آيات الهجرة أدخله الله فيها مع حضرة النبي خمس مرات .. ومع ذلك فقد كان:

٦ الحاكم في المستدرک ومسند البزار عن حذيفة بن اليمان ؓ

٧ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

٨ الحاكم في المستدرک والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ يضع حجراً في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير الضرورة ويشير إلى لسانه ويقول
هذا أوردني الموارد }

هو سر المشاكل كلها، ولذلك كان ولا يزال المؤمنین الصادقین شعارهم الأساسي (الصمت) إلا إذا كان هناك داعياً ضرورياً للكلام، ولكننا نرى المسلمين الآن يتكلمون عمال على بطال كأنهم ليس معهم ملائكة تسجل، ولا أرض تسجل، ولا رب يسمع: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق).

وهذا حال الصالحين، فالذي يريد أن يكون من الصالحين فهذا هو الطريق، يُعوّد نفسه على الصمت إلا في الضرورات، والكلمات لا بد أن يزنها أولاً ويُفكر فيها ويُقدّر لها قبل أن تخرج من فيه، لأنها لو خرجت لم تعد ملكك.

فلو حاولت أن ترجع وتتأسف في الدنيا فقد أصبحت مشكلة وتقول: يا فلان قل لفلان يسامحني وتصبح خزي وندامة، وفي الآخرة كما ذكرنا !!!

فما الداعي أن أدخل في هذه الأمور !!!

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤ النساء).

بالله عليكم:

لو أن المؤمنين ركبوا فرامل جيدة للسان، فهل تحدث أي مشاكل في أي مكان كان، في بيت أو في طريق أو في مكتب أو في عمل !!!

المشاكل كلها سببها اللسان، واللسان صاحبه ليس مهيمناً عليه، ويتركه يشغل وهو غافل عن أنه سيحاسب عن كل صغيرة وكبيرة تفوه بها لسانه وقالتها شفتاه.

ولذلك كان حضرة النبي ﷺ دائم الصمت، وهذا كان وصفه، فلا يتكلم إلا في ضرورة، وكان أصحابه على هذه الهيئة، والصالحون كذلك.

واحد من تلاميذ سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله وكان اسمه الشيخ مكين الدين الأسمر، وله مقام بالأسكندرية بجوار سيدي ياقوت العرش لمن أراد زيارته هناك:

كان يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي: (مكين الدين رجلٌ من الأبدال) وكان ترزياً، وأنتم تعرفون محل الترزي أو الحلاق أو أصحاب الصناعة يكون دائماً مليئاً بالناس ويتكلمون، فماذا كان حاله؟ يقول: أجلس مع ربي آخر اليوم أحصي كلماتي التي تكلمتُ بها في نهار، فأجدها لا تزيد عن ثلاث عشرة كلمة!!.

إذا وجد في الإشارة غناءً عن العبارة، فيقول: لا داعي للعبارة، لماذا؟

يريد أن يتكلم مع من يقول للشيء كن فيكون.

فيقول أراجع كلامي الذي قلته فالكلمة التي فيها خيرٌ أشكر الله عليها، والكلمة التي أرى فيها غير ذلك أستغفر الله بعد أن أندم عليها.

هذه أحوال الصالحين ...

وإذا كان هو من المريدين، فأين هذا من مريدنا الذين في زماننا هذا؟؟!!

فإذا كنت تريد أن تكون من الصادقين، فهذا نهج الصادقين:

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة)

لكي تتعلموا منهم الصدق، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فالإشارة التي نأخذها منهم معشر المريدين والسالكين هي اللسان:

أمسك عليك لسانك، وإياك أن تقول إنها زوجتي وأقول لها ما أريد!!

فلها حق سيأخذها لها الله ﷻ إذا تجاوزت، وإياك أن تقول إنه ابني وأقول له ما أريد،

لا، فإنه إنسان خلقه الرحمن وكرّمه، ومن يُحاسب فهو الرحمن سبحانه وتعالى:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ } ١٠

وبعد ذلك لو لم تؤدي إلا فرائض الله، فستكون من أغنى الأغنياء في الدار الآخرة وفي الجنة إن شاء الله، لأنه ليس عليك ديون، وليس عليك مطالبين، وكل ما تفعله في صحيفة حسناتك ويضاعفه الله ﷻ أضعافاً كثيرة.

الصدق والصادقون

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾

هذه الآية يبين لنا الله فيها منزلة الذين كذبوا بالصدق، والصدق هو القرآن الكريم، والذي قال فيه الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢).

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾

وهو القرآن.

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾

وهو النبي ﷺ،...

أو الذي جاء بالصدق هو النبي العدنان، والذي صدق به هو الصديق والأتباع إلى يوم القيامة، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

فلا يوجد أبداً من الذي كذب بالقرآن في عصرنا، ويحاول أن يقول: إن القرآن لا يصلح لزماننا، فالقرآن كان لعصر النبي وأصحاب النبي، ولكننا الآن في عصر حضارة وتقدم ومدنية، وهي دعوة عصرية غرروا بها شبابنا، مع أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأهل الغرب يعترفون بهذه الحقائق الظاهرة، ويؤيدونها بالإختراعات والكشوفات التي ألهمهم بها الرحمن تبارك وتعالى.

فمن يكذب بالقرآن يعني يترك العمل بالقرآن تشككاً في منهج القرآن، أو لعدم

توفيق في صدق الاعتقاد في منهج القرآن، فهؤلاء قال فيهم الله:

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ :

فهؤلاء - والعياذ بالله - مثواهم يعني مأواهم جهنم وبئس القرار.

والآخرون الذين نريد أن نكون منهم إن شاء الله، وهم الذين صدّقوا بما جاء به رسول الله، وقالوا: ما جاء به رسول الله على العين والرأس، فإذا فهمناه فهذا فضل من الله، وإذا لم نفهمه فما زال الوقت باقياً حتى نرجع إلى الله ونطلب منه أن يُفقهنا فيما آتانا به رسول الله ﷺ.

ولو أن الإنسان صدق مع الله سيرزقه الله الفقه في دين الله وفي كلام رسول الله..

فما علامة حب الله للعبد؟

قال ﷺ:

{ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَالْهَمَّةُ رُشْدُهُ } ١١

من الذي يُفقهه؟

الله ﷻ، وهو الذي يُلهمه بالإلهامات الصحيحة والعلوم الحقيقية

في كتاب الله تبارك وتعالى.

مطالب الأتقيا

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ :

هؤلاء قال الله في شأنهم: ﴿ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢٢ الشورى).

بعض الناس لم ينتبهوا فقالوا: لهم ما يشاءون في الدنيا! والله وضّح الآية، البعض يذهب للرجل الصالح ويقولون له: نريدك أن تُخفّف فلان، وهل الرجل الصالح يملك غير الدعاء؟! ما عليه إلا الدعاء، لكن من الذي يملك الشفاء؟ الله تبارك وتعالى.

فإذا ذهبنا إلى الرجل الصالح ودعنا الله، ولم يتحقق الشفاء لحكمة يعلمها الله، فيقولون: كيف يكون صالحاً؟! نحن ذهبنا إليه من أجل أن يدعو لفلان ودعوته لم تُستجب!! من الذي قال هذا؟!

الشيخ ابن عطاء الله السكندري يُبين الأمر فيقول:

(يستجيب لك فيما يُريد ، لا فيما تُريد ، وفي الوقت الذي يُريد ، لا في الوقت الذي تُريد).

أنت تدعو الله، ومتى يستجيب؟

لا يُسال عما يفعل، وهل تحكم عليه أن يستجيب اليوم؟!

وبماذا يستجيب؟ بما فيه خيرٌ لك، فجائز أن دعوتك التي تدعو بها هي شرٌ لك، فهل يستجيبها؟ ... لا !!! فهو يستجيب فيما يُريد لأنه أعلم بما ينفعك وما يُصلحك، وفي الوقت الذي يُريد لأنه أعلم بمصالح العبيد.

وهل يوجد منا كلنا أعلى في المقام من موسى كليم الله؟! ومعه أيضاً سيدنا هارون، عندما أراد أن يدعو علمنا كيف ندعو ..

فعندما تدعو وتريد أن يكون دعائك مُستجاب، هات معك جماعة من الصالحين فيكون الدعاء أقرب إلى الإستجابة، فعندما تدعو وحدك غير ما تدعو وأنت في مجموعة.

فطلب من أخيه هارون أن يدعو معه فقال: ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴿ (يونس) صدَّق الله على الطلب، فهل بقي شيء بعد ذلك؟ لا ..

فانتظرا تحقيق الدعوة بعد أربعين سنة، حتى جاء هلاك فرعون!!

وكما ورد بالأثر :

(أن موسى قال : لم يا رب تأخرت عليّ بالإجابة؟ قال : يا موسى لأنه كان باراً بأمه وكانت تدعو له ، فلما ماتت أمه نفذنا دعوتك .)

فعندما أدعو الله ﷻ أتأكد أنه استجاب، ومتى يُحقق هذا الدعاء؟ في الوقت الذي

يرى فيه منفعتي ومصلحتي، وبالطريقة التي يرى فيها الخير لي في الدنيا والآخرة.

فطنة الصحابة

لكن أنت تريد شيئاً طيباً من الصالحين فكن فطناً:

﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

كن كأصحاب حضرة النبي، قال لأحد أصحابه:

{ سَلْنِي يَا رَبِيعَةَ أُعْطِكَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : أَنْظُرْ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَعْلِمْكَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي ، قَالَ : فَقُلْتُ : أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَخْرَتِي ، فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ ، قَالَ : فَبَحِثْهُ ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ ، فَيُعْتَقَنِي مِنَ النَّارِ } ١٢

وعن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ : أَنَا فَاعِلٌ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ، قَالَ : أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ ؟ قَالَ : فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ؟ قَالَ : فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أَحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ } ١٣

أنا موجود في هذه المواضع لأطمئن على أحمائي وأتباعي أجمعين إلى آخر واحد منهم

ينتهي من الحساب !!!

وبعد ذلك يدخل حضرة النبي الجنة !!! مع أنه مفتاح الجنة !! لكن لا بد أن

يحضر معنا كلنا.

١٢ مسند أحمد والمطالب العالية لابن حجر عن ربيعة بن مالك ﷺ

١٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس بن مالك ﷺ

{ وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: المزمع مع من أحب } ١٤

يُحشر المرء مع من أحب يوم القيامة، وانظر إلى طلباتهم وطلباتنا!!

الناس الذين يُشغلون الصالحين في الأوجاع الدنيوية والأغراض الفانية الدنية، مع أنهم لو توجهوا فيها بصدق نية إلى رب البرية لأجابهم أجمعين!!!

لكنك تحتاج للصالحين أكثر في الأمور الأخروية!!!، فتكون معه يوم القيامة في الشفاعة!!، لأن لكل رجل صالح شفاعة يوم القيامة....

فهذه كانت طلبات أصحاب رسول الله ...

رجلٌ آخر أخذ يبكي، ومن طول البكاء عدة أيام نحل جسمه واصفرَّ لونه، وكان خادم حضرة النبي، فقال له:

{ يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع، غير أنني إذا لم أراك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأنني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأنا إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحزى أن لا أراك أبداً، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ١٥ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً } ١٥.

فعندما تنتبه: ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ : فتعطي المطلب الذي تطلبه من

أصحاب هذا المشهد، وتقول له:

أنا أريد الفتح الرباني، أو تقول له: أنا أريد فتح نور البصيرة، أو تقول له: أنا أريد أن

١٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود
١٥ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الصُّبُوحِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الْقُرْبَانِ الشَّيْخُ فُزَيْيْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

أتمتع بنور حضرة النبي، أو تقول له: أنا أتمنى أن تنزل عليَّ الملائكة كما كانوا ينزلون على الصالحين وأصحاب حضرة النبي.

لكن الأشياء الأخرى فكلها فانية، فإما تترك وإما يتركك !!
فلا تجعل مطلبك مطلباً ديني.

رجلٌ من الصالحين أحب أن يقرب هذا الأمر لأحد المريدين:

وكان معتمداً أيام الملك، فقال له: لو أن الملك طلبك ليُكرِّمَكَ فماذا تفعل؟ فقال له: أكوي الجبَّةَ وأنشِّي العمامة وألبس كذا وكذا وأضع كذا، قال له: فإذا ذهبت للملك وجلست عنده وقال لك: ما تريده أطلبه، فهل ينفع أن تقول له أنا أريد مليماً؟ لا، فلا بد أن يكون مطلبك عالياً

فالصالحون لا يطلبون من الله إلا الله، ولا يطلبون حتى الجنة إلا لأن فيها في جوار الله، ويتمتعون فيها بوجه حبيب الله ومصطفاه، فلما تقصدهم اجعل مقصدك عالي، وهي فرصة لكي تتعرض، وإذا تعرضت فإن الله أعطاهم كما قال:

﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ :

الذين وصلوا إلى مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ... هؤلاء ماذا أيضاً لهم عند الله؟

﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ :

إذا كان أسوأ شيء عملوه سيغفره لهم، فهل بقي شيء بعد ذلك؟! هي مغفرة تامة كاملة عامة شاملة لهم من الله تبارك وتعالى: وأين الذي أحسنوا فيه؟

﴿ وَجَزَيْنَاهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ :

يضاعفه لهم أضعافاً مضاعفة، كل واحد منا يعمل عملاً صالحاً يجد هذا العمل أضعافاً مضاعفة يوم يلقي الله تبارك وتعالى، لأن الله يُنمي للمؤمن عمله.

والله سبحانه وتعالى يزيد دائماً في رزق المؤمن في عمله الصالح حتى يكون يوم القيامة وجهياً في الدنيا والآخرة، أو يكون عند الله وجهياً.

وأنت إذا كنتَ تحمل همَّ الدنيا، فيكفيك قول الله:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ : ... وهل لا تطمئن بكفاية الله لك؟! من الذي لجأ إلى الله ولم يكفه مولاه؟! ومن الذي توكل على الله ولم يتمَّ وكالته مولاه تبارك وتعالى؟! ومن لجأ إلى الله مضطراً في أي حاجة ولم يُجبه الله؟! وهو القائل:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (٦٢ النمل)، وجمعنا الله ﷻ في هذه الآية في القراءة الأخرى: ... ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ على الجمع كلهم، كل طلباتهم، وحضرة النبي لخصها في منهج صغير:

{ اخْفَظْ اللَّهَ يَخْفَظَكَ اخْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ } ١٦

سيُخوفونك من الدنيا ومن المرض ومن المشاكل ومن غيرها!!!

ما دُمتَ أنت في حصون الله وفي رعاية الله، فمن كان همُّه على مولاه فليتقي الله وليعلم علم اليقين قول الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢ الطلاق) من كل أمر: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣ الطلاق) ما حسبتها من هنا ومن هنا فلن تأتيك، ولكن ستأتيك من سكة أخرى وهي حساب الله ورزق الله للمؤمنين، والمؤمنين داخلين تحت قول رب العالمين: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢ البقرة).

فأنت كمؤمن اجعل ظهرك على الله، وألق حمولك على الله، وحسن ثقتك وظنك في الله، وقف دائماً مناجياً لله على باب الله، تجد أن الله ﷻ سخر لك كل شيء في الأرض وفي السماء، كما سخرها لرسول الله وأصحابه الأتقياء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يُمتنعنا بالعطايا الإلهية، والأرزاق الربانية، وأن يُكرمنا دائماً وأبداً بالتعلق بالذات الحمديدية، حتى يكشف لنا الحجاب عن وجه حضرته، فنتملّى به يقظةً ومناماً، ونراه حالاً وترحالاً، ويكون معنا دُنْيا وآخرةً أجمعين ... وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ

السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي
لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ
تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ
كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ
الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا
هُم يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ (الزمر)

٣٠. أهل الإنابة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أثلج صدورنا بسماع كلام الله، وفتح آذان قلوبنا لفهم معناه ومغزاه، ومتع أعين بصائرنا لشهود النور المنبعث من أنوار كلمات الله، والصلاة والسلام على الحبيب المحبوب، الذي طهره مولاه من العيوب، وحفظه حتى من الخطرات التي تؤدي إلى الذنوب، وجعله ﷺ لله حبيباً ومحبوب، صلّ وسلم وبارك اللهم على سيدنا محمد، واجعلنا من أهل التعرض لنفحاته، ومن أهل النظر بنظرات حناناته، واجعل قلوبنا مرآة تنجلي في حضرة ذاته، حتى لا يغيب عنا طرفة عين ولا أقل، نحن وإخواننا والمسلمين أجمعين.

العلم الإلهامي

تأصيلاً للمنهج النبوي، والهدي الصحيح الصوفي، نمشي على ما تعودنا عليه، فإن النبي ﷺ ربي كبار أصحابه على العلم الإلهامي في كتاب الله الرباني، فلم يكن لهم مدد ولا استمداد إلا من كتاب الله، ليس لديهم مكتبات ولا كتب ولا إذاعات ولا صحف ..

أين كتبهم؟ وصفهم الإنجيل فقال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة في شأنهم: ((أناجيلهم صدورهم)) والأناجيل يعني الكتب.

وقال الله ﷻ مبيناً شأنهم وحالهم مع كتاب ربهم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٤٩ العنكبوت) الآيات التي في المصحف تتلى، لكن الآيات المبينة تكون في الصدور وليست في السطور.

من الذي يكتبها؟ الله ﷻ، فإنهم ونسأل الله أن ندخل معهم في قول الله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (٢٢ المجادلة).

البعض يعترضون على المجالس الصوفية وليس على الطرق، لأن الطريق واحد، لكنها مدارس، وكل مدرسة أخذت منهجاً، وكل المدارس أخذت من مشكاة الحبيب ﷺ.

وأيام حضرة النبي كان كذلك، فقد كان هناك رجال أكابر رباهم حضرة النبي ﷺ على عينه، وكل واحد منهم كان له تلاميذ يتعلمون منه.

أولهم الإمام علي عليه السلام، وكان يقول:

{مَعَاشِرَ النَّاسِ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي - يَقُولُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ} ، وفي رواية أخرى:
{ سَلُونِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ . وسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ
مَا مِنْ آيَةٍ وَأَنَا أَعْلَمُ أَلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ ، أَمْ فِي سَهْلٍ أَوْ فِي جَبَلٍ . وخطب يوماً
بِالْكُوفَةِ فَقَالَ : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ؛ فَإِنَّ بَيْنَ جَنْبِي عِلْماً جَمّاً }^٢

أين تفسيره (سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ)؟ مطبوع في الصدور، وليس في المطابع !!!،
يحفظونه في صدورهم حتى يودعونه في قلوب أشباههم وأمثالهم، ولذلك لا يطلع عليه أحد
إلا أهله، يقول الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه في هذا التفسير:

{ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَوْقِرَ سَبْعِينَ بَعِيراً مِنْ تَفْسِيرِ أَمِّ الْقُرْآنِ لَفَعَلْتُ }^٣

يحملون سبعين جملًا بالكتب في تفسير الفاتحة!! أين من ذلك المفسرين الذين
يرجعون إلى المصادر، ويبحثون عن المراجع!!؟

أين هؤلاء من الإمام علي عليه السلام!!؟ والذي قال فيه ﷺ:

{ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيٌّ بَابُهَا }^٤

(علي بابها) فهذا معنى، والمعنى الآخر وهو لآخر الزمان، (وعلي بابها) كل الذي تعلو
همتته، وترتفع درجته، وتصفو روحانيته يدخل إلى جنة القرآن فيقرأ فيها المعاني الحسان التي
جعلها الله ﷻ في القرآن.

هناك جماعة يقرأون القرآن الذي في السطور في المصاحف التي معنا، وهناك جماعة
يقرأون القرآن الذي في الصدور، وينزل لهم إلهاماً من الله ...

٢ جامع المسانيد والمراسيل، والرواية الثانية وردت بالجوهرة في نسب الرسول

٣ عن أبي حمزة عليه السلام في الإتيان في علوم القرآن

٤ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن ابن عباس رضي الله عنهما

وهناك جماعة يقرأون القرآن الذي في اللوح المحفوظ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ ﴿٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٠﴾ يَشْهَدُهُ الْفَرُوقُ ﴿١١﴾﴾ (المطففين) يشهده وليس يقرأه، ...

والشهود بعين البصيرة المنيرة التي اكتحلت من إثم سيدنا رسول الله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥ الصافات).

وكان سيدي أبو العباس عليه السلام إذا سأله سائل عن آية في كتاب الله يقول له: انتظر، وينظر إلى الأرض ثم يرفع رأسه فيقول: نظرت في اللوح المحفوظ فوجدت تفسيرها كذا وكذا!، لا يقرأ التفسير من كتاب ابن كثير أو الطبري ولكن من اللوح المحفوظ!.

هؤلاء هم الرجال الذين أوكّل النبي ﷺ لهم تربية الرجال على المنهج الكامل. ومنهم سيدنا عبد الله بن عباس، الذي دعا له النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ }^٥

فكان رضى الله عنه يقول:

{ لَوْ ضَاعَ لِي عَقَالُ بَعِيرٍ لَوَجَدْتَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ }^٦

لن يعلن عنه وينبهه، ولكن يقرأ كتاب الله فيُعَرِّفه الله ﷻ المكان الذي فقد فيه هذا العقل الذي يعقل به البعير، وفتح له رضى الله عنه باب التاويل، فكان يسمى ترجمان القرآن، لأنه ورث مقام الإمام علي في بيان وتفسير القرآن.

ومنهم سيدنا عبد الله بن مسعود:

كان سيدنا علي يقول لتلامذة عبد الله ليتمسكوا به:

{ عَبْدُ اللَّهِ رَجُلٌ مُلَأَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ عِلْمًا }

كان بينهم محبة، فلم يدعهم ليتركوه وليتلمذوا على يديه، لأن هؤلاء نزع الله ما في صدورهم فليس في صدورهم شيء.

٥ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما

٦ الإتقان في علوم القرآن، وتفسير الألوسي، والحاوي للفتاوى وسفينة النجا.

الكتاب المنهج المطبوع

نفسية آية الملقين

الشيخ فوزي محمد فوزي

الصالحون والقرآن

فكان أصحاب النبي كلهم على هذه الشاكلة، كلهم رجال القرآن، ومشى الصالحون على هذا المنهج الكريم، الصالحين المباركين الصادقين الأئمة المرشدين.

وذكرنا من قبل أن الإمام أحمد بن إدريس رحمه الله - وكان بالمغرب - تحير هل يشتغل بالذكر أم بالقرآن؟ ورأى النبي ﷺ في منامه فقال له: القرآن القرآن يا أحمد، فكان ورده الأساسي كبقية الصالحين القرآن، بفهم وتدبر بعد صفاء القلب، وبعد فناء النفس عن شهواتها، وبعد تطهير الفؤاد من المعلومات الكونية والتحصيلية ليحصل العلوم الإلهية التي بثها الله ﷻ في الآيات القرآنية.

وجاء بعد ذلك إلى مصر، والسودان، والأراضي المقدسة، وفي كل مكان يجمع الله عليه رجال، وكان أثناء الطواف يقول لمن معه: (سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة بطالة) الذي يريد أن يذهب إلى الله عليه سلاح الإنكسار، وسلاح الذل لله، وسلاح التواضع، وسلاح الخشوع لأنه لا يحب المتكبرين.

وبعد ذلك ذهب إلى بلاد اليمن واستقر هناك في بلدة اسمها زبيد وفيها ضريحه المبارك الأنور، يُحكى عنه أنه وهو في مسجده المبارك بزبيد صلى بالناس الفجر ثم أخذ يفسر آية من كتاب الله إلى صلاة الظهر، ثم صلى الظهر، وأعاد تفسيرها بمعاني جديدة وعلوم جديدة حتى العصر، ثم صلى العصر، وأعاد تفسيرها بمواهب فريدة وعلوم إلهامية جديدة إلى المغرب، وإلى العشاء، وفي اليوم الثاني كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، ولا يعيد عبارة ولا لفظاً قاله، لأنه يبلغ عن ربه ﷻ هذه المعاني: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩ القيامة) وبعد الثلاثة أيام قال لهم: والله لو أعطاني الله عمراً ومكثت في مقامي هذا إلى قيام الساعة ما انتهيت من تفسير هذه الآية وما عدت كلاماً قلته قط.

هذا هو الفتح الأعظم للعارفين في كتاب الله تبارك وتعالى، وأنا أقول ذلك لأوصي الأحبة جميعاً: عليكم بالقرآن، إياكم أن تتخلوا عن القرآن طرفة عين ولا أقل، ففيه سر الفتح، وفيه سر الفيض، وفيه سر الإلهام، وفيه سر القرب، .. فيه كل الأسرار التي أنزلها العزيز الغفار، والتي بيّنها ووضحها النبي المختار ﷺ.

القرآن القرآن يا إخواني عليكم به على الدوام، ولا شأن لكم بما في كتب المفسرين، فكل واحد منهم يقول على حسب وجهة نظره وفكره، لكن القرآن الكريم عبارة عن رسائل أرسلها الله لكل أفراد الأمة، هي رسالة واحدة لكن لكل مؤمن معاني يكشفها له الله، وهذا غير هذا غير هذا!، فلا بد أن تعرف ما في هذه الرسالة من المعاني التي أرادها منك الله في كتابه تبارك وتعالى.

ليس الشأن أن تفهم القرآن، ولكن الشأن أن تفهم مراد الرحمن منك في القرآن، ماذا يريد منك في هذه الآيات لتكون من أهل العناية، وتتهنى بالمشاهدات والإشراقات التي جعلها الله ﷻ لأصحاب النبي وأتباعه بالذات.

رحمة الله

والآية التي معنا اليوم يقول لنا فيها الله:

﴿ قُلْ يَبْعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ :

أسرفوا يعني تجاوزوا الحد، فيخاطب الله ﷻ الذين تجاوزوا الحد في ظلم أنفسهم، وفي التهاون بالحقوق التي كلفهم بها الله، وفي التنبيه إلى الأمور التي حثهم على اجتنابها سيدنا رسول الله، ومع ذلك من لطيف كلام الله يقول لهم: ﴿ يَا عِبَادِي ﴾ لم يخرجهم من الدائرة، فلم يقل يا من صفتهم كذا وكذا، حتى تعلم أن ربك رءوف ورحيم وشفوق وعطوف بالمؤمنين أجمعين على الدوام، حتى ولو انزلقوا في المعاصي والذنوب والأثام.

أشار إلى هذه العناية النبي ﷺ حيث كان في غزاة مع أصحابه، وامرأة من الأعداء فقدت طفلها وحيدها فأخذت تبحث عنه كالمجنونة، فلما وجدته ارتقت عليه وأخذته واحتضنته، فقال ﷺ منبها لأصحابه ولكل الأمة ونحن منهم:

{ أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قَالُوا : لا ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا }^٧

رحمته واسعة: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١١٥٦ الأعراف) :

٧ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

لذلك إياك أن تقنت عاص من رحمة الله، لأن هذه كبيرة من الكبائر ..

أنت عليك أن تقربه من الله، وقد ورد في الأثر أن الله أوحى إلى داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

{ يا داود من رد إليّ هارباً كتبته جهيداً ومن كتبته جهيداً لم أعذبه أبداً }

وروى : { يادادود لأن يخرج على يدك عبد ممن أسكره حب الدنيا حتى

تستنقذه من سكرة ما هو فيه سميتك عندي جهيداً } ٨

والجهيد هو العالم الكبير، لأنه رد هارباً من طريق الله، وقد احتوشه الشيطان، وأنت عليك أن تجره إلى طريق الرحمن ﷻ.

هل هذا يحتاج إلى الغلظة والشدّة والقسوة؟ لا !!!

هل يحتاج إلى الخوف من العقاب والعذاب؟ لا ...

لكن يحتاج إلى الرجاء، أفتح له أبواب الرحمة وأرجيه في فضل الله، وإكرام الله، وعطاء الله، ولذلك عندما ننظر على مر التاريخ وما زال، من الذي يتوب البلطجية وقطاع الطريق والقتلة والمروعين؟ هل العلماء أم الأولياء؟ الأولياء، فيذهبون لهؤلاء ويأخذونهم بالمودة وباللين، ويستعينون بدعاء رب العالمين، ليقرّبوهم إلى الله تبارك وتعالى.

كنا نرى كثير من الصالحين لا يذهبون إلى المساجد ليعطوا فيها دروساً، ولكن يذهب إلى أماكن الغفلة ..

رجل من إخواننا الصالحين كلّفه الشيخ أبو العزائم ليذهب إلى مدينة بورسعيد في شهر رمضان ليحيي الليالي، فذهب إلى هناك، فوجد الأحباب وقد كتبوا له كشفاً بتسع وعشرين مسجداً في المدينة، يحي كل ليلة في مسجد، فقال لهم: ماذا أفعل في المساجد؟! الذين في المسجد هداهم الله، لكنني أريد كشفاً بتسع وعشرين مقهى! ... وقال لهم: ... سيأتي معي واحد فقط !!!

فكان بعد صلاة العشاء يذهب إلى مقهى ويجلس على منضدة مع رفيقه ويتكلم معه،

الكنية انزل المطبوع نفسي يا ايها المقلوبين الشتم فوزي محمد فوزي

ويرفع صوته، وبعد قليل يجد من يلعب طاولة أو دومينو أو كوتشينة من الذين حوله يترك ذلك ويستمتع لما يقوله، ويلتفوا حوله، حتى يتجمع كل من في المقهى حوله، ثم يقف على منصدة ويجعلها منبراً له ليسمع من حوله، ويتكلم حتى قريب من السحور

ثم يتركهم ويدعوهم غداً ليكونوا في بيت الله تبارك وتعالى!!.

هذه أحوال الصالحين. يدعو الغافلين والجاهلين والعصاة والمذنبين، ...

لأننا رحماء، ورثنا الرحمة من الرحمة المهداة ﷺ.

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ :

بشرهم، إياك أن تقنط أبداً، لا تنسوا الرحيم الرحمن، وعندما جاء بالرحمة ذكر معها

الاسم الجامع لكل الأسماء والصفات:

﴿ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ثم أكد ذلك:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ وهناك قراءة أخرى قرأها سيدنا رسول الله ولكنها

ليست من القراءات المشتهرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا يُبَالِي ﴾.

فأكد الله أنه يغفر الذنوب جميعاً ولكن لمن تاب وأناب ورجع إلى الله ﷻ، ومن هنا

كل مسلم إذا أساء، وإذا ظلم نفسه، وإذا أذنب، ومهما كانت معاصيه، ورجع إلى الله ﷻ في حياته قبل موته يغفر له الله ولا شك في ذلك، وإذا لم يتب حتى موته، فأمره مفوض إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء آخذه، ولا نقول شيئاً غير ذلك ... أما الكافر إذا لم يدخل في دين الله فيدخل في قول الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (٤٨ النساء):

ما دام لم يدخل في دين الله وهو في الدنيا فليس له مغفرة، وسيدخل جهنم

وبئس القرار والعياذ بالله ﷻ.

ثم أكد هذا الكلام مرة ثالثة: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ :

غفور ورحيم، فهل يضيع مؤمن بين غفور ورحيم؟ حاشا لله ﷻ.

هذه الآيات كان هناك عبد عند السيدة هند زوجة أبي سفيان قبل أن تسلم، وكان

الكُتُبُ الْمَطْبُوعَةُ نَفْسِيَّاتُ الْمُتَقَرِّبِينَ إِلَى مُحَمَّدٍ نُورِزِي

عندها غيظ من سيدنا الحمزة عم سيدنا النبي لأنه قتل أبوها وأخوها وعمها في غزوة بدر، فلما كانت غزوة أحد ذهب معهم وقالت لهذا العبد: عليك شيء واحد، لو قتلت حمزة فأنت حراً! ... ، فأصبح هدفه الوحيد هو قتل حمزة، وكان يجيد الرمي بالحرب، فترصد لسيدنا حمزة، وسيدنا الحمزة كان يشق الصفوف ويصرع الأعداء ببسالته وشجاعته، وهذا العبد يتابعه، فرآه على هذه الهيئة فصوب عليه حريته فدخلت من بطنه وخرجت من ظهره، وعلى الفور نزل من على فرسه ومات! ... سيدنا النبي لم يحزن على وفاة أحد كما حزن على وفاة حمزة، حتى أنه من شدة حزنه قال وهو في غضبه:

{ وَاللَّهِ لَأُمَثِّلَنَّ مِنْهُمْ مَكَانَكَ، فَزَلَّ الْقُرْآنُ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي مَكَانِهِ لَمْ يَبْرَحْ؛
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ }^٩

فرجع إلى الله وندم على قوله التي قالها في ساعة الغضب.

هذا الرجل بعد أن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، أراد أن يتوب ويدخل في الإسلام، فبعث إلى حضرة النبي ﷺ وقال: أنا لم أترك كبيرة إلا وارتكبتها، زينت وشربت الخمر وقتلت، فهل لي من توبة؟

فأرسل إليه سيدنا رسول الله ﷺ بقول الله ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (١٧٠ الفرقان) فقال: ومن يضمن لي أن أعيش حتى أعمل العمل الصالح؟! فأرسل إليه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤٨ النساء) فقال: هذه فيها مشيئة، وقد لا يشاء الله أن يغفر لي، فأرسل إليه بهذه الآية:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فتاب إلى الله وأسلم.

أريد أن أوجه أحبائنا من رجال العلم إلى أن بعض كتب التفسير يقولون أن هذه الآية نزلت بسبب هذا الرجل وهو وحشي، ولكن هذه الآية نزلت في مكة، ووحشي أسلم في المدينة، فكيف تكون سبب هدايته إلا إذا كان النبي أرسلها له، ولكن ليس ذلك هو سبب

٩ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن أبي هريرة ؓ

نزوها، لذلك كتب التفسير تحتاج إلى تحقيق وتدقيق.

بعض الوعاظ يقولون أي كلام يقرأونه في الكتب، وهذا لا يجب، بل لا بد من التحقيق والتدقيق والتأكد من صحة المعلومة قبل إذاعتها، هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

الإنباء إلى الله

ثم خاطبنا ربنا كلنا فقال: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ :

الإنباء يعني الرجوع، ارجعوا إلى الله ﷻ، ما الذي بينك وبين الله؟ ليس بينك وبين الله باب، وإنما بينك وبين الله حجاب !لو كشف الحجاب ستمتع فوراً بجمال حضرة الوهاب ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤ المطففين)، من الذنوب والآثام والغفلات والجهالات: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ﴾ (١٥ المطففين).

لكننا شهدنا جمال الله في الأزل القديم وعاهدناه، وسمعنا حديثه ورددنا عليه كما ذكرنا كتاب الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢ الأعراف) قلنا جميعاً شهدنا وليس سمعنا !..

فكلنا شهدنا جماله بالقوة التي قوانا بها الله، ولما نزلنا إلى عالم الدنيا كان كما قال حضرة النبي ﷺ:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ تُكْتَةُ سَوْدَاءٍ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ، صَوَّلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ { ١٠

فالإنباء إلى الله تحتاج من الإنسان أن يلتفت إلى الله، وبمجرد أن يلتفت يقول له الله من حنانه بنا:

{ وَإِنْ أَنَا يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً } ١١

ما هذا الحنان والعطف الإلهي؟!

هل نحن الذين نحتاجه أم هو؟ حاشا لله تعالى، لكن رقة الألوهية، وحنان الربوبية بهذه الأمة الحمديّة إكراماً لحبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

فعندما يرجع العبد إلى الله ويقول، تبت يارب، فيقول له الله: وأنا قبلت، لا يوجد تردد، أو النظر في الطلب، وكما ورد في بعض الأثر يقول الله للملائكة: (افتحوا أبواب السموات لقبول توبته، ولدخول أنفاس حضرته، فلنفس العبد التائب عندي يا ملائكتي أعز من السموات والأراضين ومن فيهن).

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } (٢٢٢ البقرة) هل هناك أجمل من هذه الآية!!؟

لم يقل التائبين، ولكن (التوابين) الذين يتوبون باستمرار!!

ولذلك العبد السائر إلى الله لا ينفك عن التوبة مدى الحياة، فمرة يتوب من ذنوبه، ومرة يتوب من عيوبه، ومرة يتوب من الغفلة، والغفلة كرب عظيم سيندم عليه، كما سيذكره الله تعالى، ومرة يتوب عن عدم أدبه الجرم مع من يقول للشيء كن فيكون، ومرة يتوب عن عدم التزامه المطلوب مع الحبيب المحبوب ﷺ.

لأنه لا يوجد أحد وصل للكمال إلا رسول الله، ومع ذلك يقول له: { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } (٢ الفتح) وهل كان لرسول الله ذنوب؟! قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً } ١٢

الغين يعني الستارة، سيدي أبو الحسن الشاذلي يقول: احترت في هذا الحديث، كيف يغان على قلب رسول الله؟! فجاءني في المنام سيدنا رسول صلى الله عليه وسلم وقال: (غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك!).

غين الأغيار هذا لنا، لكن غين رسول الله غين الأنوار ...

الكُتُبُ أَنْزَلَ الْمَطْبُوعُ نَفْسِيَا أَيْضًا الْمَقْرَبِينَ الشَّيْخُ فُزَيْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

فهو كان ﷺ يعلو في المقامات باستمرار عند الله، كلما علا مقام رأى أن المقام الذي كان فيه، فيه حجاب عن مشاهد عليّة لهذا الجَنَاب، فيتوب إلى الله ﷻ من هذا المقام.

فحتى سيدنا رسول الله لا يكف عن التوبة والأوبة لحضرة الله ﷻ، فلماذا نسينا هذا الباب بالمرّة، ولا يتذكره إلا أقل القليل، مع أن هذا الباب هو الوصل للأحباب:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾:

سلم نفسك له، يعني لا تفعل إلا ما يطلبه في كتابه، وإلا ما كان عليه الحبيب في هديه المبارك، وجرّم النفس، وذرّم الهوى، وباعدهم عن طريقك لأنهم حجب تحجبك عن حضرة من يقول للشيء كن فيكون.

ما الذي يمنعك من المسارعة في المشي خلف رسول الله؟

النفس والهوى !!

فالنفس توسوس، والهوى يخرج لك تأويلات كلها بعيدة عن طريق المقربين ومنهج الصديقين، لذلك يجب أن أنحي هؤلاء عن طريق الله أولاً ... وأسلم نفسي لرب العالمين تبارك وتعالى.

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾:

العذاب هنا بالمعنى الظاهر مفارقة الدنيا وطلوع الروح وعذاب الآخرة، لكن الصالحين يقولون أن هناك عذاباً أشد من عذاب جهنم، وهو عذاب الحجاب، فلو حُجب العبد المشاهد عن مشاهدة جمالات مولاه لكان أشد عذاباً من الذي يعذب في جهنم والعياذ بالله، لأنهم يريدون أن يتمتعوا بالجمال العالي والكمال الذاتي على الدوام.

ما الذي سيساعدك؟

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:

أفضل شيء نزل في كل الأزمان، وفي كل الأوطان من كلام الرحمن هو القرآن، لكن بعض الصالحين قال أن القرآن يحتاج إلى القراءة والعمل، لكن الاتباع يعني أن أمشي خلفه، وقد قال الله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (١٥٣ الأنعام) ..

الكتاب: انزل المطبوع نفسي: ايها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزير

امشوا خلفه، فقالوا أن الصراط المستقيم هو سيدنا رسول الله ﷺ، لأننا مأمورين أن نمشي خلفه، لكن القرآن لا نمشي خلفه ولكن نقرأه ونتدبره ونعمل به: ﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ ﷺ ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١٥٣ الأنعام).

وهو نفس المعنى في ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ :

يعني اتبعوا رسول الله ﷺ في أحسن ما أنزل إليكم من ربكم.

﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ :

والعذاب بالنسبة لأتباع الصالحين أن يكون له أمل في الفتح الإلهي، وله أمل أن يكون موصولاً بحضرة الله، وله أمل في أن يكون من أهل الكشف العرفاني !!

ولكن تضحك عليه الدنيا، وتلعب به نفسه، حتى جاءه الموت ولم يتحقق الأمل، وليس له فرصة أخرى ليعوض فيها!!.

ولذلك طريق الصالحين جهاد بلا كسل، وذكر بلا ملل، وعمل بلا كلل، لماذا؟

لأنني أريد الوصول قبل أن أخرج من الدنيا، وقبل أن ينتهي الأمر.

سيدنا الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه قالوا له: هل تمنيت لو كنت مت صغيراً؟ قال:

لا، قيل: ولم؟ قال: لأني عشت حتى عرفت الله ﷻ حق المعرفة.

أين هذه المعرفة؟ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ (١٨ آل عمران)

نريد أن ندخل في أولي العلم، وهم الذين دخلوا وحظوا بمقام الشهادة، وهو فضل من الله، وإكرام من الله، وعطاء محض من الله، لكن لا بد أن نتعرض لهذا الفضل، وأنوي وأبدأ، والله ﷻ عليه باقي الأمور، فيبدأ المسلم في الجهاد، ويوقد موقد الجهاد.

ولذلك عند تقراً في حياة الصالحين تجد فترة جهادهم شديدة لأنه يريد أن ينتهي قبل

أن تلعب به الأهواء والدنيا، ويريد أن يصل إلى درجة الأمان في عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً إلى آخر الآيات.

والذي لم يصل يأتي عند خروج روحه ويندم ولن ينفع الندم، فيقول:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرْتُ عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ :

جمال الدين الأحمي كان من كبار العلماء في المذهب الحنفي، كان يزور سيدي عبد الرحيم القنائي رحمه الله في روضته، وكان من أهل المكاشفة، فعندما يدخل إلى ضريح ولي يراه ويتحدث معه ويسمع كلامه!! فبعد أن انتهت المحادثة بينهما قال: يا سيدي عبد الرحيم أوصني، فقال: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفة عين، فأنا كما ترى في روضات عالين ومع ذلك أقول: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله!!

إذا كان الذي سيدخل الجنة سيندم حتى وإن كان من الذاكرين، قال رحمه الله:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } ١٣

لماذا كنت أضيع هذه الأوقات؟! فهذه ستكون حسرات، ولن تنفع هذه الحسرات، لكن المؤمنين يقول فيهم أحكم الحاكمين: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣٧ النور) لا يوجد شيء يشغل الإنسان أكثر من البيع والتجارة!!

لكنهم في وسط البيع والتجارة لا ينشغلون عن ذكر الله تبارك وتعالى.

معرفته الله

لماذا؟

إذا كانت همتي عالية، ورغبتني راقية...

سأكون كالتالب الذي سيدخل المدرسة وبعد ذلك الجامعة وله أمل أن يكون دكتور، فهل هذا الطالب سيضيع وقته في اللهو مع زملائه في الكلية؟! هل سيصاحب بنات؟! هل سينشغل بالنلت والفييس بوك؟! لا، لأنه سيشتغل وقته في المكتبات، أو مع أساتذته المشرفين يسألهم ويدون ورائهم، لأنه يريد أن يحصل على الرسالة.

وأنت تريد أن تحصل رسالة معرفة الله، ولا يوجد أفضل منها أبداً، فأعلى شيء في الكون كله عاليه ودانيه معرفة الله تبارك وتعالى؛ المعرفة العينية الشهودية ..

أما المعرفة العقلية والآيات والأفكار فكلنا نعرفها!

والمعرفة التقليدية فكل أولادنا يعرفونها !!

لكن المعرفة العينية الشهودية هي التي تحتاج إلى همة عليّة، همة لا تكل ولا تمل حتى تحقق المراد، وتصل إلى ما تبغيه، وتكون مع حضرة النبي ﷺ.

سيدي عمر بن الفارض ؓ ملأ الكون كله مناجاة بحبه لله ﷻ، والبعض يعتبره من الكبار - وهو من الكبار - ويقولون عنه سلطان العاشقين، سألوا أحد الصالحين: ما رأيك في ابن الفارض؟ قال: (عصفور حام حول الجمى ودندن) ولذلك عندما جاء لحظة موته رأى مقعده من الجنة، فقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أنفاسي
إذا كانت أمنيّتي هي القصور التي في الجنة فقد ضيعت عمري هدرًا، فماذا تريد؟
قال:

أمنيةً ظفرت نفسي بها زماناً واليوم أحسبها أضغاث أحلام
كان لي أمنية وكان لي أمل أن تتحقق هذه الأمنية، وفي هذه اللحظة أراها أضغاث أحلام، لكن جبره مولاه ببركة حبيب الله، وقرّبه ووالاه وجعله من أهل الشهود لوجه الله، ومن الصفوة المجتباء بجوار حبيب الله ومصطفاه ﷺ.
أريد ان أقول:

أتباع الصالحين والعارفين لا بد أن يكون له أمنية، وهي معرفة الله ...

الشيخ بشر بن الحارث ؓ وأرضاه جاءت العناية صدفة، ولما جاءت العناية كانت أثناء مشيه حافياً، فأصر أن يقضي بقية حياته حافياً ولا يلبس حذاءً أبداً، ولم يتزوج، فعاتبه أحدهم وقال له: لماذا لم تتزوج والزواج سنّة؟! فقال: إني مشغول بالفرض عن السنّة، لأن الزواج سنّة وأول فريضة عليك وعليّ المعرفة.

أول فرض على الإنسان الحبيب للرحمن معرفة الله .. فالمعرفة أول فريضة ...
ولا فريضة قبلها!

وهل أنا أصلي إلا لمن أعرفه؟! وهل أصوم إلا لمن أشهده؟! وهل أحج إلا لمن أراه،

وأحجب عن رؤية الحرم لمأهه!.

الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول:

حججت ثلاث حجات، فرأيت في أول مرة البيت ولم أر رب البيت، وفي المرة الثانية رأيت البيت ورب البيت، وفي الثالثة رأيت رب البيت ولم أر البيت!.

أنا ذاهب هناك لأزور الله، وليس لزيارة الأحجار، ترى الحق ﷻ ظاهراً، وأنواره هي التي تغطي على المكان، وهي التي تملأ قلوب أهل العرفان كما كان يقول الصالحون، يقول إمامنا أبو العزائم ؒ:

أرى فؤادي يطالبني برويته لا صبر لي حتى تراه عيوني

لا بد أن يكون لك أمل غالي وعالي، والله ﷻ لا يمكر بطالبه، ما دمت نويت بصدق النية، وصفاء الطوية، واتباع خير البرية فلا بد أن تبلغ الأمنية.

لكن لو تركت الأمل، وانشغلت بالدنيا الدنية، والنفس بشهواتها الخسيسة الدنيوية، فقد شُغلت عن الله وعن مطلبك وعن مأربك.

فهذا ما يجب على المريد أن يعقد قلبه عليه، لينال شهادة معرفة الله المعرفة الشهودية العينية، والتي كان عليها أصحاب حضرة النبي ﷺ، ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

سيدنا عبد الله بن عمر كان في الطواف وكلمه رجل فلم يرد عليه، وبعد أن انتهى من طوافه اعتذر إليه، وقال له: (إنا كنا نترأى أنوار ربنا في الطواف) لن يترك الأنوار ويلتفت إلى العباد ولو كانوا من الأخيار.

عندما يحاسب المريد نفسه بهذا الحساب، ويقف على هذا الباب: .. فإن الله ﷻ سيكرمه بكرمه الذي خص به عباده الصادقين وحزبه المتقين، ولن يحدث له الندم، ولا يتحسر، ولا يعاتب نفسه، ولا يلوم نفسه، ولا يقول:

﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولا شأن له بذلك لأنه دخل في

عباد الله الصادقين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

الكتاب المنال المطبوع نفسي أيها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي الحاسبة

يحكي لنا القرآن موقف عظيم يتعرض له كل إنسان لم يرجع إلى الله، ولم يتب إليه تبارك وتعالى قبل أن يفارق هذا الكيان، ومرة أخرى يتعرض لهذا الموقف يوم القيامة يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه.

الإنسان الموفق الذي يحبه الله يجعله دائماً متنبهاً، يراجع أعماله، ويراجع أقواله، ويحاسب نفسه، ولذا ينبغي على كل سالك في طريق الله أن يكون له لحظات في كل ليلة يحاسب نفسه فيها على ما قاله وعلى ما عمله في هذا اليوم وهذه الليلة، يراجع حساب يومه، وما وجده من خير حمد الله تعالى عليه، وما وجده غير ذلك يستغفر الله منه ويتوب إليه إن كان هذا ذنباً في حق الله، أو يستسمح أخاه المؤمن، ويطلب منه العفو والمسامحة إن كان هذا الذنب في حق أحد من خلق الله، وهذا الذي ينাম قريبر العين.

لكن أنا أعجب كيف ينام الإنسان قريبر العين ولم يتب من هفواته التي ارتكبها في يومه وليلته؟! وهو يعلم علم اليقين أنه أساء إلى فلان، أو ظلم فلان، أو ارتكب جرماً صغيراً أو كبيراً في حق فلان، ولا تلومه نفسه، مع أن النفس اللوامة هي أول درجة تُقبل على الله، وليست أعلى الدرجات: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (٢ القيامة) وهذه البداية، ومن لم تكن له نفس لوامة كيف يتجه إلى الله ويسير إلى الله تبارك وتعالى؟! وهكذا يجب أن يكون المؤمن.

هؤلاء الذين يستخدمون الحساب والعتاب واللوم للنفس والحاسبة كل ليلة يدخلون في قول النبي ﷺ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا } ١٤

وهذا ليس عليه حساب، وأضرب مثلاً: لو عندي محل واستأجرت له عاملاً أو موظفاً وكان هذا العامل أو الموظف شديد الحاسبة لنفسه على كل شيء يدخل أو يخرج، وتأكدت من ذلك مراراً، فهل آتي في يوم وأطلب أن أحاسبه؟! لا، لأني أراه منضبطاً.

وكذلك نفس الأمر فإن من يحاسب نفسه أولاً بأول فليس له حساب في الدار الآخرة، وليس له حساب في القبور، وليس عليه سؤال للملكين إلا على سبيل التشريف وليس على سبيل التعنيف، لأنه منضبط ويمشي على الصراط المستقيم الذي أمرنا به الرؤوف الرحيم ﷺ.

أما الذي يترك المحاسبة فإنه عند لحظات خروج النفس سيظهر له جلي الأمر، وفي هذه اللحظة يُطلع الله ﷻ الإنسان على ما عمل في حياته، فيرى ملف أعماله قبل أن يسافر، لكن لا يستطيع أن يزيد فيه أو يحذف منه، لأن الوقت قد انتهى، ويريه الله ﷻ ثمرات هذا العمل ونتائجه، فيرى كما قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ } ١٥

حسرة المقصرين

إذا كان من المقصرين غير المستقيمين سيقول ولا ينفع هذا القول:

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرَتُنِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾:

أين الحسنات؟! أين الرصيد؟!

لا يوجد شيء من ذلك !!!

لأن الرصيد إذا كان الإنسان غير حافظ لنفسه مع خلق الله فإن حسناته توزع كل يوم، فإذا اغتاب أحداً يتحول إليه جزء من حسناته، وإذا شنع على أحد يتحول إليه جزء من حسناته، فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحفظ لسانه وكيانه من الخلق فسيصبح في كل ليلة مديوناً، لأنه مهما يعمل من أعمال فإنها تتوزع.

رجل من الصالحين وهو الحسن البصري رحمه الله قالوا له: إن فلان تكلم عليك اليوم وقال كذا وكذا، فأرسل واشترى عنباً ووضع في طبق، وقال لهم: اذهبوا له بهذا الطبق وقولوا

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُزَيْرٌ

له: هذه هدية من فلان مقابل الهدية التي أهديتها له، فقال: ما الهدية التي أهديتها لك؟ قال: أهديت لي حسناتك، فأردت أن أرد لك الهدية على قدرتي!!.

فهذا الإنسان يتحسر على ما قصر في جنب الله، وعلى سخريته وتعديه وتعرضه بالإساءة لخلق الله، فذكر الأمرين، تقصيره في الحقوق التي كلفه بها الله في كتاب الله، وسيندم على ذلك، لماذا لم أقم أصلي الفجر حاضراً، مع أي لم أكن مشغولاً؟! لكن لن ينفع الندم في هذه اللحظة.

ما الذي منعي من قراءة كل يوم بعض من صفحات كتاب الله؟! لكن زمن الإمتحان انتهى، فهل يسمح لأحد بعد نهاية اللجنة بكتابة شيء في الورقة؟! لا، وأنت الذي تكتب كتابك، والذي يكتب جوارحك، فالعين تكتب، واليد تكتب، واللسان يكتب، والرجل تكتب، والفرج يكتب، فالجوارح هم الذين يكتبون بإذنك وأمرك.

هل تستطيع جراحة من هذه الجوارح كتابة شيء بعد الموت؟! لا، انتهت الحياة وتوقف العمل وبقي الأمل وبقيت العلل، وهي التي تنغص على الإنسان حياته البرزخية، وتجعله في هم مقيم حتى الحياة الأخروية.

﴿يَحْسَرَتْنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ :

كنت أضحك على فلان لأنه يصلي كل ليلة الفجر حاضراً، وكنت أستهزأ بفلان لأنه يقوم الليل، وكنت أستهزأ بالمحافظين على مجلس الذكر مرة في الأسبوع ويصلون فيه على حضرة النبي، ويقرأون آيات من القرآن، ويستمعون ما تيسر من العلم من أحدهم، وأقول: هؤلاء هل سيزيدوا عني بهذا العمل؟! نعم وسترى، والعاقل من كانت بصيرته مكشوفة الآن حتى لا يتعرض للحرج في هذا الوقت والآن.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أو يقول كقول المنافقين،

إن كان الله قدر لي العمل الصالح لكان أعاني وعملت، وهذا مثل المنافقين المتحذلقين، تقول له: لماذا لا تصلي يا فلان؟ فيقول: لو كتب الله لي الهداية سأصلي!! هذا أمر وهذا أمر، ألم تسمع قول الله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (١٧ فصلت) هل هناك أحد لم يهده الله؟ لا، لكن الذي يعميه نفسه، قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ } ١٦

يولد معه الهداية، لكن الذي يذهب به هنا أو هناك نفسه، فالنفس هي سر كل ذلك، فسيقول ذلك ولن ينفع هذا الكلام.

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ ﴾:

وأشد العذاب تأنيب الضمير في هذه المواقف، ولوم النفس، فقد تكون حرارة النار سهلة، وقد يكون الألم الشديد يهون، لكن أصعب شيء تأنيب النفس للإنسان، ولوم النفس للإنسان على ما فاتته من خير كان في استطاعته أن يعمل، كان سيزيد في منزلته، ويعلي من رتبته، وأن يكون من الذين أنعم الله عليهم من المتقين ومن المحسنين والمسلمين والموقنين أجمعين.

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

لو أن لي رجعة، لو يسمح الله لي لأعود مرة أخرى لأحسن العمل، وهذا غير مسموح، لأن الله نبه في كتاب الله للذين قالوا: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ۖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون) فيأتيه النداء: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ ﴾ (المؤمنون) عالم البرزخ وليس النار.

المؤمن قد يزيد الله في عمره، لكن ليس في الأيام وفي الساعات !!
، ولكن يزيد في البركة ...

فالعمل الذي يعمله غيره في سنة يعمله هو في سنة!! فهذه بركة الله مع الصالحين.
العمل الذي يعمله غيره في ألف شهر يقضيه هو في ليلة:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدَرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٣ القدر)

بركة الله للمؤمن، فيعطيه البركة في عمره لأنه يجعل عمره وحياته كلها لله، فيبارك له في العمل والوقت ويجعله يحصل فيه أضعافاً مضاعفة.

الكتاب أنزل المطبوع نفسياً أي كالمقربين الشيخ فوزي محمد فوزي مرض الكبر وأثاره

فلا يكون هناك رجوع ولا إقالة ولا استقالة، لأن الفرصة كانت أمامك مهياً مرة تلو المرة، والمرات تلو المرات لتكون من المحسنين، فيقال له:

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾:

وهذه تحتمل معاني كثيرة:

حقيقة الآيات في كتاب الله هي الرسل المبشرين والمنذرين، أو العلماء العاملين، والشيعية يسمون العالم (آية الله) لأن العالم آية يقيمها الله حجة لله على خلقه، فجاءتك آياتي يعني جاءتك كتبي، وجاءتك رسلي، وجاءتك نذري الحسية والمعنوية فكذبت بها، واستكبرت عن الإيمان والتسليم للرحمن وكنت من الكافرين.

الذي سيندم من المؤمنين لأنه لم يتبع من أقامهم الله ﷻ ورسوله لإصلاح أحوال المؤمنين، فيرى نفسه أنه أكبر من أن يُسلم الشيخ فلان، أو يتبع العالم فلان، ويقول: أنا عندي ما يكفي، وعندي من العلم ما يعمي، فيستغني بنفسه عن غيره، وهذا لا بد سيندم، لأنه سيجد محصولة، وإن كان في نظره كثير، إلا أنه عند الله تبارك وتعالى قليل.

ما السبب؟ مرض الكبر:

وهو المرض الذي استشرى في هذا العصر بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم وهو سبب الحرمان.

مرض الكبر في النفوس:

فيستكبر أن يذهب إلى المسجد ليصلي مع المسلمين ويصلي في بيته!!

وعم هذا المرض بين المسلمين في المدن وفي القرى، يقول الماء في البيت والمصلي في البيت، لكن لو صليت وحدك فإنك ستحاسب حساباً شديداً، ستأخذ أجر ما حضرت فيه من الصلاة والباقي لن يحسب، لكن لو صليت في المسجد في جماعة وتقبل الله صلاة أحدهم سيقبل الله صلاة الجميع من أجله، فلماذا تحرم نفسك من الصلاة المقبولة الأكيدة!! ولماذا تضع نفسك في كفة لا يستطيع أن يقوم بها حتى الأفاذا!!

لأنه لا يستطيع أحد أن يحضر حضوراً تاماً في الصلاة!!!

لذلك يجب أن نحافظ على الصلاة في بيت الله ﷻ.

لكن الكبر يمنع النفس، يقول، لماذا أذهب إلى المسجد لأسمع درساً للعلم؟! أسمعه في التلفزيون أو في الفيس بوك والنت!! سبحان الله!!

درس التلفزيون ولو كان لأكابر الصالحين هل فيه روح الحياة؟! لا، روح الحياة تذهب من الحي إلى الأحياء، فلا بد من مواجهة حي لتنتقل الحياة من قلبه إلى قلبك،.. لكن على النت ستسمع وترى صورة، ولا يوجد فيها حياة!!.

ولذلك هذا هو السبب في حرص السالكين الصادقين على مواجهة العارفين، والتي يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله:

(نَفْسٌ مَعَ الْعَارِفِ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ، وَنَفْسٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ الْفَرْدُوسِ) ويقول في حكمة أخرى: (نَفْسٌ مَعَ الْعَارِفِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةِ الْعُبَادِ وَالزُّهَادِ لِسَنِينَ طَوَالَ).

لأن اسمه الحي، أحيا الله قلبه، فعندما تواجهه تنتقل الحياة الإيمانية الروحانية من قلبه إلى قلبك وإن كنت لا ترى، إلا أنك تحس وتشعر، فتحس بحال، وتحس بود، وتحس بقرب، وتحس بصفاء، وتحس بنقاء، كل ذلك بسبب المواجهة، فلا بد من المواجهة.

الكلب نجس، ثوره نجس، وبوله نجس، وكله على بعض المذاهب الفقهية نجس، لكن الكلب الذي علمه رجل مؤمن يطهره، وكونه واجبه رجل مؤمن وعلمه يطهره: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٤ المائدة) وهذا ما نسميه (الكلب المعلم) لأن الذي علمه مسلم، فلو علمه مشرك لا يكون طاهراً، لأن صورة المؤمن عندما انطبعت عليه أثناء تعليمه طهرته!!

وهذه حكمة الله تبارك وتعالى في المواجهة، فلا بد من المواجهة.

بعض الأحباب يظن أنه يحسن صنعاً، وأنه بلغ من المقامات العالية والراقية الشيء الكثير فلا يذهب للصالحين، ويقولون كل الصالحين بداخلي!!

هذا الكلام في أي مرجعية؟! .. هذا من مرجعية:

﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

(١١٢ الأنعام) حتى يغره ويضره !!!...

لكن سُنَّةُ اللَّهِ في كونه أن الإنسان لا بد أن يتواضع، قال ﷺ:

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ } ١٧

كيف أتواضع لله؟

أتواضع في عباد الله الذين أقامهم الله بالأخذ بأيدي الناس وهدايتهم إلى الله، والتواضع هنا يعني التسليم ظاهراً وباطناً، والمؤمن الذي لا يتم عنده هذا التواضع وهذا التسليم سيظن وهو في الدنيا أنه من كبار القوم، ولكن في اللحظات الآخرة يتعري فلا يجد حال ولا مقام ولا مزية لأنه تخلف عن ركب أهل الحضرة الإلهية.

والمنازل والدرجات والترقيات ما هي إلا عطية، وهم المتصرفين فيها بأمر خير البرية،

قال ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ } ١٨

كيف يعطينا؟ وكلاءه في كل زمان ومكان !!!

وهم المكلفون بتوزيع العطايا على من يستحقها، وهم في هذا المقام لا أحساب بينهم ولا مجاملات عندهم، وإنما يعطون لكل ذي حق حقه، لأنهم لو خالفوا ذلك لضلوا عن السبيل القويم والمنهج المستقيم الذي كان عليه الرؤوف الرحيم ﷺ.

هذا المشهد سيتكرر مرة أخرى يوم القيامة:

والله ﷻ يعطينا مؤشراً أنه هو الذي صنعك في الدنيا، ولا دخل لك أو لغيرك في

لونك وفي شكلك وفي طولك وفي كل ملامحك:

لكنك أنت الذي تصنع ملامحك التي ستكون عليها يوم القيامة، ستصنعها بتقواك،

وبالعمل الصالح الذي تتوجه به إلى مولاك.

١٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

الكذب: فن المصنوع تفسير آية الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

الإنسان الذي سيُكذَّب ما جاء به النبيون والمرسلون من عند الله، وسيأتي يوم القيامة وقد اختار لونه، ما لونه؟

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾:

يعني الأوروبيون غير المؤمنين سيأتون ووجوههم مسودة!!، والأمريكان غير المؤمنين سيأتون ووجوههم مسودة!!!، لأن هناك وضع آخر: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (١٠٦ آل عمران) ... من الذي يبيض، ومن الذي يسود؟

أنت بعملك !!

حتى تُعرف الناس من شكلها ...

فلو رأيت هناك رجلاً أسود اللون تعرف أنه كافر، ولو رأيت رجلاً أعمى فتعرف أنه عاقي في الكفر، ولو رأيت رجلاً أزرق اللون تعرف أنه من المنافقين: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (١٠٢ طه).

إذاً هناك وجه أسود، وهناك وجه أزرق، وهناك وجه أبيض!!

والوجه الأبيض ما الذي يبيّره؟

ذكر الله، والصلاة على رسول الله، والتسبيحات والتحميدات لله، والطاعات التي يوالي بها مولاه، والقيام في الظلام في جنح الليل لمناجاة الله .

حتى كانوا يقولون: (من قام بين يدي الله في جنح الظلام استنار وجهه يوم الزحام) يأتي ووجهه أبيض من الأعمال الصالحة التي عملها.

والكذاب سيأتي يوم القيامة ولفمه رائحة نتنة لا يستطيع أن يشمها الناس من مسافة طويلة، أما المؤمن فيأتي ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك، لأنه كان يصوم رمضان، وكان يصوم الأيام الفاضلة اتباعاً للنبي العدنان، فلا يوجد هناك معجون للأسنان سيطيب الرائحة، ولا بخاخ عطري يضعه في فمه، لكن الذي يطيب الرائحة الصيام.

الملابس التي سيرتديها الإنسان هناك، من أين؟

لا يوجد هناك في معرض الملابس الإلهية إلا مصنع التقوى !!

وهو المسموح به فقط:

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (٢٦ الأعراف) :

أما الذين يتعرضون للذبح والقتل فهؤلاء:

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩ الحج).

إذاً صورة الإنسان يوم القيامة تتكون من عمله، وهو الذي يصنعها باتباع الحبيب، وبالعمل بالمنهج الذي أنزله الله في كتاب الله لتدخل في قول الله:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾:

ينجي المتقين بالعمل الصالح الذي عملوه وفازوا به، وهناك قراءة أخرى:

﴿بِمَفَازَاتِهِمْ﴾ يعني بالأعمال الصالحة كلها التي عملوها، وهي التي سينجو بها المؤمن يوم

لقاء الله ... ما علامة النجاة؟

﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾:

لا يخاف من أهوال القيامة، ولا يخاف من المشي على الصراط، ولا يخشى تطاير الصحف، ولا يخشى الحساب، ولا لوم ولا عتاب، لأنه دخل في عنان الله وقول الله في كتاب الله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢ الأنعام).

وسيزيد شيئاً آخر: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

لا يحزن على من حوله، ولا على أتباعه، ولا على عمل عمله لأن الله ﷻ يعطيه ما يريد: ﴿هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥ ق).

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا بهذه الأحوال، وأن يجعلنا من هذا الصنف من الرجال، وأن يبلغنا المنازل العالية، والدرجات الراقية، في جوار الحبيب وصحبه الأعلام وآل بيته والصالحين أجمعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ
أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ ١٨ وَأُشْرِقَتِ
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ
بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴾ ١٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٢٠ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ
 ﴿٧٧﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
 خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
 ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
 وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ
 فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ
 حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ (٦٨-٧٥ الزمر)

٣١. أحداث يوم القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، ونعم بصائرنا بأنوار كتاب الله، وجعله لنا روحاً وريحاناً في الدنيا، وجعله لنا أعظم نعيم ننعم به يوم لقاء الله في جنة الله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد قرآن الله الناطق بالحقائق الإلهية، والمبين في بيانه لحقيقة قول رب البرية في الآيات القرآنية، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بمنك وجودك يا أرحم الراحمين.

علوم تزكية النفوس

وهنا سؤال: أحكام التشريع الإسلامي كأحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والزواج والطلاق والميراث والبيع والشراء والمعاملات كلها نزلت في الآيات القرآنية المدنية التي نزلت في المدينة المنورة، ونحن نعرف أن الصلاة فرضت قبل الهجرة بعام. إذاً ماذا كان يُدرّس سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه في الإثني عشر عاماً ... الأولى من بعثته؟ كان يدرس لهم ثلاثة علوم:

علم اسمه علم الآيات: وليست الآيات القرآنية المكتوبة، ولكن الآيات الكونية التي تدل على قدرة إعجاز رب البرية، يقول فيها سيدنا أبو ذرٍّ رضي الله عنه:

{ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ } وفي رواية { لقد تركنا رسول الله ﷺ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكرنا منه علماً }^٢ لأن هذه الآيات هي أساس التوحيد.

وكان يدرّس لهم علم البدء وعلم الميعاد: ما بدايتنا؟ وبداية الدنيا، وبداية الخلق، وبداية خلق آدم، وبداية العهد والميثاق على النبيين، وبداية العهد والميثاق على الخلق

١ الأقصر . المسجد العتيق بالحميدات شرق ١٦ من صفر ١٤٣٩ هـ ١١/٥/٢٠١٧ م

٢ أخرجه بن حبان عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه والرواية الثانية رواها الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الشَّيْخُ فُزَيْرِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ نُزَيْرٍ

أجمعين !!! فلا بد للمرء أن يعرف بدايته، وبعدها بدايته في الكون من ماء مهين، ومن نقطة ومن تراب كَوْنَهُ الله وجعله بشراً سوياً ليعرف قدرة الله فيه.

وبعد ذلك أين يذهب؟ علم الميعاد: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢٩ الأعراف)
فمنشي ونعيش، من يبلغ مائة سنة؟ قلّ وندر، ومتى يسافر؟! من الذي يعرف ميعاد حجه لينشط قبلها ويجبس نفسه في مسجد أو في حجرة ويتفرغ لعبادة الله؟! لا يوجد.

الشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية: جاء إلى إسنا ومعه وفد من ذرية الشيخ أحمد التيجاني الكبير من الجزائر من منطقة إسمها الأغواط، حيث مقامه هناك وضرّحه.

فجاء الشيخ أحمد مع نفر من ذريته تلبية لدعوة نائب الشيخ في مدينة إسنا: وفي صلاة الفجر خرجت روح الشيخ أحمد وهو ساجد، خرجت الروح للقاء باريها تبارك وتعالى، في مدينة إسنا!!!: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٣٤ لقمان) نُعيده من الأرض التي خرج منها: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٥٥ طه)!! فلو أننا خرجنا من الدنيا ولا حساب ولا سؤال؟؟ لكان الأمر سهلاً ويسيراً ولن نحمل همّاً:

ولو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل شيء
لكنّا إذا متنا بُعثنا فنسأل بعدها عن كل شيء

فلا بد أن نأخذ لقطات من علم الميعاد، ما الذي يحدث فيه؟ الذي سيعيش هنا عمراً طويلاً قد يصل إلى مائة سنة، لكن يوم الميعاد يوم واحد: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤ المعارج) فإذا قدرته بأيام الدني!! يساوي خمسين ألف سنة !!! وكلنا سنحضر فيه، فكل الخلق من آدم إلى يوم الدين سيكونوا مجتمعين.

النَّهْجُ لِسَفَرِ الْآخِرَةِ

عندما يقدر الله القدير ﷻ أن ينتهي الكون تأتي القيامة: وعلامات القيامة الصغرى كلها قد ظهرت: والكبرى بدأت تظهر: وأنا لا يهمني علامات القيامة الصغرى ولا الكبرى، والتي ينشغل الناس بها ويجادلون بها !!! أنا يهمني قيامتي أنا

فكل إنسان له قيامة، متى تكون قيامتك؟ عندما تسافر من الدنيا، متى؟ قد يكون الآن، وقد يكون الليلة، وقد يكون الغد... هل جهّزت نفسك لتسافر؟ .. الحجز على الإدارية العليا ... لكن المسافر يُجهّز نفسه، فيُجهّز الحقيبة وما يُسمح بدخوله في الجمارك!! وماذا تأخذ معك؟ .. هل تأخذ معك دفتر شيكات؟! أو بضعة دولارات تضعهم خفية في كفنك؟! وماذا تصنع بهم هناك؟! وإذا كان عندك مليون فدان فهل تأخذ عقودهم معك؟! إذاً كل ما عندك في الدنيا فلمن يكون؟ ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ ثَرِيُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠ مريم) ...

فما المسموح به؟ ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ (٤٦ الكهف) إياك أن تقول أن هذا الرجل يريد منا أن نترك الدنيا والمعاش والعمل ونفترغ للعبادة، لا !!! أنا أريدك أن تُوازن بين هذا وذاك، كما تسعى هنا، لا تنسى هناك.

بعض الغافلين يقول: يقول الله لك: ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٧ القصص) أقول له: نعم، ولكن لا تنس نصيبك من الدنيا الذي تأخذه معك منها للآخرة، فلا تنس هذا النصيب !!! فهل يوجد أحد في الدنيا ينسى أن يأكل؟ أو ينسى أن يلتحف عند النوم؟ كل واحد لا ينسى هذه الأمور، لكن ما تأخذه معك من هنا، هو النصيب الذي تحرص عليه، وتبحث عنه، وتسعى وتكدّ وتعمل كل شيء من أجله.

وسنأخذ موجزاً فيم معنا من آيات كتاب الله، لأن التفصيل يحتاج إلى وقت طويل ولا أريد أن أطيل عليكم.

النفخ في الصور

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ :

يأذن الله ﷻ بالنفخ في الصور، ويموت كل من على الأرض، ويبدّل الله ﷻ الأرض غير الأرض والسموات، فالأرض التي سنبعث عليها ونحاسب عليها غير الأرض التي نعيش عليها الآن، فهي أرض لأجل الزراعة والسكن، لكن الأخرى أرض للحساب فقط، وبعد ذلك القرار إما في الجنة أو في النار، فلن يستقر بها أحد.

الكُفَّاءُ أَنْزَلَ الْمَطْبُوعَ نَفْسِيَّاتِ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُزَيْرِيُّ

ليس فيها زرع ولا ماء، إلا حوض الكوثر، ويا هنا من يحجز فيه شربة من هنا إن شاء الله، ولا يوجد هناك أكشاك تبيع الماء ولا أي شيء، فلا يوجد غير حوض الكوثر في الخمسين ألف سنة ... فيبذل الأرض غير الأرض والسماوات، ويحيي ملك الصور وهو إسرافيل ويأمره الله أن ينفخ النفخة الثالثة:

﴿ ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾

هناك ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: ﴿ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٨٧ النمل) :

يفزع كل من به حياة في وقتها في هذا الزمان الذي اقترب أوانه وعصره.

والنفخة الثانية: ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ : وهي نفخة الصعق،

يعني الأرواح كلها تموت.

وبعد أن تموت الأرواح كلها تنزل الملائكة بأمر الله تأخذ أجساد المؤمنين ويصلون عليهم ويدفنونهم، أما الكافرين فليس لهم ذلك .. وبعد ذلك تبدأ الأرض تتجهز للعرض والحساب، وجعل الله ﷻ في كل إنسان عُضْوً لا يبلى، حتى ولو احترق في النار، ولو غرق في البحر، ولو أكلته السباع، قال فيه ﷻ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ فِيهِ يُرَكَّبُ }^٣

عجب الذنب هو المكان الذي في مؤخرة العمود الفقري الذي يسمونه باللغة الدارجة (العُصْعُص) وهذا العضو لا يستطيع حيوان أن يأكله، ولا نار أن تحرقه، محفوظاً بسر الحفيظ تبارك وتعالى، لماذا؟ لأنه المغناطيس الذي يتجمع حوله ذرات الإنسان عندما يريد الله أن يعيد الإنسان إلى النشأة الأخرى إن شاء الله.

بعد ذلك يُقَرَّرُ الله ﷻ أن تهبُّ الرياح من جهات أربع، رياح شديدة جداً تَهْرُ الجبال، وتُنْشَرُ إلى رمال، وتجعلها كما قال الرحمن: ﴿ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ (١٤ المزمل) كأكوام التراب المتهائلة من شدة هذه الرياح التي تهبُّ من الجهات الأربع.

٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ؓ

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ مُحَمَّدُ نُزَيْرُ

وفي هذا الوقت تتجمّع ذرات كل إنسان على الجزء الذي جعله الله مغناطيساً للأبدان، فإذا كان في مكان ما خمسة عشر ميتاً، ى فلا يختلط تراب أي واحد منهم بتراب الآخر لأن الله ﷻ اختصَّ الإنسان بصفة الأحذية لحضرة الرحمن:

فكل إنسان له شكل خاص به، وكل إنسان له لون خاص به، وكل إنسان له صوت خاص به، وكل إنسان له بصمة عين وبصمة يدين وبصمة رجلين وبصمة أظراس خاصة به، وكل إنسان له نوع دم خاص به، خصوصية للإنسان، كذلك حتى أن كل إنسان له رائحة عرق خاصة به، فلا يوجد لأحد رائحة عرق كرائحة غيره، خصوصية للإنسان، حتى تكون حُجة عليه أن الله ﷻ له في كل شيء آيات تدل على أنه الواحد الأحد.

فيتجمّع الإنسان في الموضع الذي دُفن فيه، والذي يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ مَا مِنْ مَوْتُومٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ ثَرَابٍ حُفْرَتِهِ }^٤

يعني نُثر عليه من تراب الأرض التي سيُدْفَن فيها، فكيف يذهب إليها؟ قال ﷺ:

{ إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً }^٥

كأن يجعل له مصلحة لا بد أن يسافر إليها، متى؟ في الميعاد الذي حدّده واهب الوجود ﷻ، وتجدّه متعجّل ويقول: لا بد أن أسافر، لماذا؟ حُتمى القضاء، فوعد الله ﷻ لا يتخلف .. رأى سيدنا رسول الله ﷺ جماعة من المؤمنين يدفنون رجلاً في البقيع، فَقَالَ:

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانُ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سَيَقُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى ثَرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }^٦

جاء لتربته المخصصة له، التي نُثر عليه من ترابها وهو في بطن أمه ... وبعد أن يتحوّل الإنسان ويتجمّع تأتي سحابة كما ذكر النبي العدنان من تحت العرش، فيها مني كميّ الرجال، فقد أمر الحق ﷻ الملائكة المختصين أن كل مني يُقدَّر منه غلامٌ أو بنت يأخذوا جزءاً من هذا المنى ويؤضع في هذا المكان العلي...

٤ حلية الأولياء لأبي نعيم، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ

٥ جامع الترمذي ومسنّد أحمد عن مطر بن عكاس ﷺ

٦ الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري ﷺ

من أجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، كل إنسان ينزل على جسمه المخي الذي أنشئ منه، وتكوّن منه وصوّر منه، هذه السحابة حضرة النبي قال فيها:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرَّجَالِ، فَيَنْبُثُونَ كَمَا يَنْبُثُ الْبَقْلُ }^٧

فيتكوّن الجسم مرة ثانية ولكن بدون روح، لأن الروح خرجت قبل ذلك إلى حيث مكانتها عند الله، إن كانت من المقربين ستكون في الجنة، ترح في أشجار الجنة كما شاءت، وإن كانت من الآخرين فستكون في سجين والعياذ بالله تبارك وتعالى.

ثم يُحيي الله ملك الصور ... وينفخ النفخة الثالثة :

فتذهب كل روحٍ إلى جسمها الذي كانت تسكن فيه في الدنيا، وتدخل فيه فيتحرّك بأمر الله: ﴿سَخَّرْجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (٧ القمر) ...

الأرواح تطير إلى الأجسام فتكون كأسراب الجراد التي كانت تأتينا منذ زمن، وكانت تحجب ضوء الشمس لكثرتها ... ولا تتوه أي روحٍ منها عن مسكنها الذي كانت تسكنه في الدنيا.

أنوار القيامة

وفي هذا الوقت ستكون أرض الموقف قد تهيأت: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ لن يكون هناك شمس ولا قمر، لأن مع تبديل الأرض، فإن الشمس والقمر كما أخبر النبي سيُلقي بهما في جهنّم، ولا توجد كهرباء، فليس هناك ديزل، ولا ذرّة، ولا شيء من هذا القبيل، لكن أشرقت يعني أضاءت الأرض بنور الله ﷻ.

من الذي يبصر؟ الذي معه نور العمل الصالح، فهو الذي يستضيء بنور مولاه تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠ النور) منا من يكون نوره تحت قدميه فقط، فيمشي به بصعوبة، وحضرة النبي يقول فيه:

٧ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ؓ

{ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورُهُ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ }^٨

ومنا من يكون نوره كما يقول فيه ﷺ:

{ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي رَأْسِ الْعَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ أَهْلَ الدُّنْيَا }^٩

نورهم عال.... وكل واحد على حسب عمله:

{ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } (٨ التحريم) الذي يسعى بين أيدينا رسول الله

ﷺ، وبأيماننا العمل الصالح الذي عملناه ..

أما الآخرون: { وَتَحْشُرُهُ رِيَّومَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى } (١٠٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٠٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (طه).

إذاً من الذي يكون مبصراً؟ المؤمنون وقوة النظر على قدر العمل الصالح الذي يستضيء بنور رب العالمين ... وهي ستكون أرض الموقف.

كتاب الأعمال

{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ } :

ما هذا الكتاب؟ ... الذي سنقرأه أنا وأنت!

لأنه سيقول لكل واحد: { أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (١٤ الإسراء) يقول أحدهم: أنا لا أعرف القراءة!، لكن الكتاب عبارة عن نسخة مُصورة من عملك، فترى نفسك وأنت تُصلي في المسجد!، وترى هذه الجلسة ومكانك والحاضرين فيها معك، وكل شيء في حياتك يُصوّر بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الصور يُسجلها أولاً بأول الملائكة الذين هم معك على الدوام:

وهم كما وصفهم الله: { كِرَامًا كَتِيبِينَ } (١١ الإنفطار) :

٨ جامع البيان للطبري

٩ تحاف الخيرة المهرة للبوصيري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فإياك أن تشك في نراحتهم وتقول: إنهم متحاملين عليّ أو غير ذلك! لكنهم كرماء، فعندما تعمل عملاً صالحاً يسارع صاحب اليمين، ويكتبه حتى لا ترجع فيه، وإذا عملت شيئاً آخر، فيسارع صاحب الشمال في كتابته فيقول له صاحب اليمين وهو رئيسه: تمهّل قليلاً ربما يتوب ويرجع ويندم، فيتركه إلى أن تنتهي نوبته، فلا يسجله إلا إذا إنتهت النوبة، فهناك نوبتان للملائكة: نوبة من الفجر للعصر، ونوبة من العصر للفجر، لماذا من الفجر للعصر؟ ومن العصر للفجر؟ لأن الله يُحبنا ويُحب الخير لنا، فهؤلاء الملائكة يحضرون معنا صلاة العصر ويصعدون قال ﷺ:

{ يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الَّذِينَ بَاثُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ } ١٠

وهذه شهادة تُكرم بها عند خالق الوجود تبارك وتعالى، فلا يسجلوا الذنب إلا بعد نهاية نوبتهم، ومع ذلك فتح الله لك الفرصة بعد الفرصة للتوبة والرجوع إلى الله.

وبعد أن يصوّروا العمل: ... تكون الصورة للظاهر والباطن، فأنا الآن لو صوّرت أحداً بمحمول فهل أستطيع أن أصوّر نيته التي في قلبه؟ لا، لكن الصورة الأخرى فيها النية ظاهرة جلية، لأن الأعمال بالنيات: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٩ الطارق) أي تظهر وتنكشف: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (١٠ الطارق) فماذا يقول؟

لو كان في الدنيا قد يقول: أنا كنت لا أريد هذا، وأنا كانت نيّتي غير هذا، ويكذب، لكن هناك لا مكان للكذب ... وهؤلاء الملائكة معهم جهاز نسخ رباني غير أجهزتنا العصرية: .. فينسخون من هذا العمل عدّة صور، صورة لحضرة الله، وصورة لسيدنا رسول الله لأنه الخامي العام لجميع الأنام، ولا بد أن يكون عنده صورة من ملفك كاملة ليدافع عنك، ويطلع عليها أولاً بأول، وصورة في ديوان الأعمال وهي تحت العرش.

وكل واحد منا له دولاب يُوضع فيه سجلات أعماله: وفي كل عالم من العوالم العلوية صورة من عملك: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩ الجاثية) نسخ كثيرة!! وليست

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّةُ آيَاتِ الْمَقْرَبِينَ الشَّحْمُ فُزِّي بِحَمْدِ نُوْزِيرٍ

نسخة واحدة قد تعترض عليها ... والأرض تسجل كل موضع تذهب إليه !!، تسجيل بالصوت والصورة وستكون جاهزة هناك لعرض الملفات:

﴿ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا ﴾ ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ (الزلزلة) فتقول الأرض: فلان عمل على ظهري كذا!، وفلان عمل على ظهري في المكان الفلاني كذا ... ملف كامل !!!

ولذلك هناك من المؤمنين عندما يموت فإن الأرض تبكي عليه، لماذا؟ لأنه كان يُشرفها دائماً إما بسجدة أو نفقة أو صدقة أو مجلس صلح أو كلمة طيبة، كل عمله صالح، لذلك فهي سعيدة به، وعندما يسافر من الأرض تبكي عليه! وكذلك يبكي عليه موضع دخول العمل من السماء، فلكل واحد منا باب في السماء يصعد منه العمل، فيحزن هذا الباب لأنه سيُغلق ولن يصعد إليه منه عمل آخر.

أما الآخرين الكافرون:

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ (٢٩ الدخان) .. تستريح منهم السماء والأرض، ولا تبكي عليهم، لأنهم لم يروا منهم غير الجرائم والقبائح والأعمال التي يبارزون بها الربوبية ويبارزون بها رب البرية ﷻ.

وكذلك لا أحد يستطيع أن يكتشف الكاميرات الموجودة معنا والتي تُسجل: فاليد تسجل، والعين تسجل، واللسان يُسجل، كلهم يسجلون صوتاً وصورة، وكذلك الأذن تُسجل، حتى الفرج يُسجل، وكل عضو من أعضائك يُسجل:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢٤ النور)

وكل الأعضاء: ﴿ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ (٢١ فصلت)

الجلد يقول: هذا الرجل الذي كنت معه لمس جسم فلانة في المكان الفلاني يوم كذا، فيشهد عليه: ﴿ وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٢١ فصلت) ... انظر فينا كم من الشهود الذين يشهدون علينا؟

الأول حضرة النبي ﷺ ... والثاني الملائكة ... والثالث الأرض ... والرابع الجواح

والخامس: المؤمنون الأتقياء الأنقياء الذين اختارهم ربُّ العزة وجعلهم أولياء، وجعل لهم وراثته عن سيد الرُّسل والأنبياء أن يشهدوا على أهل زمانهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (١٤٣ البقرة).

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، يَقُولُ:

{ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَنْتَوْنَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَنْتَوْنَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ؓ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتَيْنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ }^{١١}

فهؤلاء أيضاً سيكونوا شهود عند الرب تبارك وتعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فيوضع الكتاب ويؤتي بالنبيين والشهداء!! ومن رحمة الله بنا، ومن لطف الله بنا، ومن إكرامه الذي لا يُحَدُّ لنا ببركة نبينا، يقول نبينا:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ }^{١٢}

الفضل والعدل

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: سيدنا رسول الله ظلَّ يضرع إلى الله ويُناجي الله ويستغيث بالله حتى جعل الله هذا الحكم لغير المؤمنين بالله ... فكيف يكون حالنا من: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حسابنا سيكون بالفضل، وحساب الخلائق كلها بالعدل: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٤٩ الكهف) وحساب هذه الأمة كلها بالفضل، الآخرين لا يعملون شاردة ولا واردة إلا:

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (٤٩ الكهف).

١١ البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ؓ

١٢ التوبة لابن عساكر عن أنس بن مالك ؓ

الكتاب أنزل المطبوع نفسي أيتها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

يروا أعمالهم أمام أعينهم ... أما نحن فقد أنزل لنا تشريع مخصوص: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦ الأحقاف) وهذا وعد وعده الله .. لرسول الله خاص لأمته، فيما بشرنا برسول الله ﷺ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ... كل نفس من هؤلاء النفوس الكافرة والغادرة والمشركة والعاصية التي لم تنب إلى الله ... ستوفي عملها جزاؤها عند الله تبارك وتعالى.

الشفاعة

لكننا جعل الله لنا فرجاً فسيحاً سبنا بالفضل ... وهذه واحدة ...

وسمح لحضرة النبي أن يشفع فينا ... وهذه الثانية ...

ستشفع في من يا رسول الله؟ شفاعة رسول الله واسعة، سيشفع في قوم عند الميزان حتى تنقل الكفة اليمين .. مع أن الشمال هي التي كانت أثقل! ويشفع في قوم عند تطاير الصحف، لأن الكتاب كان سيخرج ليأخذوه بالشمال، فيشفع لهم ليأخذوه باليمين.

ويشفع في قوم عند الصراط كان مُقَدَّرًا لهم أن يعبروا عليه ويسقطوا في جهنم، ليعبروا الصراط. ويشفع في قوم دخلوا جهنم: ولا بد لأن هؤلاء ارتكبوا كبائر ولم يتوبوا منها قبل الموت ...، ولكن هذا لتخفيف الأحكام، فمن جوزي بمليون سنة، يجعلها سنة تخفيفاً للحكم، لماذا؟ من أجل المحامي الأعظم ﷺ.

وسيشفع في قوم دخلوا الجنة، فأنا كنت أطمع في درجة عالية في الجنة، ولكن عملي لم يوصل لها، فيشفع لي في ذلك، فيقول: يا رب من أجلي ارفعه للمكانة العالية التي يُريدها، فيرفعه الله أقول له: يا رسول الله أنا لا أرى زوجتي ولا أولادي ولا بناتي وكنت أريد أن يكونوا معي، فيقول حضرة النبي: يا رب اجمع شمل الأهل على أهلهم، والأحباب مع بعضهم.

شفاعات كثيرة لرسول الله ... وكلها لنا ... وهذه الشفاعات ما حدودها؟

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى) ما تريده كله إلى أن ترضى!!!

فليس لها حدٌ أو مقدار ... ويرجع سيدنا رسول الله ويقول: يا رب هؤلاء القوم الذين أخلصوا في المجاهدات والطاعات ونشر دين الله والعمل بسنتي أعط لكل واحد منهم شفاعاً، فيشفع الشفعاء من أمة خير الرسل والأنبياء ... فالعالم يشفع في سبعين رجلاً ...، والشهيد يشفع في سبعين رجلاً ...، ورجل بمعنى رجل أو امرأة ...، وقارئ القرآن يشفع في عشرة ...، وحضرة النبي ماذا قال في هؤلاء؟ قال فيهم:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }^{١٣}، وقال:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }^{١٤}

فمن دخل الجنة لا يحتاج الشفاعة لكن يشفع لمن استوجب النار، وكيف بالصالحين؟ كل واحد على حسب مكانته ومنزلته عند سيد الأولين والآخرين، كان هناك رجلاً لم ير النبي ﷺ واسمه أويس القرني، فأراد سيدنا رسول الله أن يُعرف أصحابه به، فقال فيه:

{ لَيْشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لِأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مُضَرَ، وَإِنَّهُ أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ }^{١٥}

وهما من أكبر العائلات في الجزيرة العربية .. فالعدد على حسب المدد الذي يأتي من حضرة النبي ﷺ لهذا الولي التقى النقي، وكل هذا إكراماً لأمة الحبيب ﷺ.

أصحاب النار

{ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا }^{١٦}: وسيق يعني يسوقونهم كالمساجين،

فيسحبونهم ليدخلوهم جهنم، لأنهم لا يريدون دخولها، وزُمراً يعني جماعات، وكل جماعة خلف الأخرى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَبَأُ بِهَآ }^{١٧}: جهنم مغلقة لا تفتح إلا إذا جاءوا إليها، لماذا؟ لأن جهنم لو فتحت منها باب لرؤعت أهل الموقف: { إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ }^{١٨} (المسلمات) عندما يروا هذا الشرر يُروعوا، فهو يُروع هؤلاء الكافرين ..

فعندما يقفوا في هذا الموقف العظيم يُهْبُ عليهم بعض الدخان من جهنم فتعمى

١٣ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء

١٤ سنن ابن ماجه وأحمد عن علي بن أبي طالب

١٥ كرامات أولياء الله عز وجل للألكاني عن أبي هريرة

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْهِ مُحَمَّدٌ نُزَيْرٌ

أبصارهم وتزكهم أنوفهم، فلا يرون ويكون عندهم زكام شديد، لكن المؤمنون بعيدون عن ذلك، حفظهم الله، ووقاهم الله تبارك وتعالى.

فتظل جهنم كالسجن لا يفتح إلا إذا دخل أحد أو خرج، وهؤلاء يدخلون ولن يخرجوا أبداً، لا يخرج منها إلا من يخرجهم سيدنا رسول الله، وأصحابه الكرام، والشافعون من أمته بإذن منه صلوات ربي وتسليماته عليه ... والملائكة الواقفون على جهنم !!، مع أنهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ...، إلا أن عندهم شيء من الشفقة والرحمة، فيكلمونهم ويوبخونهم ويقولون لهم:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنْبِيَاءٌ ۚ وَجَاءَكُم مَّرْسَلُونَ مِنْ أَقْوَامِكُمْ ۚ فَمَا كُنْتُمْ فِي قَوْمِهِ إِلَّا خَتَامُ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ بُعِثَ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَجَاءَكُم عِلْمَاءٌ وَذَكَرُوكُمْ، فَلِمَ لَمْ تَسْتَجِيبُوا ۚ بَلْ إِنكُمْ أُحْيَا أَنْتُمْ تُسَخَّرُونَ مِنْهُمْ:

﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ

نحن نستحق ذلك، ويعترفوا أنهم يستحقون هذا العقاب.

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ۚ

هناكم باب؟ ﴾ هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٤٤ الحجر) ..

وكل باب فيه سجون، وكل سجن له أنواع من العذاب غير السجن الآخر، فهناك سجن اسمه سقر، وهناك سجن اسمه لظى، وهناك سجن اسمه الحطمة، وهناك سجن اسمه القارعة، وهذه الأسماء موجودة كلها في كتاب الله.

وكل سجن من هؤلاء له لونٌ مخصوص من العذاب: ويدخله نوعٌ مخصوص من البشر لآثام معينة ارتكبوها، مثلاً: الملائكة الواقفون على سجن سقر، يرون الأفواج القادمة، فيسألونهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢ المدثر) ..

ما الذي جاء بكم إلى هنا؟

وما الذنوب التي تدخل سقر؟ ﴿ قَالُوا لَمْ تَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴾ (٤٣ المدثر)

الكُفَّاءُ أَفْزَلُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِي أَيْضًا الْمَطْبُوعِينَ الشَّيْخُ فُزَيْي بِحْمَدٍ نُزَيْرٌ

كنا تاركين للصلاة، فهل كانوا مسلمين أو غير مسلمين؟ مسلمين! ولكن تاركين للصلاة، ويستهنئون من المصلين، ويسخرون بالمصلين المستدِمين، وأيضاً... ﴿وَلَمْ تَكُ تُطْعَمُ الْمَسْكِينُ﴾ (٤٤ المذثر) مع أنهم كان معهم،.. لأن الذي ليس معه فلن يُحاسب، ولكنه الذي يحاسب من معه ما يُطعم، فأنت معك وجارك فقير، وعنده ظروف حرجة فكيف تتركه؟ ألم تسمع قول النبي ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٍ إِلَى جَنْبِهِ } ١٦

إيمانه يكون فيه دَخَل، وفيه نقص، لأنه لا بد أن تشعر بأخيك وتقف بجواره في المهمات والملمات، فلماذا نحن إخوة؟ لنكون مع بعضنا في مثل هذه الأمور.

والمصيبة الكبرى التي تُعم الغالبية من المسلمين في هذا الزمان:

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٤٥ المذثر) نتكلم، واللسان فتحنا له الباب فيخوض في الأعراض، ويتكلم في حق هذا، وفي حق هذا، ويشتم هذا، ويُسيئ سمعة هذا، والنفس لا تحاسب، والقلب لا يعاتب، وينسى أنه سيُحاسب على ذلك كله حساباً عسيراً يوم يلقي الله ﷻ... ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤٦ المذثر) لم يُصدق أن هناك حساب وهناك موت: ﴿حَتَّى أَتَلْنَا الْقَبْرِينِ﴾ (٤٧ المذثر).... الدنيا ألهتهم وشغلتهم إلى أن يموت، ولم يستعد ولم يتجهز.. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: هؤلاء الخالدون هم الكفار!!... لأنهم لن يخرجوا منها، لكننا حتى من يدخل منا فسيكون مؤقتاً، لأنه سيأتي عليه يوم من الأيام ويخرج بشفاعة النبي، حتى الذي قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولو مرة، حضرة النبي يذهب إلى العرش ويسجد أمام الله ويناجي الله، فيقول له الله:

{ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فَيَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَا أُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ١٧

فالذين في النار عندما يروهم يخرجون، يقولون: يا ليتنا قلناها ولو مرة: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ

١٦ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عائشة ؓ

١٧ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ (الحجر) ! ليتنا لنا هذه الكلمة ولو مرة واحدة !! حتى لا نكون خالدين فيها ونخرج من النار بشفاعة النبي المختار ﷺ، وقال ﷺ:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ }^{١٨}

من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان يعني فيه قليل من الإيمان .. ولم يفعل شيئاً نهائياً، وهذا سيكون في السجن ...، ولكن الشفاعة حتى لا يستوفي المدة ولتخفيف الأحكام.

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا مَثَوَى التَّكْوِينِ ﴾:

ومثوى يعني مقر المتكبرين، الذين تكبروا عن الخضوع والإيمان بدين الله ﷻ.

نعيم الجنة

سبحان الله ... الحرف في كتاب الله يُعطي معاني لا طاقة لأحد من البشر بمعرفتها إلا إذا عرّفه مولاه ... فقال الله في أهل جهنم:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾:

وقال في أهل الجنة:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

وهناك قراءة أخرى: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ... فالجنة مجهزة لهؤلاء: القصور مزينة، والخور مزينة في شرفات القصور، والأبواب تَهْفُفُ ولها موسيقى ليس لها مثيل في عالم الدنيا، وأنوار الجنة ترغلل عيون الرأس وعيون الفؤاد .. كل هذا ترحيب للداخلين فيها.

وهذه الآية لا تتكلم عن الكبار، لكنها تتكلم عن العوام من المؤمنين الذين سيدخلون الجنة، لأنهم سيساقون إلى الجنة.

وهل هناك أفضل من هؤلاء؟ نعم، هناك أناس لن تنتظر الجنة حتى يذهبوا هم إليها

... ولكنها هي التي تذهب إليهم في الموقف العظيم وتتقرب منهم:

﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١ق) وأزلفت يعني تقربت ... فتخطفهم من

الموقف !!، يقول في بعضهم سيدنا رسول الله ﷺ، وانظروا لمعنى الكلام:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ } ١٩

فالجنة تشتاق، وتفهم كلامنا، وتعرف الخواطر التي في نفوسنا !! والنار كذلك !! فلو اشتبهت شيئاً في الجنة فهل تنتظر الجنة أو خدم الجنة حتى تتكلم باللسان؟ لا، !!! فإذا اشتبهت فاكهة فإن شجرة الجنة تمشي حتى تأتيك ويتدلى فرعها في حرك لتأخذ ما تريده، مع أنك لم تطلب، ولكن كما قال الله: ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق) هؤلاء لهم غير الجنة مزيد عند الله ﷻ.

فأهل الجنة أنواع وأصناف: والصنف الذي في الآيات التي معنا عندما يذهبون إلى الجنة يجدون أبوابها مفتوحة، والجنة لها ثمانية أبواب، كل واحد منا يدخل الجنة من باب العمل الذي غلب عليه في الدنيا، والذي فاز به وجاز ليدخل من هذا الباب ... فهناك من يدخل من باب الريان وهم الصائمون ... وهناك من يدخل من باب الضحى، وغير ذلك، سيدنا رسول الله كان يصف هذه الأبواب فقال:

{ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابٍ يَعْنِي الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرِّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ } ٢٠

نحن نريد هذه المنزل: ... وانظر إلى رافة الحبيب ورحمته بنا، فقد أعطانا عمل يسير

١٩ الحاكم في المستدرک والتزمذي عن أنس بن مالك ﷺ

٢٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

وسهل من عمله يدخل من أي أبواب الجنة شاء، ما هذا العمل؟ قال:

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ }^{٢١}

هل هذا ثمن غالٍ؟! هل هذا العمل فيه مشقة؟! لا ...

نحن كلنا نتوضأ لكن البعض حتى أثناء الوضوء لا يريد ترك الكلام مع الآخرين!!، لماذا؟! ورد في الاثر: (إن المتوضي عليه خيمة من نور إذا تكلم رفعت) عندما تتوضأ يكون عليك خيمة من النور ممتدة منك إلى عنان السماء فإذا تكلمت مع جارك انقطعت هذه الخيمة ... فالذي يريد الكلام بعد أن ينتهي من الوضوء، لكن أثناء الوضوء أنشغل بالدعاء لله ﷻ، وبعد أن أنتهي من الوضوء أنطق بالشهادتين، لكن المهم:

{ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَذْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ }^{٢٢}

أعود نفسي على المداومة على ذلك، والجزء على ذلك الدخول من أبواب الجنة الثمانية أيهم شئت، لأنك نفذت قول الذي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم).

وباب الجنة ليس له مفتاح: ... ولكن أنت المفتاح ... فهو مبلغ بك، فعندما تذهب إليه يفتح، فقبل أن تصل إليه فإن نور إيمانك عندما يسطع على باب الجنة فإنه يفتح، وأول من يفتح الجنة سيدنا رسول الله ﷺ، يقول ﷺ:

{ آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتَحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٢٣}

لم يقل (لك)، ولكن قال (بك) يعني مفتاح الجنة هو سيدنا رسول الله ﷺ.

٢١ جامع الترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب ﷺ

٢٢ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة ﷺ

٢٣ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ﷺ

على باب الجنة يوجد عينان نضاختان: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (٦٦ الرحمن) تُخرج العين الأولى شربة عندما يشربها الإنسان فإن كل التعب والهم والغم والمرض والحزن يخرج، فيقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (٣٤ فاطر): ذهب كل الهم والغم والحزن، ثم يشرب من العين الثانية فتظهر عليه نضرة النعيم، فيأخذ الحياة الأبدية، ليس مائة سنة أو ألف سنة ولكن حياة أبدية ... هذه الحياة التي سيعيشها في الجنة سيكون فيها في سن الشباب، ولن يبلغ أحد فيها سن العجز، كما قال ﷺ:

{ لَا يَبْلَى شَبَابُهُمْ }^{٢٤}، وقال أيضاً:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْقُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ }^{٢٥}

ولا يوجد هناك أمراض، فكل الأمراض التي تشتكي منها في الدنيا تنتهي في الجنة، وتظهر عليه نضرة النعيم، ويصبح من أهل الخلود في جنة الله ﷻ، وخزنة الجنة يسارعون في استقبال هؤلاء: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ طبتم من الذنوب والعيوب وأصبحتم مجملين بالعمل الصالح الذي يحبه علام الغيوب: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ .. والأعلى من هؤلاء: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤ الرعد) والأعلى من هؤلاء وهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (٢٦ يونس) ما الزيادة يا رسول الله؟ قال:

{ الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }^{٢٦}

فهذه فوق نعيم الجنة! ويبعث ملك الملوك الملائكة نواب عن حضرته يقولون لهم: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨ يس) يبلغوهم السلام من الله ﷻ، إلى أن يدخلوا الجنة، وبعد ذلك يكون السلام والتحية والإكرام على الدوام من الحنان المنان ﷻ، ويكفيهم الرفقة الطيبة بجوار الحبيب المصطفى والنبين والصديقين والشهداء والصالحين على الدوام.

ميرات الخلود

٢٤ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

٢٥ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

٢٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة ﷺ

ثم يقول هؤلاء الذين معنا في هذه الآيات:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ...

وهذه الذي نبحث عن ميراثنا فيها، فالكثير يتعب نفسه في الدنيا، ويدخل في خلافات ومشاكل، ويورث العداوة لأولاده على أخيه من أجل قيراط أرض أو سهمين في بيت، ولن يأخذ أحد الأرض معه، ولن يضمن أحد البيت معه!!.

مثلاً: المكان الذي نجلس فيه الآن، من الذي ورث هذا المكان منذ آدم إلى الآن؟! لا نستطيع حصرهم في السجلات، وأي شبر في الأرض لو بحثنا من الذي ورثه منذ آدم إلى يومنا هذا فلن نستطيع!!

نحن كمن يعمل في قطاع حكومي وسلموا له بيت وأرض، واشتروا عليه عندما يبلغ سن المعاش يسلم البيت والأرض، ولا شأن لي بمن سيأخذها بعدي، فالشركة هي المسؤولة عن ذلك فالذي تضحك عليه الدنيا أو نفسه أو زوجته أو أولاده ويتدخل في هذا الأمر فيكتب لهذا شيئاً، ويترك هذا، فقد نسي قول النبي ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْثَهُ حَرَّمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ } ٢٧

لا شأن لك بذلك، فهو من شأن ملك الملوك!! ولأن هذه القضية هي سبب كثير من الخلافات لا نجد أي ناحية من نواحيها إلا وكتاب الله استوفاه، ولم يترك فيها شيء للاجتهاد حتى نكون حريصين لكن يجب أن نحرص على الأرض التي ستدوم: أما الأرض التي نحن عليها فلن تدوم لأحد، فكلنا سنتركها ونسافر!! والتي تدوم جنة النعيم، والرفقة التي تدوم هي رفقة الرءوف الرحيم، ورفقة الصالحين والمحبين، فهي رفقة دائمة.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: نتبوأ يعني ننزل أي مكان نريده

في الجنة ... وكما قلنا فإن كل ما في الجنة يفهم، فوسائل المواصلات في الجنة السرير الذي تجلس عليه وتنام عليه، فلو أردت زيارة أخيك في الله، فبدون أن تتكلم يطّلع على ما في نفسك فيتحرك ويذهب بك لفلان!، لأنه عاقل، وكل ما في الجنة على هذه الشاكلة وعلى

هذا الحال، هم أصحاب بصيرة، ويرون البصيرة المنيرة بأمرٍ ممن يقول للشيء كن فيكون.

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾: الذين يعملون عند رب العالمين، ولا ييغون من العمل إلا رضا الله، وجوار حبيبه ومصطفاه، ولا يرون أنهم يؤدون العمل إلا بمعونة الله وتوفيق الله ورعاية الله .. فقد يكون الإنسان دوماً في العبادات، ويقوم دائماً الليل، وطوال العام صائماً، ولكنه يرى نفسه أنه أفضل من هذا وهذا، لكن هل نظرت إلى القبول؟! هل ضمنت القبول؟! لأن المهم القبول وليس العمل ... وما شرط القبول؟

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وشرطه: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠ الكهف) هذا يعمل لله فما الشرك هنا؟! قال ﷺ:

{ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ } ٢٨

الرياء هو الشرك الخفي!! ... فيعمل العمل من أجل أن يشكره الناس، أو يعمل العمل من أجل أن تثق فيه الناس ويقولون هذا الرجل كذا وكذا ويطمئنون إليه، أو يعمل العمل ويتباهى به، لكن المؤمن يعمل العمل ويرى معونة الله فيه، فيشكر الله أنه وفقه وأعانه على هذا العمل ليستزيد من توفيق الله ومن مدد الله تبارك وتعالى.

العرش والملائكة

في هذا الموقف العظيم في الآخرة أين تكون الملائكة: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: ما شكل هذا العرش؟ وما خبره؟ .. هذا غيب لا يعلمه إلا من خلقه وأبدعه، وإذا كان هناك بعض الروايات في الكتب التي تروي الأحاديث الموضوعة فلا شأن لنا بها، فلا يوجد حديث صحيح لحضرة النبي في هذا الأمر.

الإمام مالك ﷺ كانت له هيبة في مجلسه بمسجد حضرة النبي، فسأله رجل: قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥٥ طه) فما معنى استوى؟

الإمام مالك ومثله أصحاب المذاهب الكبار كانوا علماء وأولياء، فينظر بعين الرأس

الكُتُبُ أَنْفَالُ الْمَطْبُوعِ نَفْسِيَّاتُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ فُزَيْيْ بِحْرُودُوزَيْرُ

ويعين القلب، فنظر إلى هذا الرجل وقال له: الإستواء معلوم والكيف مجهول والبحث عنه بدعة والسؤال عنه ضلالة وقم من هذا المجلس فإنك مبتدع!!.

لأنه يريد أن يصنع فتنة بين المسلمين، فيشغلهم بأمر لا طاقة لأحد من الخلق بالحديث فيه، فماذا يقولون فيه، فلم يره أحد، ولم يطلع عليه أحد، والذين أكرمهم الله ورأوه قبل أن يروه أخذ الله عليهم العهد أن لا يبيحوا بهذا السر، فهي أسرار عليّة إلهية.

فالعرش الآن موضع التجليات الإلهية الرحمانية التي تنزل من الحضرة الإلهية للأرجاء الكونية ورد أن الله سيقول: يا مُحَمَّد اجلس على العرش حتى يعلم أهل الجمع أي أنا الذي احمل العرش وليس العرش هو الذي يحملني فالذي سيجلس على العرش هو سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا ما قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله:

وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم

من الذي يحيط بالعرش؟ الملائكة:

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ ماذا يفعلون؟

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ينزهون الله عن المثل والنظير والوزير والمشير: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١ الشورى).

ومع التسبيح الحمد الذي أكرم الله به المؤمنين، وأكرم الأنبياء والمرسلين بالدرجات العالية، والمنازل الراقية ... هل التسبيح والتحميد مكلفين به؟ لا، ولكن تلذذاً وتفكهاً بذكر الحضرة الإلهية، ولكن ليس تكليف لو تركه سيحاسب.

وكذلك نحن عندما ندخل الجنة لا يوجد فيها تكليف بصلاة أو صيام أو شيء من العبادات، لكن أهل الجنة كما قال الله: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ (٥٥ هـ) شغلهم بذكر الله، وشكر الله، لماذا؟ .. تفكهاً وتلذذاً بذكر اسم الله تبارك وتعال !! ولكن ليس تكليف لأنه لا يوجد حساب، ولكنهم يرون أن أكبر لذة يحصل عليها المؤمن في جنة النعيم ترداد لفظ الجلالة، وحمد الله على نعماءه، وشكر الله على عطاياه، وكل هذا تلذذاً وتفكهاً.

حقوق العباد

﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾: بين الخلق جميعاً:

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ (٤٤: الكهف) كما ذكرنا من قبل فالذي يخرج من الدنيا

وليس عليه مطالبين في هذا اليوم فيا هناه.

لأن المصيبة الكبرى أن ينتهي الإنسان من الحساب ويمر على الصراط، وتأخذه الملائكة لتزفه إلى الجنة، وقبل باب الجنة يناد مناد الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج؟ فيخرج له نفر من الموقوف، منهم من يقول: ظلمي، ومنهم من يقول: سرقني، ومنهم من يقول: غشني، ومنهم من يقول: كذب عليّ، ومنهم من يقول: خدعني، ومنهم من يقول: خانني، ومنهم من يقول: قتلني، وكل واحد يذكر مظلمته، فيناد مناد الله: لا تدخل الجنة حتى ترضي خصماءك، لأن هذا حق العباد، حقوق الله قد يتنازل عنها لنا، فيقول لنا كما ورد في الأثر: (أما ما كان بيني وبينكم فقد غفرته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم ثم ادخلوا الجنة برحمتي).

لذلك المؤمن العاقل الكيس الفطن في هذه الأيام من يخرج من الدنيا ومعه خلو طرف من جميع الأنام: أنه لم يسيء إلى أحد، ولم يغتصب أحد، ولم يكذب على أحد، ولم يخدع أحد، ولم يرتكب معصية أو فاحشة في حق أحد ... وهذا ليس عليه حساب، فيخرج من القبور إلى القصور، ولن يمر بميزان ولا صراط ولا غيره، وإنما: ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠: الزمر).

الحكيم فينا الذي يعمل ليكون من أهل هذه الدرجة، فيأياك أن تضحك عليك نفسك وتطمع أن تدخل في الحساب اليسير، لأنه ربما يكون عندك جرائم من التي ذكرناها، ولذلك قال ﷺ فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ }^{٢٩}

كونه سيناقش فهو خزي، لأنه ربما يكون في أعماله فضيحة، أو كذا وكذا، أو فيها شيء للخلق ولن يتنازل أحد عن حقه، لأن الكل هناك يبحث عن الحسنة التائهة له،

وحضرة النبي يحكي - كما ورد ببعض الأثر - واقعة تشيب لها الولدان، أم تحتاج إلى حسنة واحدة ليثقل ميزانها وتدخل الجنة، فمن رأفة الله ورحمته بأمرها أن تبحث عن من يعطيها حسنة، فتذهب لإبنها تستعطفه وتقول له: يا بني لقد كان بطني لك وعاء، وصدري لك سقاء، وحجري لك وطاء فهل أجد عندك حسنة أثقل بها ميزاني؟ فيقول لها: هيهات هيهات يا أماه، إني أعاني مما منه تعاني!!.

من الذي سيعطيك هناك؟ لا أحد، فالعاقِل الذي يخرج من الدنيا وليس عليه شيء خلق الله، فالمولى كريم ورءوف ورحيم، لكننا نحن السيئين مع بعضنا.

سيدي أبو يزيد البسطامي ؑ كان من العارفين المتفرسين سمع القاريء يقرأ: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢ البروج) فقال: إن بطشي أشد من بطش ربي! فقالوا له: كيف؟! قال: إن بطش الله ممزوج بالرحمة، أما عندما يبطش الإنسان بآخر فلا يكون عنده رحمة! وهذا ما نراه الآن، فما الذي يجعلك تضع نفسك في هذا الموقف؟!.

الإنسان العاقل كما يقول الإمام علي ؑ في الصالحين: (قلوبهم محزونة، وألسنتهم مخزونة، وأسرارهم مصونة، الناس منهم في راحة، وأنفسهم منهم في عناء) اخزن لسانك واضبط فرامله، واجعل خلافتك ومشاكلك مع نفسك، لُمها وعاتبها وعَنَقها حتى تذهب إلى هناك وليس لك حساب غير ذلك، قال ؑ:

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا } ٣٠

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ؑ: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم)

نسأل الله ﷻ أن يصلح أحوالنا، وأن يبلغنا فيما يرضيه أماننا، وأن يجعل وجهه العظيم مقصدنا، وجوار الحبيب في الجنة مطلبنا، وأن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، وأن يجعلنا من الذي يطهرون من القبور إلى القصور، ويجعلنا من الذين يجلسون يوم الدين في الجنة على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نظرة النعيم، وأن نكون من المتلذذين بذكر الله في الدنيا ويوم لقياه صلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم. .. انتهى الجزء الثالث بحمد الله

الكتب المصنوعة نفسياً أيتها الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي المراجع

١. أسرار القرآن - السيد محمد ماضي أبو العزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١: ٧.
٢. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابي للنشر الغورية القاهرة.
٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تحقيق أحمد عبدالله القرشي، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي.
٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار المعارف.
٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي، دار الفكر.
٦. تفسير الشعراوي، أخبار اليوم.
٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٨. التفسير الصوفي للقرآن، محي الدين الطعمي، دار الروضة.
٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.
١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القلم.
١٢. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، تحقيق عبدالله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة.
١٣. تفسير الجلالين الخلي والسيوطي، دار التراث العربي.
١٤. تفسير الجيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مركز الجيلاني للبحوث العلمية، اسطنبول.
١٥. تفسير القرآن الكريم، د. عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.
١٦. تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.
١٧. غرائب القرآن ورجائب الفرقان، النيسابوري، دار الصفوة.
١٨. غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبي، القاهرة.
١٩. مختصر تفسير الشعراوي، منى الهاشمي، دار المعارف.
٢٠. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقي، اختصار محمد علي الصابوني، دار القلم.
٢١. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٢. لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٢٤. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية.
٢٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.
٢٦. أسباب النزول، الواحدي النيسابوري، دار نهر النيل، القاهرة.
٢٧. كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.
٢٨. جامع البيان في متشابه القرآن، د. أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة الحمديّة.
٢٩. موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد



✽ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، الغربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

✽ النشاط: يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.. كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضاً من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابهِ وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

✽ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحيائه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.. ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

✽ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبتريخ المبادئ القرآنية.

الكتب افضل المطبوع
نفسى ايتى المطربين
الشيخ فوزى محمد فوزى

❖ قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة حتى تاريخه ٣١ ديسمبر ٢٠١٧ :

عدد خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١٠٥ كتاب						
م	الكتاب	ط	تر	م	الكتاب	ط
السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم عدد ٩						
	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	٩٣		١		
٤	نفحات من نور القرآن ج ١	٩٦	١		تفسير آيات المقربين : ج ١	١
١٤	نفحات من نور القرآن ج ٢	١٠٢	١		تفسير آيات المقربين : ج ٢	١
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	١٠٣	٣		حكمة لقمان وبر الوالدين	١
٩١	الأداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١٠٥	١		تفسير آيات المقربين : ج ٣	١
السلسلة الثانية : الفقه عدد ٩ كتب						
٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	ن	٥٢	زاد الحاج والمعتمر	٣
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	كيف تكون داعياً على بصيرة	١
٧٢	إكرام الله للأمواء	١		٩٥	الصيام شريعة وحقيقة	١
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	صيام الأتقياء	١
السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية عدد ١١ كتاب						
١٣	إشراقات الإسرائاء ج	٢		٢٢	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٣
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	الكملات المحمدية	٢
٣٥	إشراقات الإسرائاء ج ٢	١		٦١	واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول	٢
٧٠	ثاني اثنين	١		٨٥	السراج المنير	١
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١
السلسلة الرابعة : من أعلام الصوفية عدد ٦ كتب						
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة	١		٤١	الإمام أبو الغزائم المجدد	٢
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقي	٢		٥٩	المربى الربانى السيد أحمد	١
٩٧	الإمام أبو الغزائم، سيرة حياة	١			الشيخ الكامل أبو الحسن الشاذلى	١
السلسلة الخامسة : الدين والحياة عدد ٧ كتب						
٣٤	كيف يحبك الله	٣	ن	٣٩	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى	٢
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		٦٧	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة	١		٩٢	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١
السلسلة السادسة : الخطب الإلهامية للمناسبات عدد ٧						
١٧	خطب شهر رجب والإسرائاء	١		١٨	خطب المولد النبوى	١
١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١		٢٠	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١		٥٥	الحج وعيد الأضحى	١
السلسلة السابعة : الخطب الإلهامية العصرية ١ كتاب						
	الأشقية النبوية للعصر	٧٨			الخطب الإلهامية مجلد مناسبات	٣
السلسلة الثامنة : المرأة المسلمة عدد ٤ كتاب						
٤٣	المؤمنات القانتات	٢		٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	١
				٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢

الكتب: افضل المطبوع
نفسنا في الطريق المقربين
الشيخ فوزي محمد فوزي

٧٤	الحب والجنس في الإسلام.	١	ن
السلسلة التاسعة : الطريق إلى الله عدد ١٢ كتاب			
٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	٢٨
٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	٣١
٣٢	مراقى الصالحين	١	٥٧
٦٠	نوافل المقربين	١	٦٤
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١	٨٨
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج ٢	١	
السلسلة العاشرة: الأذكار والأوراد عدد الكتب: ٧			
١٥	أذكار الأبرار	١	٣٧
٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	٤٠
٥٦	نيل التهنائي بالورد القرآني	١	٧٣
السلسلة الحادية عشر : دراسات صوفية معاصرة ١٦			
١١	الصفاء والأصفاء	١	١٢
٢٩	الصوفية في القرآن والسنة	٣	٣٦
٤٢	الولاية والأولياء	١	٤٩
٥١	الفتح العرفاني	١	٥٣
٥٨	سياحة العارفين	١	٦٣
٦٥	نسمات القرب	١	٦٨
٧٧	شراب أهل الوصل	١	٨٣
٩٨	آداب المحبين لله	١	
السلسلة الثانية عشر: الفتاوى عدد الكتب: ٦			
٧٦	فتاوى فورية ج ١	١	٨٠
٨٤	فتاوى فورية ج ٣	١	٨٦
١٠١	يسألونك	١	
السلسلة الثالثة عشر: أسئلة صوفية عدد الكتب: ٣			
٦٩	الأجوبة الربانية في الأسئلة	١	٩٩
السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر عدد كتب: ٣			
٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	٩٤
السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور : عدد الكتب: ٤			
٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	٦٢
٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	

الكلمة قبل المطبوع نفسياً أحيى الملقين الشيخ فوزي محمد فوزي

المساهمات الدعوية للإذاعة والتلفزيون :

كان لفضيلته مساهمات أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة وبرامج التوك شو التى تهدف للبلبة والإثارة وتآليب الرأى واستغلال الحوادث، وهو يرحب بقوة بقنوات التلفزيون المصرى التى هى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

و نذكر من تلك القنوات على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً : خطبة وصلاة الجمعة بث مباشر : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :

* جمع من مسجد النور بجداق المعادى بالقاهرة. الشيخ يخطب الجمعة الأولى من كل شهر بمسجد النور منذ أكثر من عشرين عاماً. * جمعة من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة. * جمعة من المسجد الكبير بمدينة بورفؤاد بمحافظة بورسعيد.

ثانياً : البرنامج العام : * دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

ثالثاً : إذاعة القرآن الكريم : * أمسيات دينية كثيرة متعددة. * خطبة وصلاة الجمعة على الهواء. من مساجد متعددة. * خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التلفزيون المصرى عدة مرات.

رابعاً : إذاعة وسط الدلتا : * حديث الصباح. * الأمسية الدينية.

خامساً : إذاعة الشباب و الرياضة : * برنامج : عصافير الجنة.

سادساً : القناة الأولى بالتلفزيون : * برنامج من بيوت الله. * برنامج فى زمرة النبى ﷺ.

سابعاً : القناة السادسة : * حلقات من برنامج السيرة العطرة. * و برنامج آيات محكمات.

ثامناً : القناة الثامنة : * حلقات من برنامج : لقاءات إيمانية .

تاسعاً : القناة الثقافية : * برنامج فتاوى على الهواء.

عاشراً : إذاعة القاهرة الكبرى : * أمسيات دينية متعددة.

حادى عشر : القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

ثانى عشر : قناة القاهرة بالتلفزيون : حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك ولا يزال مستمران إلى تاريخه.

المساهمات الإعلامية والدعوية بكلليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و

الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحى الشيخ العديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادي الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى، كما شارك وأحى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات.

كما دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار سنوات كثيرة.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبو زيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ شارع الشيخ ريحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع محمد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلانى
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولي
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولي مدينة نصر
٩ شارع عدلى جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصنادقية بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الإسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامى الثقافى
٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك محمد سعيد موسى

الكتب من المطبوع نفسياً أيتها المطربين الشيخ فوزي محمد فوزي

مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبي دانيال، محطة مصر
مكتبة سبيويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل - أ/ أحمد الأبيض
		الأقاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -----	الزقازيق - بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق - شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا - أمام مسجد السيد البدوي
مكتبة قرية	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا - ٩ ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/ سامي أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ أ/ عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادي، أ/ عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة - ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح محمد الأترى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا - المنصورة - بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد - أحماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس، ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج - شارع احمد عراي أمام التكوين المهني
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا - إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا - إسنا - ش السيدة زينب - الحاج محمد الرئيس والأستاذ محمد رمضان محمد النبوي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأحاء الجمهورية. ويمكن
 أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجاناً من موقع الشيخ
www.fawzyabuzeid.com وعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب
 العربى ، أطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي
 بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨.

٣	المقدمة	
٥	١. أولو الفضل والسعة: تفسير الآيات (١٦: ٢٢) من سورة النور	
١١	٨	غزوة بني المصطلق
١٣	١٢	عقوبة إشاعة الفاحشة
١٥	١٤	النهي عن طريق الشيطان
	١٨	عناية الله بالصديقين
٢٥	٢. الله نور السموات والأرض: تفسير الآيات (٣٤: ٣٥) من سورة النور	
٣٠	٢٧	من خصائص القرآن
	٣٤	أثر نور الإيمان
٣٨	٣. صفات الفانزين: تفسير الآيات (٥١: ٥٤) من سورة النور	
٤٢	٤١	أوصاف المنافقين
٤٧	٤٥	الآية الجامعة
٤٨	٤: أهل التمكين وأهل الإستخلاف في الأرض: تفسير الآيات (٥٥: ٥٦) من سورة النور	
٥١	٤٩	سبب نزول الآية
٥٥	٥٣	التحذير من ترويع المسلمين
٥٧	٥٦	شروط الوفاء بالوعود الإلهية
٥٨	٥: أهل الأدب مع الرسول ﷺ: تفسير الآيات (٦٢: ٦٤) من سورة النور	
٦٠	٥٩	باب الأدب
٦٨	٦٣	أدب مناداة الرسول
٦٩	٦٩	مراقبة الله
٧١	٦: عباد الرحمن: تفسير الآيات (٦٣: ٧٠) من سورة الفرقان	
٧٤	٧٢	أهل القرب
٨٠	٧٨	أهل طاعة الله وعبادته
٨٤	٨٢	الانفاق والمنفقون
٨٦	٧: أنواع عباد الرحمن وصفاتهم: تفسير الآيات (٦٣: ٧٧) من سورة الفرقان	
٩٠	٨٨	إشارات رحمانية
١٠٠	٨: ابتلاء الله للمؤمنين (١): تفسير الآيات (١: ٥) من سورة العنكبوت	
١٠٥	١٠٣	المؤمن وتحمل البلاء
١١٢	١٠٧	عزة المؤمن
١١٣	٩: ابتلاء الله للمؤمنين (٢): تفسير الآيات (٦: ٧) من سورة العنكبوت	

الشرك الخفي	١١٥	جزاء العمل الصالح	١١٧
١٠: أهل الغرف	تفسير الآيات (٥٦:٥٩) من سورة العنكبوت		
أهل مقام العبودية لله	١٢٣	الأرزاق والتقوى	١٢٣
الرجوع إلى الله	١٢٥	أهل الغرف	١٢٧
حسن الخاتمة	١٢٩	مقام الصبر	١٣٠
حسن التوكل على الله	١٣٢		
١١: معية الله للمحسنين	تفسير الآية (٦٩) من سورة العنكبوت		
منزلة العباد	١٣٤	رتبة المخلصين	١٣٤
جهاد المخلصين	١٣٦	قواطع السالكين	١٣٧
الصدق في النية	١٣٩	معية الله للمحسنين	١٤٠
١٢: أهل هداية الله	تفسير الآيات (٥:١) من سورة لقمان		
الهدى والرحمة	١٤٧	الحياة الطيبة	١٤٧
إقامة الصلاة	١٤٩	الاستخارة	١٥٠
إيتاء الزكاة	١٥٢	اليقين في الآخرة	١٥٤
١٣: شباب أهل الجنة	تفسير الآيات (١٩:١٢) من سورة لقمان		
برنامج التربية الإلهية	١٥٧	لقمان الحكيم	١٥٩
الشكر باب المزيد	١٦١	العقيدة الصحيحة	١٦٤
مراقبة الله	١٦٤	الشرك الظاهر والخفي	١٦٧
الوصية بالوالدين	١٦٨	الوفاء للأُم	١٦٨
الرفقة الصالحة	١٧٠	حكمة الصلاة	١٧١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٧٢	حقيقة الصبر	١٧٤
النهي عن الكِبَر	١٧٥	خطورة الزُّهو	١٧٧
القصد في كل الأحوال	١٧٧	هدوء صوت المؤمن	١٧٨
١٤: أهل قرة العين	تفسير الآيات (١٩:١٥) من سورة السجدة		
حول سجود التلاوة	١٨٣	وقت السحر	١٩٠
قيام الليل	١٩١	عبادة الدعاء	١٩٤
باب الانفاق	١٩٥	دفاع الله عن المؤمنين	١٩٦
ثواب المؤمنين الصالحين	١٩٨		
١٥: أهل الصدق	تفسير الآيات (٢٧:٢١) من سورة الأحزاب		
فتن آخر الزمان	٢٠٢	الأحزاب في عصرنا	٢٠٤
نصر الله لأوليائه	٢٠٨	نهاية اليهود	٢١١

٢١٨	١٦. إشارات العارفين في آيات أهل الصدق تفسير الآيات (٢٤: ٢١) سورة الأحزاب	
٢٢١	٢١٩	تجدد معاني القرآن
٢٢٣	٢٢٢	حسن التأسي برسول الله
٢٢٥	٢٢٣	أعداء المؤمنين
٢٢٨	١٧. صفات النساء المطهرات في القرآن تفسير الآيات (٣٤: ٣٢) سورة الأحزاب	
٢٣٣	٢٣٢	تقوى الله
٢٣٥	٢٣٤	التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي
	٢٣٧	إقامة الصلاة
٢٣٩	١٨. آداب المؤمنات القانتات تفسير الآيات (٣٤: ٣٢) من سورة الأحزاب	
٢٤٢	٢٤٠	مراقبة الله
٢٤٤	٢٤٣	الانترنت
٢٤٧	٢٤٥	إقامة الصلاة
٢٥٣	٢٤٨	طاعة الله ورسوله
	٢٥٣	حديث التذكرة
٢٥٤	١٩. مراتب ومقامات المسلمين والمسلمات تفسير الآية (٣٥) من سورة الأحزاب	
٢٥٦	٢٥٥	حقوق النساء في دين الله
٢٦٠	٢٥٨	الإسلام والإيمان
٢٦٢	٢٦٢	الصادقون
٢٦٣	٢٦٣	الخاشعون
٢٦٧	٢٦٧	الصائمون
	٢٦٧	الذكر الأكبر
٢٦٩	٢٠. ذكر القلب تفسير الآيات (٤٤: ٤١) من سورة الأحزاب	
٢٧٢	٢٧٠	فضائل ذكر الله
٢٧٧	٢٧٤	الولاية عناية ورعاية
٢٨٠	٢٧٨	الذكر الكثير
٢٨٥	٢٨٣	كنوز فضل الله
	٢٨٨	التحية بالسلام
٢٨٩	٢١. صلاح الأعمال تفسير الآيات (٧٣: ٦٩) من سورة الأحزاب	
٢٩٥	٢٩٠	أذى موسى من قومه
٢٩٦	٢٩٦	الوجهة عند الله
٣٠٠	٢٩٩	قيمة الصمت
	٣٠١	الأمانة التي حملها الإنسان

٢٢. وراثۃ الكتاب		تفسير الآيات (٢٩: ٣٥) من سورة فاطر		٣٠٤
التجارة الراحۃ	٣٠٦	تلاوة كتاب الله	٣٠٧	
إقامة الصلاة	٣٠٩	الإنفاق سرّاً وعلانية	٣١٠	
الأرباح المضاعفة	٣١١	فضل الصدقة	٣١٢	
توفية الأجور	٣١٣	فضل الله	٣١٤	
وراثۃ الكتاب	٣١٥	جزاء وراثۃ الكتاب	٣١٧	
إذهاب الحزن	٣١٨	رحمة الرحيم	٣١٩	
إكرام الله للمؤمنين في الجنة	٣٢٠			
٢٣. إشارات العارفين في وراثۃ الكتاب		تفسير الآية (٣٢) من سورة فاطر		٣٢١
الظالم لنفسه	٣٢٢	المقتصد والسابق بالخيرات	٣٢٥	
٢٤. النشأة الأولى		تفسير الآيات (٤٨: ٥٤) من سورة يس		٣٢٦
متى الساعة؟	٣٢٧	النفخ في الصور	٣٢٩	
النشأة الأخرى	٣٣٢	إعادة الخلق	٣٣٣	
الأجسام في الآخرة	٣٣٤	نفخة القيام	٣٣٥	
العرض والحساب	٣٣٦	مظالم العباد	٣٣٨	
أثر العمل الصالح	٣٤٠			
٢٥. شغل أصحاب الجنة		تفسير الآيات (٥٥: ٥٨) من سورة يس		٣٤٢
شغل أصحاب الجنة	٣٤٣	ألوان نعيم الجنة	٣٤٤	
نعيم أهل العيان	٣٤٥	المقربون	٣٤٧	
فاكهة الجنة	٣٤٩	تحية أهل الجنة	٣٥٠	
٢٦. المخلصون		تفسير الآيات (٤٠: ٦١) من سورة الصافات		٣٥١
الأدب في الحديث عن الغيوب	٣٥٣	التبشير للمؤمنين	٣٥٥	
الإخلاص	٣٥٦	أرزاق المخلصين	٣٦٠	
تكریم أهل الجنة	٣٦٣	أحاديث أهل الجنة	٣٦٥	
الاطلاع على أحوال أهل النار	٣٦٦	تعقيب: الرفيق الصالح	٣٦٨	
٢٧. نعيم المتقين		تفسير الآيات (٤١: ٥٤) من سورة ص		٣٧٢
العبرة في قصص الأنبياء	٣٧٤	ابتلاء الله لنبيه أيوب	٣٧٥	
فصاحة موسى	٣٧٦	الأنبياء حجج الله على خلقه	٣٧٩	
تذكر الآخرة	٣٨٠	اصطفاء الأخيار	٣٨٢	
حسن الخاتمة	٣٨٣	منازل أهل الجنة	٣٨٣	
من ألوان النعيم	٣٨٧			

الكتاب: فضل الصلوة
نفسية آيات القرآن الكريم
الشيخ فوزي محمد فوزي

٢٨. فيشر عباد	تفسير الآيات (٢٠:١٠) من سورة الزمر	٣٩١
أثر التقوى	٣٩٤	الصر وفضله
إدراك معية النبي	٣٩٧	الإخلاص
الحرص على العمل بشرع الله	٤٠٠	الخوف من الله
الإخلاص بالإخلاص	٤٠٣	البقيات الصالحات
المبشرون من المقربين	٤٠٧	اتباع الأحسن
أهل الغرف	٤١١	
٢٩. الصادقون	تفسير الآيات (٢٦:٢٠) من سورة الزمر	٤١٥
القرآن وحل مشاكل المسلمين	٤١٦	القرآن عبادة الأصفياء
الموت والحياة	٤٢١	حقوق العباد
آفة الكلام	٤٢٤	الصدق والصادقون
مطالب الأتقياء	٤٢٨	فتنة الصحابة
٣٠. أهل الإنابة	تفسير الآيات (٦١:٥٣) من سورة الزمر	٤٣٤
العلم الإلهامي	٤٣٦	الصالحون والقرآن
رحمة الله	٤٤٠	الإنابة إلى الله
معرفة الله	٤٤٨	الحاسبة
حسرة المقصرين	٤٥٢	مرض الكبر وآثاره
٣١. أحداث يوم القيامة	تفسير الآيات (٧٥:٦٨) من سورة الزمر	٤٦٠
علوم تزكية النفوس	٤٦٢	التجهز لسفر الآخرة
النفخ في الصور	٤٦٤	أنوار القيامة
كتاب الأعمال	٤٦٨	الفضل والعدل
الشفاعة	٤٧٢	أصحاب النار
نعيم الجنة	٤٧٦	ميراث الخلود
العرش والملائكة	٤٨١	حقوق العباد
الخاتمة		
المراجع	٤٨٥	سيرة المؤلف ومساهماته ومؤلفاته
أين تجد مؤلفات الشيخ	٤٩٠	الفهرست
٤٩٢		

نرحمده الله تعالى، وإلى اللقاء مع الجزء الرابع من .. (تفسير آيات المقربين) .. إن شاء الله
 تحت الطبع قريباً: كيف تحبك الله (ط٤)، حديث الحقائق عن قدس سيد الخلائق (ط٤)